

مركز دراسات الدكتوراه: الجماليات وعلوم الإنسان
تكوين الدكتوراه: التعابير والأشكال الرمزية
تخصص: اللغة العربية وآدابها

أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في موضوع:

"مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفضل والصلاح"
لعيسى بن محمد الراسي البطوني (القرن الحادي عشر الهجري)
من أول المخطوط إلى نهاية الباب الثاني
- تقديم وتحقيق -

تحت إشراف الأستاذ:

الدكتور خالد سقاط

إنجاز الطالبة الباحثة:

ربيعة خباش

ر.و.ط: 8585605130

الموسم الجامعي

2017-2018

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإهداء

بعيدا بل في البعد كنتما معي، مرافقان لحلم ظل معلقا زمنا طويلا ... مشجعان
لخطوات علمية حثيثة ... بلما اكتمل البحث ، ولما أهدبه ثمرة مبادرة وملازمة ...
وإلبلما أقدمه عملا أتمنى أن يبقى معلما دائما ... إلى زياد وهدي.
إلى من انتظرت هذه الشهادة طويلا .. أمي .
إلى من سهل لي كل العقبات ورافقي خطوة خطوة.... إلى أبي
أقدم هذا العمل المتواضع

شكر و تقدير:

لايسعني وأنا أتهىء لتقديم هذا البحث، إلا أن أقف وقفة إجلال و احترام لكل من كان له الفضل في إنجازه من بعيد أو قريب، ولمن ذلل الصعاب و فتح نوافذ الأمل في وجهي، وعلى رأسهم أستاذي الفاضل الدكتور خالد سقاط، الذي أنحني له إجلالا، على كل ما قدمه لي من نصح ومساعدة، وتمكين من أدوات البحث. وقد شرفت بإشرافه، كما قال لي الدكتور حسن الفكيكي عند تسجيل هذا البحث، وشرف هذا العمل بتقويمه وهو المحقق الدقيق، والأستاذ العارف، والعالم المتواضع، فله مني كل المحبة والتقدير، وأسأل الله أن يجعل عمله هذا في ميزان حسناته، وأن يغدق عليه من خير الدنيا والآخرة.

كما لا يفوتني تقديم الشكر الكبير لشخصية علمية فريدة، كان لها الفضل عليّ، في استقبالي في ماستر "الفكر الصوفي في الأدب المغربي" هنا بكلية الآداب ظهر المهرارز، وهو فضيلة الدكتور عبد الوهاب الفيلاي، وأعتبر نفسي محظوظة بلقائه، خصوصا بعد انقطاع دام لسنوات بعد حصولي على شهادة استكمال الدروس في الأدب المغربي بكلية الآداب بالرباط ، فله مني كل المحبة والتقدير و أرجو من العلي القدير أن يمتعه بالصحة والتوفيق في سائر أعماله .

ولا يفوتني أبدا وأنا أشكر كل من وقف إلى جانبي ، والدي ومعلمي الأول ، الذي كان له الفضل الكبير في تسلمي لهذا المخطوط في جلسة علمية في بيته، حضرها المؤرخ حسن الفكيكي، ومساعدته لي في إحضار نسخة الخزنة الوطنية، وكان حفظه الله صلة وصل بيني وبين الدكتور الفكيكي، فله مني كل المحبة

والتقدير و الدعاء بطول العمر مع الصحة والعافية . وأشكر كذلك الدكتور حسن الفكيكي الذي كان يخصني بجلسات علمية ماثرة ، أحببت من خلالها شخصية البطوني، وحرصت على الاشتغال بالمخطوط، و أعترف بأنه كان لا يبخل أبدا في الرد على استفساراتي وأسئلتني سواء مباشرة، أو عن طريق والدي، أو بالبريد الإلكتروني، فله مني كل الدعاء بدوام الصحة وطول العمر .

أشكر كذلك الدكتور ميلود كعواس، أستاذ بكلية الآداب ابن طفيل بالقنيطرة ومدير مركز الريف للتراث والدراسات والأبحاث بالناظور، الذي مكّني من بعض المراجع التي تناولت شخصية البطوني، فله جزيل الشكر وعظيم الامتنان على حسن تواصله العلمي، وتعاونه الأكاديمي .

شخصية علمية أخرى تستحق مني كل الشكر والامتنان ، وهو الدكتور الفاضل ورئيس المجلس العلمي لإقليم الدريوش، بنعيسى بويوزان الذي غمرني بلطف معاملته الراقية ، بعد اتصالي به واستفساري عن الندوات التي نظمها المجلس حول الحركة العلمية بالريف، وحول شخصية عيسى البطوني ، فكان فضيلة الدكتور في قمة التعاون العلمي، والأخلاق العالية التي يمتاز بها علماء المنطقة . أشكر كذلك الأستاذة الفاضلة والشاعرة الفذة أمينة المريني، التي لم تبخل علي بدرايتها الشعرية وحنكها اللغوية ، حفظها الله.

في النهاية ، أتقدم بالشكر الوافر لكل من سهل لي طريق هذا البحث، وقرب لي كتابا أو مرجعا، وأفادني بمعلومة مهما كانت صغيرة أو كبيرة، ولكل من شجعني على إتمام طريق البحث رغم كل الصعوبات .

مقدمة

تتقدم هذه الأطروحة ، لتفتح قوسا كبيرا في الأدب المغربي بمنطقة الريف الشرقي، عسى أن تكون إضافة مفيدة للخزانة المغربية، خصوصا وأن المخطوط الذي تناولته بالتحقيق والدراسة، هو من أهم ما كتب في القرن الحادي عشر بالمنطقة من طرف ابن الريف ، فقد سجل ما كانت تشهده كل البلاد، ومنها منطقة الريف من فوضى سياسية، وارتباك اجتماعي، مع انتشار المجاعة والأوبئة، والجهل لتتراجع المكانة العلمية لجل المدن، وخاصة حاضرة فاس ، وليتحول الدين في يد مجموعة من الدجالين إلى وسيلة للاسترزاق، عن طريق نشر فكر مغالط، يستعمل أمورا ما أنزل الله بها من سلطان. وقد لجأ الفقيه عيسى بن محمد البطوني إلى تأليف مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفضل والصلاح، إسهاما منه في محاولة تقويم المجتمع، وتنوير العقول، ومحاربة البدع وكل ما ينأى عن الدين الصحيح .

و يعتبر تحقيق هذا الكتاب، في نظر بعض الدارسين، خطوة مهمة للكشف عن الوجه العلمي الحقيقي لمنطقة الريف خلال القرن الحادي عشر، لأنه يقدم وجها مضيئا للتصوف والتدين الفطري بالبادية، وسيبرز بوضوح غنى وعمق فكر رجال وعلماء المنطقة، لما يتحلى به من موسوعية و نضج علمي وأدب رفيع.

أسباب اختيار الموضوع

الاختيار يخضع دائماً لأسباب موضوعية وذاتية، تشرح تلك الرغبة الدفينة التي دفعت صاحبه إلى دخول دهاليز البحث، وأغوار المغامرة العلمية في منطقة قل إنتاجها المنشور، وندرت الدراسات التي تتناول رجالاتها بالترجمة والتقديم، ولأدبها بالتحقيق .

الأسباب الذاتية :

لقد كان لقائي بالدكتور حسن الفكيكي في جلسة خاصة في بيتنا بمدينة سلا، فرصة لاستشارته في رغبتني تحقيق مخطوط مغربي، فاقترح علي مخطوط مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفضل والصلاح . كما كشف لي عن أمنيته القديمة، في إخراج هذا المخطوط وتحقيقه، فوجدت رغبته في نفسي قبولاً وتوافقاً، خصوصاً عندما فاجأني بنسخة منه في اليوم التالي، وهي نسخة الخزنة الحسنية التي كان يحتفظ بها في بيته . واستمرت مشاوراتي العلمية معه طويلاً بعد ذلك ، كما بارك إشراف الدكتور خالد سقاط كمشرف على العمل، حيث اعتبر أن جهود محقق الرحلة العياشية، ستضيف امتيازاً لإخراج "مطلب الفوز والفلاح" ، وأن يُحقق برعاية مشرف خبر طويلاً عوالم التحقيق وخباياه أمر سيمنحه علمية جادة.

الأسباب الموضوعية :

. كون المخطوط يحظى بقيمة علمية كبيرة عند أبناء المنطقة وسائر المفكرين، ويعتبر الإنتاج الوحيد بمنطقة الريف الشرقي خلال القرن الحادي عشر .

. كون المخطوط يتمتع بتبويب عصري ووضوح في معالم فهرسته ، الشيء الذي ييسر للباحث أمره ويفتح شهية تحقيقه .

. الرغبة في كشف النقاب عن علم الريف وعلمائه ، الذين لم يحظوا بالاهتمام الكافي والبحث الأكاديمي في نتائجهم، الشيء الذي جعل الكثير من كنوز المنطقة لم تكتشف بعد، ولم تدرس.

الدراسات السابقة عن شخصية البطوي و مؤلفه:

كانت بداية اكتشاف مخطوط . مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفضل والصلاح . مع حسن الفكيكي عندما اشتغل برجال "معلمة المغرب" ، والبحث عن صلحاء الريف الشرقي، فحقق من المخطوط المقدمة وبعض فقرات الباب السادس والسابع، التي تخص ترجمة صلحاء الريف، في كتاب من منشورات مركز طارق بن زياد سنة 1999م، تحت عنوان "مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفضل والصلاح" ، ثم توالى بعض الدراسات التي أقيمت في ندوات ، حرصت بعض المجالس العلمية في منطقة الريف على تنظيمها، بهدف التعريف بالحركة العلمية التي عاشتها المنطقة أولاً، وللتنقيب عن كنوز رجالاتها ومفكرها، نذكر منها المجلس العلمي للحسيمة، في الندوة التي نظمها بمشاركة مركز الريف للتراث والدراسات والأبحاث بالناظور، سنة 2015، في موضوع التراث العلمي و الحضاري لبطوية : دورة عيسى بن محمد البطوي، حيث ألقى الدكتور بنعيسى بويوزان مداخلة بعنوان . إضاءات عن سيرة الشيخ عيسى بن محمد الراسي البطوي :العالم الصالح المصلح. وألقى أحمد الفقيري مداخلة في نفس الندوة

بعنوان . الفكر الصوفي التربوي وآثاره ببطوية من خلال مطلب الفوز والفلاح لعيسى البطوئي . وكتب عبد الوهاب برومي مقال "مطلب الفوز والفلاح حلقة في سلسلة تاريخ إصلاح الفكر الصوفي في المغرب"، وألقى الباحث مصطفى أزياح "الرحلات العلمية بين المغرب الأقصى وحاضرة تلمسان : رحلة عيسى البطوئي أنموذجا" .

غير بعيد عن الحسيمة ، في إقليم الدريوش، نظم المجلس العلمي المحلي، ثلاث دورات خصصت لدراسة الحركة العلمية بالريف، وقد شارك في دورة 2016، عبد الوهاب البرومي بمداخلة تحت عنوان "إصلاح الفكر الصوفي عند عيسى بن محمد الراسي البطوئي ، مقوماته وتجلياته". وشارك أيضا في دورة 2017 بمحاضرة عن "تأثير أبي حامد الغزالي في الفكر الصوفي لعيسى بن محمد الراسي البطوئي". وشارك أيضا الباحث عبد الله كموني بمداخلة بعنوان محمد بن "عيسى البطوئي فقيها أشعريا" .

الصعوبات التي واجهت البحث:

بالموازاة مع متعة تحقيق كتاب "مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفضل والإصلاح" واجهتني الكثير من الصعوبات، يمكن تلخيصها في:

. البحث عن النسخة الأم، والتي أكد الدكتور حسن الفكيكي أنها نسخة الخزنة الوطنية، وأن الجزء المبتور منها، هو ذلك الذي سلمنا إياه المرحوم عبد الله الترغي، بعد أن اتصلت به في مكالمة هاتفية، وقد فحصها د. الفكيكي وحسم في كونها النسخة الأم المكتوبة بخط البطوئي .

. صعوبة التوصل إلى تخريج النقول، وتحديد بدايتها ونهايتها، وذلك لتداخل أكثر من نص، مع تصرف البطوي في الصيغة والكتابة .

. بعض المراجع التي اعتمدها البطوي وأعلن عنها في المقدمة، غير متوفرة بحسب بحثي، وقد أخذ منا البحث والسؤال عنها وقتاً طويلاً .

ورغم كل هذه الصعوبات ، فقد ذللناها بالكثير من الصبر والإلحاح، مع مساعدة أستاذنا المشرف، وبعض الباحثين في نفس المخطوط خاصة، وفي أدب الريف عامة .

النتائج والآفاق:

من بين الأهداف التي نتوخاها من هذا البحث، تقديم الجزء الأول من . مطلب الفوز والفلاح . الذي يتضمن المقدمة والجزء الخاص بالعبادات، لتتوالى إن شاء الله ، بحوث تحقيق أخرى تتناول باقي المخطوط ليكتمل، ويقدم للمهتمين بالأدب المغربي بالريف الشرقي خلال القرن الحادي عشر، وللباحثين في الفكر الصوفي المغربي ، حيث يعتبر مطلب عيسى البطوي أهم كتاب خلال القرن الحادي عشر، لكونه "حاول بعث ما ضاع من آثار الحقائق والشرائع، كما عمل على تنشئة المرید وتربيته على الآداب، واضطلاعه بما لا بد من الأحكام الشرعية، بالإضافة إلى ترجمة صلحاء زمانه للإعتراف إليهم والإقتداء بهم"¹ .

1- إصلاح الفكر الصوفي عند عيسى بن محمد الراسي البطوي - برومي عبد الوهاب - الحركة العلمية بالريف - منشورات المجلس العلمي بالدرويش - 2016

القسم الأول :

الدراسة

الفصل الأول : الحالة العلمية والفكرية خلال القرن 10 و 11هـ

إن الحديث عن المنتج العلمي الخاص بمنطقة الشمال الشرقي المغربي ظل أمرا مهجورا لسنوات عدة، باستثناء بعض الدراسات القليلة التي تناولت بعض شخصياته الدينية والسياسية، وقد فُتحت خزائن شخصياته العلمية والصوفية مع الدكتور المؤرخ حسن الفيكيكي في معلمة المغرب، حين اشتغاله على صلحاء الريف الشرقي، فقد عثر على مخطوط يضم تراجم رجالات الريف خلال القرن الحادي عشر المُعنون ب . مطلب الفوز والصلاح في آداب طريق أهل الفضل والصلاح لمحمد بن عيسى البطوني، وبتحقيقه لجزء صغير من هذا المخطوط في إطار التأريخ لرجالات الريف¹، وقد كان ظهور هذا المخطوط إلى الوجود إضافة قيمة للخزانة المغربية، التي لم تعرف منتوجا عن هذه المنطقة، منذ كتاب المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف . لعبد الحق البادسي (كان حيا سنة 722هـ)²، وبعض فقرات كتاب . التشوف إلى رجال أهل التصوف . لعبد الرحمان التادلي (ت 617هـ القرن السابع الهجري)³ .

يقول حسن الفيكيكي عن قلة الأعمال التي تتناول هذه الجهة والتهميش الذي طال تراثها الغني : " وجاء الآن دور إعطاء الأهمية المستحقة لمصدر ريفي، ظل منذ

1 - شارك د حسن الفيكيكي في معلمة المغرب الجزء العاشر بالتأريخ لمعالم ورجالات الريف.
2 - المقصد الشريف والمنزع اللطيف في ذكر صلحاء الريف - عبد الحق البادسي (ولد في حدود سنة 650 هـ وكان حيا سنة 722 هـ) - حققه د سعيد أعراب - الطبعة الثانية كانت بالمطبعة الملكية سنة 1993 م.
3 - كتاب التشوف إلى رجال السادات أهل التصوف - لعبد الرحمن التادلي (من أحياء القرن التاسع الهجري) - تحقيق أحمد التوفيق -

عدة قرون في غرب تامة، عائما وسط محيط من النسيان والفراغ الشاملين¹. هذا الريف الذي كان يشهد ازدهارا علميا كبيرا مع إمارة النكور، ثم تتابع في عصر المرابطين، الذي شهد نزوح عدد كبير من علماء الريف إلى فاس، ثم استمر الأمر على عهد الموحدين، فقصد البعض بلاد الأندلس، في حين اتجه آخرون إلى مراكش، التي كانت آنذاك عاصمة للموحدين، ومع بداية العهد المريني الذي كان مميزا بالمصاهرة الكريمة التي تمت بين أول ملوك بني مرين عبد الحق المريني وبين السيدة ميمونة بنت محلي البطوي،" ووالدة يعقوب المنصور المولود سنة 607 أو 608 هـ² التي كانت تنتمي إلى بلدة تفرست، من إقليم الدريوش، الشيء الذي جعل المنطقة تحظى باهتمام زائد من دولة بني مرين، حيث تم تشييد الكثير من المساجد والمراكز العلمية التي تميزت بحركة فكرية وعلمية راقية، شملت الكثير من المراكز الثقافية والدينية لخصها حسن الفكيكي في كتابه الذي تناول فيه تحقيق الباب السادس والسابع من كتاب . مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفضل والصلاح .

1 - مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفضل والصلاح - لعيسى بن محمد البطوي - حسن الفكيكي مركز طارق بن زياد للدراسات والأبحاث مطبعة النجاح الجديدة - 2000 م - ص 8

2 - المراكز التعليمية بغرب الريف الشرقي - حسن الفكيكي - مقال في كتاب الحركة العلمية بالريف أصوله وامتدادها - منشورات المجلس العلمي المحلي لإقليم الدريوش - الواحة للطباعة - الناظور 2016 - ص 70

المبحث الأول : المراكز العلمية ببطوية زمن عيسى البطوني :

1 - مركز تيغلال بمنطقة تمسمان¹، وهي رباط أسسه المتصوف أبوداود مزاحم (ت578هـ)² في النصف الثاني من القرن السادس، وامتد نشاطها على يد أحفاده إلى غاية القرن الثامن الهجري.

2- مركز إيارماواس بمنطقة بني توزين³، وقد عرف بتعليم الفقه ومبادئ التصوف منذ العصر المريني، وزاد من شهرته اعتناء المرينيين بالمدرسة والزاوية، الموجودة في جماعة تحتل مكانة عالية عند الأسرة المالكة بحكم المصاهرة التي تجمعهم، وقد صنف من قبل المؤرخين في "صدارة مراكز التعليم بالمنطقة كلها من حيث العطاء الدراسي وطول المداومة"⁴

3- مركز بمنطقة وردان بني أولشيك، أسسه الفقيه المتصوف يحيى الورداني الفجيجي⁵ وأشرف عليه، درس بالغرب الجزائري بمدينة تلمسان، وأخذ التصوف

1 - قبيلة كبيرة مترامية الأطراف تتموقع جغرافيا في الشمال الشرقي للمغرب بين مدينة الناظور والحسيمة وتتبع إقليم الدريوش إداريا وإقليميا.

2 - أبوداود مزاحم بن علي بن جعفر أسس رباطه الدينية على شاطئ الحسيمة، وكانت مركزا للعلوم والدفاع عن الوطن ومجمع الراغبين في العلم والجهاد، وقد كانت هذه الزاوية نبراسا يحتذي به أهل الريف ومدرسة صوفية متميزة.

3 - قبيلة أيت توزين تقع في إقليم الدريوش ومركزها ميسار، وقد كانت من القبائل التي أسهمت في تكوين جيش التحرير سنة 1954 بإقليم الناظور لمحاربة الإستعمار الفرنسي.

4 - المراكز التعليمية بغرب الريف الشرقي - حسن الفكيكي - مقال في كتاب الحركة العلمية بالريف أصوله وامتدادها - منشورات المجلس العلمي المحلي لإقليم الدريوش - الواحة للطباعة - الناظور 2016 - ص 72

5 - عاش في القرن العاشر، سميت منطقة وردانة باسمه، عرف بالصلاح والتقوى، تصدر شؤون قبيلته وتزعم مقاليد القيادة فيها بعد تحريره لإمارة بادس من الوطاسيين وإحاقها بالسلطة المركزية. درس الورداني في تلمسان وعاد إلى بلده حيث أسس مركزا دينيا للعلم والتربية الصوفية وأصبح نقطة التقاء الطلبة والمريدين.

على عثمان بن زياد المديوني، كما أسس لطريقة صوفية ذاع صيتها ببطوية كلها،
مرتكزة على الزهد البسيط الخالي من المعتقدات والمستند على العبادات.

4 - مركز تيزي عدنيت الذي يوجد بمنطقة بني سعيد، الذي أسسه محمد بن يحيى البطوي كمسجد للصلاة ومسجد لتحفيظ القرآن و" هيئه لاستقبال الشيوخ والطلبة قبل أن يضاف ابنه عيسى إلى زمرة الطلبة. وحين فاجأته الوفاة تكفل به وتعهده برعاية المسجد أخوه أحمد بن يحيى البطوي لمدة تزيد على الأربعين سنة على الأقل¹، وهو المركز الذي كتب فيه هذا المخطوط الذي سنشتغل به، بعد عودة الفقيه عيسى البطوي من جولاته العلمية المتفرقة بين فاس وتلمسان.

هذه جملة المراكز التي عرفت بالمنطقة، في حين أن الكثير منها طمست معالمها و مسحت آثارها، رغم فضلها على المشهد العلمي في فاس، فقد تخرج منها الكثير من الفقهاء والعلماء المشهورين في كتب التراجم بالماسويين البطويين، وهي متفرقة بين قبائل الريف، هناك من كان في مطالسة و اجزانية، أما مركز بادس فيعتبر أهم مركز علمي ريفي.

¹ - مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفضل والصلاح - حسن الفكيكي - ص 28

المبحث الثاني : منطقة بطوية وهكارة الأسرة البطونية العلوية :

تعتبر بطوية مجموعة قبائل ممتدة من واد النكور إلى واد ملوية كما ذكر ذلك صاحب المقصد الشريف ، وتضم عددا من القبائل الريفية ، و لم تعرف استقرارا جغرافيا، فقد خضعت لمد وجزر جغرافيين يمتدان من نهر ملوية شرقا إلى ما بعد واد النكور غربا، على امتداد الساحل الجنوبي للبحر المتوسط، فبطوية في القرن الثامن حسب ما ذكر ابن خلدون في مقدمته، كانت تضم ثلاثة بطون، أما تحديد حدودها في القرن العاشر فنفضل ما ذهب إليه الدكتور حسن الفكيكي، أنه في "المنطقة الجبلية الواقعة غرب كتلة قلعية، بامتداد طولي إلى حوض واد النكور وحدد القبائل التي تنتمي إليها في قبيلة بني سعيد وتافرسيت وبني أوليشك وتمسمان وبني توزين"¹

إن أصل تسمية المنطقة ببطوية فيه عدة آراء، هناك من يقول إنَّ أصلها مشتق من الكلمة الأمازيغية . بطو. والتي تعني التقسيم والتجزئة، في حين هناك من ينسبها إلى اسم عَلم مُتعارف عليه في الريف وهو بطوي، دون أن ننسى ما قاله صاحب المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف، الذي أكد أن الأصل في التسمية منسوب إلى جد يدعى بطوي، حيث جرت العادة أن القبائل تأخذ إسمها من الجد الأعلى.

عرفت المنطقة منذ القدم بإشعاعها العلمي والثقافي والحضاري، وكانت طيلة تاريخ المغرب الوسيط وجهة علم وصلاح، تخرج من قلبها عدة علماء وصلحاء

¹ نفس المرجع - ص 20

زاحموا غيرهم بالمناصب في أشهر المراكز العلمية المنتشرة في المغرب والجزائر مثل فاس وتلمسان، بل إن إشعاعهم امتد حتى الأندلس، الشيء الذي يجعل قيمة المراكز العلمية التي كانت منتشرة في منطقة الريف متميزة ومشهورة عند الكثير من العلماء الكبار، الذين كانوا يحرصون على المرور على هذه المراكز المتنوعة المعارف بين العلوم الشرعية بفروعها المختلفة (القرآن وعلومه والحديث وعلومه والفقه وأصوله والتوقيت..)، وعلوم اللغة والأدب (النحو والصرف، البلاغة، الشعر، النثر..)

ولقد شكلت منطقة بطوية إلى جانب هذا التميز العلمي برباطاتها وزواياها، وجهة ومركزا لتربية الوافدين عليها، وتأهيلهم، والعمل على تعميق البعد الروحي عندهم وفق منهج تصوف سني فطري، يرفض كل أنواع الانحراف والبدع التي كانت قد التصقت بالسلوك الديني القويم، لكن تجدر الإشارة إلى أن علماء بطوية وصلحاءها لم يشغلهم طلب العلم والانقطاع إلى العبادة عن الانخراط في حركة الجهاد ضد المحتل، وتحفيز الناس للدفاع عن الوطن والتصدي للغزاة، وبذل الأرواح للدفاع عن الأرض والمسلمين.

و قد نزح الكثير من البطونيين إلى مدينة فاس، وكونوا أسرا كريمة، عرفت بالعلم والفضل والعراقة، كما عرفت بالريادة في عوالم الثقافة والعلم في العهد السعدي، وتعددت جوانب تكوينها، واتسع نطاق انشغالاتها العلمية والأدبية والصوفية والثقافية، وأثّر رجالها البطونيون بعلمهم وصلاحهم في الكثير من أبناء المنطقة بل في جيل بأكمله، ومن ثم عرفوا ببصمتهم الكبيرة في الحياة العلمية بالمغرب

عموما وبالمناطق الشرقية خصوصا، وأصبحوا مع الأيام مصابيح منيرة للعلم والصلاح، أسهم في هذا قريتهم من البلاط المريني ومصاهرتهم له، الشيء الذي جعلهم يشتهرون في الشأن السياسي بالمغرب، إلى جانب حكام بني مرين، باتخاذهم وزراء وعمال وقادة . وقد أشار إلى هذا الأمر ليون الإفريقي بقوله : " ويجاملهم أيضا ملك فاس لأنهم أصدقاء أسرته منذ القديم قبل أن تصبح أسرة حاكمة "¹.

ومن أهم الشخصيات البطوئية التي اشتهرت بفاس وكان لها دور مهم على المستوى العلمي والثقافي نذكر، الشيخ عمر بن البحر البطوئي (ت 779هـ) الفقيه الخطيب البليغ، عرف بابن البحر، شارك في المجالس العلمية للسلطان أبي عنان المريني، اشتغل عدلا وعرف بعقد الشروط، مال بطبعه لطريق الصوفية وكانت له رحلة إلى المشرق للحج والعلم، من تلامذته السراج النفزي الرندي (ت 805 هـ).

أحمد بن ماواس البطوئي (ت 842هـ)، وهو الشيخ الفقيه الصالح، عرف بصلاحه وعلمه، من تلامذته الولي الصالح أحمد بن حسن الغماري التلمساني (ت 874هـ)، توفي بفاس.

عيسى بن ماواس البطوئي (ت 896هـ) الفقيه المفتي بفاس الخطيب الراوية، أجازة فخر الدين الديمي المصري (ت 885 هـ) كان من الحفظة المحققين، خطب

¹ - وصف إفريقيا - الحسن الوزان - الجزء 1، صفحة 345

بفاس الجديد نحوستين عاما ومن أهم القضايا، التي شغلته قضية الفقراء الصوفية، وقد أخذ عنه أحمد زروق.

أحمد بن عيسى الماوسي البطوني (ت 911هـ) العلامة الجليل المؤقت بمنار القرويين، كان مزورا للمؤذنين والموقتين بفاس، له شرح على روضة الأزهار لعبد الرحمان الجاديري (ت 818هـ).

أحمد بن محمد الماوسي البطوني الفقيه أخذ إجازته عن الإمام حافظ الديار المصرية نجم الدين محمد بن أحمد الغيطي المصري (ت 982هـ).

أبو الحسن البطوني (ت 1039 هـ) درس في القرويين وامتلك سعة علمية هائلة وأخذ عن مشايخه الكبار بأسانيد متينة ولم يكتف بالعلم الظاهر بل مزجه بصحبة كبار شيوخ التصوف في عصره مما كان له اثر كبير في بناء شخصيته الأخلاقية واستكمال نضجه الفكري والتربوي، من تلامذته أحمد ميارة الفاسي (ت 1072هـ) أحد علماء الفقه بالمغرب في عصره، أخذ عنه صحيح البخاري ومسلم مع جملة من الحواشي والشروح.

والقطب مولاي عبد الله الشريف شيخ الطريقة الوازنية (ت 1089هـ) قرأ عليه عدة مصنفات في أنواع مختلفة من العلوم والمعارف وأخذ عنه أيضا عبد الواحد بن أحمد ابن عاشر الأنصاري (ت 1040هـ).

نخلص إلى أن البطونيين كان لهم حضورا لافتا منذ القرن الثامن الهجري الموافق لـ 14 الميلادي، وقد استطاع أبنائهم أن يتبوأوا المكانة العالية في الوسط العلمي والثقافي والصوفي بفاس، وأن يشغلوا مناصب مهمة في المجتمع الفاسي، وأن

يحظوا بمصاهرة عدة عائلات فاسية، فتحت أمامهم مزيدا من التفوق الثقافى والاجتماعى. وصنفتهم الكتب التى أرخت للأسر الفاسية من قدماء البيوتات العلمية، كما يصفهم صاحب زهرة الآس : " إعلم أن هؤلاء من قدماء فاس، وبيتهم بيت فقه وعلم "¹ ويضيف " ولا زالت عرصة (ساحة الدار) الكبرى بوادي الزيتون، عدوة فاس القرويين تسمى بعرصة البطونى إلى الآن وهى اليوم على ملك أولاد أكومي وابن غانم وغيرهم "² و" وكانت لهم بفاس ار بدرب البركة من حومة القطنين عدوة القرويين "³.

¹ - زهرة الآس فى بيوتات أهل فاس - محمد بن عبد الكبير الكتانى - تحقيق : علي بن المنتصر الكتانى - مطبعة النجاح 2002 - ص 141/

² - نفس المرجع - ص 141

³ - نفس المرجع - 141

المبحث الثالث: المشهد الفكري والثقافي زمن البطوني

استأثرت بطوية بنسبة مهمة من علماء الريف الشرقي خلال القرن 11 و12هـ/16 و17م، الذين توجهوا بشكل كثيف إلى مدينة فاس، خصوصا منهم الورياغليون، و البادسيون والبوفرحيون، وفي الآن نفسه عرفت المنطقة وفود رجال من جهات أخرى، وتوطنهم بها، و آخريين اتخذوا منها مستقرا مؤقتا ومعبرا في اتجاه الشرق¹، لتتراءى لنا منطقة بطوية في القرن العاشر الهجري واحة عامرة بالكثير من العلماء ورجال التصوف، لوحة مكثفة بالكثير من المظاهر الدينية التي نلخصها في:

1 - الرباطات

هي منازل صغيرة كان يربط فيها المجاهدون، الواقفون على الثغور للدفاع عن الأرض ضد القوات الاستعمارية الإسبانية والبرتغالية والفرنسية، والرباط مشتقة من القرآن الكريم لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِصُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾². وقد ذكر ابن الزيات (توفي 627هـ) صاحب "التشوف إلى أهل التصوف" أن منطقة الريف كانت تضم عشرين رباطا للتعبد والجهاد على السواحل الأطلسية، كما أكد ذلك عبد الحق البادسي في "المقصد الشريف والمنزع

¹ - علماء الريف الشرقي خلال القرنين 11 و12هـ/16 و17م - حميد الفاتحي - من كتاب الحركة العلمية بالريف من القرن العاشر إلى القرن الثاني عشر الهجريين مميزات وإسهاماتها - بحوث الندوة الوطنية الثالثة التي نظمها المجلس سنة 2016 - منشورات المجلس العلمي المحلي لإقليم الدريوش - ص 111

² - سورة آل عمران - الآية 26

اللطيف في التعريف بصلحاء الريف"، على وجود خمس رباطات كانت تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط.

2 - الزوايا

يمكن أن نعتبر الزوايا من المظاهر المكونة للزمن الثقافي للبطوني، حيث حلت محل الرباط، فقد انتقل المغرب من الرباطات التي كانت تحرس الثغور وتنتشر الإسلام إلى الزوايا التي "تعتمد ثقافة الحفاظ على تماسك أركان المجتمع، وقد بدأ ظهورها متساقا مع تدهور القوى العسكرية الإسلامية وتسرب الضعف إلى أوصال الدولة، وتراجع وظائف الرباطات لتختصر بالتالي في الأمكنة التي يختلي أو يعتكف فيها بعض المتصوفة للتعبد"¹. وقد عملت الزوايا على تحصين النفوس من حالة القلق والاضطراب، وزرع السكينة في القلوب لكي لا تشتعل الفتن في المجتمع، نتيجة الضعف الذي لحق بالسلطة، اعتمادا إلى قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾²، وقوله أيضا ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَعْصَمُنَ الْقُلُوبُ﴾³ وغيرها كثير من الآيات التي تدعو إلى المحبة والسلام والطمأنينة. بالإضافة إلى الأحاديث النبوية التي تدعو هي كذلك إلى ثقافة التسامح مثل قول الرسول صلى الله عليه وسلم: المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا.

¹ - شذرات من التراث العلمي والحضاري لبطونية - د علي الإدريسي - مطبعة الأمنية الرباط 2017

² - سورة الحجرات - الآية 10

³ - سورة الرعد - الآية 28

وبعد أن أصبح للزوايا شيوخ، تحولت إلى مراكز توطر المجتمع وتعد الإقامة للوافدين عليها، من طلاب العلم والتربية، وعملت كذلك على إطعام عابري السبيل والمحتاجين وكل من يمر عليها. نذكر من هذه الزوايا في المغرب الزاوية المتوكلية التي بناها السلطان أبو عنان عام 754هـ، كانت ملاذا لذوي الحاجات وعابري السبيل، وتحولت بعد ذلك إلى مركز للعبادة والمتعبدين والمتصوفين والمريدين، ثم زاوية أبي زكريا بسلا التي نزل فيها أبو العباس أحمد بن عاشر (ت765هـ)، الذي عرف بمريديه الكثر.

أثرت الزوايا والمتصوفة في المشهد الثقافي العام، وكانت أنشطتها بارزة في المجتمع أكثر من أي نشاط " جعلت السلاطين المرينيين، ومن بعدهم السعديين يسنون في تشريفاتهم تقليدا يخص زيارة أولياء الله الصالحين، استرضاء لعواطف العامة واستجلابا لقلوبهم "¹. وقد زاد من سلطة الزوايا حضور الشرفاء في هذا المشهد، لكونهم فئة مؤثرة في المجتمع، بعد أن أعادت لهم الدولة المرينية وزنهم وقيمتهم، فأصبحوا يحضرون مراسيم بيعة السلاطين المرينيين، الذين أقروا الاحتفال بالمولد النبوي الشريف عام 691هـ، الشيء الذي أزهر العديد من الأعمال الشعرية التي تخلد للذكرى النبوية، فترسخت بذلك ثقافة البركة بصفة خاصة.

¹ - رحلة ابن رشيد السبتي - أحمد حدادي - منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الرباط 2003 ص 137

المبحث الرابع: المؤسسات التربوية ومناهج التعليم بقبيلة بطوية في العصر الوسيط

لقد تميزت المدارس التربوية الريفية، بخصائص مشتركة مع المدارس التعليمية، في مختلف أنحاء المغرب، تمثلت في التمكن من مجموعة من القدرات والكفايات، مثل القراءة والكتابة مع حفظ القرآن الكريم، وفهمه وتدبره ثم الانتقال إلى بعض علوم اللغة والفقه. وبالنسبة لقبيلة بطوية، فقد كانت منطقة رائدة في التربية والتعليم والتزكية، وكانت مراكزها المنيرة مقصد العديد من طلاب العلم والراغبين في الحصول على تزكية منها، هذه الدرجة العلمية التي كانت لا تتال إلا بالصلاح والسلوك الحسن مع الجدية في الدراسة.

إن الحركة العلمية بالريف بدأت مع استتاب الأمن في المنطقة، حيث دبت الحياة في المساجد والرباطات والشعور، ومعها أحدثت مكاتب وملحقات لتعليم القرآن بالمساجد وصحونها، حيث انتشرت حلقات حفظ القرآن مع حفظ الأذكار و أخذ دروس الفقه وعلوم اللغة، لنجد مسيد مسجد تيزي عدنيت يتحول إلى مركز للتدريس بمجهود ودعم أسرة عيسى البطوئي، و حرص الشيخ أحمد الراسي، وتدريس الشيخ علي وارث الغساسي فيه، وشهرة الشيخ أبو العباس أحمد الفيلاي الذي توافدت أفواج من الطلبة من بني أولشك وبني توزين وبقية مع قدمه، للجلوس إلى مجلسه وملازمته والتربية على يديه، فقد عد مربيا سالكا وزاهدا متبصرا حسب الكثير من كتب التراجم .

لقد قسم عيسى البطوني طلبة مركز تيزي عدنيت إلى مجموعتين: طلبة العلم وطلبة التصوف .

1- طلبة العلم :

لقد شكل حفظ القرآن القاعدة الأولى لهذه الفئة من طلبة العلم الذين كانوا يترددون على مسجد تيزي عدنيت أو يقيمون فيه، وينتقلون بعد حفظه وكتابته إلى الانكباب على تعلم القراءات والاطلاع على علم التوحيد والفقه واللغة¹. وبعد أن يصل الطالب إلى درجة من الاستيعاب والنضج الفكري يقاسمه شيوخه مكانتهم الاجتماعية، لينال هو الآخر شرف الاحترام العلمي الذي يؤهله إلى مكانة مرموقة في الوسط الاجتماعي، وذلك عبر ممارسة التعليم والإرشاد والوعظ والمشاركة أيضا في الجهاد والمقاومة ضد المستعمر.

لقد كان طلبة العلم . يشارطون². في مداشر بعيدة على عادة طلاب العلم بالبوادي المغربية ومن ثم وجب فيهم التحلي بالآداب التي تجعل المعلم يقظا حريصا على تأديب الصبيان، وتقويم اعوجاج لسانهم، بنهيهم عن الكلام الفاحش والفعل الخارج عن الحدود، كما يعرفهم آداب المسجد ويحثهم على النظافة والطهارة .

¹ - كانت تسمى بالمتون ، وهي - المرشد المعين على الضروري من علوم الدين لابن عاشر (ت1040هـ) وهي في نظم الفقه المالكي ، ثم المقدمة الأجرومية في مبادئ علم العربية لابن أجروم الصنهاجي الفاسي (ت 723 هـ) ويعتبر من أهم ما ألف في النحو . و ألفية بن مالك وهي متن يضم غالب قواعد النحو والصرف العربي في منظومة شعرية يبلغ عدد أبياتها تسعمائة وثمان وثمانين بيتا على وزن بحر الرجز أو مشطوره..

² ، المشاركة اصطلاح يكون بين الفقيه وسكان المدشر أو الدوار ويعني أن يقوم الفقيه بإمامة المصلين و إلقاء خطبة الجمعة مع تحفيظ الأطفال القرآن وتعليمهم القراءة والكتابة و حفظ النصوص مقابل قسط متفق عليه من الحبوب في السنة ومثله من زيت الزيتون ، تقسم على السكان فيلتزمون بتهيء الأكل له كل يوم وتسمى النوبة . ويكون في الغالب المشارط لوحده .

2- طلبة التصوف

من بين جموع الطلبة كان من يستهويه طريق الله، فيكون من السالكين درب الصالحين، فيلازم شيوخ التصوف يتربى في أعتابهم ويتلقى على أيديهم عمق ما أتاهم الله من معرفة وصلاح، وقد وصف عيسى البطوني شيوخ التربية الصوفية بـ "المجدون في طريق أولياء الله والإخوان في الله والمجتهدون في العبادة والمدمنون على تلاوة كتاب الله، وهم بذلك أكثر الناس خشية ومروءة وصبرا واحتمالا وحياء وسخاء وإيثارا ومواظبة على قيام الليل"¹.

وقد جعل لطلبة التصوف شروطا، كانوا يلتزمون بها و حدودا كانوا يقفون عندها، أهمها :

- الاتصاف بالجلال والوقار في حضرة شيوخ التربية الصوفية، فلا يرفعون أصواتهم ولا يخوضون في أي كلام إلا بعد طلب الاستئذان .

- ملازمة قراءة القرآن خصوصا بعد الصلوات والإكثار من الأذكار خصوصا في الليل.

- على المريد أن لا يشتغل بعلوم الفيزياء والكيمياء وعلوم الكنوز لأن الاهتمام بها يبعد السالك عن طريق الله.

¹- مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفضل والصلاح - عيسى بن محمد البطوني - الباب التاسع - الفصل التاسع.

وقد كان طلبة التصوف يتوافدون من منطقة بقوة وآخرون من قلعية، خصوصا خلال السنوات التي كان فيها الشيخ أحمد الفيلاي أي سنة 996 هـ .

المبحث الخامس :التواصل العلمي بين بطوية وحواضر الغرب الإسلامي زمن عيسى البطوي

اشتهر الطلبة المغاربة في الريف الشرقي برحلاتهم العلمية نحو فاس وتلمسان اللتين كانتا تتميزان بعمق حضارتهما، وانتشار صيتهما العلمي، وكثرة العلماء الذين كانوا يحجون إلى مراكزهما ومساجدهما، فكان الجلوس إلى فقهاء ضرورة ماسة لاستكمال التكوين العلمي لأي فقيه أو عالم، خصوصا إذا كان من أبناء البادية، لأنها تعتبر ضرورة علمية في حياة كل طالب علم. ومن ثم فرحلة ابن بطوية عيسى بن محمد البطوي إلى الحواضر العلمية المعروفة كفاس وتلمسان، كانت لها أهمية قصوى في تحديد خطه العلمي .

للرحلة عدة فوائد، أهمها المعرفة والتعرف على حضارات أخرى وتراث مختلف، وتتعدد أسبابها ودوافعها وأغراضها، بين دينية وعلمية وسياسية وثقافية، اقتصادية، وقد كانت دوافع البطوي محددة في الأسباب العلمية، حيث أن رحيله إلى فاس وتلمسان، كان بغية طلب العلم وملاقة العلماء والفقهاء ويمكن أن نضيف الدافع الصوفي، حيث اختار بعد إقامته القصيرة في فاس أن ينتقل إلى تلمسان حيث مجاورة القطب أبي مدين الغوث والبحث عن شيخ يتربى على يديه.

والرحلات العلمية كانت سائدة في عموم العالم الإسلامي، فلم يتخلف عنها الغني والفقير، وكان طلاب العلم يرحلون من مكان لآخر ومن حلقة لأخرى ينهلون من

مختلف العلوم ويجلسون إلى علماء عدة، وربما أخذهم حب العلم أن يرحلوا من بلد لآخر ومن مدينة إلى أخرى، ولطالما قدم طلبة علم من الشام والعراق ومصر والحجاز إلى فاس ليجلسوا إلى علماء القرويين، ولطالما سمعوا عن علمهم وسلوكهم التربوي المتميز، وقد كانت الرحلات العلمية غالباً ما تنتهي بزيارات الأماكن المقدسة وأداء فريضة الحج.

من آداب الرحلة التي التزم بها طلبة العلم : الإخلاص لله تعالى مع مراعاة آداب السفر، التي تتمثل في استئذان الوالدين في الخروج إلى السفر، وهنا نذكر أن البطوني وهو في بداية شبابه منعه أمه من السفر، فخضع إلى أمرها ولم يخرج حتى سمحت له بالرحيل ، ثم حُسِن اختيار المكان، فغالباً ما كان طلاب العلم يرحلون إلى المدن العلمية المشهورة، التي تزخر بأكثر عدد من العلماء والفقهاء، وكذا شيوخ التصوف الذين كانوا يستقطبون مريديهم من كل مكان. وقد كان الطلبة يستشيرون شيوخهم في أمر رحلاتهم.

وقد شكلت تلمسان وجهة المغاربة، خصوصاً طلبة بوادي الريف الشرقي، فقد امتد شعاعها وسطع نجمها وأغرت الكثير بزيارتها، والرحيل إلى مراكزها العلمية للجلوس إلى علمائها، والمشاركة في الحياة الفكرية التي كانت سائدة فيها، والعكس صحيح، فقد توافد العديد من الطلبة التلمسانيين إلى فاس، للاستفادة من منابر علمائها وأفواه فقهاءها. والجميل أن هذا التواصل الثقافي بين هذه الحواضر أسهم في ازدهار الحركة العلمية في كل منهما، ذلك أن العلماء كانوا يحملون معهم

كثيرا من العلوم والمعارف المختلفة إلى جانب الكثير من المصنفات والتأليف في شتى أنواع المعرفة.

المبحث السادس: خصائص الكبرى للتراث الثقافي في الريف

إن تحديد أهم ملامح الثقافة التي كانت سائدة في منطقة الريف، يحيلنا على استقرار تاريخ طويل ممتد على مدى قرون طويلة توهجت فيه عدة أسماء لعلماء وفقهاء و متصوفة، استطاعوا أن ينيروا المنطقة بمصابيح علمهم الواسع. ويمكن أن نجعل لهذا التراث الثقافي الذي لم يكشف عن كنوزه كلها ثلاثة خصائص تميزه:

1- كون التراث الثقافي الريفي يتميز بكونه تراث إسلامي عميق نابع من الدين الإسلامي الذي دخل هذه المنطقة في مراحل مبكرة من الفتح الإسلامي للمغرب الأقصى " حين افتتحها صالح بن منصور الحميري، المعروف بالعبد الصالح الذي افتتحها زمن الوليد بن عبد الملك بن مروان حين نزل بمرسى تمسمان " ¹. نجد أغلب علماء المنطقة ممن خضع لتكوين ديني أولي يعتمد حفظ القرآن الكريم ويدرس السيرة النبوية الشريفة، ويتبعها بعلوم الفقه والنحو واللغة، مما أهل أغلبهم على تقلد مناصب دينية مهمة " سواء في الأندلس أو في المغرب وبخاصة على عهد المرينيين و الوطاسيين مثل القضاء والإفتاء والخطابة بجامع القرويين

¹ - الملامح الكبرى للحركة العلمية بالريف لأصول والإمتداد - د عيسى بويوزان - كتاب الحركة العلمية بالريف أصولها وامتدادها - منشورات المجلس العلمي المحلي بإقليم الدريوش 2016

والتدريس في علم الفرائض وأصول الفقه وعلومه وفروعه، وبخاصة فقه مالك رضي الله عنه ¹.

2- ثقافة تعتمد السنة النبوية الشريفة والمذهب المالكي، حيث تشبث أهل نكور منذ المراحل الأولى بالتوجه المالكي دون غيره من المذاهب، وتبحروا في علومه، وتشبثوا بتفاصيله، ليصيروا بعد ذلك من كبار علمائه سواء في المغرب أو الأندلس . وهذا ناتج عن فشل التيارات الأخرى في ولوج هذه المنطقة .

3- ثقافة يطبعها التنوع والموسوعية، كما يتضح من خلال علمائها ورجالاتها، فأغلبهم تبحر في الكثير من العلوم، وشرب من أكثر من علم سواء كانت علومًا شرعية، أو لغوية أو أدبية .

4- كونها كتبت باللغة العربية الفصحى، رغم لسان علمائها وكتابتها الأمازيغي، مثل ما نجد محمد بن سعيد بن أبي سليمان والمعروف بحمدون والذي نبغ في الكتابة والتأليف حتى صار كاتب الأمير عبد الرحمن بن الحكم ونبغ من بعده أبناءه وأحفاده في البلاط الملكي ككتاب متميزين . بالإضافة إلى لمسة الإبداع التي شملت عدة كتابات سواء في الشعر أو في النثر .

¹ - نفس المرجع

الفصل الثاني: حياة عيسى بن محمد الراسي البطوي

يُعد عيسى بن محمد الراسي البطوي أحد أعلام الفكر الصوفي عموماً، وبمنطقة الريف الشرقي خصوصاً،

خلال القرن الحادي عشر الهجري الموافق للسابع عشر الميلادي، ورغم أننا لم نعثر على ترجمته في أي مصدر من المصادر التي تناولت تلك الحقبة التاريخية بالمغرب، ليظل مؤلفه . مطلب الفوز والفلاح في آداب أهل الفضل والصلاح . هو المصدر الوحيد الذي يحكي فيه البطوي بعض مراحل حياته، بالإضافة إلى ما كتبه المؤرخ حسن الفكيكي عن حياة البطوي في عدة مقالات تؤرخ لصلحاء الريف، والتي من خلال بحثه الممتد عبر سنين استطاع أن يجمع بعض المعلومات من أفواه رجال المنطقة، عبر بحث ميداني توصل فيه إلى بعض الوثائق التي تثبت انتماء البطوي لقبيلة بني سعيد التي تتألف من أربعة أقسام هي : أولاد عبد الدايم وتمايت وتشوكت وأمجاو.

المبحث الأول: مصادر دراسة حياته

- المصدر الأول: هو مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفضل والصلاح حيث نجد عيسى بن محمد البطوني يسرد في المقدمة بعض تفاصيل حياته، وكذلك في الباب السادس والسابع، والتي تعرفنا بمسار حياته ومراحل تعليمه وكذلك رحلاته العلمية إلى فاس وتلمسان، وتعرفنا بشيوخه ومعاصريه وتلامذته.

- المصدر الثاني: ما كتبه المؤرخ د. حسن الفكيكي عن عيسى بن محمد البطوني، وقد جمعت كل أبحاثه ومقالاته في هذا الموضوع في كتاب . مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفضل والصلاح . دراسة وتحقيق، والذي حقق فيه الباب السادس والسابع اللذين يضمنان تراجم صلحاء الريف، وقد حاول جاهدا أن يجمع كل الإشارات التي جاءت في مؤلفه والتي تفيد مراحل حياته، بالإضافة إلى زيارته للقبيلة والضريح والتي تبين بها نسبه الراسي، وهي قبيلة ريفية زناتية الأصل تابعة إداريا للدريوش وقاعدتها دار الكبداني، تحدها شرقا قبيلة قلعية وقبيلة أيت وليشك تمسمان غربا، وقبيلة لمطالسة جنوبا والبحر المتوسط شمالا، وقد كان لها دورا مهما في مقاومة الاستعمار الإسباني إلى جانب البطل عبد الكريم الخطابي.

المبحث الثاني: نسبه الراسي البطوي

عيسى بن محمد الراسي نسبة إلى تلك البقعة التي ولد فيها وهي "جماعة زيزاوة التي تنتشر دورها حول قبة جدها سيدي عمر الراسي ومنبع واد الدفلة¹، إذ أن لفظ الراسي وهو تعريب لما هو معروف باللهجة الريفية المحلية" إخف يعني رأس و "إغزر" واد« أريري» الدفلة»، من هنا أخذ عيسى البطوي لقب الراسي، أما البطوي فهو كذلك نسبة إلى بطوية الذي يمتد إطارها الجغرافي من واد ملوية شرقا إلى واد النكور غربا. وينطبق هذا من الوجهة البشرية على مجموع القبائل المستقرة بالسلسلة الجبلية المسا حلة للبحر المتوسط الواصلة بين كبدانة² وتمسمان وبني توزين.

المبحث الثالث: ولادته، نشأته، وتعليمه الأولي

رغم قلة المصادر التي تناولت سيرة البطوي، اكتفيْتُ بما ورد في مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفضل والصلاح، فقد تمكن كل من اهتم بهذه الشخصية العلمية أن يتعرف على أهم المحطات العلمية التي وُثمت حياته، فقال عنه الدكتور محمد حجي: "إن عيسى البطوي أعظم شخصية علمية في بطوية لهذا العهد"³ وترجم له الدكتور عبد الله المرابط الترغي فقال: "أحد علماء بطوية ببلاد الريف ولد بها وقرأ على شيوخها، فأخذ عن عيسى الزناسي، وأحمد بن

1 - واد الدفلة أهم مجاري قبيلة بني سعيد وروافد واد كراط.

2 - قبيلة كبدانة قبيلة أمازيغية بشمال المغرب وتنسب إلى ملكة أمازيغية تدعى دانة كانت تحكم المنطقة.

3 - الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين - محمد حجي - ج 2 / ص 456 منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر - مطبعة فضالة - طبعة 1978 م.

ابراهيم الراسي، وعلي وارث الغساسي، ثم قدم فاس فأخذ بها عن الحسن الهداجي وغيره، وانتقل إلى تلمسان حيث لقي جماعة من شيوخها كابن مريم المليتي وغيره، واستقر ببطوية يدرس العلم ويعقد مجامعه¹.

ولد عيسى بن محمد الراسي البطوئي بمدشر تيزي، في حدود الثمانينات من القرن العاشر الهجري فهو كما ذكر في مؤلفه . مطلب الفوز والصلاح في آداب طريق أهل الفضل والصلاح . أنه كان حوالي سنة 996 هـ، في سن تمكنه من مجالسة مدرسيه لحفظ القرآن والتدرب على مختلف القراءات. وقد أشار إلى أن أمه تمرأوية بوحسانية من قبيلة "أيت تميرت" ، ومن أولاد حساين² الذين يتواجدون بربر تشوكت، وقد كانت حية في مستهل القرن الحادي عشر الهجري الموافق للسابع عشر الميلادي وقد ذكر البطوئي ضمن صلحاء الريف خاله أحمد بن موسى بن يحيى التماروي البوحساني³، أما عن أبيه فاسمه هو محمد بن يحيى الراسي، فيما أن جده كما يذهب إلى ذلك الدكتور حسن الفكيكي يحيى فهو من مدشر إحياتن⁴ (ولاد يحيى)، الواقع ضمن جماعة زيزاوة حيث نجد البطوئي يستعمل في مواضع أخرى نسبه اليحياوي. ولم ترد أية معلومة عن والده في المخطوط، ربما لأنه فقده في سن صغيرة، لا تسمح له بتذكر أية ملامح عنه، ولكن السؤال

1 - فهارس علماء المغرب منذ النشأة إلى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة منهجيتها - تطورها قيمتها العلمية - عبد الله المرابط الترغي - طبعة جامعة عبد المالك السعدي - منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية - تطوان - سلسلة الأطروحات - 1999 م.

2 - ولاد حساين مشيخة بدوار حرور بجماعة بني عمارت بإقليم الحسيمة.

3 - السيد الحليم الخال الكريم الخمول بين المومنين المجتهد في تعليم أولاد المسلمين سيدي أحمد بن موسى بن يحيى التماروي البوحساني أعانه الله على طاعته» هكذا ذكره وعرف به الفقيه عيسى بن محمد البطوئي في قسم صلحاء الريف بالباب السادس.

4 - دوار إحياتن يقع بجماعة بن الطيب إقليم الدريوش.

المطروح، لماذا لم يذكر الرجل في قائمة صلحاء الريف، علما أنه كان على درجة من الوعي العلمي والعلم الديني، أهله لتأسيس المسجد وتأهيله لاستقبال الطلبة والشيخ، وجعله قبلة للقرآن والعلوم الشرعية، خلفه بعد وفاته أخوه أحمد بن يحيى الراسي لمدة تزيد على أربعين سنة، تحول معها مسجد تيزي عدنيت إلى مركز ديني للتعليم والتربية الصوفية. و" بناء على تاريخ وفاته أمكن لنا معرفة أن انتقال الكفالة ورعاية المسجد من والد عيسى البطوي إلى عمه أحمد بن يحيى البطوي كانت في أواخر القرن العاشر الهجري" ¹

المبحث الرابع: تكوينه العلمي والديني

تهيأت الكثير من الأسباب الاجتماعية والعلمية، لكي يحظى عيسى بن محمد الراسي البطوي بتكوين علمي متين، نذكر منه ولادته وسط أسرة علمية راقية، تقدر العلم وتعمل على نشره، وجوار مركز تيزي عدنيت الذي كان يستقبل الكثير من رجال العلم والتصوف، مثل قدوم أحمد الفيلاي، الذي كان وصوله إلى بني سعيد قبل عام 996هـ، حيث رحب به الوالد والعم بعد ذلك، وكانت إقامته سببا رئيسيا في توافد العديد من الطلبة من المناطق المجاورة، وحتى من البعيدة، لما كان للشيخ الفيلاي من صيت علمي، وقد حضره البطوي وهولا زال في سنوات تعليمه الأولي. كما كانت عودة عمه أحمد الراسي من غربته الدراسية الطويلة سنة 996هـ، محطة مهمة ليتألق المركز أكثر، فقد حظي مجلس الشيخ الراسي بإقبال كبير ومتزايد. بالإضافة إلى أن مسجد تيزي عدنيت كان محطة لشيخ غرباء

¹ - مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفضل والصلاح - حسن الفكيكي - ص 36

أسهموا في رفع مكانته العلمية، مثل الشيخ أحمد بن أبي بكر بن جعفر السوسي الذي ربطته بالبطوي علاقة قوية حتى قال في حقه: "ما رأيت عيناى أعرف منه بتدريج المتعلمين وسياسة المتفهمين، يؤدب الكبير والصغير"¹.

لقد تمكن الفقيه البطوي بذكائه ونباهته مع رغبته القوية في التعلم، أن يكمل تكوينه الأساسي في مركز تيزي عدنيت من حفظ للقرآن برواية ورش عن نافع، وتعلم القراءات مع مبادئ العلوم الأساسية، ليغادر بعد ذلك المركز قاصدا مدينة فاس لتكون محطة علمية أولى سنة 1002 هـ، حسبما أرّخ هو نفسه، دامت هذه الإقامة ثلاث سنوات فقط، ختم فيها ختمة واحدة وتعلم المزيد من النحو والفقه على يد الشيخ حسن بن محمد الدرعي الدراوي² الذي توفي بالوباء سنة 1006 هـ وكان سببا لرحيله إلى تلمسان كمحطة علمية ثانية.

أهم ما يمكن أن يقال عن هذه الأخيرة هي أن الوصول إلى تلمسان والجلوس إلى علمائها كان مفيدا جدا لعيسى البطوي، فقد فتح له آفاقا علمية كبيرة. وقد غادرها إلى منطقة تدعى حجابة³ بصفته مشارطا. وذلك غالبا لظروفه المادية التي لم تعد تسمح له بالجلوس لدروس العلم دون عمل، لكن بعد مراسلته للفقيه سعيد المقرئ لطلب التلمذ عليه مع رفيق دربه أحمد بن ونيس الحلافي، وقبول رغبته، عاد إلى تلمسان مجددا لتلقي العلم يوم 15 ربيع الأول عام 1008 هـ، وكانت

1 - نفس المرجع، ص 37

2 - وردت ترجمته سالفًا ضمن شيوخ البطوي

3 - بلدية دائرة سيدي لخضر التابعة لولاية مستغانم بالجزائر.

هذه العودة غنية جدا على جميع المستويات، وقد تميزت بطولها، فقد امتدت من 1008هـ إلى ما قبل 1025 هـ، وقد ذكر البطوني أن من أهم العلوم التي درسها عقيدة السنوسي الكبرى، وختم عدة مرات مختصر الخليل والرسالة الألفية، وأكثر ما أفرحه هو الإجازة التي أخذها عن شيخه محمد بن مريم المليتي التلمساني المؤرخ الفقيه المتصوف، والذي كان يقطن بمنزله بالحناية بشمال تلمسان.

بعد حصول البطوني على هذه الإجازة العلمية، التي كانت حوالي 1025 هـ، عاد إلى دياره بالريف الشرقي، قاصدا مركز تيزي عدنيت ببني سعيد، بعد رحلة دامت خمسة عشر سنة، حسب تقدير الدكتور حسن الفكيكي، وكانت عودته محطة أخيرة، تفرغ فيها للعبادة والكتابة، حينها قرر كتابة مؤلفه الوحيد . مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفضل والصلاح . والذي جاء ثمرة لمسيرة علمية، تفرعت مشاربها وتنوعت مراجعها.

المبحث الخامس : رحلة البطوني إلى فاس

بعد ختم القرآن الكريم وتعلم القراءات القرآنية، تآقت نفس الفقيه البطوني الشاب المتعطش للعلم، أن يخرج عن حدود جبال الريف، عن دائرة بطوية ليدرس ويتلمذ على يد شيوخ آخرين، فكانت رحلته الأولى إلى فاس، الحاضرة العلمية حوالي سنة 1002هـ 1003هـ الموافق 1595م، حيث يقول " ثم في السنة الثانية أو الثالثة بعد الألف كانت الرحلة لفاس المحروسة بالله تعالى للقراءة، فلقيت بها الشيخ الأستاذ العلامة الورع الزاهد سيدي الحسن الدراوي الدرعي رحمه الله تعالى ورضي عنه، فختمت عليه ختمة من القرآن ."

لم تدم إقامته في فاس إلا ثلاث سنوات، وغادرها قبل وفاة شيخه بوباء الطاعون سنة 1006 هـ .

1 - رحلته إلى تلمسان

إن الحديث عن الرحلات التي كانت بين المغرب الأقصى وبين الجزائر، حديث طويل، لذلك سنقتصر على الرحلات التي كانت بين بوادي الريف وبالضبط منطقة بطوية ومدينة تلمسان، فقد كان يجمعهما نفس واحد في الفكر، ووتيرة متاغمة في عمق التربية والسلوك، لذلك رحل الكثير من شيوخ وطلبة بطوية إلى تلمسان جوار الشيخ العارف بالله أبو مدين الغوث " للاكتراع من ينابيع الثقافة بتلمسان والاستفادة من علمائها"¹،

ورغم أن فاس كانت تشع نورا بكثرة علمائها وفقهائها، و علومهم المتنوعة ومؤلفاتهم الكثيرة، إلا أن أكثر أبناء بطوية كانوا يفضلون الرحيل إلى تلمسان، و على رأسهم أحمد بن إبراهيم الراسي البطوي (ت 1039 هـ)، و الشيخ عيسى البطوي صاحب دراستنا، والأمر نفسه بالنسبة لطلبة تلمسان، فقد كانوا يقبلون على فاس للحصول للإجازة، "فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها"²، و نذكر من أعلام الرحلة العلمية من تلمسان إلى فاس حسن بن إبراهيم بن عبد الله بن أبي سهل (ت 553 هـ)، ومحمد بن عمر بن الفتوح التلمساني (ت 818 هـ) وأحمد بن محمد بن يعقوب العبادي التلمساني (ت 980 هـ) أحد كبار

1 - العلاقة الثقافية بين تلمسان و مراكز الفكر في المغرب الإسلامي - خالد بلعربي [http / 9alam.com](http://9alam.com)

2 - المقدمة - عبد الرحمان بن خلدون - مكتبة دار المدينة المنورة للنشر والتوزيع - 1984 - ص 705

علماء المالكية . إن الرحلتين التي قام بهما عيسى البطوي سواء إلى فاس أو تلمسان، كانتا حدثا رئيسيا في حياته، و سجلت إقامته في تلمسان مدة طويلة تقارب خمسة عشر سنة مرحلة إيجابية طورت من تكوينه العلمي والفكري والروحي أيضا، وذلك بفضل لقائه بالكثير من الشخصيات العلمية ومجالسته لفقهاء وعارفين وأولياء تلقى على أيديهم تربية سلوكية وروحية، أهله للرجوع إلى بلده ومركز تيزي عدنيت ليقوم بتأطير طلبة العلم والتصوف من كل أنحاء الريف . علاوة على أن رحلتيه وثقت الصلة بين الريف المغربي ومدينة تلمسان، وعمقت الصلة بين فقهاء وعلمائها. وقد شكلت كلا من بطوية وتلمسان أحد المراكز العلمية التي كانت محبا للكثير من الطلبة والعلماء.

المبحث الخامس: شيوخه

1. الشيوخ المغاربة بمركز تيزي عدنيت بالريف الشرقي وفاس:

كان للبطوي حظ التعلم على يد شيوخ وعلماء كبار، نزلوا بمركز تيزي عدنيت حيث كان والده محمد بن يحيى الراسي البطوي، يستقبلهم برعاية كبيرة، فيتوافد العديد من الطلبة للتعلم على أيديهم، وقد كان من أول الشيوخ الذين تلقى على أيديهم أولى العلوم هو الشيخ أبو العباس أحمد الفيلاي، الذي مكث مدة طويلة بالغرب الجزائري قضاها في التجول والتحصيل، قدم بطوية وحل بمسجد تيزي عدنيت حوالي سنة 996هـ، وتوافد عليه الطلبة من كل جهات الريف، وقد كان البطوي آنذاك صغير السن، لم يتجاوز بعد مرحلة حفظ القرآن، ومن ثم لم يتعلم عنه أكثر من ذكر الله ورسوله والكيفية التي تلقن بها. وقد حاول أن يتذكر بعض

صفاته وشمائله عندما قال عنه: "توفرت فيه شروط التربية وأن نسبته في التربية وسنده في التلقين مشهور"¹.

الشيخ أحمد بن إبراهيم بن أحمد الراسي هو شيخه الثاني الذي عاد من غربته الدراسية الطويلة إلى مركز تيزي عدنيت، حيث كان لا زال الفيلاي بالمسجد، وقد صادفت العودة "تفتق ذهن البطوي وإقباله على العلم". وقد كان يكن له تقديرا كبيرا على غرار كل الطلبة الذين جلسوا إلى مجلسه، الذي عرف بالإقبال الكبير والمتزايد، والذي استمر حتى وفاته. ويبدو أن البطوي استمر في حفظ القرآن وقراءاته عليه خصوصا وأنه ذكر في حديثه عنه أنه كان معجبا بنغمته في قراءة القرآن.

الشيخ أحمد بن أبي بكر بن جعفر السوسي الذي نزل بمركز تيزي عدنيت سنة 998 هـ، حوالي سنتين حيث أبدى به عيسى البطوي إعجابا كبيرا حيث قال عنه: "ما رأيت عينايا أعرف منه بتدريج المتعلمين، وسياسة المتفقهين، يؤدب الكبير قبل الصغير" وقد درس عنه القرآن والفقه"، قرأت عليه القرآن كله برواية ورش عن نافع وما تيسر من فرض عين العلم". وقد كان الإعجاب متبادلا بين الشيخ وتلميذه، عندما قرر أن يرافقه إلى الديار المقدسة، إلا أن أمه رفضت الأمر لصغر سنه.

¹ - مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق الفضل والصلاح - عيسى بن محمد البطوي - حسن الفكيكي

الشيخ علي وارث الغساسي (ت1033هـ)، وهو ابن عمته ومعلمه أيضا، وقد كان تعلمه عليه غير منتظم، لكونه كان يقطن قبيلة قلعية بخمس بني بوكافر ويتردد على تيزي عدنيت، وقد أخذ عنه نفس العلوم التي أخذها عن شيخه السوسي، غير أن الغساسي شجعه كثيرا على الكتابة والتأليف. حتى سنة 1002هـ،

كان البطوي قد استكمل تكوينه الأولي والأساسي الذي يعتمد حفظ القرآن وإتقان القراءات، مع بعض العلوم الأولية الأخرى فتاقت نفسه التي أيقظ فيها شيوخه لذة التعلم إلى البحث عن شيوخ آخرين خارج بلدته، ليغرف من معين علومهم ويتعلم من عيونها، فكانت رحلته إلى فاس كمحطة علمية أولى لم تدم طويلا كما تمنى ذلك، ختم فيها ختمة واحدة، وتعلم فيها المزيد من النحو والفقه، وانظم فيها لمجلس الشيخ حسن بن محمد الدرعي الدراوي، الذي توفي 1006هـ بالبواب، الذي تقشى بالمدينة، حيث قرر البطوي إنهاء إقامته بفاس.

2. الشيوخ التلمسانيون بتلمسان

الشيخ سعيد المقرئ (ت 1010هـ)¹، مفتي الديار التلمسانية، والذي راسله البطوي ورفيقه أحمد بن ونيس الحلافي، يطلبان الانضمام إلى مجلسه فلما قبل ذلك كانت فرحتهما عظيمة وذلك بتاريخ 15 ربيع الأول سنة 1008 هـ. وبعد أن كان في

1 - هوأبو الحسن سعيد بن أحمد المقرئ التلمساني منشأ ودارا، عم الشيخ أبي العباس أحمد المقرئ تولى الإفتاء بتلمسان مدة ستين سنة كما تولى الخطابة بالجامع الأعظم مدة خمس وأربعين سنة، علاوة على ضلوعه في العلوم الشرعية كان حافظا للعربية والشعر والأمثال كما كان عذب الحديث ممتع المحضر. ترجم له محمد بن رمضان شاوش في كتاب باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان - ج2 ص 154.

قرية حجامة حيث كان مشارطا . هناك إنتقل إلى تلمسان في إقامة ثانية كانت 15 ربيع الأول سنة 1008 هـ، وقد درس عنه عقيدة السنوسي الكبرى وختمها.

الشيخ محمد الغشوي الذي انضم إلى مجلسه بعد وفاة المقرئ سنة 1010 هـ، فختم عنه مختصر الخليل، والرسالة الألفية مع مداومة عقائد السنوسي.

الشيخ محمد المستيري الذي اشتهر بالورع والزهد، وتفنن في عدد من العلوم، وقد كان البطوني مواظبا على مجلسه، حريصا على دروسه بمسجد تلمسان، إلى أن أصيب بمرض ألقده ولزم داره، فلم يتخلف عن زيارته حتى وافته المنية..

الشيخ محمد البطحي، الذي يعد الشيخ عامر أحد رفقاء ابن مريم في الأخذ عن محمد بن داود العطاوي، أحد تلاميذ ابن مريم التلمساني وقد قرأ الألفية والعقائد.

الشيخ سيدي مسعود النابلي كان كثير التواضع والمزاح .

الشيخ عبد الله بن عبد الرحمان اليعقوبي

الشيخ ابراهيم التافلي وابنه صالح، وأبوشامة ومحمد بن يحيى المطغريان.

الشيخ محمد أبركان الذي أدركه في آخر عمره، والذي قال عنه إنه بلغ القبطانية وهي أعلى مراتب التربية الصوفية.

الشيخ محمد عاشور الجاديري التلمساني (ت1014 هـ) وهومن الشيوخ الذين تربي على أيديهم تربية صوفية واعتبره من ذوا المكاشفات التي صدقت عنده.

الشيخ أحمد الولهاصي من شيوخ التربية الصوفية.

الشيخ أبي زيان بن أحمد المعروف بالجراني.

الشيخ محمد بن مريم المليتي التلمساني (كان حيا سنة 1014 هـ)، السنة التي ختم فيها كتابه "البستان"، وهو فقيه متصوف، وقد عرفه محمد بن عيسى البطوي في مجالس العلماء بتلمسان، وخصه ابن مريم بعناية مرموقة منذ بداية التعارف وتحولت مع الأيام، إلى صلة عميقة جعلته يصرح بمحبته له وتقديره له، وقد صرح لابنه محمد الصغير بذلك، ذكر البطوي ذلك قائلا: "كان رحمه الله شديد الحب إلينا ولأخينا أحمد بن ونيس مهتما بشأننا ظنا منه أنه يجيء منا شيء"¹. وقد أطلق ابن مريم صفة الفقيه على شخص البطوي، ونحن نعرف ما لهذه الكلمة من دلالة علمية وقيمة أخلاقية، الشيء الذي يفسر لنا ما قاله لابنه محمد الصغير حينما دنا أجله "لو كان عيسى البطوي وأحمد بن ونيس ما غسلني غيرهما". وقد فرح البطوي كثيرا بإجازة ابن مريم له، واعتبرها وساما علميا يزين مساره العلمي، واختار أن تكون هذه الشهادة والإجازة العلمية من ابن مريم ختاماً لرحلته العلمية التلمسانية، وبداية لعودة للديار الريفية، وإلى مركز تيزي عدنيت الذي سيشهد حياة ثقافية متأججة تحت إشرافه.

المبحث السابع : آثاره

من إسهاماته العلمية، "مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفضل والصلاح" الذي ظل لفترة طويلة حبيس الرفوف، ولم تفتح صفحاته إلا مع الدكتور حسن

¹ - مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفضل والصلاح - حسن الفكيكي - ص 122

الفكيكي، الذي كان يبحث عن صلحاء منطقة الريف و رجالاته، فالبطوي أدرج فيه عددا من المناقب المتعارف عليها، كحديثه عن ابن مريم وأحمد بن ونيس وكان يذكر مع حياتهم أعمالهم وكراماتهم مع ميزاتهم الصوفية. ويمكن اعتبار الكتاب في آداب الطريق والسلوك الصوفي .

أهم ما نلاحظه من خلال كتاب . مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفضل والصلاح . أن عيسى بن محمد البطوي ظل وفيا لكل شيوخه، سواء شيوخ العلم أو التربية الصوفية، في " أول إنتاج ثقافي له في التصوف ورجاله كخلاصة مركزة للحصيلة العلمية التي جد في طلبها سنوات عديدة متوالية"¹، وقد سجل ارتسامات متنوعة عن شيوخه، دلت على تقدير واحترام كبير لعلمهم، كما خص شيخه ابن مريم التلمساني بترجمة طويلة، اعتمد فيها على ما أرسله له ابنه محمد الصغير بناء على طلبه، وذلك في إطار ذكر أصحاب الفضل والصلاح الذين لقيهم، وهذا يدل على وفاء البطوي للذين علموه، وتتلذذ على أيديهم كما أنه ظل مخلصا لتربيتهم الصوفية .

المبحث الثامن: وفاته

توفي محمد بن عيسى البطوي بنفس المكان الذي ولد فيه، وتربى في ظلاله وتعلم القرآن وعلومه قلبه، فمركز تيزي عدنيت احتضنه طفلا وشابا وكهلا، ورغم خروجه لطلب العلم إلى فاس وبعدها تلمسان، إلا أن جذوره الموعلة في عمق الريف كانت تعود به إلى المركز العلمي الذي تأسس على يد والده وازدهر بفضل

¹ - نفس المرجع - ص 63

جهود عمه وعلماء من مختلف الأمصار. وبعد عودته الأخيرة من تلمسان تفرغ لكتابة مؤلفه . مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفضل والصلاح . لتصحيح الكثير من الشوائب التي خالطت الدين في الريف آنذاك ولتطهير التصوف من أشكال الشعوذة والانحراف، التي التصقت به كما عبر على ذلك: "فإني لما رأيت شعائر الإسلام كثرت وهمتنا عن المعالي قد قصرت، والنفوس بدخان الهوى وظلام الجهل قد غمرت، والدنيا لسراب زخارفها ورواسي شبكاتهما قد نشرت، والشياطين إليها تدلي بحبل غرورها وإليها الخلائق قد حشرت، لتوقعهم في أهوى المهاوي، وأسوء المساوي، وكل سارح في تيه الغفلة وإليها يأوي" وقد قرر الإسهام في الإصلاح، من خلال كتابة مؤلفه مصححا وشارحا وموضحا، بالإضافة إلى الاعتكاف على العلم وتدريسه، مع الانقطاع للعبادة والتربية الصوفية، ولم تحدد سنة وفاته بالتحديد، إلا أنه كان حيا سنة (1040 هـ الموافق ل1630 م) وقد دفن قلب مركز تيزي عدنيت.

إجازة ابن مريم لعيسى البطوني

لقد كان طلبة العلم يسعون وراء رحلاتهم العلمية والبحث المتواصل عن الشيوخ الذين ذاع صيتهم في البلاد، للحصول على إجازات في مختلف العلوم الدينية، و"الإجازة هي طريق من طرق الأخذ والتحمل، وتكون بالأشكال المختلفة من شفوية وكتابية عامة وخاصة، نثرية ونظمية. وهي قد تصدر من متشددین لا يرون فيها إلا تنويجا لعملية القراءة المضنية، فلا يكتبونها إلا بعد استيفاء شروطها . وهي قد تصدر من عامة العلماء، فيتساهلون فيها فيكتبونها لكل راغب فيها، بل للصغار

وغيرهم ممن ينسحب عليهم شرط المعاصرة أو غيرها، و يكتبونها أملا في نشر العلم والرواية، وتكثير حملة العلم وربط الصلات فيه بين أقصى المشارق وأقصى المغارب¹.

الإجازة ابتدأت مع علماء الحديث، وانتقلت إلى العلوم الأخرى، وهي تعني بالدرجة الأولى أهلية الطالب لتدريس العلم الذي تلقاه. وهي بمثابة الشهادة العليا المسلمة من طرف المعاهد الآن، وقد كان الطالب يتسابق لنيل الإجازات من عند شيوخ وعلماء كبار، حتى ولو خرجوا في رحلات بعيدة وكلما كثرت إجازات الطالب كلما علا شأنه وتنوع علمه وكثر مجالسوه. وقد سعى شيخنا عيسى البطوني إلى أخذ إجازة من شيخه التلمساني ابن مريم، وقد جمعت الطالب وشيخه محبة كبيرة نتبينها في قوله : " ومما أتحفنا به جزاه الله عنا وعن جميع المسلمين أحسن الجزاء ونفعنا بذلك يوم الجزاء، وذلك أني أتيت أريد التعلق بأذياه الزكية والاقتباس من أنواره الطاهرة الجليلة، والاستبصار بهمته العلية، والدخول في دائرته المحمدية، والانتساب لنسبته السنية، وأريد أن يكتب لي بذلك عهدا موفيا ليكون لحبل وصلي به مقويا، فانقبض عني مليا حتى منا علينا به من كان للكل وليا، فكتب بيده المباركة الميمونة ما تراه، والله أرجوا في قبوله و رضاه وهو :

"بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
تسلما، ليعلم من يقف على مكتوبنا هذا من أهل الدين والفضل والصلاح بأن

¹ الرحلة الفهرسية نموذج للتواصل داخل العالم الإسلامي - عبد الله لمرباط الترغي - منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية - الرباط العدد رقم 108 - ص 26.

الشاب الأمجد الأسعد وفقنا الله وإياه لصالح العمل السيد الفقيه سيدي عيسى بن محمد بن يحيى البطوي، له مالنا وعليه ما علينا، هو من أولادنا ختم لنا الله وإياه بالحسنى وكلمتي الشهادة عند الممات بجاه النبي وآله وصحبه، فمن آذاه أو تسبب في إذايته فلا يلومن إلا نفسه، وعلى الله المعتمد والتكлян، وكاتب الحروف عبيد الله سبحانه أصغر عبيده محمد بن محمد بن مريم الشريف المليتي، كان الله له وليا وبصيرا، مسلما على من يقف عليه انتهى¹

وقد غادر البطوي أرض تلمسان مباشرة بعد الإجازة التي شرفته والتي غالبا لم تبتعد عن تاريخ 1025هـ .

الفصل الثالث : التعريف بمطلب الفوز الفلاح في آداب طريق أهل الفضل والصلاح .

بعد النهضة العلمية التي شهدتها الريف في القرون السابقة، خصوصا الحقبة التي نشطت فيها المراكز العلمية السابقة الذكر، عقبها خمول علمي كبير فقدت فيه بريقها فالواضح من كلام البطوي أنه وجد المنطقة بعد عودته من تلمسان خالية من العلماء، وتسودها فوضى عارمة اختلط فيها العلم بالجهل وسادها جو الشعوذة والبدع، وغمرها الانحراف في سلوك الطرق الصوفية وقد بالغ الناس في وصف كراماتهم إلى حد كبير، حتى قاربت المعجزات التي خص الله بها الأنبياء والرسل، كاعتقادهم مثلا في الولي الصالح عبد المجيد البادسي اليريفي (ت 1004هـ) أنه

1 - مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفضل والصلاح - عيسى بن محمد البطوي، القسم الثاني - لوحة 214

يتحكم في قوانين الزمان والمكان، قال عنه الكتاني في السلوة : " الولي المجذوب الكبير الملاماتي الخطير ... كان من أصحاب الخطوة لا يصلي صلاة إلا في مكة أو المدينة"¹، وقد حظي الملامتيون آنذاك بمكانة مرموقة في المجتمع المغربي، حتى ظن الجميع أنهم أصحاب الخوارق والمعجزات ، ووقع خلط كبير في المفاهيم الصوفية والمصطلحات، كالحال والمقام والتجرد والكشف، حتى أصبح الحمق والجنون، مظهرا من مظاهر الحال ومن تجليات الفناء، أسهم في هذا الخلط العشوائي التخلف العلمي والفكري الذي كان سائدا إبان القرن الحادي عشر، و الناتج عن الفساد السياسي بعد استيلاء النصارى على بلاد المسلمين، انعدم الأمن وانتشار المجاعة. من هنا قرر البطوني أن ينقد ما يمكن إنقاذه في منطقته، وأن ينشر العلم الصحيح مع سيرة الصالحاء والصالحين، ذلك أن رحلته التي قادته إلى فاس وتلمسان، وتفضيله للأخيرة التي كانت تتميز عن فاس بنفسها الصوفي، وهو الباحث عن علم السلوك والأخلاق والقيم، استقرت به في بلدة العباد، التي تبعد حوالي كيلومترين عن تلمسان، والتي تضم قبر الشيخ أبو مدين الغوث² شيخ علماء التصوف، هناك وجد البطوني ضالته فهي مهوى من يطلب الانزواء، ومن يرغب في الخلوة قصد التخلية والتخلية، هناك لازم شيخه ابن أبي مريم، وتلقى عنه قواعد التزكية وأصول التربية والتهذيب وقد أجازته، وتمنى في آخر أيامه أن

¹ - سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس - محمد بن جعفر الكتاني - تحقيق

عبد الله الكامل الكتاني ، حمزة الكتاني ، محمد حمزة الكتاني - مطبعة النجاح - ج 3 ص 132

² - أبو مدين الغوث (ت 594هـ) .

يغسله بعد وفاته الشيء الذي يبين لنا القيمة الكبيرة التي حظي بها البطوني عند شيخه.

المبحث الأول : ملامح المدرسة الصوفية في البوادي الريفية

يمكن إجمال المصادر التاريخية التي تناولت التصوف بالريف وأرخت لرجاله الصالحين في ثلاثة كتب هي : " المستفاد في مناقب العباد بمن كان بفاس وما يليها من العباد " لمحمد بن عبد الكريم التميمي (ت 604هـ) وكتاب " التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي" لأبي يعقوب بن زيات التادلي

(ت 627هـ)، و كتاب " المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف " لعبد الحق البادسي، الذي ترجم لصلحاء الريف، هذا الأخير الذي يعد حلقة مهمة في تاريخ التصوف بالمغرب حيث تناول بالترجمة لسته وأربعين ولما من الشمال المغربي وسرد مناقبهم وكراماتهم .

وقد أدرج معظم من اهتموا بمنطقة الريف، و صلحائها وأوليائها، ضمن من تأثروا بمضامين كتاب . إحياء علوم الدين . لأبي حامد الغزالي، كالشيخ علي بن مخوخ نزيل الساحل من بني توزين ، وعيسى الشريف من اجزناية، ويعقوب بن يوسف البادسي، و غيرهم كثير .

عرف التصوف في القرن الحادي عشر نقلة مهمة في مضمونه، تميزت بالقطعية مع ثقافة الخوارق التي كانت قد انتشرت مع الطريقة الملامتية، وحاول الفقيه الصوفي يحيى الورداني، والشيخ عيسى بن محمد البطوني، أن يغيرا من الفكر الخرافي، الملتصق بالتصوف، و هما خريجا المدرسة الصوفية التلمسانية ، وكانا

تشبعا بالفكر الزروقي، الذي يصل الفقه بالتصوف، وقد كان هذا التغيير الذي أرادته البطوئي هو الذي دفعه لتأليف مطلبه .

نخلص إلى أن تاريخ التصوف في الريف، عرف ثلاث مراحل، تميزت المرحلة الأولى التي طبعت بالزهد العملي والصلاح، بالتزام الكتاب والسنة والمذهب المالكي في المغرب والأندلس، ثم المرحلة الثانية التي انحرف فيها التصوف عن السنة، و استغرق في الطريقة الملامتية التي تميزت بالتطرف في اعتقاد كرامات الصلحاء، والابتعاد عن الشريعة والسنة، "وظهر مدعي الكرامة والمشيخة الذين يسترزقون بالدين وشاع بين الناس فكرة زمن اقتراب المهدي الفاطمي وضاعت خزانات العلم وانتشرت الخرافة والشعوذة وكثر السحرة والعرافين من الرجال والنساء الذين يدعون الارتباط بصدقة الجن والشياطين"¹

أما المرحلة الثالثة فهي مرحلة التصحيح والعودة إلى الأصول وهي التي كتب فيها كتاب "مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفضل والصلاح" .

المبحث الثاني : المقاصد الكبرى ل . مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفضل والصلاح .

الرغبة في إصلاح المجتمع والمساهمة في محاربة البدع والخرافات، و قد جمع مناقب الشيوخ وسيرتهم العلمية والجهادية والسلوكية لجعلها منارات للاهتداء ومنطلق الإصلاح والاهتداء في زمن اختلطت فيه الشريعة بالكثير من البدع التي

¹ - إصلاح الفكر الصوفي عند عيسى بن محمد الراسي البطوئي مقوماته و تجلياته - برومي عبد الوهاب - الحركة العلمية بالريف - بحوث النوة الوطنية الثالثة 2016

تقترب من الخرافة. و هذه الطريقة هي التي اعتمدها ابن مريم في تأليف كتابه البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، حيث اعتبر سرد سير الصالحين وذكر مراحل حياتهم ونشر محاسنهم لدعوة الناس للإقتداء بهم . لأن النفوس تنشط بالإقتداء بهم أكثر، خصوصا إذا كانوا من الصلحاء القريبين العهد، ولقد سار البطوني على نهجه في الترجمة لصلحاء منطقته سعيا في بعث المثل الدينية في نفوس الناس المجبولة على الإقتداء بمن يحبون و يعرفون من الصالحين فمن "شرط المحبة اتباع المحبوب"¹.

خلاصة القول، إن دعوة البطوني الإصلاحية، جاءت لتقويم حال الأمة التي نال منها الفساد في القلوب وفي النفوس والفكر، وللتأكيد على أن لا تصوف إلا بالفقه إذ الأحكام لا تعرف إلا بالفقه، وبالتالي فملازمة الكتاب والسنة واجبة، والتصوف مقرون بالفقه والعكس صحيح، فمن تصوف ولم يتفقه فقد تفسق، ومن تفقه ولم يتصوف، فقد تزندق كما يقال . وبالتالي فالفقه والتصوف كالروح والجسد، كلاهما ملتصق بالآخر، يقول أحمد الزروق في قواعده لا تصوف إلا بفقه ، إذ لا تعرف أحكام الله الظاهرة إلا منه، ولا فقه إلا بتصوف، إذ لا عمل إلا بصدق وتوجه، ولا هما إلا بإيمان، إذ لا يصح واحد منهما بدونه، فلزم الجميع لتلازمهما في الحكم، كتلازم الأرواح للأجساد، إذ لا وجود لها إلا فيها، كما لا كمال له إلا بها "² و

1 - البستان في ذكر الأولياء والعلماء تلمسان - ابن مريم المديوني التلمساني - ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر - ص6

2 - قواعد التصوف - أحمد الزروق الفاسي - تحقيق عبد المجيد خيالي - دار الكتب العلمية - بيروت - ص

لهذه الغاية فقد قسم البطوني كتابه إلى ثلاث حقول دينية، مفتتحا في الأول بأهمية العلم وقيمه علما أن الجهل هو وراء ما كان سائدا في المجتمع .

الحقل الأول : قواعد الإيمان، وتصحيح العقيدة التي هي الأصل والنواة في كل شيء .

الحقل الثاني : عرض الفقه المتعلق بالعبادات والمعاملات لإصلاح العمل وضبط قوانين المجتمع الإسلامي .

الحقل الثالث : السلوك والأخلاق والتصوف، وقد فصل فيهما طويلا، ليصح الكثير من المظاهر السائدة التي كانت تسيء للدين .

فجاء الكتاب متوازنا متكاملا، مابين الاعتقاد وبين العمل والسلوك، وحاول التوفيق بين الشريعة والحقيقة، وقد تناول إلى جانب العبادات، صفات المريد وأمور المشيخة وزيارة الأولياء، وملازمة الشيوخ، وأخذ العهد والتخلق بأخلاقهم و الاستئذان والذكر، وقراءة القرآن وملازمة بعض الوظائف مع محاسبة النفس .

ولتخطي عقبة تقاعس الناس على اتباع الطريق الصحيح، لجأ إلى فصول تحدث فيها عن الترغيب في سنة أهل الله تعالى، و الترغيب في محبتهم والاقتداء بهم، وكان من الضروري أن يبين طريقتهم، و أن يتحدث عن زيارتهم وخدمتهم، و ذيل الفصول بآداب الصحبة وحسن معاشرة الخلق، ومن ثم جعل قيمة التصوف في مدى إشعاعه في المجتمع وكيف يحقق حسن الأخلاق ونشر الآداب والفضيلة، وأكثر من ذلك يظهر إشعاعه في قيمة الفرد الملتزم السامي عن كل إسفاف الذي ينهى عن المنكر، ويساهم في نشر السلام، ومن ثم فقد اختار البطوني أن يلتزم

بمعيار التربية الفعلية وإمكانية الإصلاح الاجتماعي، لانتقاء الصالحاء الذين ترجم لهم، على عكس البادسي في المقصد الشريف الذي جعل معيار الانتقاء في الانتماء لمنطقة الريف كما فعل ابن الزيات في التشوف إلى رجال التصوف .

إن المعيار الذي اتخذه البطوني في انتقاء الشيوخ والصالحاء المترجم لهم، الإنتماء إلى المجال الجغرافي والذي يتمثل في الريف الشرقي، "مع كل من شهد له ظاهر الشرع بالتفضيل وظهرت عليه عناية الجليل من غزير العلم وحسن الأخلاق وعظيم الفضائل"¹، ومن ثم هم القدوة الحسنة، وقد أضاف إلى تراجمهم، ترجمة شيخه ابن مريم التلمساني، و صديقه ابن ونيس، و ذلك من باب الحب الشديد والاحترام لهما أولاً، وعلاقتهما الوطيدة بطلبة الريف، وطلبة تيزي عدنيت على الخصوص ثانياً، وقد قسم الشيوخ المترجم لهم إلى ثلاثة أنواع :

. شيوخ العلم، وهم أرباب العقول الراجحة واللسان الفصيح، وتكمن مهمتهم في ملازمة وحضور حلقات العلم ليتلقى الطلبة عنهم .

. شيوخ التربية، تكفي عنهم الصحبة وشرف اللقاء والتبرك، وقد ذكر الكثير منهم الذين يمثلون منارات للمعرفة والتربية والتوجيه .

. شيوخ إفادة وتربية، وقد قدم ثلاث نماذج :

¹ - مطلب الفوز والفلاح في آداب أهل الفضل والصلاح - حسن الفيكيكي - ص 63

النموذج الأول شيوخ في التربية الروحية، مثل أحمد الفيلاي المربي السالك الزاهد، الذي دخل بني سعيد في أواخر القرن العاشر، ونزل بمركز بني سعيد فأخذ عنه طلبة الريف وتأثروا به .

النموذج الثاني شيوخ في التربية على الإصلاح الاجتماعي والسياسي مثل الحاج يحيى الورداني الفقيه المتصوف والسياسي و المصلح الاجتماعي .

النموذج الثالث شيوخ في التربية على الجهاد والمقاومة وعلى رأسهم علي وارث الغساني الذي تزعم حركة المقاومة ضد الإسبان و قال عنه البطوني: " وكان رضي الله عنه أحسن الناس خلقا وخلقاً وأكثرهم إنصافاً للحق وتواضعاً وحرصاً على اكتساب الخير ورغبة في العلم والجهاد "¹

¹ - مخطوط طلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفضل والصلاح - محمد بن عيسى البطوني - لوحة

الفصل الرابع : وصف نسخة المخطوط وعمل في النسخة

المبحث الأول: وصف نسخ الكتاب

بعد ترددي على الكثير من الخزائن المغربية، تبين لي أن مخطوط . مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفضل والصلاح . له نسختان فقط، إحداهما موجودة في الخزنة الحسنية، وهي نسخة كاملة، من المقدمة إلى الخاتمة، لا تنقص منها إلا صفتان هما 251 و 252 من الباب الخامس، وتحمل رقم 1667، ونسخة بالخزانة الوطنية، مسجلة تحت رقم 2613ك، وقد لحق بها بتر كبير في قسمها الأول، إذ أن الأبواب الأربعة الأولى سقطت منها، أي ما يعادل مائتي وعشر صفحات(210). وأثناء بحثنا على الجزء المبتور، سلمنا الدكتور عبد الله المرابط الترغي رحمة الله عليه، الجزء المبتور من نسخة الخزنة الوطنية، على قرص مصور، وقد كان هذا الجزء بإحدى المكتبات الخاصة، وقد سقطت من هذا الجزء ثلاث ورقات فقط، وقد كان ممتمعا أن نحصل على الجزء الذي كنا سنبتدئ به هذا التحقيق، وبعد عرضه على الدكتور حسن الفكيكي، الذي خبر هذا المخطوط جيدا، حيث اشتغل عليه لسنوات طويلة، أكد لنا مطابقته التامة لنسخة الخزنة الوطنية، من خلال فحص لشكل كتابة بعض الحروف، كحروف الجر وأخوات كان، وأن كلاهما كتب بخط مؤلفها البطوني، وأنها الجزء المبتور من النسخة الأم. وقد أكد لنا أنها هي النسخة الأم، لأنها بخط واحد وموحد في الكتابة وكذلك كتابة الهوامش، فقد كان البطوني يضيف بعض الكلمات التي تبين أنه هو مؤلف الكتاب، فعند تشطيبه على كلمة أخطأ صياغتها كان يكتبها على الهامش.

1- وصف نسخة الخزنة الوطنية وهي النسخة الأم :

نسخة أصلية بخط المؤلف البطوني، توجد بالخزانة الوطنية بالرباط، تحمل رقم 2613ك، مكتوبة بخط مغربي مجوهر، بالمداد الأسود، والمداد الأحمر للعناوين ولنقط الوقف، ولفوات الصلوات النبوية، ولأسم الجلالة، ولأسم النبوي، ولبداية الفكرة الجديدة. وهي نسخة مبتورة ونتيجة للبتر الحاصل فيها تبدأ الصفحة الأولى بخاتمة الفصل الثاني من الباب الخامس المتضمن لموضوع حفظ اللسان ليظهر الفصل الثالث، بالصفحة العاشرة مكررة. وينقص كذلك من النسخة القسم الأخير من الباب التاسع، بتوقفه عند الصفحة المائة والثلاثة والستين. وتحمل النسخة ترقيمين: الأول موضوع باعتبار النقص الساقط فهو يبدأ برقم 211 مزدوج الصفحة، وهو يعادل الرقم الأول المزدوج، كذلك من الترقيم الثاني الذي لم يراع فيه القسم المبتور، وبناء على ذلك فإن عدد الصفحات الكاملة يصبح بعد مراعاة القسم المبتور يصل إلى 374 صفحة مزدوجة. أما عدد الصفحات حسب العد الثنائي فيصل إلى 162. حررت على مقياس 23 × 13 سنتيمتر، مسطرتها (..)، ورقها أبيض من النوع الذي كان متداولاً خلال النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري/ القرن السابع عشر الميلادي.

صحح البطوني نسخته بنفسه، فأدخل عليها بعض التعديلات والتصويبات في الحواشي، وذلك لاستدراك بعض الإشارات التي كان يرغب في إضافتها، وكذلك بعض التصويبات التي كان يغيرها بعد التشطيب على بعض الكلمات، وإعادة كتابتها في طرة الصفحة. وقد حرص البطوني على وضع التعقيبة في أسفل نهاية

كل ورقة، للإشارة إلى بداية الورقة التالية، وذلك لزرع الطمأنينة في قلب القارئ حيث يتأكد من تسلسل المخطوط. ونشير إلى أن النسخة الأم لم تحمل أية إشارة إلى تاريخ كتابتها .

وصف الجزء المبتور الذي وجد في خزانة خاصة:

ويمتلك نفس خصائص النسخة التي تحدثنا عنها بالخزانة الوطنية رقم 2613ك وبالتالي فهو الجزء المبتور من النسخة الأم.

وصف نسخة الخزانة الحسنية:

كتبت بخط الثلث المغربي المنمق في البداية، وبالخط الزمامي في الوسط، متعددة الأقلام، واستعمل فيها ناسخوها ألوانا مختلفة، عدد صفحاتها تسع مائة وإحدى عشر صفحة، سقطت منها لوحة 235 و 236 وحل البياض مكان الكتابة في لوحة 242 و 251، وغابت 29 لوحة بين لوحتي 412 و 413، يبلغ عرض كل صفحة 18 سنتيم وطولها 28 سنتيم، وقد أسهم على الأقل ثلاثة من النساخ في كتابتها، حيث كتب أحدهم على هامش صفحة 400 لتبرير وجود بياض: " كذا في الأصل هذا البياض " ويغيب أيضا عن هذه النسخة تاريخ النسخ.

المبحث الثاني: عملي في التحقيق

لقد شمل التحقيق الذي قمْتُ به، المقدمة والقسم الأول من المخطوط، علما أن المخطوط لضخامته، تشتغل عليه طالبة من كلية الآداب ظهر المهرار بفاس، تحت نفس الإشراف، وقد بدأت عملي بنقل المتن من النسخة الأصل الموجودة

بالمكتبة الوطنية، والجزء المبتور المحمل على القرص، وقمت بمقابلة المتن مع نسخة الخزنة الحسنية بطريقة دقيقة، معتمدة قواعد الرسم المعمول بها اليوم، ونظمت المتن بوضع الفواصل والنقط، والعارضتين والمزدوجتين، والأقواس والمعقوفتين، ورجعت إلى السطر كلما بدأ المؤلف فقرة جديدة، واحتفظت للأمانة بكلمة انتهى، التي كان يثبتها البطوني عند نهاية كل فقرة، والتي كتبها النساخ في نسخة الخزنة الحسنية بحرف الهاء فقط. كما حرصت على إثبات رقم لوحات المخطوط عند نهاية كل لوحة، من النسخة الأم.

كما عملت على إرجاع النصوص المنقولة إلى مصادرها الأصلية ما استطعت، إلا بعضها التي لم نقف عليها، وتوثيقها توثيقا علميا، كما عمدت إلى تخريج الآيات القرآنية بالإشارة إلى رقمها واسم السورة التي وردت بها برواية ورش المعتمدة في بلدنا، وإلى تخريج الأحاديث النبوية وإرجاعها إلى أصولها بالإعتماد على كتب الحديث المشهورة، وقد أخذ مني الأمر الكثير من الوقت لاعتماد البطوني على أحاديث ضعيفة وأخرى غير موجودة، إنما هي أقوال مأثورة فقط. وأيضا عملت على تخريج الأبيات الشعرية، وذلك بنسبتها إلى أصحابها إذا كانت غير منسوبة، والإحالة إلى المصادر التي وردت بها، دون أن ننسى الإشارة إلى بحورها، وأحيانا إلى اختلاف روايتها في المصادر عما هي عليه في المتن.

عرفت بأغلب الأعلام البشرية المذكورة في المتن، وأشرنا إلى مصادر كل ترجمة وأشرنا إلى بعض المصطلحات الصوفية التي تحتاج إلى توضيح أو تلك التي لم تعد متداولة في لغتنا المعاصرة.

وفيما يخص الهوامش المستعملة، فقد اعتمدتُ هوامش بأرقام تخص كل صفحة، وأشرنا فيها إلى الفروق الواردة بين النسختين المعتمدتين، وإلى جميع الملاحظات التي تهم جانب إثبات النص والتأكد منه.

وختمتُ البحث بوضع قائمة للمصادر والمراجع، وجملة من الفهارس لتمكين القارئ من الوقوف على محتويات الكتاب، ومصادره الأساسية، وقد جاءت مرتبة كالتالي:

- ❖ فهرس الآيات القرآنية
- ❖ فهرس الأحاديث النبوية
- ❖ فهرس الأعلام البشرية
- ❖ فهرس الموضوعات
- ❖ فهرس الأشعار
- ❖ فهرس القبائل الريفية
- ❖ فهرس الكتب
- ❖ فهرس المصطلحات الصوفية

الباب الثاني: ظواهر وقضايا موضوعية وفنية في القسم المحقق من كتاب . مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفضل والصلاح .

الفصل الأول : ظواهر وقضايا موضوعية

المبحث الأول: عنوان الكتاب، المحتوى العام، بواعث التأليف

1- عتبة العنوان:

إن الاقتراب من الفكر البطوني في مؤلفه . مطلب الفوز والفلاح في طريق أهل الفضل والصلاح . يغرينا بالتوغل في خباياه، لاستجلاء فكر انطلق من مدشر تيزي عدنيت، بالريف شمال المغرب، وتنفس في فاس، واختمر في تلمسان، حيث جاور شيخه ابن مريم وشرب على يديه الطريقة وأخذ عنه العلم، وحظي بقرب خاص منه، يقول د. حسن الفكيكي: "وما نحن متأكدون منه أن ابن مريم خص البطوني بعناية مرموقة منذ بداية الاتصال، وسرعان ما تطورت تلك العناية إلى صلة وثقى دفعت الشيخ إلى التصريح بمكانتها لابنه محمد الصغير"¹. وقد مكنا البطوني من الإطلاع على سبب تلك الالتفاتة عندما قال: "كان رحمه الله شديد الحب إلينا ولأخيना أحمد بن ونيس مبتهلاً بشأننا ظناً منه أنه يجيء منا شيء".

بقراءة أولية لعنوان المخطوط، نلمس النفس الصوفي للمؤلف، والذي يتمثل في كلمة: "طريق" . هذا المصطلح قد يفصح من البداية على انتمائه التربوي السلوكي

¹ - مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفضل والصلاح - حسن الفكيكي ، ص 48

الطريقي، فلو كان حذفها لكان معنى آخر، لأن الفضلاء والصالحين ليس من الضروري أن يكونوا أصحاب طريقة، لكن البطوي كان يقصد أهل المدرسة أو المركز الديني وشيوخ التربية وتلاميذهم، الذين شربوا عنهم الطريقة وأخذوا عنهم التربية، وبالتالي فذكره لهم، وتحديثه عن آثارهم هو ذكر لتأديبهم وطريقتهم التي مكنتهم من الفوز والفلاح، بالإضافة إلى تصريحه برغبته في أن يكون منهم. ونجد البطوي قد ذكر في المقدمة، أن الغرض من تأليفه لهذا الكتاب هو رغبته في التأريخ لرجال بطوية، وقد أطلق عليهم البطوي اسم "أهل الله تعالى"، ويعني بهم الأولياء من شيوخ التربية الصوفية والتعليم، وقصده من عرض مواد الباب ترغيب المريدين والعابدين والمتعلمين في محبة الأولياء مع بيان الطرق والآداب التي ينبغي أن تراعى أثناء الاتصال بتلك الطبقة العليا من أهل الفضل والصلاح¹.

وبالتالي فعتبة العنوان، تفتح لنا الأقواس الثلاثة التي فتحها البطوي في مؤلفه وهي "مطلب الفوز والفلاح"، هذا المطلب الذي جعله المؤلف مطلباً مهماً في حياة المسلم وجعل طريقه في "آداب طريق"، العبارة التي تفصح عن رؤيته الصوفية لمنهاج المسلم وأضاف "أهل الفضل والصلاح" وقصد بهم صلحاء الريف إبان القرن الحادي عشر، وخصوصاً رجالات المراكز الدينية التي كانت آنذاك بالريف، وقد شملت قائمة أهل الفضل والصلاح، شيوخ التربية الصوفية، وهم أرقى درجة الفضل والصلاح، ثم شيوخ التعليم ثم الطلبة والمريدين والمقبلين على السير في طريق الصالحين. ونجد البطوي قد ألزم نفسه بشروط في تحديد الصالحين الذين

¹ - مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفضل والصلاح - حسن الفكيكي، ص 57

سيخصهم بترجمة خاصة وهي " شروط موضوعية من الجانب العلمي والممارسات اليومية :

1. كل من شهد له ظاهر الشرع بالتفضيل وظهرت عليه عناية الجليل بما خصه الله من غزير علمه وحسن أخلاقه وعظيم فضائله.

2. كل من دلت عليه طريقته وآدابه وكراماته الماثورة وأحواله المشهورة.

3. كل من نقل الثبات في أفعالهم وأحوالهم وما وقع موقع العيان وشهد به الكافة من الناس والأعيان¹.

من خلال هذه الخصائص الذي ذكر البطوني، نتعرف على مميزات النهج الصوفي الذي كان يتبناه، والذي كان يُبنى على العلوم الشرعية وعلى التربية السلوكية الفاضلة، المتمثلة في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وزهده وتفرغه للعبادة وكذلك الاقتداء بصحابته في اعتدال بعيد عن الرهبانية أو التطرف.

2- المحتوى العام للكتاب وبواعث التأليف:

خلاصة القول، الفكر الصوفي الذي يطالعنا به العنوان، يمتد بظلاله الوارفة لينير المتن كله، فتبدو شخصية البطوني في كتابته زاهدة، مستسلمة لإرادة الرحمان، خاشعة طائعة، حيث يكتب في المقدمة " ولست أخرج نفسي من بينهم بل شين نفسي قد زاد على شينهم"² وذلك في وصف ما كان الناس عليه من جهل بالعقيدة

¹ - نفس المرجع - حسن الفكيكي - ص 64

² - مطلب الفوز والفلاح - المقدمة - ص 113

الصحيحة والإسلام الصحيح، ويضيف بروح منكسرة لا تتركى نفسها، "ولمن احتاج إليه من قاصر مثلنا والله أسأل أن يتجاوز لي عما تكلفته ولست من أهله"¹.

وقد أراد البطوني أن يشارك في عملية إصلاح المجتمع، وأن يترك أثرا يصلح به ما كان من خلل بين الناس، كمربيا، وشيخ تربية صوفية، وعميد مركز ديني يأوي إليه الطلبة والمريدون، من مختلف بقاع الريف، وقد اختار أن يكتبه بطريقة تقليدية، نهجها قبله الكثير من العلماء، فبدأ المؤلف بتصدير استدعى فيه أسباب التأليف، وأفصح فيه عن رغبته الدفينة في التأليف والتقيد، ثم عرض أبواب الكتاب مع فصوله، كل بعنوانه الخاص، وأضاف إلى ذلك المراجع التي اعتمدها، وأشار إلى الحروف التي كان يرمز بها، إلى نقول الكتب المنتخبة، وهي مأخوذة من الحرف الأول للمؤلف، فرمز مثلا بحرف الثاء للثعالبى بكتابه الجواهر الحسان في تفسير القرآن، والعين لابن عباد الرندي في غيث المواهب العلية في شرح الحكم العطائية، والسين لشهاب الدين السهروردي في عوارف المعارف، والحاء لأبراهيم بن محمد ابن فرحون، ثم الميم لمحمد السنوسي، والغين لأبي حامد الغزالي والదال للمديوني، ونلاحظ أنه أشار إلى كتب معينة، وسكت عند ذكره لآخرين، في إشارة خفية إلى وجود كتب معينة لمؤلفين في حين تبقى اللائحة مفتوحة بالنسبة للآخرين.

إن الكتاب يتناول قضية العلم بداية، ويفصل بإسهاب في قيمته وفوائده وضرورته وأقسامه، وفي العلوم التي هي فرض عين، والأخرى التي هي فرض كفاية، تسقط

¹ - نفس المرجع - ص 121

عن الآخرين إذا تعلمها البعض، وذكر العاملون بعلمهم، وقيمة الإخلاص والصدق فيه، وقد حرص البطوي أن يجعل موضوع المقدمة هو العلم، ليقينه أن المتعلم يمكنه أن يرفع الجهل عن نفسه وعن غيره، وأن يبلغ الرسالة الإلهية وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن يكون فردا صالحا. ومرتبة العالم عند الله جليلة كما يؤكد البطوي، فهومن ورثة النبي وهذه أعظم وأعز منزلة وأرفعها لقوله تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ لَمَرَجَاتٍ﴾¹، بالإضافة إلى أن العالم كالمجاهد في الأجر والثواب، فعمله مضاعف عند الله، وأثره صدقة جارية بعد موته، فلا أجل من علم يترك بعد الرحيل. وقد حصر البطوي العلم المستفاد، في علم الشريعة الداعية إلى الأعمال الظاهرة والباطنة، وجعل الأعمال الظاهرة هي أعمال الجوارح كالعبادات والأحكام، مثل الطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد وغير ذلك، فهذه هي العبادات، وأما الأحكام فالحدود والطلاق والعق والبيوع والفرائض والقصاص وغيرها، فهذا كله على الجوارح الظاهرة، وأما الأعمال الباطنة فهي أعمال القلوب، وهي المقامات والأحوال، مثل التصديق والإيمان واليقين والصدق والإخلاص والمعرفة والمحبة والرضا والذكر والشكر. فضلا على أن مقام العلم يشترط فيه "العناية، والملازمة والبحث والنصب والصبر على الطلب، وهي مصطلحات صوفية ترمز إلى طريق السالك والصفات التي يجب عليه أن يلتزم بها. وقد سكت البطوي عن علم المكاشفة إيمانا منه بأنه علم

¹ - سورة المجادلة - آية 11

خفي لا يجوز الحديث فيه وهنا تبرز لنا ملامح المدرسة الصوفية السنية التي كان ينتمي إليها البطوني البعيدة عن التصوف العرفاني.

بعد المقدمة المستفيضة في أهمية العلم، تناول البطوني قواعد الإيمان، التي تتضمن التصديق بخمس قواعد، أولها الإيمان بالله، وهو اعتقاد وجود الله تعالى متصفا بكل كمال يليق بجلاله، منزها عن كل نقص، وأنه قادر على إيجاد الممكن وإعدامه، وأنه موجود متصف بأسمائه وصفاته قبل إيجاد جميع المخلوقات. والإيمان بالملائكة وأنهم عباد مكرمون، لا يتصفون لا بالذكورة ولا الأنوثة لا يعصون الله ما أمرهم. والثاني الإيمان بالكتب التي نزلها الله على أنبيائه، منها القرآن الذي أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم، والإنجيل كتاب عيسى والتوراة الذي نزل على موسى عليه السلام والزبور الذي خص به الله داوود. والإيمان بالرسل الذين أرسلهم الله مبشرين الناس بالجنة ومنذرين بالنار، وهم بشر يتصفون بصفات عليا، تعصمهم من الذنوب، وتنزههم عن الخطايا البشرية، ولهم من الخلق أحسنه، لكن هذا لا يمنعهم من كونهم بشر يتزوجون ويكسبون حياتهم بعرق الجبين، يأكلون ويشربون وينامون.

ثم الثالث: الإيمان باليوم الآخر، وهو يوم الحساب والعقاب، وأول منازل الموت فالبرزخ فالبعث، ويجب الإيمان بالقبر وعذابه، والبعث والحشر، والميزان والصراط، ونشر الكتاب، الذي سيكون حسب عمل العبد بالشمال أو اليمين، قال تعالى: ﴿إِقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا﴾¹، وهو يوم النشور كما جاء في القرآن

¹ - سورة الإسراء - الآية 13

الكريم، وقد أفاض البطوني في ذكر أهواله ودقيق تفاصيله، من باب التخويف والترهيب، كما أنه تحدث طويلاً عن الجنة ونعيمها، والنار وأهوالها. القاعدة الرابعة هي الإيمان بأحوال الموت التي تختلف من شخص لآخر كل حسب عمله، فذكر ملك الموت بأوصافه وكيف يقبض الأرواح وهنا انتقل إلى الروح التي تختص بالإنسان وكيف يفارق الملكين صاحبهما عند الموت ويشهدان له سواء بالصلاح أو بالعكس. أما حسن الخاتمة فلقد لخصها في النكتة التي تقسم الظهور وتصفّر الوجوه وتقطع القلوب. وذكر بعض أحوال الصالحين لحظة الاحتضار، وعبادة المريض وأجره ثم آداب الدفن والعزاء .

القاعدة الأخيرة، هي الإيمان بالقدر خيره وشره، وأن كل ما قدر الله في الأزل سيكون وما لم يقدره لن يكون، وأنه قدر الخير كما قدر الشر، وأن تعلم أن كل ما يقع في العالم من حركة وسكون، ونفع وأضر وكفر وإيمان إلا كان بقضاء الله وقدرته، مع علمه السابق لذلك.

ثم انتقل إلى قواعد الإسلام مبتدئاً بشرح الكلمة الشريفة وهي كلمة التوحيد . لا إله إلا الله . مع حكمها وفضلها، واستحضر حضورها في جسد المؤمن، وهل تؤدي مهمة الاستسلام لقدرته وعدم التعلق بالآخرين، أم أنها مجرد لفظ بالشفيتين وعدم تحكم بالقلب، فهي كالروح بالنسبة للجسد، وناقش باستفاضة كيفية الذكر بها ومراعاة عدم المد الطويل لكي لا يباغت الذاكر بالموت فيجده في دائرة النفي التي هي . لا إله .، وذكر حكمها وواجب قولها مرة في العمر للمؤمن بالأصالة، أما بالنسبة لفضلها، فهي أشرف كلمة في الكون، وفضلها يعادل ملئ السماوات

والأرض، والإخلاص في قولها ورقة النجاة من هول النار في الآخرة، أما في الدنيا فهي مفتاح العطاء، وتنقيس الكرب، وتحصيل البركة، وقد ذكر البطوني هنا عدة كرامات حصلت بذكرها.

أما الصلاة فهي القاعدة الثانية في الإسلام، وهي أفضل العبادات فهي الصلة بين العبد ومولاه، متى تحقق فيها الإخلاص وشروط الطهارة. وقد تحدث عن الطهارة أولاً وآداب الوضوء ونواقضه ومكروهاته ومفسداته وأحكام التيمم مع الإقامة والآذان، وآداب المسجد وأهمية الخروج إليه، ثم بعد ذلك جاء حديث الصلاة التي تعتبر طهارة للنفس وترقيقا للقلب، ففصل في أحكامها وسننها وفضائلها ومكروهاتها. والصلاة لها مكانة خاصة بين سائر العبادات لمكان فرضيتها فقد شاء الله أن ينعم على رسوله صلى الله عليه وسلم بالعروج إلى السماء وأن يفرضها عليه مباشرة لما لها من أهمية في علاقة العبد بربه. وقد حرص البطوني على التأكيد على الصلاة الموصلة إلى العتبات الإلهية وهي التي يحضر فيها القلب ويستحضر فيها العبد مراقبة الله عز وجل له مع الخشوع والهيبة والتعظيم لله عز وجل. والصلاة هي روح العبادة تزيد المؤمن حبا واشتياقا لفعل الطاعات وتبعد الهم عن القلب وتشرح الصدر وتطهر النفس من هواها وقد عبر الجنيد عن المقاصد العليا للصلاة فقال: "لا يكون همك في صلاتك إقامتها دون الفرح والسرور بالاتصال بمن لا وسيلة إليه إلا به"¹.

¹ - تاج العارفين - سعاد الحكيم - دار الشروق - القاهرة - مصر الطبعة الثالثة 2007 - ص 111.

ثم انتقل إلى الصوم وآدابه، مبرزاً قيمته العظيمة، فهو من الأحكام التي شرعها الله تعالى قصد تزكية الأنفس، ورياضتها، لما فيه صلاح الأفراد والجماعات وذلك بقطع أسباب الشهوات، فكان الصيام مسلكاً تربوياً للعنق من جاذبية الحس، عن طريق استشراف معاني الوصل والقرب من حضرة المولى عز وجل . "وللصوم غايتان: الأولى صفاء النفس وضبط الإرادة مما يمكن الإنسان من التدرج في مدارج الكمال الأخلاقي أما الثانية فهي الترقى بالمجتمعات البشرية".¹ وتابع البطوني تناول الصوم من حيث أقسامه وشروطه وفرائضه ومستحباته ومفسداته ومكروهاته. ثم ليلة القدر وفضلها وبركتها، وكيفية التعبد بها، ثم الصوم المستحب، والأيام التي يستحسن صيامها. وأتبع هذا بالحديث عن زكاة الفطر.

ثم الزكاة التي شرعت لتطهير النفس وتزكية للقلب، وركنا من أركان العدالة الاجتماعية التي دعا إليها الإسلام، وهي القاعدة الرابعة من قواعد الإسلام، وقد تحدث عن أقسامها، فهناك زكاة الأموال وزكاة الأبدان، وزكاة المال تجب بشروط يجب احترامها، ثم فضائل الزكاة وفيمن تجب.

القاعدة الخامسة هي الحج، العبادة التي تهدف إلى تهذيب الأخلاق، فهو في عمقه تقرب إلى الله . وعبودية كاملة له سبحانه، بالإضافة إلى أنه عودة إلى الفطرة الأولى وإشعار بالمساواة بين البشر»² والعمرة ومقاصدهما ثم كيفية أداء المناسك.

¹ - مدخل إلى التصوف الإسلامي - أبو الوفا الغنيمي التفتزاني - دار الثقافة للنشر والتوزيع - ص 140

² - نفس المرجع - ص 140

ينتقل بعد ذلك إلى آداب المريد مع خالقه سبحانه، وفيه يتناول في الفصل الأول نقاء نفس المريد وصفاء سريرته، حيث يصبح كله لله، يحب فيه ويبغض فيه يحسن الظن به، ويكثر من التقرب إليه، يستحي منه في خلوته قبل جلوته، يصبر على ما قدر عليه، ويفوض أمره له ولا يدبر معه. أما الفصل الثاني ففي التوبة التي يجب أن يقوم بها المريد بين يدي الله، لينتبت عبوديته الخالصة لله، وحسن تعبه، بالإضافة إلى كثرة الاستغفار التي يجب أن يلازمها في ورده الخاص. ثم ضرورة التزام المريد بفضيلة الخوف والرجاء، ودوام الحزن والبكاء على أعتابه، والتفكير في الموت مع دوام كثرة قراءة القرآن والذكر، وهنا توقف البطوني مع الذكر وآدابه، وذكر بعض الأذكار النافعة، والوظائف المتلقات عن الشيوخ القدوة. وبعد صفات المريد وآدابه، بضرورة إخلاص النية والصدق للذات يجعلان كل الأعمال متقبلة عند الله.

ونخلص أن البطوني يجمع آداب المريد في أعمال قلبية وأخرى جسدية، تحكمهما النية والإخلاص والصدق، فألزمه بأخلاق سامية، كالحياء والحب في الله والصبر والتوكل عليه والتوبة إليه، مع أفعال جسدية تتطلب كثرة التقرب إلى الله بالصلاة والقيام، وكثرة الذكر والورد اليومي الذي يبقي النفس متعلقة بالله، متفكرة في الموت.

الفصل الرابع، في علاقة المريد بالرسول صلى الله عليه وسلم، ووجوب محبته واتباع سنته، قولاً وفعلاً واعتقاداً، وقد ذكر البطوني أوصافه صلى الله عليه وسلم وأخلاقه ومواقفه، وحكم الصلاة عليه وفضلها، وآداب زيارته.

انتقل البطوني في الباب الخامس إلى الحديث عن وجوب حفظ الجوارح الظاهرة والباطنة من الوقوع في المخالفة، وعرف النفس والهوى والشيطان، وملازمتها بالمحاسبة والتقوى، وكذلك حفظ الجوارح الظاهرة، أي العين واللسان والبطن والفرج واليد والرجل، وحفظ القلب من العلل والخبائث، التي يمكن أن تحل به كحب الدنيا والرياء والعجب، الذي يفسد النفس والعجب والفخر والكبر والعجب الحسد إلى غير ذلك من أمراض القلوب التي تبطل العمل.

إن للمريد آدابا يجب معرفتها في حياته اليومية، كأكله وشربه ولباسه، وطهارته ونومه ويقظته، وكذلك فيما يحتاجه من الأدب في السعي في معاشه، وخدمة حاله وسفره وتجارته، وتزويجه إن كان متسببا، ثم آداب الصدقة والقرض، وفي المفاضلة بين الفقر والغنى والكفاف. ثم الحمد والشكر لله تعالى على ما أسدى من النعم.

الباب السادس، في الترغيب في محبة أهل الله تعالى وحكم كراماتهم وبيان طريقتهم، وزيارتهم وخدمتهم والتشبث بهم والتبرك بآثارهم واعتقاد تفضيلهم وآداب صحبة الخلق والمعاشرة مع الخلق وكذلك آداب التواصل مع الأقارب وذوي الأرحام وتدرج القول في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإصلاح بين الناس وقبول النصيحة والوفاء بالعهود وآداب الأمانة وطاعة أولي الأمر وحكم القضاء.

وأضاف البطوني آداب الهجرة إلى الله تعالى والعزلة عن الخلق، والتي يحققها المتصوف بالعلم والعمل، فهو يطلب العلم، فإذا علم كان عليه أن يعمل، فإذا أصبح من ذوي الأعمال إرتقت به أعماله من حال إلى حال، فإذا دام له الحال

وثابر على الأعمال انتقل من مقام إلى مقام، وهذه هي الدرجات التي يتسلقها الصوفي في هجرته إلى الله، العلم بالعمل والحال فالمقام .

الباب السابع، خصصه للمشيخة، وفيه فصول تتناول حكم الشيخ وشروطه وآدابه وذكر المريد وآدابه، وفي كل الأمور التي تتأكد في السالك، كما تناول العلاقة التي تجمع المريد بشيخه، الذي يعتبر وسيلة صادقة للتقرب إلى الله، لأنه الشخص والمربي الذي مر بالتجربة وخالف الهوى، وهزم الشيطان، فانتصر على الهوى وبذلك هو الملقن الذي ينير الطريق أمام المريد، ويفتح له أبواب المعرفة ومسالك الطريق إلى الله، ومن ثم فالمريد بدون شيخ سيقع حتما في المتناقضات والمهالك، وبالتالي يبين ضرورة وجود الشيخ المربي في طريق المريد يرشده وينصحه. يقول الإمام الغزالي عن هذه العلاقة: "فكذلك المريد يحتاج إلى شيخ وأستاذ يقتدي به لا محالة ليهديه إلى سواء السبيل فإن سبيل الدين غامض وسبل الشيطان كثيرة ظاهرة، فمن لم يكن له شيخ يهديه قاده الشيطان إلى طريقه لا محالة"¹، أما الإمام القشيري فقد اعتبر علاقة الشيخ بمريده، علاقة إمامة حيث قال: "يجب على المريد أن يتأدب بشيخ فإن لم يكن له أستاذ لا يفلح أبداً، هذا أبو يزيد البسطامي يقول: من لم يكن له أستاذ فإمامه الشيطان"²، من هنا كانت العلاقة بين الشيخ والمريد علاقة من نوع فريد، مكوناتها المحبة والتسليم والقدرة

¹ - إحياء علوم الدين - أبو حامد الغزالي - ج 3 ص 98

² - الرسالة القشيرية في علم التصوف - أبو القاسم القشيري - تحقيق معروف مصطفى زريق - المكتبة العصرية بيروت - الطبعة 2005 - ص 380

على فهم نفس المريد، وعلاجها وترقيتها وتزكيتها، وحرص هذا الأخير على التماس البركة من شيخه في كافة أمور حياته .

أما فيما يخص معنى الحقيقة والشرعية، والتصوف والفقه، فالشرعية هي علم الظاهر، في حين أن الحقيقة هي العلم الباطن، وبالتالي فالفرق بينهما فرق متناغم مكمل لبعضه، حيث نجد الشرعية هي الجانب العملي من عبادات ومعاملات وأمور تعبدية، ومحلها الأعضاء الظاهرة في الجسم، أما الحقيقة فهي الجانب الروحي القلبي، وهو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فهو يراك، وما ينتج عن ذلك من أحوال وأذواق وجدانية ومقامات عرفانية، فالشرعية اختص بأبحاثها الفقهاء، والحقيقة اشتغل بعوالمها المتصوفة، قال الإمام القشيري موضحا العلاقة بينهما: "الشرعية أمر بالتزام العبودية، والحقيقة مشاهدة الربوبية وكل شرعية غير مؤيدة بالحقيقة فأمرها غير مقبول، وكل حقيقة غير مقيدة بالشرعية فأمرها غير مقبول، وكل حقيقة غير مقيدة بالشرعية فأمرها غير مقبول، والشرعية جاءت بتكليف من الخالق، والحقيقة إنباء عن تصريف الحق، فالشرعية أن تعبد والحقيقة أن تشهد والشرعية قيام بما أمر والحقيقة شهود لما قضى وقدر وأخفى وأظهر"¹. من هنا يؤكد البطوني على تلازمهما كالروح مع الجسد، فالروح تحتاج لجسد تقيم فيه، والجسد يحتاج إلى روح تسكنه، مقتفيا بذلك أثر الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام رضوان الله عليهم، مؤكدا على مقولة الإمام مالك رحمه الله: "من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق، ومن تفقه ولم يتصوف فقد

¹ - نفس المرجع - ص 82 / 83

تفسق، ومن جمع بينهما فقد تحقق"، وقد اتهم ابن تيمية كل ناف لعلم الباطن بالكفر، وقال أن منكر هذا العلم أشد من اليهود والنصارى، لأن علم الباطن هو علم بحقائق الإيمان الباطنة، وهو أشرف من العلم بمجرد أعمال الإسلام الظاهرة. وقد ذكر الإمام الشاطبي في كتابه . الإعتصام . أن أبا علي الدقاق قال: "كنت مارا في تيه بني إسرائيل فخطر ببالي أن علم الحقيقة مباين لعلم الشريعة، فهتف بي هاتف: كل حقيقة لا تتبعها الشريعة فهي كفر"¹.

وعلم الحقيقة، هو "علم الطريقة أي تزكية النفس عن الأخلاق الرديئة، وتصفية القلب عن الأغراض الدنيئة، وعلم الشريعة بلا علم الحقيقة عاطل، وعلم الحقيقة بلا علم الشريعة باطل، فعلم الشريعة وما يتعلق بإصلاح الظاهر بمنزلة العلم بلوازم الحج، وعلم الطريقة وما يتعلق بإصلاح الباطن بمنزلة العلم بالمنازل وعقبات الطريق، فكما أن مجرد علم اللوازم ومجرد علم النوازل لا يكفيان في الحج الصوري بدون إعداد اللوازم وسلوك المنازل، كذلك مجرد العلم بأحكام الشريعة وآداب الطريقة لا يكفيان في الحج المعنوي بدون العمل بموجبيهما"². ويحرص البطوني على تداخل هذه العلوم، فلا تصوف بلا فقه، حيث لا تعرف الأحكام الظاهرة إلا منه، ولا فقه إلا بتصوف، إذ لا عمل إلا بصدق وتوجه لله تعالى، ولا هما معا إلا بالإيمان، وبالتالي فالتكامل واجب، والمزج ضروري لعبادة خالصة صحيحة.

¹ الإعتصام - الشاطبي (ت 790هـ) تحقيق أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سليمان - الدار الأثرية - عمان الأردن - الطبعة الثانية - 2007 - ج 1 ص 151.

² - كشف الظنون - حاجي خليفة - دار الفكر - بيروت - لبنان - 2007 - ج 1 / ص 344

الكتاب يضم أيضا ،تراجم لكل الرجال الذين يراهم في مقام الصلحاء ، ويتصدرهم شيخه سيدي محمد بن مريم المديوني نسبا التلمساني دارا، وقد كان استثناء فهولا ينتمي للريف الذي حرص البطوي على التأريخ لرجالاته، ولكن مقامه العالي عنده، فهو شيخه ومربيه ومرجعيته المقدرة في طريقته، جعلته يبدأ تراجم الصالحين به ويتبعها بصديقه ورفيق دربه، سيدي أحمد بن ونيس، ليسرد بعد ذلك تراجم من "شهد لهم ظاهر الشرع بالفوز والفلاح متعنا الله بمحبتهم وحشرنا وجميع الأحبة في زمرتهم"¹

المبحث الثاني : منهجية تصنيف كتاب . مطلب الفوز والفلاح . وطريقة توثيقه

يقول البطوي في كيفية تصنيفه لمؤلفه أنه اعتمد الأحاديث الصحيحة وحرص على توثيق النقول وإرجاعها لأصحابها قائلا: "استخرجت ذلك من كتب عديدة محتوية على أحاديث صحيحة وحكم سديدة"²، والقصد عند البطوي أنه وثق من المصادر التي اعتمدها، فبالتالي لا تعني صحة السند والمتن المتعارف عليه في علم الحديث، بل تعني أنه نقل عنها، وأحيانا دون أن يتبين صحتها من مصادر الحديث، وقد لامسنا هذا في تخريج نصوص الحديث التي كان يستشهد بها، فمعظمها يتضمن معاني غريبة يصعب الجزم بصحتها .

اعتمد البطوي في كتابه "مطلب الفوز والفلاح" منهجية الفقهاء والأصوليين في الاستدلال، فجعل كل فصل يبدأ بالتعريف العام لموضوعه، ثم بالحكم الشرعي

¹ - مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفضل والصلاح - البطوي ، ص 120.

² - مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق الفضل والصلاح - عيسى بن محمد البطوي - ص 120.

المتعلق به، و بعده يتحدث عن الشروط الخاصة به والأحكام الملزمة له. ويختتم ذلك بتنبيه أو تنبيهين أو تنبيهات، وهي عبارة عن إضافات يضيفها للموضوع ويجعلها كخاتمة للفصل، تعبر عن رأيه غالباً في ترجيح حكم معين، أو نقد لمسألة ما أو حل لإشكال فقهي .

ثم يبني البطوني استشهاده بالقرآن الكريم في الأول، ثم الحديث النبوي الشريف فالإجماع، و يغني الموضوع بأقوال العلماء والصلحاء، و يركز في الأحكام الفقهية على ما هو مشهور من المذهب المالكي، و اعتمد في ذلك على الجزولي الفقيه المالكي القيرواني الفاسي شارح المدونة .

المبحث الثالث: المرجعية الفكرية والعلمية للبطوني

تضم المقدمة التي شرح فيها البطوني أسباب التأليف ودواعيه، وأقسام مؤلفه وأبوابه، كشفاً لأهم المراجع التي اعتمدها في التأليف، وأهم الرجال الذين اختارهم كمرجعية فكرية ينتسب إليها، وسند روحي يعود إليه، فذكر في علم تفسير القرآن الكريم "الجواهر الحسان في تفسير القرآن" لأبي زيد عبد الرحمان بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت 875هـ)، الفقيه والمحدث والصوفي، أحد أعلام القرن التاسع الهجري، ولد بالجزائر في بيت عرف بالصلاح وتلقى تعليمه هناك قبل أن يرحل إلى تونس ومصر حيث سمع صحيح البخاري، والحجاز، تأثر بالغزالي ومذهبه، تخرج على يديه الكثير من العلماء، مثل أحمد الزروق ومحمد بن يوسف

السنوسي"، عكست مؤلفاته التي زادت على التسعين فكره الإصلاحية للعقيدة والتصوف والفقه والأحوال الاجتماعية¹.

انقطع في آخر عمره إلى الزهد والعبادة، يعتبر مؤلفه الذي اعتمده البطوئي . الجواهر الحسان في تفسير القرآن الكريم . تفسيراً بالأثر ذا نزعة صوفية وعظمية. والجانب الصوفي في منهج الثعالبي في تفسيره سني لا يذهب مذهب الحلول والغوص في مذهب وحدة الوجود وينقل نصوص القشيري، وابن عطاء الله السكندري، وأبي الحسن الشاذلي.

ونلخص اعتماد البطوئي على الثعالبي في ثلاث نقط :

"- في تفسير معاني القرآن.

- في وصل الحقيقة بالشرعية .

- في جملة من الأحكام الفقهية"² .

أما ابن عباد النفزي الرندي (805 هـ) فهو من علماء السنة وأحد أعلام التصوف في القرن الثامن الهجري، من الأولياء الأتقياء والزهاد الكبار، طلب العلوم النحوية والبلاغية والأدبية والأصولية ثم سلك طريق التصوف ومباحث الأسرار الإلهية وعلوم الحال والمقام، ليجمع بين الشريعة والحقيقة، ويعتبر المنظر الأساسي للمدرسة الشاذلية، وأهم من نشرها في المغرب والأندلس وقد ترك

¹ - إصلاح الفكر الصوفي عند عيسى بن محمد الراسي البطوئي - برومي عبد الوهاب - الحركة العلمية بالريف - منشورات المجلس العلمي المحلي لإقليم الدريوش - 2016 - ص 223

² - نفس المرجع - ص 224

الكثير من الشروح والتصنيفات في علم التصوف. وشهاب الدين أبي حفص السهروردي البغدادي (ت632هـ) أحد أعلام السنة والجماعة، ومن أعلام التصوف السني في القرن السابع الهجري، ومؤسس الطريقة السهروردية الصوفية وإليه انتهت الرئاسة في تربية المريدين، وتسليك طريق العبادة والزهد في الدنيا.

اعتمد البطوني أيضا ابراهيم بن علي بن محمد ابن فرحون (ت799هـ) الذي اشتغل بالقضاء/ وهو من شيوخ المالكية، أصيب بشلل في شقه الأيسر، ومات بعلته، ألف في رجالات المالكية كتابه "الديباج المذهب في تراجم أعيان المذهب المالكي".

كما أشار إلى محمد السنوسي التلمساني (ت895هـ) الزاهد الفاضل، الذي اشتهر بكثرة بحثه في علم التوحيد، صاحب العقيدة الكبرى والوسطى والصغرى، قيل عنه : جمع بين الشريعة والحقيقة على أكمل وجه . وقد تتلمذ على شيخه عبد الرحمان الثعالبي، وأخذ عنه الشيخ أحمد زروق، وهم الأعمدة الثلاثة للفكر البطوني والمراجع الكبرى لمضامين كتاب " مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفضل والصلاح ".

بالإضافة إلى شيخ علماء القرن الخامس الهجري أبي حامد الغزالي الطوسي النيسابوري (ت505هـ)، الصوفي طريقة، الشافعي فقها، الأشعري عقيدة، اهتم الغزالي بعلم الفلسفة وعلوم الكلام، وانتهى إلى التصوف، متيقنا من أنه أحسن العلوم، وأهله هم السالكون الحقيقيون لطريق الله، ويعتبر مؤلفه . إحياء علوم الدين " الصخرة التي انكسرت عليها المسلمات المنهجية لفقهاء المغرب، الذين ساروا على

منهج السلف في تقرير أمور العقيدة والالتزام بالأخلاق العملية، فبتعرف المغاربة على كتاب الإحياء والعقيدة الأشعرية بدؤوا في وصل الأخلاق بالتصوف ونزعوا نحو التأويل وفق منهج الخلف¹.

شكلت مؤلفات الغزالي أهم مرجع عند عيسى البطوئي في مطلبه، فبالإضافة إلى الإحياء، اعتمد منهاج العابدين وبداية الهداية، واستشهد بنصوصها في أزيد من أربعة وعشرين ومائة موضع، وشمل الإستشهاد بها في كل فصول الكتاب². ويمكن تلخيص "تأثر البطوئي بأبي حامد الغزالي في :

. في منهج تصنيف كتابه . مطلب الفوز والفلاح .

. في المضامين الجزئية للكتاب، في العقائ والعبادات والسلوك والأخلاق .

. في الاعتماد على ما ورد عنده من النصوص الشرعية والآثار وأخبار الصالحين وأقوالهم .

. في وضع الحدود وتحديد المفاهيم³.

ختم البطوئي بشيخه سيدي محمد بن محمد أبو عبد الله المليتي نسبا، المديوني أصلا (ت1020هـ)، المؤرخ الفقيه المتصوف التلمساني منزلا، تتلمذ على يده وشرب منه الطريقة التربوية التي حملها معه إلى الريف، ليحول مركز بتيزي

1 - تأثير أبي حامد الغزالي في الفكر الصوفي لعيسى بن محمد الراسي البطوئي - الحركة العلمية ببلاد الريف خلال العصر الأول من الدولة العلوية الشريفة - منشورات المجلس العلمي المحلي لإقليم الدريوش

2017 -

2 - نفس المرجع .

3 - نفس المرجع.

عدنيت إلى مركز علمي، يشكل امتدادا للإتجاه الصوفي التلمساني، وقد جمعت البطوني بابن مريم، علاقة قوية، جعلته يجيزه، ويخصه بعناية خاصة وتقدير متميز، حتى أنه قال لابنه محمد الصغير عند "قرب موته : لو كان عيسى البطوني وأحمد بن ونيس ما غسلني غيرهما"¹. هذه العلاقة الروحية منحت البطوني نفسا علميا وروحيا، مكناه من خلق مركز علمي وتربوي استقبل العشرات من العلماء والشيوخ، سواء للدراسة أو للتدريس أو للتربية الصوفية، وبالتالي فهو "نموذج آخر من الذين وهبوا كفاءاتهم للمساهمة في الحفاظ على توازن الخط الثقافي بالبوادي الريفية بما عزم عليه من محاربة البدع المنتشرة آنذاك بالبادية ومن الوقوف في وجه كل من سولت له نفسه بانتحال التصوف عن جهل أو عن اعتقاد منحرف"².

المبحث الثالث: تداخل الفقهي مع الصوفي في الجزء الأول المحقق

تظهر و مضات فكر البطوني الصوفي في الكثير من العبارات، التي يخاطب فيها تلامذته ومريديه كقوله: "اجتهد في أن تعرف نفسك وذاتك، ولا تطمع في معرفة ربك ما لم تعرف نفسك"، فتلك رؤية المتصوف الثاقبة، التي تلامس الروح وتشتغل على الجوارح، حتى إذا لامست الحقيقة كانت رؤيتها لله بالقلب، وهذه هي المعرفة الذوقية التي تعتبر آخر مقام السالكين. ثم تحدث عن إيمانهم فجعله ثلاثة أنواع، إيمان القلب وهو خبر صدق مجرد، وإيمان الخواص، وهو ثمرة بصيرة

¹ - مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفضل والصلاح - حسن الفكيكي - ص 122

² - ص 55

وانشراح صدر، وإيمان خواص الخواص، وهو ثمرة مشاهدة ومكاشفة، ثم إنه يذكر الصوفية بذكر يعلي من شأنهم، فيقول "هؤلاء السادات الذين هم أشرف الخلق عنده تبارك وتعالى"¹، و"لا يخفى على العاقل استنباط الفوائد الكثيرة من أحوالهم"².

يدرج البطوئي في شرحه لجملة "لا إله إلا الله" صفة التخلية والتحلية، التي تتميز بها، والتي تجعل الذاكر يخلي قلبه من كل الشوائب، ويحليها بنور الحقيقة، التي يثبتها بكثرة الذكر والإستغفار.

ذكر أيضا، ما قاله الشيخ الجزولي في آداب الطهارة، والتي لخصها في ثلاثة أشياء، الإقلاع عن الذنوب والتأهب للقاء الله، والفرح بالمناجاة. أما آداب الصلاة فهي أيضا ثلاثة: حضور القلب وخشوع النفس، مناجاة السر، أما آداب الصوم ثلاثة الصمت والإفطار على الحلال وقصر الأمل. وفي هذه الشروط نكهة التصوف وطعمه، حيث ترتفع عن الشروط السطحية لتتوغل في أعماق الروح.

إن تداخل الفقهي والصوفي في كتابة البطوئي، تفرضه شخصيته المتمكنة من الفقه وعلوم التفسير والتشريع، المخللة بتربيته الصوفية، التي ابتدأت مع مركز تيزي عدنيت، وشيوخه، واكتملت في تلمسان على يد شيخه ابن مريم الذي أجاز له قبل عودته إلى بلده في الريف قائلًا عنه: "الشاب الأمجد الأسعد وفقنا الله وإياه لصالح العقل السيد الفقيه عيسى بن محمد بن يحيى البطوئي له ما لنا وعليه ما

¹ - مطلب الفوز والفلاح - عيسى البطوئي - ص 161

² - نفس المرجع - ص 162

علينا...¹. وبالتالي فنحن سنرصد هذا التزاوج بين الفقهي والصوفي، في رؤيته لمفهوم العلم وقيمه وضرورته، ثم في حديثه عن وجوب معرفة قواعد الإيمان ووجوب معرفة قواعد الإسلام، وكيف يخلق حسه الصوفي منظومة علمه وفقهه وتصنيفه.

إن البطوني خصص فصلا مهما للعلم وأهميته، ردا على الجهل والبدع والشعوذة والكثير من المتناقضات، التي كان المجتمع الريفي يتخبط فيها، فذكر حكم العلم وضرورته المبجلة عند الله، لأنها تقود إلى العبادة الصحيحة، وتُعرف المؤمن الواجبات الشرعية، بالإضافة إلى كون العلم النافع يورث خشية الله. ففي حديثه عن أقسامه، وأي العلوم أوجب، تدخل البطوني الصوفي ليقسم العلوم إلى ثلاثة واجبة هي: علم التوحيد، وعلم السر وهو ما يتعلق بالقلب، وعلم الشريعة معتمداً نفس التقسيم الذي ذهب إليه الإمام أبي حامد الغزالي، عندما قسم العلم إلى علم مكاشفة وعلم معاملة، وقال عن الأول إنه علم الباطن وعرفه على أنه "عبارة عن نور يظهر في القلب عند تطهيره وتركيبه من صفاته المذمومة أمور كثيرة"²، ويضيف الغزالي متحدثاً عن علم المكاشفة "نعني بعلم المكاشفة أن يرتفع الغطاء حتى تتضح له جليلة الحق في هذه الأمور اتضاحاً يجري مجرى العيان، الذي لا يشك فيه"³، وقد قسم الكثير من المتصوفة العلوم إلى عدة أقسام منهم من جعل العلم إما:

¹ - مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفضل والصلاح - الفيكيكي - ص 48

² - إحياء علوم الدين - أبو حامد الغزالي - دار الفكر - 1995 - الجزء الأول - ص 25

³ - نفس المرجع - ص 25

. علم حكمة: وهو أول ما يلزم العبد حيث يقوم على أساس علم آفات النفس ومعرفتها ورياضتها وتهذيب أخلاقها ومكائد العدو وفتنة الدنيا وسبل الاحتراز منها.

. علم معرفة: المعرفة بالنفس بتطهيرها أولاً.

. علم إشارة: ويضم علوم الخواطر وعلوم المكاشفات وهو العلم الذي تفردت به الصوفية.

في حين أن أبانعيم الأصبهاني (ت 430 هـ) يرى أن الصوفية بنوا علمهم على أربعة أسس:

- معرفة الله تعالى ومعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله.

- معرفة النفوس وشروورها ودواعيها.

- معرفة وساوس العدو ومكائده وخصاله.

- معرفة الدنيا وغرورها وفتنها وتلويينها وكيفية الاحتراز منها والتجافي عنها.

أما فخر الدين الرازي، فقد اعتبر المتصوفة فرقة خاصة، وحجته في ذلك أن الصوفية تمتاز بشيء من الأصول، التي تخالف فيه الفرق الإسلامية، فأهل السنة والجماعة، يرون أن الطريق لمعرفة الله هو السمع، وفرق المعتزلة وغيرها ترى أن الطريق إلى الله هو العقل، أما الصوفية فتري أن هذا الطريق هو التصفية والتجرد من العلائق البدنية، للوصول إلى مرتبة الكشف. وبالتالي لم يبتعد كثيراً عنهم البطوني بتقسيمه العلم، إلى علم رافع، وهو علم الشرائع، وعلم واضح وهو علم

النجم، وقد كره فيه ما زاد على قدر الحاجة، مما يستدل به على القبلة وأجزاء الليل. وعلم نافع وهو علم الطب، وعلم شاهد وهو علم الأدب (النحو).

وعلم الظاهر هو معرفة الشرائع والديانات، وعلم الباطن وهو علم السر، يعتمد إصلاح ومعرفة النفس، وعلم الظاهر مقدم، وبه يصل الإنسان لعلم الباطن. وصرح بموافقة للفقيه الجزولي الذي يقول بأن من يشتغل بعلم الباطن مَنْ حَصَلَ علم الظاهر، والإمام مالك الذي يقول "إشتغل بعلم الظاهر يوصلك إلى علم الباطن" ومن ثم يخلص البطوني أن العلم المتفق عليه يقود صاحبه إلى الخوف والخشية التي هي أساس الدين.

وقد سطر البطوني أساسيات خاصة يجب اتباعها لتحقيق العلم النافع، وهي العناية التي يوليها السالك للتعلم والملازمة، فلا يشغله أمر عن ذلك، بل يلزمه كل وقته، ثم البحث والنصب وهو ما يميز السالك عن غيره، فالعلم لا يحصل إلا بالعبادة وفناء الجسد في القيام والمراجعة الليلية، لأن تقوى الله وإخلاص النية أمور يستعان بها على طلب العلم، ثم الصبر على الطلب. وقد أجمع الحكماء على أن العلم الصحيح يفتقر إلى أستاذ، ووحدة، وعمر طويل، ودهر ثابت، وشهوة باعثة.

وقد اتفق البطوني مع الجزولي في تقسيم العلوم إلى ثلاثة أقسام، فجعل العلوم علم الملك، وهوما ظهر لنا بأبصارنا أي الجسد، وعلم الملكوت، وهوما غاب عن أبصارنا أي القلب، وعلم الجبروت، وهوما غاب عن البصر والبصائر أي الروح. أما عن النفس الصوفي والفقهي في العقيدة الإسلامية عند البطوني، فمن المحقق

أنه سار على نهج كبار رجال التصوف، الذين جميعهم تكلموا في علم التوحيد تأصيلاً وشرحاً لقواعده أحياناً، وإشارة لمقاصده وأبعاده في كثير من الأحيان، واعتمد منهج الشيخ زروق كأحد رجال التصوف المنتمين لمنطقة الغرب الإسلامي، والذين قدموا خدمات جليلة للعقيدة الإسلامية، حيث أدركوا الترابط القوي بين العقيدة والفقه والتصوف، باعتبار هذه العلوم الثلاثة ممثلة للأصول المذكورة في حديث جبريل عليه السلام المعروف¹، فتبين لهم أن التوفيق بينها من أهم الأمور المصححة لعقيدة المسلم، فاختار جلهم منهج الإمام أبي الحسن الأشعري في العقيدة، ومذهب الإمام مالك في الفقه، ومسلك الإمام الجنيد في التصوف، مع محافظتهم على ما اختصوا به في النهايات من اعتماد الكشف الرباني النوراني في معرفة الخالق سبحانه وتعالى.

قرن البطوني العلم مع النية، لأنها تصحح العمل، وتجعله مقبولا أو مرفوضا، وجعل الإخلاص ضرورة ملزمة، لأن العالم المرائي لا ينفع الناس، ولا يصلح المجتمع، ومن ثم ضرورة محاربة الشيطان اللعين الذي يتسلل للأعمال ليبطلها بشهوات الدنيا الفانية. وبالنسبة لفضل العلم، فهي كثيرة، فهو طريق الجنة حيث

¹ - عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يوما بارزا للناس إذ أتاه رجل يمشي، فقال: يا رسول الله ما الإيمان؟ قال: الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه وتؤمن بالبعث الآخر، قال: يا رسول الله ما الإسلام؟ قال: الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك بالله شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان، قال: يا رسول الله ما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، قال: يا رسول الله متى الساعة؟ ما المسئول عنها بأعلم من السائل، ولكن سأحدثك عن أشراطها: إذا ولدت المرأة ربثها فذاك من أشراطها، وإذا كان الحفاة العراة رؤوس الناس فذاك من أشراطها، في خمس لا يعلمهن إلا الله: إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام، ثم انصرف الرجل، فقال: ردوا علي، فأخذوا ليردوا فلم يروا شيئا، فقال: هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم - صحيح البخاري - حديث رقم 4777 وأورده مسلم أيضا في صحيحه برقم 9.

الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضى بما يصنعون، بالإضافة إلى أن العلم أفضل من النافلة، وأكثر قبولاً عند الله، لأن الله لا يحب أن يعبد عن جهل.

والعلم المطلوب هو الذي يثمر عملاً صالحاً، ينتفع به بصدقه المتناهي، فالصدق ضروري في العلم لأنه مفتاح الفوز الأبدي.

في سرد البطوني لقواعد الإيمان نجد لغة الفقه تتفوق، فقد لخص التوحيد الذي هو الغاية القصوى ومنتهى المأمول للمريد، به تتم معرفة الله تعالى التي يحصل بها النجاة من مهالك الدنيا والآخرة، حيث يذكر أن أركان الإيمان ستة، منها باطنة محلها القلب وهي الجانب الإعتقادي القلبي، في حين أن قواعد الإسلام هي الجانب العملي من العبادات والمعاملات والأمور التعبدية.

ذكر البطوني بتفصيل أركان الإيمان، ابتداء من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ثم القدر خيره وشره وحلوه ومره، وأتبع ذلك بالإيمان بمعرفة الدليل على وجوده وما يجب في حقه تعالى، وما يستحيل، وكذا في حق الرسل. ويظهر جلياً فكره الصوفي في قوله أن الله سبحانه وتعالى احتجب عن العقول، كما احتجب عن الأبصار، واحتجب عن من في السماء، كما احتجب عن من في الأرض، وبالتالي فالسالك عليه أن يجتهد في أن يعرف نفسه وذاته، ولا يمكن أن يطمع في معرفة ربه ما لم يعرف نفسه. وهنا تبرز رؤية البطوني المتصوف، حيث إن رؤية الإنسان لله تكون بالقلب، وهذه هي المعرفة الذوقية وهي آخر مقام السالكين. والرؤية القلبية لله سبحانه وتعالى، مقام لا يكتفي بالبراهين، بل ترتفع روحه ليلا مس إيمانه بالله كما قال الشاذلي: "إنا لننظر إلى الله ببصر الإيمان

والإيقان، فأغنانا ذلك عن الدليل والبرهان، وإن كان ولا بد فنراهم كالهباء في الهواء إن فتشتهم لم تجدهم شيئاً¹ .

والإيمان مركب من جزئين، الإيمان بالله تعالى، وهو حديث النفس التابع لمعرفة بما يجب له تعالى، والثاني إيمان بالرسول وما يجوز في حقهم وما يستحيل، وقد قدم العلماء الإيمان الأول على الثاني في كلامهم، لأن الثاني لا يصح إلا بالأول.

ثم الإيمان بالملائكة وكتبه وجميع رسله، فالأول ركن أساسي، وإنكاره أحد أنواع الكفر، وقد جاء في حديث الملائكة في القرآن الكريم في مناسبات مختلفة في 75 آية و33 سورة. بالإضافة إلى الحديث النبوي الشريف، فهو الآخر جعل الإيمان بالملائكة مؤكداً. والحكمة في أن الله سبحانه وتعالى أخبرنا بوجودهم وطلب منا الإيمان بهم، لكون استحضار وجودهم عند المؤمن، يفرض عليه الاستقامة، وأمرنا أيضاً بحبهم، فهم لا يعصون الله ويسبحون الله آناء الليل وأطراف النهار.

أما الإيمان بالرسول فواجب، لأن رسالة النبي مكمل لما جاءوا به، ومكانته عظيمة، فهو صاحب الشفاعة وأفضل خلق الله، وأضاف أن أمر الخاتمة هي النكتة التي تقسم الظهور، وتصفر الوجوه وتقطع القلوب، وتذيب الأكباد وتدمي العيون، وقسم الغم إلى ثلاثة أقسام، فهناك غم الطاعة ألا تقبل، وغم المعاصي ألا تغفر، وغم المعرفة أن تسلب.

¹ - مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفضل والصلاح - ص 158

أما قواعد الإسلام، فقد بدأها البطوني بالتفصيل في الشهادتين، وجعل . لا إله إلا الله . إن كان مسكنها القلب فقائلها مؤمن، أما إن سكنت الروح فهو عاشق، أما إن كان مسكنها السر فهو مكاشف، وبالتالي فالأولى خبر صدق مجرد والثاني هو ثمرة بصيرة وانسراح صدر، أما المكاشفة فهي ثمرة مشاهدة، ونشير هنا باقتضاب أن البطوني تناول . لا إله إلا الله . بشرح صوفي لها يعتمد الذوق وشرح بتفصيل مدارجها في النفس، وحدودها في الروح، ونفسه الصوفي تجلى بقوة في هذا الفصل.

ثم تحدث عن أسرار الصلاة بتفصيل، ابتداء من الوضوء والغسل، وتفاصيل الطهارة ثم الصلاة، وقدم حيثياتها بدقة بالغة مع الوقوف عند كل صلاة، وانتقل بعد ذلك إلى أسرار الصوم وحكمته، ثم آداب الزكاة والحج والعمرة، ونشير هنا إلى أن البطوني كان في هذه الفصول فقيها متمكنا من الفقه المالكي ومفاتيحه.

الباب الثاني : ظواهر فنية في كتاب . مطلب الفوز والفلاح في أدب طريق أهل الفضل والصلاح .

المبحث الأول: عتبة العنوان

إن للعنوان أثرا كبيرا على القارئ، فبقراءة أولية له تبدأ أولى محاولاته التأويلية في معرفة النص، وذلك لأن العنوان ليس عبارة لغوية منقطعة أو إشارة مكتفية بذاتها، بل هو دائما مفتاح تأويلي أساسي لفك مغاليق النص وتوضيح سراديبه. والكاتب عندما يختار عنوانا لمؤلفه فهو يقصد توجيه القارئ نحو المجال الدلالي لنصه، منيرا وكاشفا عن مضامينه، والعنوان الذي بين أيدينا يمثل بطاقة تعريف للكشف عن هوية النص ويفتح أمامنا الرؤية الصوفية للمؤلف، فالكلمات الثمانية التي يتكون منها العنوان تحيل على المقامات التي يطلبها المريد، فالفوز والفلاح والصلاح انتظارات أفقية لطريق معين وسلوك تربوي متميز، وهذا ما سيفصل فيه البطوني بعد ذلك. بالإضافة إلى التناغم الدلالي هناك تناغم صوتي يجمع الفوز بالفضل والفلاح بالصلاح ففاز بالشيء وفتح في أمر يؤدي نفس المعنى في طريق أهل الفضل أي الباحثين عن الصلاح ومن ثم فالمشترك الدلالي والصوتي يتيح للمتلقي الانغماس في قدسية المعنى الذي يهدف إليه الخطاب الصوفي عند البطوني، فالكتاب هو مطلب للباحثين عن طريق الصلاح والصالحين، الذين من أجلهم تم تأليف الكتاب، وهذا تصريح واضح للبطوني لتسمية كل شيوخه وتلامذته ومعاصريه بصلحاء الريف، واعتبار طريقهم هو طريق الفوز والفلاح. بالإضافة إلى إقحام لفظ طريق في عنوان المخطوط، تجعل المتلقي ينتظر من المؤلف الطريقة التي سوف

ينهجها للانضمام إلى زمرة الصلحاء، الشيء الذي يبرز لنا الانتماء الطريقي للشيخ البطوني، بقول : " وسميته **مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفضل والصلاح** وإن كنت والله لا أعد نفسي منهم، وإنما أردت أن أكثر سوادهم بالاعتزاء إليهم والإشادة بأحوالهم، والتشبه بهم"¹.

المبحث الثاني: منهجية المؤلف وأسلوبه في الكتابة

يمتاز كتاب . **مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفضل والصلاح** . بهيكلية يحكمها التسلسل المنطقي للأشياء، فقد اختار البطوني أن يفتتحه بتصدير ذكر فيه الأسباب الذاتية التي دفعته للتأليف، وذكر فيه أيضا أبوابه وفصوله، فجعل المؤلف من ثمانية أبواب، ومقدمة في وجوب تعلم العلم النافع، وفوائد العلم والعلماء، ليميز بعد ذلك بين الإيمان والإسلام والسلوك، وسير الصلحاء بطريقة حلزونية كل واحدة تقضي للأخرى وتدل عليها.....

وقد عمل هذا البناء المحكم لأبواب وفصول الكتاب على مساعدة القارئ لتحقيق التكامل الأفقي بين الموضوعات والمفاهيم وفهم العلاقة بينها، وكذلك ساعد على إدراك الأمور تبعا لتدرجها وتشعبها.

إن ما يميز كتاب . **مطلب الفوز والفلاح في آداب أهل الفضل والصلاح** . ويصنفه ضمن الكتب المهمة التي ميزت القرن الحادي عشر، في منطقة الشمال الشرقي ومنطقة الريف خاصة، هو تطرقه لهذه المنطقة التي أفرزت كاتبا من هذا المستوى

¹ - **مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفضل والصلاح** - ص 114

الرفيع من العلم، فقد استطاع البطوني أن يكتب مؤلفه على غرار إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي، في تبويبه وفصوله وأقسامه، وأن يبرز لنا تشعب علمه وموسوعيته المحيطة بجميع العلوم بالإضافة إلى رؤيته الفقهية والصوفية التي توضح انتماءه وأفق تصوره. ولقد وجدنا من الضروري تحديد الخصوصية التي تميز منهجيته في الكتابة وتتمثل في النقاط التالية:

1- اللغة

اعتمد البطوني لغة عربية فصيحة مباشرة حينا، وإيحائية حينا آخر، محملة بالكثير من الشواهد من القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، الذي شمل الأحاديث الصحيحة والضعيفة والموضوعة أيضا، وفي بعض الأحيان كان يسوق حديثا وهو مثل أو مقولة شائعة، رغم ما يؤكد في قوله: "أن كلما ذكرت أو أنكر إن شاء الله في هذا التقييد من الأحاديث النبوية محذوفة الأسانيد، طلبا للاختصار، فهي صحيحة مروية عن التقات العدول الأخيار المنزهين عن الكذب"¹.

كما اعتمد كتب التفسير والفقه والتصوف، حتى ليكاد يكون كلامه يقتصر على التفسير وتحديد النتائج والخلاصات، وكثافة الاستشهاد هذه التي يضمنها البطوني نصه، تحليلنا على موسوعيته الكبرى، وإحاطته بتقاسير القرآن الكريم وبكتب الحديث، والعديد من الكتب الفقهية وكتب التصوف، فهو يستعرض نصوصها في كل الأبواب والأقسام، مع إضافة ما يراه في كل المسائل التي ناقشها، بالإضافة إلى حرصه على إعطاء المصادقية لكتابه، باعتماد القرآن الكريم والحديث النبوي

¹ - نفس المرجع - ص 121

الشريف، علاوة على المراجع التي ذكرها في البداية، من علوم التفسير والفقه والفكر الصوفي، وهي من أمهات الكتب. وقد قسمت لغة الكتاب إلى ثلاثة حقول دلالية هي:

حقل العلم (العالم، المتعلم، التعليم، علم التوحيد، الاجتهاد، العلوم النافعة، علم رافع، علم الشرائع، علم واضح، علم النجم، علم نافع، علم الطب، علم شاهد، علم الظاهر، علم الباطن، علم السر، أستاذ، مجلس علم، المعرفة، الإنصات، الفهم، العمل ...)

حقل الدين (العبادة، المعبود، الملائكة، الجنة، الأنبياء، الرسول صلى الله عليه وسلم، البعث، الحساب، الطاعات، التقوى، العقائد، الإيمان، الكتاب، السنة، الواعظ، الواجبات الشرعية، الطهارة، الصلاة، الوضوء، النوافل، صلاة العيد، صلاة الجمعة، الصيام، القيام، زكاة الفطر، الأضحية، الزكاة، الحج، العمرة، الصدقة، أحكام الجنائز، غسل الميت، الفقه.....)

حقل التصوف (الخفي، الجلي، المحبة، مقرب خفي، الخلعة، الفقر، اليقين، المرید، محجوب، شدة القرب، شدة الظهور، النور، عين القلب، المعرفة الذوقية، مقام السالكين، العارفين، المحققين، الملازمة، العناية، النصب، المشيخة، العزلة، الإشراف...)

نلاحظ أن هناك علاقة جدلية، بين الحقول، حتى أنها تفضي إلى علاقة تكامل، فحقل العلم يستدعي حقل الدين، فلكي يعرف المسلم دينه وجب عليه الدخول من باب العلم، فالله لا يعبد عن جهل، والتفقه في الدين واجب شرعي لا يسقط عن

أحد وبالتالي فالعلم يستدعي الدين، والدين يستدعي العلم، وهذا الأخير يؤدي إلى الدين والعكس صحيح، وطلب العلم فريضة، لأنه أداة معرفة، والمعرفة واجبة والعمل هو ثمرة العلم.

كما أن حقل العلم يستدعي حقل التصوف، حيث علم الباطن وعلم السر الذي هو علم التصوف، الذي يمكن الإنسان من دخول عتبة المكاشفة. وهي علوم تؤخذ بالتربية والسلوك. وعلاقات تربية وتعلم تجمع المريد بشيخه، فالشيخ هو المعلم والمريد هو المتعلم، المحتاج إلى من يفتح له الطريق، ويعلمه علم الظاهر والباطن، وبالتالي فالحقول متداخلة ومتناغمة تجمعها علاقة تكامل.

2- الخطة الحجاجية

تكمن غاية الحجاج في الخطاب البطوني، في إحداث التأثير المؤدي إلى الفعل عند المتلقي، حيث ينطلق من تفعيل الفكر ليصل إلى تفعيل العمل وتحقيقه، وسيلته في ذلك خطابية، وقناته هي التأثير في ذهن المتلقي، بطرق مختلفة، فغاية الحجاج ومنتهاه إذن إقناع العقول بما يطرح عليها، وذلك عبر توظيف تقنيات محددة، تجعل من تحقيق هذا المبتغى أمرا ممكنا. والبطوني اعتمد خطة حجاجية تعتمد الاستدلال، بالأمثلة والأحداث والاستدلال بالقرآن الكريم وأحاديث السنة النبوية الشريفة، والاقتباس منها بكثرة. مع توظيف أدوات التوكيد مثل، "إن" وأن" لتأكيد الفكرة، واللجوء إلى الاستنتاج مثل . فلذلك . من أجل الإقناع والتسلسل والتلاؤم مع الموضوع، كما وظف الجمل الخبرية الواضحة، معتمدا الدقة في الشرح والتفسير كقوله: " فكفى بهذه الآية دليلا على شرف العلم لاسيما علم

التوحيد، الثانية قوله جل ثناؤه: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)، فكفى بهذه الآية دليلاً على شرف العبادة ولزوم الإقبال عليها، فأعظم بأمرين هما المقصود من حق الدارين، فحق للعبد ألا يشتغل إلا بهما، ولا ينظر إلا فيهما ولا يتعب إلا لهما¹، نلاحظ أن البطوني باستطراده يؤكد على شرف العلم والعبادة. وفي أحيان أخرى يستطرد ليشرح أكثر كقوله: "فعلم الظاهر معرفة الشرائع والديانات، وعلم الباطن وهو علم السر، ما يرجع لإصلاح القلب ومعرفة النفس، وعلم الظاهر مقدم، وبه يصل الإنسان لعلم الباطن، الجزولي خلافاً للمبتدعة الذين تركوا علم الظاهر واشتغلوا بالخواطر، وبعلم الباطن وإنما يشتغل بعلم الباطن من حصل علم الظاهر، وقد روي أن رجلاً سأل مالكا عن علم الباطن، فغضب منه وقال له إشتغل الظاهر يوصلك إلى علم الباطن ثم قال: عليكم بالطريق الواضح وإياكم وبينات الطريق، ولهذا تقول الصوفية المحققة: اللهم اجعلني فقيهاً صوفياً ولا تجعلني صوفياً فقيهاً"² نجده يسوق إستشهادات كثيرة وأقوالاً متنوعة لتبيين فكرة صغيرة، وكل ذلك يصب في معنى واحد وهو اعتماده التأكيد والشرح والتفسير.

3- السجع

يعتبر السجع في النثر كالقافية في الشعر، فهو من الوسائل التي يستخدمها الأديب لإظهار مشاعره وعواطفه، وقد يستخدم السجع بهدف التأثير في النفس وغيرها من الوظائف اللغوية المتعددة، ويُعرّف بأنه توافق فواصل الجمل في الحرف الأخير، والفاصلة هي الحرف الأخير الذي تنتهي به الجملة. ومن

¹ - مطلب الفوز والفلاح في آداب أهل الفضل والصلاح - ص 122.

² - نفس المرجع ، ص 128

المعروف أن السجع قد استخدم قديما بهدف لفت انتباه السامعين عند الإلقاء أو الكتابة، لأن السجع يكسب الكلام إيقاعا مؤثرا في الوجدان. وقد وردت أساليب السجع أيضا في القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، يلاحظ القارئ حضورا مكثفا للسجع في كتابة البطوني، وهوفي تعريف البلاغيين توافق الفاصلتين في فقرتين أو أكثر في الحرف الأخير، وللسجع وظيفة جميلة في التعبير إذا جاء بدون تكلف، كما أنه يحدث نغما موسيقيا، يثير النفس وتطرب إليه الأذن، وقد استعمله كثيرا الخطباء والفقهاء لتقوية خطبهم وكتاباتهم، ومنحها قوة التأثير في مشاعر الناس، واستمالة قلوبهم، حيث نجد البطوني مثلا يستعمل سجع الترصيع، الذي تتوافق فيه كلمات الجملة الأولى أو البعض منها، مع كل أو بعض من كلمات الجملة الثانية في القافية والوزن، فيقول: "الحمد لله، الذي جعل إيجاد الخلق وافتقارهم إليه دليلا على وجوب وجوده ووحدانيته وعظيم ربوبيته دليلا، وكشف لأهل الفكر عن ثبات مشيئته، وصرف لهم من الآيات الفصيحة والحجج الصريحة ما علموا به علم يقين بأن ليس له في ملكه ظاهرا أو مقدرا أحدٌ عديلا، وتجلى لأبصار بصائرهم فلم يحضر سواه بخواطيرهم، وتبدى لمرآت سرائرهم فلم يجدوا غيره وكيلا، أحاط علمه بالخفي والجلي ونفذت إرادته في السعيد والشقي"¹. نفس الشيء في قوله "فاندرست منا آثار الحقائق والشرائع فلم يبق من الإسلام إلا إسمه، ولا من القرآن إلا رسمه"²، نلاحظ أن الوظيفية التزيينية للسجع في النص، تظهر بقوة لتسهم في إمتاع المتلقي بتلك الموسيقى أو الإيقاعات المتولدة عن

¹ - مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفضل والصلاح - ص 111.

² - نفس المرجع - ص 113

الكلمات المسجوعة،" ففكرت فيما كلفت به فقط من تخليص نفسي، وأنفع عمل أتزوده إستعدادا لحلول رمسي فما رأيت عملا أرجى للغريق الملهوف البائس مثلي¹، بالإضافة إلى أن السجع عند البطوي تتساوى فقراته في الطول، بمتانة في التركيب دون تكلف أوتصنع أوتكرار، مثل قوله:"وذلك أن من لم يعرفه حق معرفته لم يهبه حق مهابته ولم يعظمه حق تعظيمه وحرمته"².

4- الاقتباس

الاقتباس هو أن يضمن المتكلم كلامه شيئا من القرآن الكريم، أو الحديث الشريف من غير دلالة على أنه منهما، ويجوز أن يكون هناك بعض التغيير فيما اقتبس من الحديث، مثل ما نجد في لغة البطوي، المتأثرة بلغة القرآن الكريم، عندما يقول معبرا عن حالة المجتمع الدينية المنفلتة والتي دفعته إلى التفكير في كتابة مؤلفه:"أما بعد: فإني لما رأيت شعائر الإسلام كثرت، وهمتنا عن المعالي قد قصرت، والنفوس بدخان الهوى وظلام الجهل قد غمرت، والدنيا لسراب زخارفها ورواسي شبكاتها قد نشرت، والشياطين إليها تدلي بحبل غرورها وإليها الخلائق قد حشرت"³ نلاحظ نهجه القرآني في صياغة هذا المقطع، جاء على غرار الآيات الأولى لسورة التكويد التي يقول فيها سبحانه وتعالى:" إذا الشمس كورت وإذا النجوم انكدرت وإذا الجبال سيرت وإذا العشار عطلت وإذا الوحوش حشرت" مع اقتباسه للكلمة الأخيرة. حشرت، مباشرة من القرآن الكريم . ثم نجده يقول في وصفه

1 - نفس المرجع ، ص 113

2 - نفس المرجع ، ص 125

3 - نفس المرجع، ص 113/112

ليوم القيامة "إذ هو يوم طويل وسفر بعيد وخطب جسيم، تنقطع فيه العلائق والوسائل ولا يتكلم فيه، إلا من أذن له الرحمان وقال صواباً من كل سائل، ولا ينفع فيه مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم، قال المفسرون معناه الخالص من الشرك والمعاصي، وعُلّق الدنيا المتروكة، وإن كانت مباحة كالمال والبنين، يوم لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها عدل"¹، هنا يقتبس من القرآن عبارة . إلا من أذن له الرحمان وقال صواباً . من سورة النبأ حيث يقول تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾²، ثم يأخذ من سورة الشعراء: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾³، ويقتبس من سورة البقرة: ﴿يَوْمَ لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يَقْبَلَ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾⁴.

ثم يقتبس من سورة الغاشية مظاهر الجنة: "وأصفر من كل لون ثم يجلس فينظر فإذا زرابي مبنوثة وأكواب موضوعة"⁵، ثم يقول: "وعكاز المرید لا إله إلا الله أي عصاه التي يتوكأ عليها ويهش بها على عوالمه الباطنة وله فيها مآرب أخرى من الفتوحات"⁶ من سورة طه عندما يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾⁷.

1 - نفس المرجع - ص 177

2 - سورة النبأ - آية 38

3 - سورة الشعراء - آية 88

4 - سورة البقرة - آية 48

5 - مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفضل والصلاح - محمد بن عيسى البطوني، ص

6 نفس المرجع ، ص 288

7 - سورة طه آية 18

الإقتباس شمل الحديث الشريف أيضاً، حيث نجده يقول: "وهي كالروح لسائر الأعمال والقواعد فلا نفع لها إلا بعد تحققها وكالقلب للجسد إذا صلح صلح الجسد كله وإذا فسد فسد الجسد كله"¹ من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: "ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسد فسد الجسد كله ألا وهي القلب"².

5- النزعة التعليمية

إن المتلقي الذي يتوجه له البطوني بخطابه، في كتاب مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفضل والصلاح نوعان: متلقٍ عادٍ، يخاطبه لكي يصح عقيدته التي شابتها الشوائب، في زمن اختلط فيه الحابل بالنابل، حيث يستعمل معه وسائل الشرح والتفسير، والإقناع، لكي يوضح له طريق الإسلام الصحيح، ومنهجه المتمثل في القرآن الكريم، وسنة النبي صلى الله عليه وسلم، والمتلقي الثاني وهو المريد السالك، الذي يخضع للتربية الصوفية، يقول مخاطباً إياه: "واعلم وفقك الله وإيانا أن هذا الباب أعني باب التوحيد هو الغاية القصوى، ومنتهى المأمول للمريد..³ فيمده بالآداب والأخلاق التي يجب أن يتمثلها ويشرح له حيثيات العلاقة الروحية التي تجمع المريد بشيخه، ومقامات السالك إلى الله، وبالتالي فكلاهما يخاطبه البطوني بخطاب تعليمي يتميز بخصائص هي :

¹ - مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق الفضل والصلاح - ص 290

² - رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب من استبرأ لدينه ، ومسلم في كتاب المساقاة باب أخذ الحلال وترك الشبهات.

³ - مطلب الفوز والفلاح في آداب أهل الفضل والصلاح - ص 145

أ- يستعمل فعل أمر "اعلم" في الجزء الذي حققنا أكثر من 400 مرة، مخاطبا المتلقي في صيغة تثقيفية مباشرة، وهذا يجعل الخطاب البطوني يحقق وظيفته التعليمية بامتياز، ويرتفع عن الخطاب العادي، حيث يعتمد وسائل التنبيه والإعلام واستخلاص الفوائد، ففعل اعلم، هو فعل أمر يحث على فعل معين بطريقة مباشرة، فيها من الجدية الكثير ومن التربية والتعليم كذلك، وهنا نشير إلى أن البطوني ألف الكتاب في مركز تيزي عدنيت، الذي كان يضم العديد من الطلاب والمريدين، حيث كان يؤطّرهم في العلم والقراءة والتربية الصوفية، فجاء أسلوبه تربوي تعليمي وتنبيهي، يعتمد الشرح والتفصيل، مع الاستشهاد من القرآن والسنة وأمّهات الكتب للإقناع.

ب - الحرص على لازمة "وبالله تعالى التوفيق"، التي يختم بها كل فقرة انتهى منها، مستحضرا جلالة الله وطلب التوفيق منه، مع استحضار الدعاء وسط الحديث "وفكك الله وإيانا لطاعته" مما يجعل أسلوبه يتسم بالطابع الفقهي، المغرق في الدعاء والتوسل إلى الله، وطلب التوفيق في أمور الدنيا والدين، مع النفس الصوفي الذي يقترن بالانسيابية في اللجوء إلى الله، وطلب العون، وسؤال الإفتقار إلى علمه ورحمته.

ج - تلخيص الأمور التي يطرحها البطوني، مبتدئا بالكتاب والسنة ورأي الفقهاء والعلماء، مع إضافة رأيه الخاص في المسائل المعروضة، وتبيانها بكلمات معينة مثل قوله "قلت: ودليل معرفة هذه القواعد على المكلف الكتاب والسنة وإجماع

السلف الصالح¹ نجده يستعرض الكثير من الأقوال في قواعد الإيمان، ثم يضيف شرحاً مستفيضاً، عن كيف تتحقق عند المؤمن قواعد الإيمان، ونجده في بعض الأحيان يورد بعد قلتُ، فكرة لم تكن في الأقوال التي ساقها، كاستشهادات يأتي بها لدعم رأيه الخاص، في حين نجده في مواضع أخرى، يفتي في بعض المسائل كما جاء في باب المرض، حيث أضاف: "قلت: ومن أكد الأدب في حقه بل هو فرض عليه أداء فرض الصلاة كيفما تيسر قائماً فإن لم يقدر فمستنداً لغير حائض أو جنب..."².

أما عندما يقصد تلخيص الفكرة، فهو يورد كلمة . فائدة . أو. المفيد . وتأتي مرة كخلاصة لما سبق كقوله: فائدة: ويستقرأ مما تقدم، ثلاثة أمور، الأول أن الله يوجد دون ما أمر، أي يأمر بالشيء وهو لم يردّه، الثاني أنه ينهى عن شيء ويريده ويقضيه، الثالث يحرم الشيء ويعين عليه. وفي بعض الأحيان إضافة جديدة لم تكن. ثم هناك كلمة تنبيه، تنبيهان، تنبيهات، ويوردها عندما يكون شاكا في فهم واستيعاب القارئ، فيحاول تنبيهه إلى الحقيقة بشرح أكثر، وتبيين أعمق، وفي بعض الأحيان يكون التنبيه، تساؤلاً يطرحه على القارئ للاستشارة، مثل ما نجد في هذا التنبيه، يقول: "تنبيه: وهل الكتاب المقروء كتاب الحفظة؟ أو كتاب يكتبه في قبره بيده في كفه وإن كان لا يحسن الكتابة كما ورد في الحديث قولان"³

1 - نفس المرجع - ص 144

2 - نفس المرجع - ص 240

3- نفس المرجع - ص 199

6- التضاد

لقد عرف القدماء التضاد، بأنه كل شيء ضاد شيئاً ليغلبه، فالسواد ضد البياض والموت ضد الحياة، تقول: هذا ضده وضديده، والأسود ضد الأبيض، إذا جاء هذا ذهب ذاك، والمتضادان هما اللذان لا يجتمعان، كالليل والنهار، ولقد استثمر الخطاب القرآني التضاد عموماً، في الجانب الوصفي، وذلك لإظهار قدرته تعالى وعظمته وعقابه، فجاء بها لتكون الأكثر تأثيراً والأشد وقعاً في النفوس عن طريق تقابل دلالات كل واحدة من الألفاظ الضدية، ولا يكون ذلك إلا عن طريق الكشف عن العلاقات الدلالية، وبيان هذه الثنائيات تحديداً، وعلى هذا النهج جاءت كتابات الفقهاء وخطبهم معتمدة التضاد في جميع وظائفه الدلالية والجمالية والإيقاعية مثل ما نجد عند البطوئي في مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفضل والصلاح.

أ- مستوى اللفظ:

يقول البطوئي: "أحاط علمه بالخفي والجلي ونفذت إرادته في السعيد والشقي"¹ يحقق هنا التضاد وظيفة موسيقية عن طريق الفجوة الموجودة بين الألفاظ المتضادة التي تعزف موسيقى داخلية مرتبطة بدلالاتها، بالإضافة إلى الوظيفة الدلالية التي تشير إلى عظمة الله وإحاطته بكل شيء سواء كان ظاهراً أو مختفياً، يقول تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾²، فالبطوئي

¹ - نفس المرجع - ص 111

² - سورة غافر - الآية 19

يسوق اللفظ وضده ليظهره أكثر فالشيء الجلي لا يمكن أن تعرفه إلا إذا اختفى وكذلك السعادة لا تحس إلا بلحظة شقاء والعكس صحيح، ونلاحظ أنه استعمل هذه الثنائيات التضادية المفردة بكثرة حتى طغت على النص بكثرة مثل: السماء / الأرض، الكذب / الصدق، القبيح / الجميل، الأول / الآخر، الضر / النفع، ثم على مستوى الأفعال أمر / نهى، حفظها / ضيعها، اللعة البيضاء / اللعة السوداء، الظاهر / الباطن إلى غير ذلك من الثنائيات التضادية التي يأتي بها البطوني في بعض الأحيان لتقوية الخطاب ولإظهار بعض نقط التي تظهر مع التضاد فالضوء لا يظهر قويا منيرا إلا قلب الظلام، وبالتالي نجده يكتفها حيناً ويوردها منفردة حيناً آخر مثل قوله: "إذا عرفت وحدانية المولى جل وعلا عرفت قطعاً ألا أثر لكل ما سواه في نفع أو ضرر أو طاعة أو معصية أو كفر أو إيمان أو حركة أو سكون"، حيث تكون الألفاظ المتضادة سلسلة طويلة تترجم قوة اللغة وعمق الخطاب وسلاسة الأفكار. نلاحظ في النهاية، أن التضاد في أسلوب البطوني يتجاوز الفطنة وشد الانتباه، إلى خلق التوتر الدلالي في النص، عبر التضاد في الأشياء، الذي قد لا يأتي فقط من خلال الكلمة الفطنة وشد الانتباه، بل عبر خلق الإمكانات البارة في توظيف مفردات اللغة العادية واليومية .

ب - مستوى الجملة:

تشغل الثنائيات التضادية على مستوى الجملة، حيزاً كبيراً في الكتاب، حيث نجده يناقش كثيراً مفهوم العلم الظاهر / العلم الباطن ، لأنهما جوهر إشكاليته التي يحاول أن يوصلها للقارئ، فالعلم الظاهر هو الشريعة والكتاب والسنة، أما العلم الباطن

فهو علم السر الذي يهتم بالموارد والأذواق، وهو يحاول أن يرسم الحدود بينهما لكي لا يقع المريد السالك في أمور تفسد عليه عقيدته، والمقولة التي يوردها والتي تقول: اللهم اجعلني فقيها صوفيا، ولا تجعلني صوفيا فقيها، هي من الثنائيات التي يحضر فيها التضاد على مستوى الدلالة، فالفقيه الذي تصوف تحقق وفاز، في حين أن المتصوف الذي تفقه فقد تزندق بخروجه عن الكتاب والسنة وبالتالي ابتعد عن الدين. ويحضر التضاد أيضا في قوله: "أختص قوما ويسرهم لطاعته وأبعد آخرين وكل سلك مسلك إرادته"¹، وكذلك في تقسيم العلوم إلى قسمين متضادين يقول: "علم رافع وهو علم الشرائع، وعلم واضع وهو علم النجم"² و "العلوم ثلاثة: علم الملك وعلم الملكوت وعلم الجبروت، فعلم الملك ما ظهر لنا بأبصارنا وعلم الملكوت ما غاب عن أبصارنا وعلم الجبروت: ما غاب عن البصر والبصائر"³ هنا نلاحظ قوة في التضاد على مستوى المعنى.

7- التكرار

يعد التكرار من الظواهر الأدبية التي تستخدم كثيرا في النصوص الأدبية، وقد انتشرت هذه الظاهرة بكثرة في كتابة القدماء وشعرهم، جعلت البلاغيين والنقاد يعنون بدراستها، فأطلقوا عليها التكرار، ونظروا لورودها في اللغة القرآنية بكثرة، فقد تناولوها بكثرة، وبينوا معالمها ووقفوا على جمالياتها، قال البغدادي (ت 1039هـ)

¹ - مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفضل والصلاح - ص 111.

² - نفس المرجع - ص 128

³ - نفس المرجع - ص 128

عن ظاهرة التكرار في كتابه . خزانة الأدب ولب لسان العرب : " التكرار هو أن يكرر المتكلم اللفظة الواحدة باللفظ أو المعنى" ¹.

أما السيوطي فيقول عنه " ومن سنن العرب التكرير والإعادة، إرادة الإبلاغ بحسب العناية بالأمر" ²

لقد ربط أسلوب التكرار بمحاسن البلاغة والفصاحة في إظهار العناية بالأمر، كونه مرتبط بالأسلوب، وهذا ما ورد في كتابه (الإتقان في علوم القرآن) وذلك بقوله : " هو أبلغ من التوكيد وهو من محاسن الفصاحة" ³

أما عند المحدثين، فهو من الظواهر البارزة في الشعر والنثر، وله دلالات فنية وجمالية ونفسية تستحق الدراسة، والتكرار يكون على مستوى اللفظ والمعنى، وهو يعطي النص قوة وتكثيفا، فالتكرار يسلط الضوء على ما يريد أن يرمي إليه المؤلف ويؤكد، ونجد التكرار عند البطوني يأتي على مستويات معينة:

أ- تكرار لفظي

يقول البطوني: " وكل سلك مسلك إرادته فهو السميع البصير" ⁴ حيث اختار مسلك من فعل سلك، ليبقى على موسيقى اللغة، ليمارس هذا الأخير سلطة الجذب على

¹ - خزانة الأدب ولب لسان العرب - عبد القادر البغدادي - تحقيق عبد السلام هارون الهيئة المصرية العامة للكتاب - الطبعة 1997 - ج 1 ص 361

² - المزهر في علوم اللغة وأنواعها - ث جلال الدين السيوطي - تحقيق أحمد جاد المولى وعلي محمد اليحاوي دار الجبل اث، بيروت ج 1، ص 332.

³ - الإتقان في علوم القرآن - جلال الدين السيوطي - تحقيق أبو الفضل ابراهيم - المكتبة العصرية - لبنان - طبعة 1988 - ج 3 ص 199

⁴ - مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفضل والصلاح - ص 111

المتلقي، ويحقق قدسية الخطاب. كذلك في قوله: "الذي يقبل توبة التائب وإن أكثر في مخالفته وبذل تبديلاً"¹، "وتبتل بتبتيلاً"² "رفعه الله رفع العين فوق سدره المنتهى"³ و"فطوبى لمن حفظها وحافظ عليها حتى أداها إلى أهلها"، "أهوى المهاوي وأساء المساوي"⁴، "بل شين نفسي قد زاد على شينهم"⁵ و"ما يلزمك يلزمك" "من لم يعرفه حق معرفته لم يهبه حق مهابته ولم يعظمه حق تعظيمه" إلى غير ذلك من التكرار اللفظي، والذي يسعى إلى تحقيق رنة موسيقية معينة تعمل على استقطاب الأذن، واستعطاف المشاعر، مثل ما نجد في قوله: "لكنه احتجب عن العقول، كما احتجب عن الأبصار، واحتجب عن من في السماء كما احتجب عن من في الأرض، فقد رجع معنى الوصف في الوصف وعمي القلب عن الفهم، والفهم عن الدرك، والدرك عن الاستنباط، ودار الملك في الملك"⁶، نلاحظ تكرار فعل احتجب أربع مرات، وكلمة وصف مرتان، وكلمة الفهم مرتان، والدرك كذلك والملك، وذلك للتأكيد، مع استعراض المهارة اللغوية والإبداع في الصياغة، الأمر الذي كان يحرص عليه الفقهاء المغاربة في كتاباتهم وخطبهم. وقوله أيضاً: "اعلم أنه كما يجب على المتعلم التعلم فكذلك يجب على العالم التعليم"⁷، هنا نجده فضل البقاء في نفس تفرعات كلمة علم وكررها بصيغات متعددة، اعلم / التعلم /

1 - مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفضل والصلاح - ص 112

2 - نفس المرجع - ص 112

3 - نفس المرجع - ص 112

4 - نفس المرجع - ص 112

5 - نفس المرجع - ص 112

6 - نفس المرجع - ص 152

7 - نفس المرجع - ص 127

المتعلم /التعليم / العالم لإعطاء القوة لخطابه وتثبيتته أيضا في ذهن المتلقي وهذه طريقة مألوفة عند الفقهاء. وقوله أيضا في نصيحة للمتعلم: " أولها أن تنصت فتسمع ثم أن تسأل فتفهم ما تسمع، ثم أن تحفظ ما تفهم، ثم أن تعمل بما تعلم، ثم أن تعلم ما تعلم"¹، هنا كرر بعض الكلمات ليربط فيما بينها بسلسلة تجعل الفهم أقرب وجرسها الموسيقي أعمق في الأذن وهذه طريقته في الكتابة .

ب- تكرار معنوي

" إنما هو العلم الذي يؤدي صاحبه إلى الخوف والخشية"²، هنا تكرار معنوي فالخوف هو الخشية، وقد استعمله المؤلف للتأكيد، كما جاء في قوله " العلم النافع ما زهدك في دنياك، ورجبك في أخراك، وزاد في خوفك وتقواك، وبعثك على طاعة مولاك، وصفاك من كدر هواك"³، حيث نجد المعنى يتكرر بألفاظ مغايرة دائما لتأكيد الفكرة والشرح الدقيق. ثم يقول: "ومذهب أهل الحق جواز ذلك مطلقا للرسول والملائكة والمؤمنين، وأجملها وأفضلها لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم لأنها أعم وأتم " نجده يكرر على مستوى المعنى، الكلمة بألفاظ مختلفة، أجملها / أفضلها، أعم / أتم، وذلك لتثبيت الخطاب عند المتلقي كما في قوله: " أحمدته حمد خاضع لجلاله، متواضع لعظمته"⁴ فالحمد والخضوع هو التواضع في حد ذاته.

1 - نفس المرجع - ص 131

2 - نفس المرجع - ص 129

3 - نفس المرجع - ص 129

4 - نفس المرجع - ص 112

بعد استعراض بعض الظواهر الفنية، والقضايا الموضوعية التي ميزت الجزء الذي حققناه من كتاب . مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفضل والصلاح . نخلص إلى النقط التالية :

- تميز الكتاب بوضوح الأفكار و تسلسلها الغير المتكلف، ولغته المباشرة حيناً والرمزية حيناً آخر، مع كثرة الإستشهادات والإحالات على كتب سبق الإعلان عنها في بداية الكتاب.
- اعتماده على نقل نصوص مختلفة من أكثر من كتاب، و تصرفه في صياغتها.
- اقتباسه لألفاظ القرآن وعباراته وصياغتها في جمل خاصة للإستفادة من حمولتها المعنوية، وكذا رنتها الصوتية .

خاتمة

لا يسعني في خاتمة البحث، إلا أن أسجل أن "مطلب الفوز والفلاح في آداب أهل الفضل والصلاح" إضافة علمية وعملية للمكتبة المغربية أولا، وللتاريخ المغربي ثانيا، فقد استطاع البطوني أن يدرج فيه فكره الإصلاحية الخاص بمنطقة الريف في زمن اختلط فيه الدين بالشعوذة والدجل، فكان لزاما على العلماء العارفين تصحيح المشهد العام، والقيام بدورهم التوعوي والتعليمي والتربوي. ومن ثم فالبطوني استهدف من مؤلفه إصلاح أحوال الريف الاجتماعية والدينية، عن طريق إصلاح المريدين والطلبة، والعمل على استقامتهم، وإصلاح شيوخهم أيضا، لما لهم من تأثير في وسطهم، فركز على أهمية العلم ووجوبه، وفضل العلم النافع وقيمة العلماء، وتحدث عن علوم الشريعة ووجوب معرفة قواعد الإسلام والعمل بها، ليدلف بعد ذلك إلى علوم السر وآداب المريد مع خالقه، وتطهير السلوك ظاهرا وباطنا، لينسج الكتاب في النهاية على ثلاث أبعاد لا رابع لهما، البعد العقائدي والبعد النفسي والروحي ثم البعد الأخلاقي والاجتماعي .

سعى البطوني إلى ما سعى إليه الغزالي في التربية، فوصل الشريعة بالحقيقة، والفقه بالتصوف، والعمل بالعلم، وحاول نقل التصوف من طقوس الشطح والشعوذة والدجل، إلى علم أخلاقي وعملي، تسمو فيه النفس وتترفع عن أدران الدنيا، علم يعمل على تطهير القلوب المريضة، بتحديد ما يجب للمريد معرفته، وما يجب اجتنابه، خصوصا وأن البلاد كانت تعيش خلا كبيرا، بعد انهيار مؤسسة الدولة واندلاع الهرج والمرج، والتسلط والنهب، كما اختفت حقائق الشرع، وانتشرت البدع

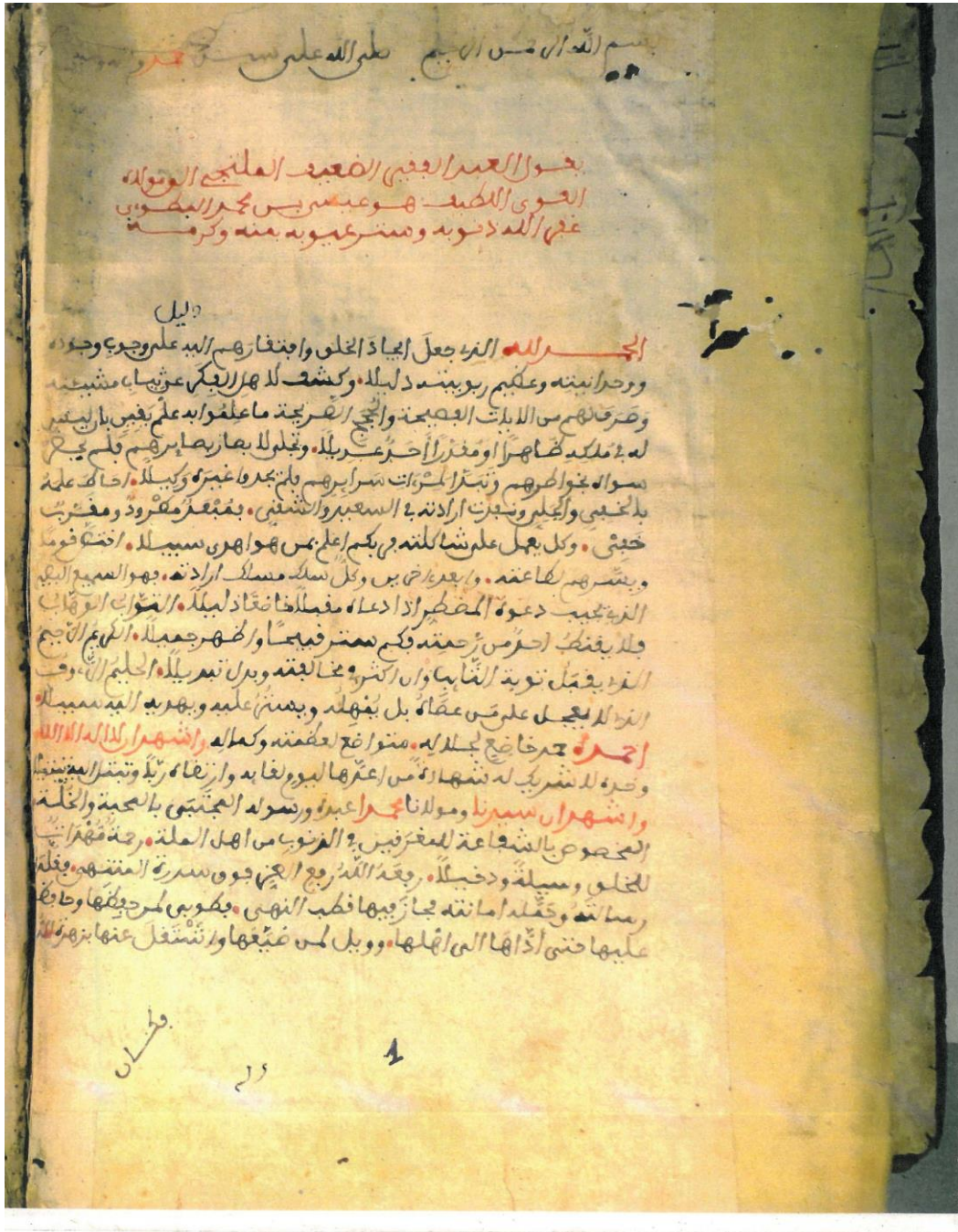
على مستوى الدين، الذي أصبح قالبا فارغا من روحه، ومعزولا عن مقاصده، الشيء الذي دفع بالبطوني إلى محاولة تفنيد الكثير من ادعاءات متصوفة زمانه، مثل تبنيهم للخوارق وتعاطيهم لعلم التصريف من العزائم والحروف والطلاسم وتسخير الجان .

ختم البطوني مطلبه، بذكر مناقب شيوخه و سيرتهم العلمية، والجهادية والسلوكية لجعلها منارات للإهتداء ومنطلقا للإصلاح والتجديد والتغيير، وبداية لتنشئة جيل جديد، وكذلك تخصيص مساحة لصلحاء منطقته القريبين العهد منه، لبعث روح القدوة عند الناس في اتباع طريق أصحاب الفضل والصلاح .

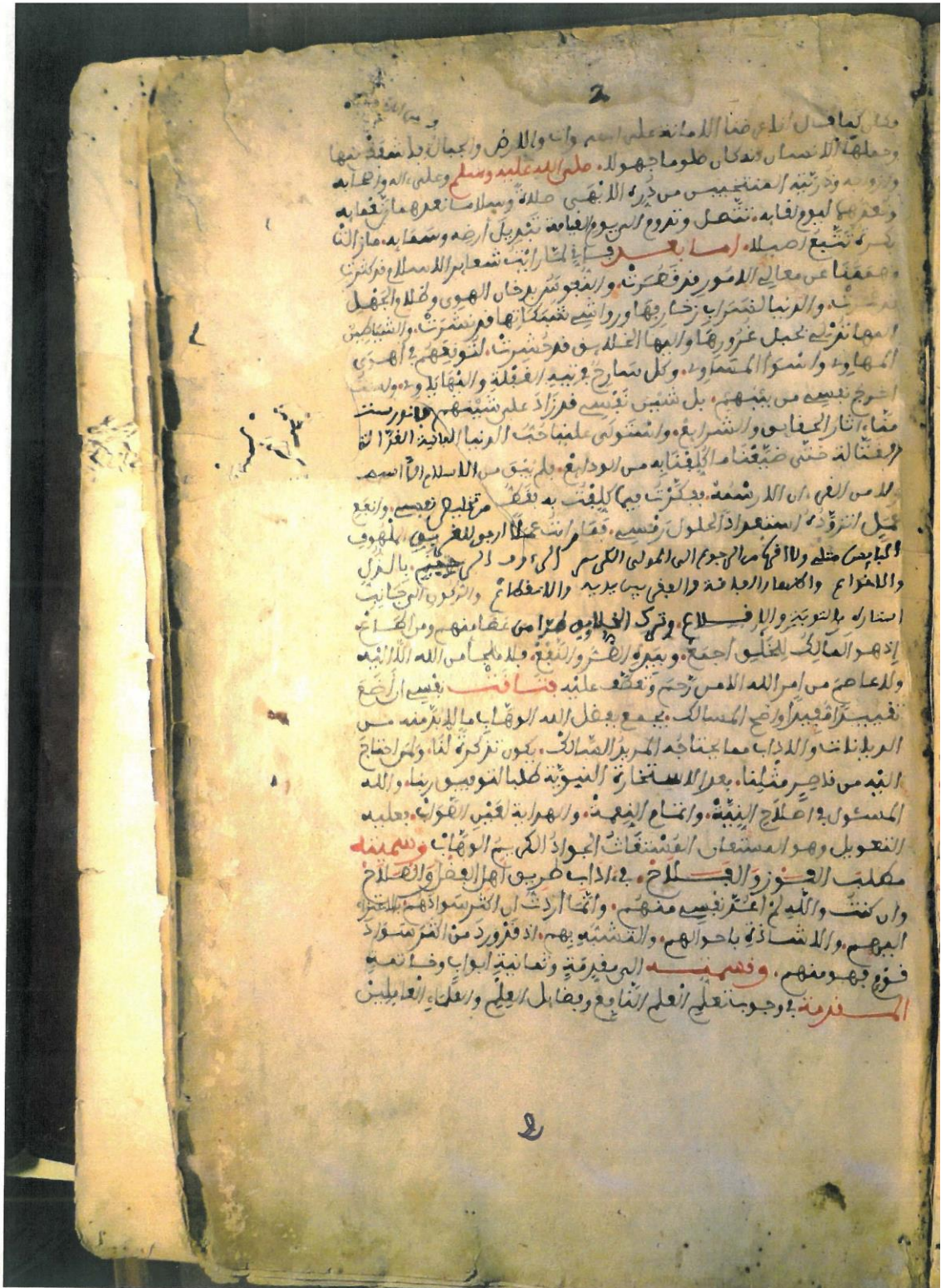
صور النسخة الممنوعة في الحقيقة

مخطوط الخزانة الوطنية (النسخة الأم)

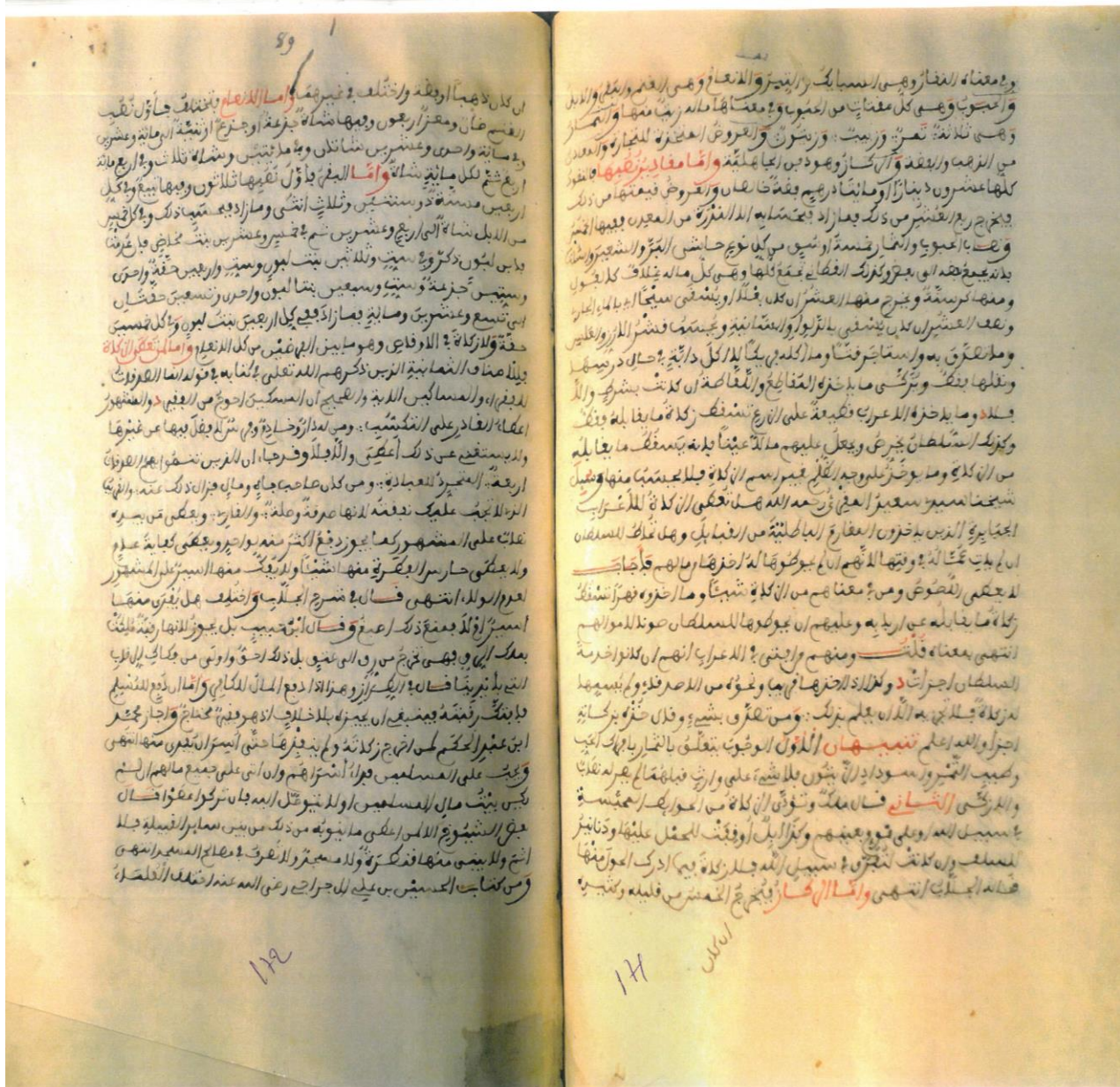
اللوحة الأولى



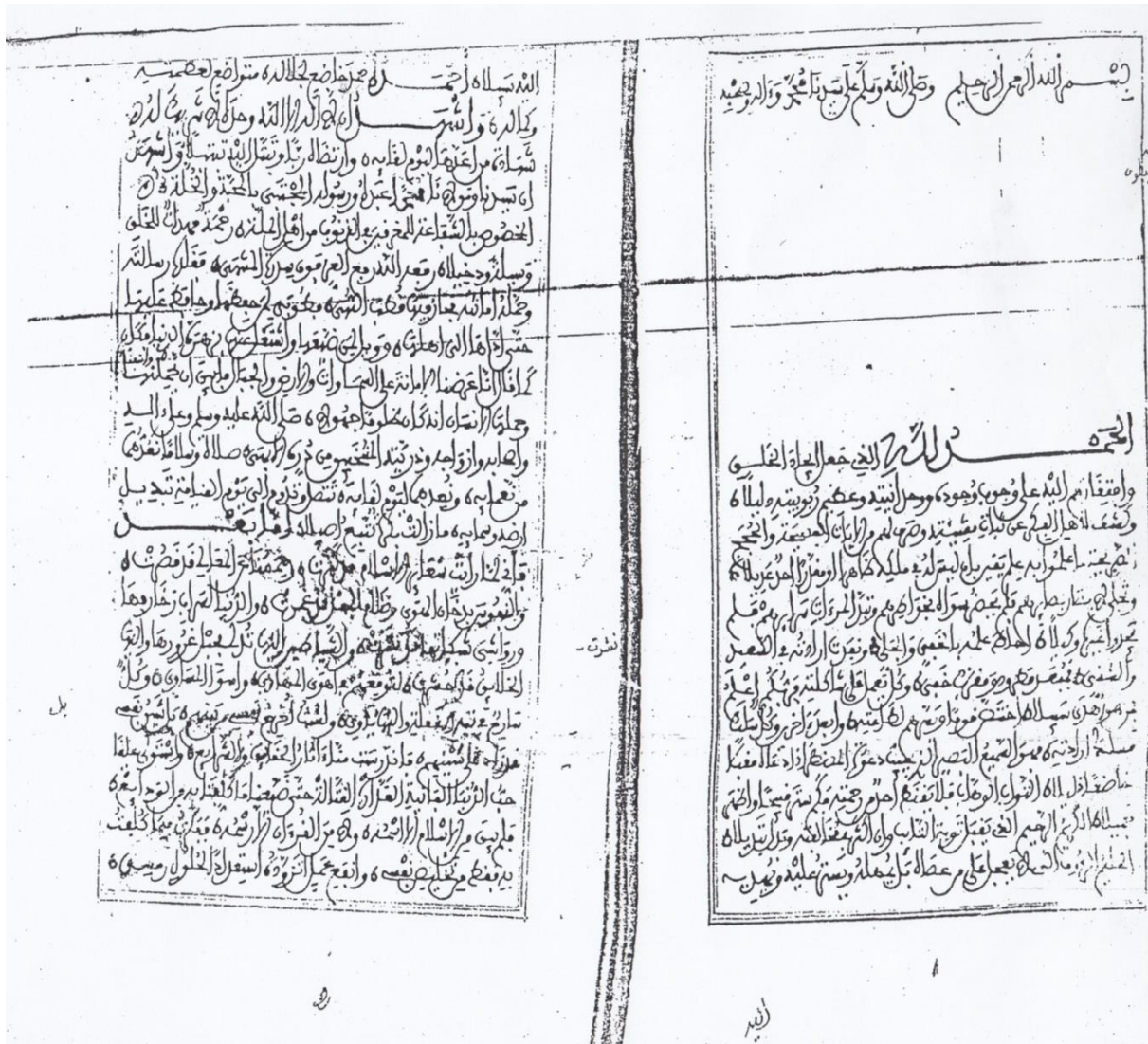
اللوحة الثانية



لوحات وسط نسخة الخزنة الوطنية

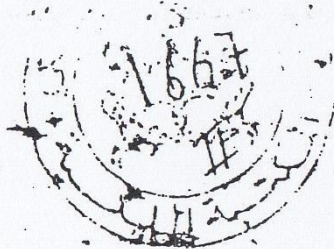


اللوحة الأولى من نسخة الخزانة الحسنية (نسخة ب)



اللوحة الأخيرة من نسخة الخزانة الحسنية (نسخة ب)

وَسَلَّمَ بِعَرَضٍ مَعَا فَعَالَ الدُّشْتَارَ مَا تَقْلِبُهُ مَا قَلَدَ كَانَتْ أَبَوَانِ وَأَوَانِ
وَأَعْلَامُ بِنَا لِهْ أَمْعَالُ الْجَبَّاحِ لَوْلَا كِتَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِهْ لَضَرْبِ
الْبَزْمِ عَيْنَا فَعَالَ مَا تَقْدِرُ سَكْرَتَهُ لِهْ فَالْقَلَمُ قَالَ لِهْ بِرُؤُوسِهِ اللَّيْلُ
ضَلَّ النَّهْدَ عَلَيْهِ وَصَحَّ عَلَيْهِ عِلْمُهُ عِلْمًا أَفْرَدَ لَهْ إِخَاءَهُ مَعَهُ مِثْلُ كِهْ
وَلَا ضَلَّهَا هُوَ وَلَمْ يَضِلَّ فَالْبَاهُ لَهْ لَا تَعْلَمُ دُنَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِهْ الْجَبَّاحِ
فَبَارِ فِيهَا لِهْ بِنْدَ لَيْتَ عَمْدًا أَنْ سَابَقَ لَهْ يَتَعْلَمُ نَدَا لِهْ فَعَالَ لِهْ لَيْتَ
الْمَلَا لَهْ أَنْ تَعْلَمُ أَبَوَانِ فَعَالَ لِهْ لِهْ بِلِهْ جَاهُ بِلِهْ حَضَرَ قَدَ الْوَالِدِ عِلْمًا
فَعَالَ لِهْ لِهْ إِلَى أَنْفُسَا عَافٍ وَجِبَتْ كِهْ مَتَدَ وَلَيْتَ مَعْلَمًا أَنْ تَعْلَمُ
الْبَزْمِ عِلْمًا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَعَلَ تَعْلَمُ قَدَ
لِهْ عِلْمًا لِهْ سَعَى وَجِبَتْ لِهْ تَقُولُ لِهْ دَاكِبِ لِهْ أَكْبَرُ لِهْ لِهْ لِهْ
كِهْ فَعَالَ لِهْ عِلْمًا وَآمِلِي لِهْ لِهْ تَعْلَمُ لِهْ لِهْ وَلِهْ عِلْمًا لِهْ
لِهْ لِهْ تَعْلَمُ لِهْ دَاكِبِ لِهْ لِهْ لِهْ لِهْ لِهْ لِهْ لِهْ لِهْ
بِسْمِ اللَّهِ ابْتَدِئْتُ وَعَلِمَ اللَّهُ تَوَكَّلْتُ اللَّهُ الْعَدَدُ لِهْ لِهْ
بِهْ لِهْ لِهْ لِهْ لِهْ لِهْ لِهْ لِهْ لِهْ لِهْ لِهْ لِهْ لِهْ
غَيْرُ لِهْ عِلْمًا جَاهُ



القسم الثاني :

التحقيق

لائحة الكلمات المختصرة في المتن المحقق

ث : أبو زيد عبد الرحمان بن محمد بن مخلوف الثعالبي

ع : ابن عباد النفري الرندي

س : شهاب الدين أبو حفص السهروردي البغدادي

ح : ابراهيم بن علي بن محمد ابن فرحون

م : محمد السنوسي التلمساني

غ : أبو حامد الغزالي الطوسي النيسابوري

د : محمد بن مريم المديوني

لائحة الرموز المستعملة في المتن المحقق

﴿ 》 : استعمل للقرآن الكريم

[] : استعمل للحديث النبوي الشريف

" " : استعمل للأقوال

() : استعمل للكلمات المختصرة في المتن المحقق

{ } : استعمل للمقابلة بين النسختين

//نوحه 1مخ و//بسم الله الرحمن الرحيم {و}١صلى الله {وسلم}٢على سيدنا محمد وآله وصحبه.

{يقول العبد الفقير الضعيف الملتجئ إلى مولاه القوي اللطيف هو عيسى بن محمد البطوني غفر الله ذنوبه وستر عيوبه بمنه وكرمه}٣.

الحمد لله، الذي جعل إيجاد الخلق وافتقارهم إليه {دليلا}٤على وجوب وجوده ووحدانيته، وعظيم ربوبيته دليلا، وكشف أهل الفكر عن ثبات مشيئته، وصرف لهم من الآيات الفصيحة، والحجج الصريحة، ما علموا به علم يقين، بأن ليس له في ملكه ظاهرا أو مقدرا أحد عديلا، وتجلي لأبصار بصائرهم، فلم يحضر سواه بخواطرهم، وتبدى لمرآت سرائرهم فلم يجدوا غيره وكيفا، أحاط علمه بالخفي والجلي، ونفذت إرادته في السعيد والشقي. فمُبعد مطرود ومقرب خفي. ﴿كُلَّ يَوْمًا عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾٥ ﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا﴾٦. اختص قوما ويسرهم لطاعته، وأبعد آخرين وكل سلك مسلك إرادته، فهو ﴿السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾٧، الذي يجيب دعوة المضطر إذا دعاه، مُقبلا خاضعا ذليلا، التواب الوهاب فلا يقنط أحد من رحمته، فكم ستر قبيحا وأظهر جميلا، الكريم الرحيم الذي يقبل توبة التائب

١ - زيادة في ب

٢ - زيادة في ب

٣ - ساقطة من ب

٤ - دليل في أ و ب .

٥ - الإسراء آية 84

٦ - الإسراء آية 84

٧ - الشورى آية 11

وإن أكثر في مخالفته وبذل تبديلا، الحليم الرؤوف الذي لا يعجل على مَنْ عصاه، بل يمهله ويستتر عليه ويهديه إليه سبيلا، أحمده حمد خاضع لجلاله، متواضع لعظمته وكماله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مَنْ أَعَدَّهَا لِيَوْمَ لِقَائِهِ، وارْتَضَاهُ رَبًّا وتبتل إليه تبتيلا، وأشهد أن سيدنا ومولانا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورسولُهُ الْمُجْتَبَى بِالْمَحَبَّةِ والخلة المخصوص بالشفاعة للمغرقين في الذنوب من أهل الملة رحمة مُهْدَاة للخلق وسيلة ودخيلا. رَفَعَهُ اللهُ رَفْعَ العز فوق سدرة المنتهى، فقلده رسالته، وحمله أمانته، فحاز فيها قطب النهى فطوبى لمن حَفَظَهَا، وحافظ عليها حتى أداها إلى أهلها. ووَيْلَ لِمَنْ ضَيَعَهَا واشتغل عنها بزهرة الدنيا //

لوحه 2 // فكان كما قال: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾¹، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذُرِّيَّتِهِ المنتخبين من درهِ الأَبْهَى، صلاة وسلاما نَعْدُهُمَا من نعمائه، ونَعْدُهُمَا لِيَوْمَ لِقَائِهِ، تتصل وتدوم إلى يوم القيامة تبديل أرضه وسَمَائِهِ، مازالت بكرة تتبع أصيلا.

أَمَّا بعد :

فإني لما رأيتُ شعائرَ الإسلام كثرت، وهمتنا عن المعالي قد قَصُرَتْ، والنفوس بِدُخَانِ الهوى وظلام الجَهْلِ قد غَمِرَتْ، والدنيا لسراب زخارفها ورواسي شبكاتِها قد نَشِرَتْ، والشياطين إليها تُدلي بحبل غرورها وإليها الخلائق قد حَشِرَتْ، ليتوقعهم في أهوى المهْوَى، وأسوأ المساوئ، وكل سارح في تيه الغفلة وإليها يأوي، ولست أُخْرِجُ

¹ - الأحزاب آية 72

نَفْسِي مِنْ بَيْنِهِمْ بَلْ شَيْنَ نَفْسِي قَدْ زَادَ عَلَى شَيْنِهِمْ، فاندُرست منا آثار الحقائق والشرائع، واستولى علينا حب الدنيا الفانية، والغدرة القتالة، حتى ضيعنا ما كُلفنا به من الودائع، فلم يبق من الإسلام إلا اسمه، ولا من القرآن إلا رسمه، ففكرت فيما كُلفت به فقط من تخليص نفسي، وأنفع عمل أتزوده استعدادا لحلول رمسي، فما رأيت عملا أرجى للغريق الملهوف البائس مثلي، ولا أقرب من الرجوع إلى المولى الكريم، الرؤوف الرحيم، بالذل والإضرع، وإظهار الفاقة والفقر بين يديه والانقطاع، والركون إلى جانب أستاذه بالتوبة والإقلاع، وترك الخلائق طرا من عصا منهم ومن أطاع، إذ هو المالك للخلق أجمع، وبيده الضر والنفع، (فلا ملجأ من الله إلا إليه)¹، ﴿وَلَا عَصَمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾² وتعطف عليه. فتأقت نفسي أن أضع تقييدا مفيدا واضح المسالك، يجمع بفضل الله الوهاب، فلا بد منه من الديانات والآداب فما يحتاجه المرید السالك يكون تذكرة لنا، ولِمَن احتاج إليه من قاصر مثُلنا. بعد الاستخارة النبوية طلبا لتوفيق ربنا، والله المسؤول في إصلاح النية وإتمام النعمة والهداية لعين الصواب، فعليه التعويل وهو المستعان، المستغاث الجواد الكريم الوهاب، وسميته "مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفضل والصلاح". وإن كنت والله لا أعد نفسي منهم، وإنما أردت

1 - التوبة آية 118

2 - هود آية 43

أن أكثر سوادهم بالاعتزاء إليهم، والإشادة بأحوالهم، والتشبه بهم، إذ قد ورد: {مَنْ أَكْثَرَ سَوَادَ قَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ}¹. وقسمته إلى مقدمة وثمانية أبواب وخاتمة.

المقدمة:

في وجوب تعلم العلم النافع، وفضائل العلم والعلماء العاملين. // لوحة 3 //

الباب الأول: في وجوب معرفة قواعد الإيمان وفيه فصول:

الفصل الأول: في وجوب الإيمان بالله تعالى ومعرفة الدليل على وجوده، وما يجب في حقه تعالى عقلاً، وما يستحيل وما يجوز، وكذا في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام.

الثاني: في الإيمان بملائكته وكتبه المنزلة ورسله عليهم الصلاة والسلام.

الثالث: في الإيمان باليوم الآخر وتفاصيله.

الرابع: في الإيمان بأحوال الموت.

الخامس: في الإيمان بالقدر.

الباب الثاني في وجوب معرفة قواعد الإسلام والعمل بها وفيه فصول:

الأول: في معنى لا إله إلا الله وحكمها وفضائلها.

¹ -- جزء من رواية أبي يعلى عن أبي همام، أن رجلاً دعا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه إلى وليمة فلما جاء سمع لهوا فلم يدخل، فقال ما لك؟ قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كثّر سواد قوم فهو منهم ومن رضي عمل قوم كان شريكاً لمن عمله. رقم الحديث 1717 - المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية لابن حجر. كتاب الوليمة، ج 8 ص 319 / 320

الثاني: في الصلاة فرضا ونفلا وآدابها.

الثالث: في الصوم وآدابه والاعتكاف.

الرابع: في الزكاة وآدابها.

الخامس: في الحج والعمرة وآدابهما.

الباب الثالث: في آداب المريد مع خالقه سبحانه وفيه فصول.

الفصل الأول: في وجوب محبته تعالى والحب والبغض فيه، وحسن الظن به ومراقبته والحياء منه، والصبر له والرضا بقضائه، والتوكل عليه والتفويض له وترك التدبير معه سبحانه، وهو معنى الإحسان.

الثاني: في وجوب التوبة لله تعالى وكثرة الاستغفار له.

الثالث: في وجوب الخوف من الله تعالى والرجاء في فضله ودوام الحزن والبكاء على التقصير.

الرابع: في التفكير وذكر الموت.

الخامس: في الترغيب في كثرة ذكر الله تعالى.

السادس: في فضائل قراءة القرآن وقارئه.

السابع¹: في آداب الذكر.

¹ — السادس، مكررة في نسخة أ

الثامن: في الدعاء وآدابه.

التاسع: في التنبيه على بعض الإنكار الصحيحة خاصة وعامة وبعض الأدعية النافعة وبعض الوظائف المتلقاة عن أشياخ القدوة.

العاشر: في حكم ذكر السر والجهر والجمع والوحدة.

الحادي عشر: في حكم السماع.

الثاني عشر: في الاستقامة وملازمة العبودية.

الثالث عشر: في وجوب النية والصدق والإخلاص في جميع أعمال العبد المطلوبة منه.

الباب الرابع: فيما يجب للنبي محمد صلى الله عليه وسلم على أمته وفيه فصول:

الفصل الأول: في وجوب محبته صلى الله عليه وسلم ومحبة أصحابه وذريته وفي معناه سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

الثاني: في ذكر بعض أوصافه وأحواله صلى الله عليه وسلم.

الثالث: في وجوب اتباع سنته صلى الله عليه وسلم قولاً وفعلاً واعتقاداً.

الرابع: في حكم الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وفضائلها وآدابها.

الخامس//لوحة 4//: في حكم رؤيته صلى الله عليه وسلم وآداب زيارته.

الباب الخامس: في وجوب حفظ جميع الجوارح الظاهرة و الباطنة من المخالفة، وفيه فصول:

الفصل الأول: في معرفة النفس والهوى والشيطان وملازمتهما بالتقوى والمحاسبة.

الثاني: في حفظ الجوارح الظاهرة السبعة التي هي: العين واللسان والبطن والفرج واليد والرجل.

الثالث: في حفظ القلب من علله وخبائثه التي هي: حُب الدنيا والرياء والعجب والفخر والكبر والغضب والحسد والحقد والعداوة وحب الثناء والجاه والشرف والتسويق وطول الأمل والجزع والسخط والاستعجال والأمن من مكر الله والإيأس من رحمة الله، واستعمال أضرارها المحمودة التي هي: الزهد والإخلاص إلى آخرها كما يأتي بيانه إن شاء الله.

الرابع: فيما يحتاجه المرید من الأدب في بعض تصرفاته في نفسه كأكله وشربه ولباسه وطهارته وفطرته ونومه ويقظته.

الخامس: في حكم السلام والاستئذان، والتتاجي والتداوي، وما يحذر من الطيرة وغيرها.

السادس: فيما يحتاجه من الأدب في السعي في معاشه، وخدمة حلاله وسفره وتجارته وتزويجه إن كان متسببا.

السابع: في الصدق والقرض وآدابهما.

الثامن: في المفاضلة بين الفقر والغنى والكفاف.

التاسع: في الحمد والشكر لله تعالى على ما أسدى من النعم.

الباب السادس في الترغيب في محبة أهل الله تعالى وفيه فصول:

الفصل الأول: في الترغيب في محبتهم.

الثاني: في حكم كراماتهم.

الثالث: في بيان طريقتهم.

الرابع: في زيارتهم وخدمتهم والتشبه بهم والتبرك بآثارهم واعتقاد تفضيلهم.

الخامس: في آداب الصحبة والمعاشرة مع الخلق.

السادس: في آدابه مع الأقارب ذوي الأرحام، وأكد ذلك الشيخ والوالدان والأولاد و {الحر} ¹ والمملوك.

السابع: في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإصلاح بين الناس وقبول النصيحة، والوفاء بالعهود وأداء الأمانة، وطاعة أولي الأمر وحكم القضاء.

الثامن: في فضل هذه الأمة المشرفة، وفيما ينبغي أن يتخلق به معهم من الفتوة وحسن الخلق، واحتمال الأذى وترك الرياسة عليهم والعداوة وأسبابها.

الباب ² التاسع: في الهجرة إلى الله تعالى والعزلة عن الخلق.

الباب السابع: في المشيخة // لوحة 5//، وفيه فصول.

¹ - الحار في نسخة أ.

² - ساقطة من ب

الفصل الأول: في حكم الشيخ وشروطه وآدابه.

الثاني: في ذكر المريد وآدابه.

الثالث: في معنى الحقيقة والشرعية والتصوف والفقه.

الرابع: في حكم العهد والرفق في العبادة.

الخامس: في أمور تتأكد في حق المريد السالك¹.

السادس: في أمور يحسبها.

السابع: في ذكر شيخنا وبركتنا سيدي محمد بن مريم المديوني² نسبا التلمساني دارا الشريف نسبا رضي الله عنه وعنايه.

الثامن: في ذكر أخينا في الله المشارك الأنيس أبي العباس أحمد بن ونيس³.

التاسع: في تسمية بعض من لقيناه من أهل الفضل والصلاح، ممن شهد لهم ظاهر الشرع بالفوز والفلاح، متعنا الله بمحبتهم وحشرنا وجميع الأحبة في زمريهم.

¹ - هو السائر إلى الله المتوسط بين المريد والمنتهى مادام في السير . معجم اصطلاحات الصوفية ، عبد الرزاق الكاثاني (ت 730هـ) تحقيق وتقديم عبد العالي شاهين ، دار المنار ، الطبعة الأولى 1992 م ، ص 119.

² - محمد بن محمد الملقب بابن مريم أبو عبد الله الملبتي نسبا المديوني أصلا ولد ونشأ بتلمسان ، اشتهر بالصلاح والعلم خصوصا علم التصوف ، أخذ عن الشيخ محمد بن يوسف السنوسي ، من تلامذته الفقيه محمد بن عيسى البطيوي، من مؤلفاته - البستان في ذكر أولياء وعلماء تلمسان - وغنية المريد لشرح مسائل أبي الوليد - توفي 1020 هـ. - مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفضل والصلاح - لعيسى البطيوي ، الفصل السابع والثامن من الباب السابع - معجم أعلام الجزائر لعادل النويهيض ص 292 الطبعة الثانية. السنة 1980.

1- أبو العباس أحمد بن المرباط العربي النسب الصحراوي الأصل التلمساني الدار المعروف بابن ونيس لازم شيخه أبي زيان بن أحمد المعروف بالجراني ، وقد التقى به البطوني عندما كان مشارطا بجبل ترارة بمدشر حجارة بغرب الجزائر وجمعتهما محبة كبيرة جعلت البطوني يذكره استثناء مع صلحاء الريف هو شسخته ابن مريم تعبيرا لهما على محبته ووفائه - مطلب الفوز والفلاح في آداب أهل الفضل والصلاح - اللوحة 138 نسخة أ .

الباب الثامن: في حكم الجهاد والرباط وفضائلها، وتمني الموت. وبتمامه إن شاء الله تتم الأبواب ثمان، عدد أبواب الجنان، جامعة بفضل الله الوهاب لمهمات خصال الإيمان المتفرعة عن أعمال الأبدان، وهي اعتقادات بالقلب وعمل بالجوارح ونطق باللسان، وأختمها إن شاء الله بوصايا وأذكار صحيحة مجربة يستعان بها على صعب هذا الزمان، معتمدا في ذلك كله على أئمة السلف، فإن المتابعة والاقتراس هما حظ الخلف، انتخبته من كتب عديدة محتوية على أحاديث صحيحة وحكم سديدة - كالجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي¹ - وجعلت له علامة الثاء المثلث.

وابن عباد شارح الحكم² وجعلت له علامة العين المهمل. والسهورودي في علم التصوف³. وجعلت له علامة السين. وابن فرحون⁴ وجعلت له علامة الحاء، وحجة الإسلام سيدي محمد السنوسي⁵ وجعلت له علامة الميم وشيخ الإسلام

¹ - الجواهر الحسان في تفسير القرآن الكريم - عبد الرحمان بن محمد الثعالبي - تحقيق علي معوض وعادل عبد الموجود - دار إحياء التراث العربي - الطبعة الأولى سنة 1997

² - غيث المواهب العلية في شرح الحكم العطائية - ابن عباد النفري الرندي (ت 792هـ) ، وهو كتاب صنف في علم التوحيد يوضح طريق العارفين والموحدين ويبين مناهج السالكين والمتجربين ويشرح الحكم العطائية ومعانيها الباطنية، تحقيق عبد الجليل عبد السلام.

³ - شهاب الدين السهروردي (ت 632 هـ) من مؤلفاته في علم التصوف كتاب عوارف المعارف وقد اشتمل على علوم الصوفية وأحوالهم ومقاماتهم وأدبهم وأخلاقهم.

⁴ - هو إبراهيم بن علي بن محمد ابن فرحون برهان الدين اليعمري، ولد ونشأ ومات بالمدينة، وهو مغربي الأصل (ت 799 هـ) من شيوخ المالكية، تولى القضاء بالمدينة، أصيب بالفالج في شقه الأيسر ومات بعلته، من مؤلفاته الديباج المذهب في تراجم أعيان المذهب المالكي، و تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الحكام، ودرة الغواص في محاضرة الخواص. الأعلام لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، الطبعة 2002، ص 52.

⁵ - هو محمد بن يوسف السنوسي (ت 895هـ)، عالم وزاهد تلمسان، من مؤلفاته الشرح الكبير على الحوفية، العقيدة الكبرى مع شرحها، العقيدة الصغرى - ترجم له سعيد فودة في كتابه - تهذيب شرح السنوسية أم البراهين - دار الرازي عمان - الأردن الطبعة الثانية 2004.

الغزالي¹، وجعلت له علامة الغين المعجم، وشيخنا المديوني²، وجعلت له علامة الدال وأضفت إلى ذلك ما اتفق لي من غيرهم رضي الله عنهم أجمعين، فما كان من خلل فمني وهؤلاء السادات منزهون عن ذلك وقد أذنت في إصلاحه لمن له قدم راسخ في هذه المسالك بعد قبول العذر وتأمل كل نقل من أصله، والله أسأل أن يتجاوز لي عما تكلفته ولست من أهله وأنا أرغب الله تعالى لي ولجميع الأحبة بجاه أوليائه السادة وأحبائه الذين جعلهم للمؤمنين رحمة ووسيلة وقادة، أن يدخلنا معهم في روضة الذين أحسنوا الحسنى و زيادة ، وأتوسل// نوحه6// إلى الله تعالى بجاه أفضل أحبائه: سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم في قبوله وتكميله وأن ينفع به كل من سعى في تحصيله وأن يجعله من الأعمال التي لا تنقطع بالموت ولا تغيب صاحبها حسرة الفوت، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وسلم كثيرا إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين.

المقدمة في وجوب تعلم العلم النافع وفوائد العلم والعلماء العاملين:

قال صاحب الحلة³: "اعلم وفقني الله وإياك لمرضاته وعم جميعنا بعميم فضله وجزيل خيراته أن درجة العلم عظيمة ومواهب خيراته جسيمة نال أهله شرف الدنيا

1 - هو الإمام زين الدين أبو حامد الغزالي الطوسي الفقيه الشافعي حجة الإسلام (ت 505 هـ) قدم من نيسابور ولزم إمام الحرمين أبو المعالي وتخرج عنه ولاه النظام تدريس مدرسته ببغداد، من مؤلفاته إحياء علوم الدين، وكتاب الأربعين والقسطاس.

2 - تقدمت ترجمته.

3 - مرجع لم أعثر عليه بعد بحث طويل .

والآخرة و احتازوا به معالي ودرجات فاخرة وفي الحقيقة لا يحتاج فضل العلم إلى دليل".

وَلَيْسَ يَصِحُّ فِي الْأَفْهَامِ شَيْءٌ مَتَى اخْتَجَ النَّهَارُ إِلَى دَلِيلٍ¹. انتهى

(غ) فِي الْمِنْهَاجِ² "يا طالب الخَلاص والعبادة عليك أولاً وَفَقَكَ اللهُ بِالْعِلْمِ فَإِنَّهُ الْقُطْبُ وَعَلِيهِ الْمَدَارُ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْعِلْمَ وَالْعِبَادَةَ جَوْهَرَانِ لِأَجْلِهِمَا كَانَ كُلُّ مَا تَرَى وَتَسْمَعُ مِنْ تَصْنِيفِ الْمُصَنِّفِينَ وَتَعَلُّمِ الْمُعَلِّمِينَ وَوَعظِ الْوَاعِظِينَ وَنَظَرِ النَّاضِرِينَ {³ بَلْ لِأَجْلِهِمَا أُنْزِلَتِ الْكُتُبُ وَأُرْسِلَتِ الرُّسُلُ بَلْ لِأَجْلِهِمَا خَلَقَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَا فِيهِمَا مِنَ الْخَلْقِ، لَوْ تَأَمَّلَ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَحَدَهُمَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحْكَمَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾⁴ وَكَفَى بِهَذِهِ الْآيَةِ دَلِيلًا عَلَى شَرَفِ الْعِلْمِ لِأَسِيْمَا عِلْمِ التَّوْحِيدِ. الثَّانِيَةِ قَوْلُهُ جَلَّ ثَنَاهُ: ﴿مَّا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾⁵ فَكَفَى بِهَذِهِ الْآيَةِ دَلِيلًا عَلَى شَرَفِ الْعِبَادَةِ وَلِزُومِ الْإِقْبَالِ عَلَيْهَا، فَأَعْظَمُ بِأَمْرَيْنِ هُمَا الْمَقْصُودُ مِنَ حَقِّ الدَّارَيْنِ، فَحَقُّ لِلْعَبْدِ أَلَّا يَشْتَغِلَ إِلَّا بِهِمَا وَلَا يَنْظُرَ إِلَّا فِيهِمَا وَلَا يَتَعَبَ إِلَّا لِهَمَّا. وَاعْلَمْ أَنَّ مَا سِوَاهُمَا مِنَ الْأُمُورِ

¹ - من الوافر، انظر - أبو الطيب المتنبي وماله وما عليه - لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري (ت 429 هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - مكتبة الحسين التجارية.

ص 123

² - منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين لأبي حامد الغزالي (ت 473 هـ) تحقيق محمد مصطفى حلاوي مؤسسة الرسالة بيروت - الطبعة الأولى 1979 م.

³ - وانظر الناضرين - في نسخة أ.

⁴ - الطلاق الآية 12.

⁵ - الذاريات الآية 51.

باطل لا خير فيه ولغوا حاصل له، فإذا علّمت ذلك فاعلم أن العلم أشرف الجوهرين وأفضلهما ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: [إن فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أمتي]¹. وقال عليه السلام: [نظرة إلى العالم أحب إلي من عبادة سنة بصيامها وقيامها]²، وقال صلى الله عليه وسلم: [ألا أدلكم على أشرف أهل الجنة قالوا بلى يا رسول الله قال لهم] // لوحة 7 // علماء أمتي³ فبان لك أن العلم أشرف جوهر من العبادة ولكن لا بد للعبد من العبادة مع العلم، وإلا كان علمه هباء منثورا، فإن العلم بمنزلة الشجرة، والعبادة بمنزلة الثمرة من ثمارها، فالشرف للشجرة إذ هي الأصل، لكن للارتفاع بثمرتها إذن لا بد للعبد أن يكون له من كلا الأمرين حظ ونصيب، ثم قال: "ولما استقر أنه لا بد للعبد منهما جميعا فالعلم أولى بالتقديم لأنه الأصل والدليل، قال صلى الله عليه وسلم: [العلم إمام العمل والعمل تابعه]⁴ وإنما صار العلم أصلا متبوعا لزمك تقديمه على العبادة لأمرين أحدهما لتحصل لك العبادة وتسلم فإنك أولا يجب عليك أن تعرف المعبود ثم تعبده، وإلا فكيف تعبّد من لا تعرفه، بأسمائه وصفاته ذاته وما يجب له وما يستحيل في نعته، فربما تعتقد في صفاته شيئا والعياذ بالله مما

¹ - أخرجه الترمذي في سننه كتاب العلم باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في صحيح سنن الترمذي وأخرجه الدرامي في سننه في المقدمة باب من قال العلم خشية وتقوى الله، والطبراني في المعجم الكبير 233/8

² - أخرجه بن ماجه في سننه باب فضل العلماء والحث على طلب العلم حيث رقم 222 بلفظ (فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد). وأخرجه الدرامي في سننه باب فضل العلم والعالم حيث 340 - سنن الدرامي المجلد الأول تحقيق أحمد فواز زمزلي قديمه كتب خاتمة.

³ -

⁴ رواه أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني في حلية الأولياء حديث معاذ بن جبل 239/1.

يُخَالِفُ الحق فتكون عِبَادَتِكَ هباءً منثوراً، {ثم يَجِبُ عَلَيْكَ} ¹ أَنْ تَعْلَمَ مَا يُلْزِمُكَ فعله من الواجبات الشرعية على ما أَمَرْتُ بِهِ لِتَفْعَلَهُ، وَمَا يُلْزِمُكَ ² تَرْكُهُ مِنَ الْمَنَاهِي لِتَتْرَكَ ذَلِكَ فَكَيْفَ تقوم بطاعات لا تعرف ما هي وكيف هي وكيف تجتنب معاصي لا تعلم أنها معاص حتى لا توقع نفسك فيها، فربما كنت مُقيماً على شيءٍ سَنِينَ مما يفسد عليك طهارتك وصلاتك وصيامك وأنت لا تشعُرُ، وتخرجها عن كونها واقعة على وفاق السُّنة، ثم مدارُ هذا الشأن أيضاً على العبادات الباطنة التي هي مساعي القلب، يَجِبُ أَنْ تعلمها من التَّوَكُّلِ والتَّقْوِيضِ و الرضا والصبر والتوبة والإخلاص وغير ذلك كما يَجِبُ أَنْ تتعلم أضرارها كالسخط والرياء والأمل والكبر لتجتنب ذلك فإن هذه فرائض نص الله على الأمر بها والنهي عن أضرارها في كتابه العزيز وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ³، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: [إن نوما على علم خير من صلاة من جهل فإن العامل بغير علم يفسد أكثر مما يصلح] ⁴ الثاني الذي يوجب تقديم العلم أن العلم النافع يثمر خشية الله تعالى ومهابته قال الله عز وجل ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ ⁵ وذلك أن

1 - زيادة من ب .

2 - ما يجب عليك - في نسخة ب.

3 - منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين - أبو حامد الغزالي ص 61

4 - أخرجه الدرامي في سننه، مقدمة 29 باب من قال: العلم: الخشية وتقوى الله، حديث رقم 305 - سنن الدارمي المجلد الأول - ص 103 تحقيق أحمد فواز زمرلي، خالد السبع العلمي قديمي كتب خانه مقابل آرام باغ - كراحي.

5 - فاطر الآية 28

مَنْ لَمْ يَعْرِفْهُ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ لَمْ يَهَبْهُ حَقَّ مَهَابَتِهِ وَلَمْ يَعِظْهُ حَقَّ تَعْظِيمِهِ وَحَرَمَتَهُ¹
فصار العلم يُثْمِرُ الطاعة كلها وَيَحْجِزُ عن المعصية كلها بتوفيقٍ من الله تعالى.

واعلم أن العلوم التي طلبها فرض على الجملة ثلاثة:

علم التوحيد وعلم السر، أعني ما يتعلق بالقلب ومَسَاعِيهِ وعلم الشريعة. {هـ}²
غرضنا منه، قال صاحب الحلة: "واختلف فيمن عمل العمل بغير علم ووافق//نوحه
8// لسان العلم على ثلاثة أقوال، فقليل له أجر عمله لموافقته الصواب وقيل لا
أجر له ولا إثم عليه وقيل جميع عمله باطل وصلاته غير مجزية وحديثه باق عليه
وكذا صيامه وجميع عبادته " . {هـ}³

قلت: وهذا هو المشهور المعول عليه. و حكي بعضهم الاتفاق بل الإجماع عليه
إذ لو عُذِرَ أحد بالجهل لم تكن للعلم فائدة والله تعالى يقول: ﴿فَاسْأَلُوا
أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾⁴ ثم نقول: الكلام في العلم في فصول: الأول
في حكمه، الثاني في أقسامه، الثالث في أي العلوم أفضل، الرابع في فائده
الخامس فيما يحصل به، السادس في وجوب إخلاص النية فيه لله تعالى. السابع
في فضله ومعناه.

أما حكمه، قال القاضي ابن رشد في المقدمات: " فطلب العلم والتفقه في الدين
من فروض الكفاية كالجهاد أوجبّه الله تعالى على الجملة فقال: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ

1 - مكررة في نسخة أ.

2 - ساقطة من أ

3 - ساقطة من أ

4 - النحل الآية 43

فِرْقَةٍ مِنْهُمْ صَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ¹ وَمَنْ لِّلتَّبَعِيسِ، فَإِذَا قَامَ بِهِ بَعْضُ النَّاسِ سَقَطَ الْفَرَضُ عَنْ سَائِرِهِمْ إِلَّا مَا لَا يَسَعُ الْإِنْسَانُ جَهْلَهُ² مِنْ مَعْرِفَةِ مَا يَجِبُ فِي حَقِّهِ تَعَالَى وَفِي حَقِّ رَسَلِهِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَمَا يَجِبُ عَلَيْهِ مِنْ أَحْكَامِ الصَّلَاةِ وَالْوُضُوءِ وَالْغَسْلِ وَالتَّيَمُّمِ أَوْ الصَّوْمِ أَوْ الزَّكَاةِ إِذَا وَجِبَتْ عَلَيْهِ وَالْحَجُّ، فَإِنْ هَذَا فَرَضٌ عَيْنٌ لَا يَسْقُطُهُ عَنْهُ مَعْرِفَةُ غَيْرِهِ بِهِ. {هـ}³ (غ) لَا يَسَافِرُ الْإِنْسَانُ إِلَى طَلَبِ الْعِلْمِ بِغَيْرِ رِضَا وَالِدِيهِ. فَإِنْ طَلَبَ الْعِلْمَ نَافِلَةً وَرِضَا وَالِدِيهِ وَاجِبٌ إِلَّا مَا يُلْزَمُ الرَّجُلُ فِي خَاصَّةِ نَفْسِهِ مِنْ طَهَارَةٍ وَصِيَامٍ وَصَلَاةٍ وَحَجٍّ وَلَمْ يَجِدْ فِي بَلَدِهِ مَنْ يَعْلَمُهُ ذَلِكَ فَعَلَيْهِ أَنْ يَطْلُبَ ذَلِكَ بِغَيْرِ رِضَاهُمَا⁴ انتهى.

ثم قال القاضي: "وأما غير هذه الأمور كأحكام البيع والشراء والإجارة والنكاح فلا يجب عليه تعلم أحكامه إلا عند إرادة القدوم عليه لقوله عليه الصلاة والسلام [لا يحل لامرئ مسلم أن يقدم على أمر من الأمور حتى يعلم حكم الله فيه]⁵ " .

قال: وكذلك من فيه أهلية للإمامة. فالاجتهاد في طلب العلم عليه واجب قاله مالك رحمه الله: "واعلم أنه كما يجب على المتعلم التعلم فكذلك يجب على العالم

1 - التوبة الآية 122

2 - أبو الوليد أحمد ابن رشد القرطبي - المقدمات الممهدة لبيان ما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام الشرعية والتحصيلات المحكمات لأمهاة مسائلها المشكلات - تحقيق محمد حجي - الطبعة الأولى - 1977 م - دار الغرب الإسلامي - بيروت - الجزء الأول - ص 43

3 - ساقطة من أ

4 - أبو حامد الغزالي - إحياء علوم الدين - تقديم وتحقيق صدقي جميل العطار - دار الفكر - 1995 - الجزء الثاني - ص 189 - بتصرف

5 - لم أعثر عليه.

التعليم¹ قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الْكَاذِبِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾².

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْكَافِرِينَ يَكْتُمُونَ مَا أُنْزِلَ مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾³ الآية، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من النار]⁴ انتهى. //لوحه 9// (ث)⁵ قال ابن العربي: "وللاية تحقيق هو أن العالم إذا قصد الكتمان عصى وإذا⁶ لم يقصده لم يلزمه التبليغ إذا عَرَفَ أن معه غيره، وقد كان أبو بكر وعمر لا يحدثان بكل ما سمعا⁷ من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا عند الحاجة"⁸.

فأما من سئل فقد وجب عليه تبليغ هذه الآية، وأما إن لم يسأل فلا يلزم التبليغ إلا في القرآن وحده وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في فضيلة التبليغ أنه قال: [نضر الله امرءا سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها]⁹. ومعنى نضر نعم.

¹ — مقولة قالها أيضا الإمام الأخضرى المالكي في مقدمته، وحكاها غيره مثل الإمام أبي حامد الغزالي والشافعي.

² — البقرة آية 159

³ — البقرة آية 159

⁴ — أخرجه ابن ماجه في سننه مقدمة باب من سئل عن علم فكتمه، حديث 264 — السنن لابن ماجه تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، 177/1.

⁵ — في ب : ثم قال ابن عربي ولعله الصواب.

⁶ — وإن، في نسخة ب.

⁷ — سمعه، في نسخة ب.

⁸ — أحكام القرآن، أبو بكر بن العربي المالكي، تحقيق محمد عبد القادر عطا - دار الكتب العلمية - 2003 - القسم الأول ص 72 وص 73 - بتصرف كبير.

⁹ — أخرجه ابن ماجه في سننه، مقدمة 18 باب من بلغ علما، حديث 236 (السنن لابن ماجه تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، 159/1، وأخرجه أبو داود في سننه كتاب العلم باب فضل نشر العلم - حديث 3660 — سنن أبو داود بأحكام الألباني تحقيق أبو عتيبة مشهور بن حسن آل سلمان. ص 658 مكتبة المعارف لصاحبها سعد بن عبد الرحمان الراشد - الرياض، الطبعة الأولى.

وأما أقسامه فقد قال بعض العلماء: " العلوم على أربعة أقسام: علم رافع وهو علم الشرائع، وعلم واضع وهو علم النجم، لكن فيما زاد على قدر الحاجة مما يستدل به على القبلة وأجزاء الليل، وعلم نافع وهو علم الطب، وعلم شاهد وهو علم الأدب يعني به النحو"¹. والعلم أيضا ينقسم إلى قسمين: علم الظاهر وعلم الباطن. فعلم الظاهر معرفة الشرائع والديانات، وعلم الباطن وهو علم السر ما يرجع لإصلاح القلب ومعرفة النفس. وعلم الظاهر مقدم {به}² يصل الإنسان لعلم الباطن. الجزولي "خلافًا للمبتدعة الذين تركوا علم الظاهر واشتغلوا بالخواطر وبعلم الباطن وإنما يشتغل بعلم الباطن من حصل علم الظاهر". وقد روي: أن رجلا سأل مالكا عن علم الباطن فغضب وقال له: اشتغل بعلم الظاهر يوصلك إلى علم الباطن، ثم قال "عليكم بالطريق الواضح وإياكم وبينات الطريق"³، ولهذا تقول الصوفية المحققة: " اللهم اجعلني فقيها صوفيا ولا تجعلني صوفيا فقيها"⁴. انتهى .

وأما أي العلوم أنفع وأفضل، (ث) "قال في التنوير: "اعلم أن العلم حيثما تكرر في الكتاب العزيز أو في السنة فإنما المراد به العلم النافع الذي تقارنه خشية وتكتفه

¹ - ذكر جلال الدين السيوطي في كتابه - بدائع الزهور في وقائع الدهور - في المقدمة ، قال أبو زيد البلخي: مخارج العلوم أربعة علم رافع وعلم ساطع وعلم نافع وعلم واضع. فأما الرافع فهو العلم الشريف من الأحاديث والفقه وأما العلم الساطع فهو علم الأدبيات والأخبار الرقيقة وأما العلم النافع فهو علم الطب ومعرفة الحساب. وأما العلم الواضع فهو علم الكهنة من السحر وما أشبهه.

² - ساقطة من ب.

³ - ترتيب المدارك وتقريب المسالك ، أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليعصبی ، تحقيق ابن تاووت ، مطبعة فضالة ، المحمدية ، 41/2.

⁴ - قواعد التصوف ، أحمد زروق الفاسي ، تحقيق عبد المجيد خيالي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

المخافة قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾¹ فبيّن " أن الخشية تلازم العلم وفهم من هذا أن العلماء إنّما هم أهل الخشية"².

(ع) "اعلم أن العلم المتفق عليه فيما سلف وخلف إنّما هو العلم الذي يؤدي صاحبه إلى الخوف والخشية وملازمة التواضع والدّلة والتّخقّق بأخلاق الإيمان إلى ما يتّبع ذلك من بغض الدنيا والزّهد فيها وإيثار الآخرة عليها ولزوم الأدب بين يدي الله تعالى إلى غير ذلك من الصّفات العلية و المناحي السنيّة"³ انتهى.

وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: [أَعْلَمُكُمْ بِاللّهِ أَشَدُّكُمْ لَهُ خِشْيَةً]⁴ وقال صلى الله عليه وسلم: [رَأْسُ الْحِكْمَةِ خِشْيَةُ اللَّهِ]⁵ وقال الربيع // نوحه 10 // بن أنس⁶: " مَنْ لَمْ يَخْشَ اللَّهَ فَلَيْسَ بِعَالِمٍ"⁷ وقال ابن مسعود: " كفى بخِشْيَةِ اللَّهِ عِلْمًا وبالاغترار به جهلاً " ، قال ابن عطاء الله في الحكم: " العلم النافع الذي يَبْسُطُ في الصّدر شُعاعه وَيَكْشِفُ عن القلب قناعه، خيرُ عِلْمٍ ما كانت الخِشْيَةُ معه، العلمُ

1 - فاطر - الآية 28

2 - التنوير في إسقاط التدبير، أبو العباس أحمد بن محمد الشهير بابن عطاء الله السكندري - تقديم وتعليق

محمد أمين عبد الهادي - دار البيروتي دمشق - السنة 2002 م - ص 167

3 - غيث المواهب العلية في شرح الحكم ، ابن عباد النفزي الرندي - تحقيق عبد الله الشرقاوي - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت 2004 - ص 172

4 - لم أجده بهذا اللفظ وإنما بلفظ «أنا أتقاكم الله وأشدكم له خشية» صحيح البخاري كتاب الإيمان، باب: قول النبي- صلى الله عليه وسلم-: «أنا أعلمكم بالله».

5 - رأس الحكمة مخافة الله ، رواه البيهقي ، إسناده ضعيف .

6 - هو ابن زياد البكري الخرساني، عالم حديث ، توفي 139هـ، حديثه في السنن الأربعة.- ترجم له شمس الدين عثمان الذهبي في كتابه سير أعلام النبلاء - أشرف على التحقيق شعيب الأرنؤوط - الطبعة الرابعة - الجزء 6 - الطبعة 11 سنة 1996 - ص 129-

7 - شرح الحكم ، ابن عباد النفزي الرندي - ص 169.

إِنْ قَارَنْتَهُ الْخَشْيَةَ فَلَكَ وَإِلَّا فَعَلَيْكَ ¹ وقال صاحبُ الكَلَمِ الْفَارِقِيَّةِ وَالْحِكْمِ الْحَقِيقِيَّةِ: "الْعِلْمُ النَّافِعُ مَا زَهَّدَكَ فِي دُنْيَاكَ وَرَغَّبَكَ فِي آخِرَاكَ ² وَزَادَ فِي خَوْفِكَ وَتَقْوَاكَ وَبَعَثَكَ عَلَى طَاعَةِ مَوْلَاكَ وَصَفَاكَ مِنْ كَدَرِ هَوَاكَ ³ وقال رحمه الله: "الْعُلُومُ النَّافِعَةُ، مَا كَانَتْ لِلْهَمِّ رَافِعَةً وَلِلْأَهْوَاءِ قَامِعَةً، وَلِلشُّكُوكِ صَارِفَةً دَافِعَةً ⁴ انتهى.(د)" وَأَمَّا مُجَرَّدُ كَثَرَةِ الرِّوَايَةِ فَيَسْتَوِي فِيهِ أَهْلُ الرُّشْدِ وَالْغَوَايَةِ "، قَالَ: "وَإِنَّمَا قُلْنَا مُجَرَّدُ كَثَرَةِ الرِّوَايَةِ لِأَنَّ كَثَرَةَ الرِّوَايَةِ إِذَا انْضَافَ إِلَيْهَا نُورُ الْقَلْبِ فَهُوَ الْكَمَالُ لِأَنَّ الْعِلْمَ مُوجِبٌ لِمِيرَاثِ الْأَنْبِيَاءِ الزَّاكِينَ، هُوَ النُّورُ الَّذِي يَضَعُهُ اللَّهُ فِي قَلْبٍ مِنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَيُمَيِّزُ بِهِ بَيْنَ صِحَّةِ الْأَمْرِ وَفَسَادِهِ". انتهى

وَأَمَّا فَائِدَتُهُ قَالَ الْقَاضِي رَحِمَهُ اللَّهُ: "فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا فَائِدَةَ لِلْعِلْمِ إِلَّا الْعَمَلُ، لِأَنَّ صَاحِبَهُ إِنْ لَمْ يَعْمَلْ بِهِ كَانَ عَلَيْهِ حُجَّةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَحَسْرَةٌ وَنَدَامَةٌ"، رُويَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: [مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَ سَيَخْلُوا بِهِ رَبُّهُ كَمَا يَخْلُوا أَحَدُكُمْ بِالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ أَوْ قَالَ لَيْلَتُهُ] ⁵ ثُمَّ قَالَ: [يَا بَنَ آدَمَ مَا غَرَّكَ بِي ابْنُ آدَمَ مَا غَرَّكَ بِي ابْنُ آدَمَ مَا عَمِلْتَ مِمَّا عَلِمْتَ، ابْنُ آدَمَ مَا أَجَبْتَ الْمُرْسَلِينَ] ⁶ وَرُويَ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ أَنَّهُ قَالَ: "مَنْ أَشَرَّ النَّاسِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَالِمٌ لَمْ يُنْتَفِعْ

1 - نفس المرجع - ص 168 " العلم النافع هو الذي ينبسط في الصدر شعاعه وينكشف به عن القلب قناعه"

2 - آخرتك في نسخة ب.

3 - نفس المرجع - ص 170.

4 - الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، الثعالبي ، 4 / 389 .

5 - أخرجه الطبراني في الكبير ، الحديث رقم 8899، وذكره الحارث المحاسبي(243هـ) في - التوهم - تحقيق المستعصم بالله أبي هريرة ، ص 41.

6 - نفس المرجع ، تكملة الحديث .

بعلمه¹. وأما ما يحصل به العلم ويستعان به عليه فخمسة أشياء: العناية، والملازمة، والبحث، والنصب، والصبر على الطلب. قال سعيد بن المسيب رضي الله عنه: "إني كنت لأرحل لطلب العلم والحديث الواحد مسيرة الأيام والليالي" وبذلك ساد أهل عصره وكان يسمى سيد التابعين. وقال مالك رحمه الله: "أفقت خمس عشرة سنة أغدوا من منزلي إلى منزل ابن هرمرز وأقيم عنده إلى صلاة الظهر مع ملازمته لغيره وكثرة عنايته" وبذلك فاق أهل عصره وسمي إمام دار الهجرة. وأقام ابن القاسم² مغترباً عن بلده في رحلته إلى مالك عشرين سنة، حتى مات مالك رحمه الله. والأحاديث من هذا المعنى كثيرة وقال بعض الحكماء: العلم يفتقر إلى خمسة أشياء متى نقص//لوحة 11// منها شيء نقص من علمه بقدر ذلك وهي: دهر ثابت، وشهوة باعثة، وعمر طويل، وحدة وأستاذ. وله خمس مراتب:

أولها أن تنصت فتسمع، ثم أن تسأل فتفهم ما تسمع، ثم أن تحفظ ما تفهم، ثم أن تعمل بما تعلم، ثم أن تعلم ما تعلم.³ انتهى. وقال بغض الشعراء:

بِعَشْرِ يُنَالُ الْعِلْمُ قُوَّةٌ وَصِحَّةٌ **** وَحِفْظٌ وَفَهْمٌ ثاقِبٌ فِي التَّعَلُّمِ

وَحِرْصٌ وَدِرْسٌ وَاعْتِرَابٌ وَهَمَّةٌ **** وَشَرْحٌ شَبَابٍ وَاجْتِهَادٌ مُعَلِّمٌ⁴.

1 - أخرجه الطبراني في المعجم الصغير حديث رقم 507.

2 - هو أبو عبد الله عبد الرحمان بن القاسم بن خالد بن جنادة (ت 191هـ) صاحب الإمام مالك عشرون عاماً وأكثر تلامذته رواية عنه، صاحب المدونة الكبرى في المذهب المالكي. انظر الذهبي - سير أعلام النبلاء الجزء 9 - ص 121 .

3 - المقدمات الممهدة، ابن رشد، 50 / 1

4 - أبيات مشهورة مجهولة القائل، من البحر الطويل

قال وأعلم أنه كان العلم في الصدر الأول والثاني في صدور الرجال ثم انتقل الآن إلى جلود الضأن وصارت مفاتيحه في صدور الرجال فلا بُد لطالب العلم من معلم يفتح عليه ويُطَرِّق له¹.

فائدة: ومن أفضل ما يُستعان به على طلب العلم تقوى الله العظيم فإنه عز وجل يقول ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾² وأما إخلاص النية فيه لله تعالى فاعلم أنه يجب على طالب العلم ألا يريد بعلمه بل وبسائر أعماله إلا وجه الله تعالى للفوز برضاه تبارك وتعالى ولا يريد بذلك رياء ولا سُمعة ولا غرضاً من أغراض الدنيا فإن الله تعالى يقول ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا نَفَسٌ إِلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يَبْخَسُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ﴾³. {الآية}⁴

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى] الحديث. وقال عليه السلام: [نية المؤمن خير من عمله] وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ نَزَلَ إِلَى الْعِبَادِ لِيَقْضِيَ بَيْنَهُمْ وَكُلُّ أُمَّةٍ جاثية فأول ما يُدعى به رجل جمع القرآن، ورجل قتل في سبيل الله ورجل كثير المال والصدقة فيقول الله سبحانه للقاري: ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي فيقول بلى يا رب، فيقول ماذا عملت فيما علمت، فيقول كنت أقوم به أثناء الليل وأثناء النهار، فيقول الله سبحانه له كذبت، وتقول له

1 - المقدمات الممهدة ، ابن رشد ، 1 / 49 ، 50.

2 - البقرة - الآية 282

3 - هود الآية 16

4 - ناقصة من أ

الملائكة كذبت ثم يقول الله عز وجل له أردت أن يقال فلان قارئ قد قيل كذلك، ويؤتى بصاحب المال فيقول الله تعالى له ألم أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد فيقول بلى يا رب فيقول ما عملت، فيما أتيتك فيقول كنت أصل الرحم وأتصدق فيقول الله له كذبت وتقول الملائكة له كذبت، ويقول الله سبحانه له بل أردت بذلك أن يقال فلان جواد فقد قيل ذلك ويؤتى بالرجل الذي قُتل في سبيل الله فيقول الله له في ماذا قُلت فيقول أمرت // لوحة 12 // {بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قُلت، فيقول الله عز وجل له كذبت وتقول الملائكة له كذبت ويقول الله عز وجل بل أردت أن يقال فلان جريء فقد قيل ذلك ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ركبتيه فقال: يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلق تسعر بهم النار يوم القيامة¹ وقال عليه الصلاة والسلام: [إن العبد لينتشر له من الذكر والنساء ما بين المشرق والمغرب وما يزن عند الله جناح بعوضة]² وقال عليه الصلاة والسلام: [العلماء أمناء الرسل على عباد الله ما لم يخالطوا السلاطين فإذا خالطوهم فقد خانوا الرسل فاخذروهم واعتزلوهم وما من شيء أبغض إلى الله من عالم يزور عاملاً وفي جهنم واد يقال له واد الحزن لا يسكنه إلا العلماء الزائرون للملوك وإياكم ومواقف الفتنة قيل وما هي ؟ قال: أبواب الأمراء يدخل أحدكم على

¹ - سنن الترمذي - كتاب الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - باب ما جاء في الرياء والسمعة - الحديث رقم 2382 .

² - ذكره أبو حامد الغزالي في إحيائه .

الأمير فيُصَدِّقُهُ بِالْكَذِبِ وَيَقُولُ مَا لَيْسَ فِيهِ وَخِيَارُ الْأَمْرَاءِ الَّذِينَ يَأْتُونَ الْعُلَمَاءَ وَشَرُّ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ يَأْتُونَ الْأَمْرَاءَ¹.

فَلَيْسَ بِنَاجٍ مَنْ أَلَمَّ بِبَابِهِ * * * * * وَإِنْ هُوَ أَغْنَاهُ وَسَدَّ مَفَاقِرَهُ

وَهَا هُوَ إِلَّا النَّارُ تَحْرُقُ مَنْ دَنَا * * * * * إِلَيْهِ فَلَا تَقْرُبُهُ وَاخْشَ بَوَاقِرَهُ²

وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: [يُخْرَجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ رَجَالٌ يَخْتَلُونَ الدُّنْيَا بِالَّذِينَ يَلْبَسُونَ لِلنَّاسِ جُلُودَ الضَّائِنِ مِنَ اللَّيْلِ أَلْسِنَتُهُمْ أَخْلَى مِنَ الْعَسَلِ وَقُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الذَّنَابِ يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى [أَبْرِيغْتَرُونَ أَمْ عَلِي يَمْتَرُونَ³] فَبِي حَلْفُ لَأُبْعَثَنَّ عَلَى أَوْلَائِكَ فِتْنَةً تَدْعُ الْحَلِيمَ مِنْهُمْ حَيْرَانًا]⁴ وقال ابن وهب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [هَلَاكُ أُمَّتِي عَالَمٌ فَاجِرٌ وَعَابِدٌ جَاهِلٌ وَشَرُّ الشَّرَارِ جِبَارُ الْعُلَمَاءِ وَخَيْرُ الْخِيَارِ خِيَارُ الْعُلَمَاءِ تَلْبِيَةً]⁵. تنبيهه ، قال القاضي رحمه الله: " بعد بذل ما تقدّم هذا الوعيدُ والله أعلم، إنما هو لمن كان أصل عمله الرياء والسُّمعةَ والمنافسةَ والمباهاةَ والتَّقدُّمَ على الأقرانِ واستمالَةَ وجوهِ الناسِ وجمعُ حُطَامِ الدُّنْيَا، فَأَمَّا مَنْ كَانَ أَصْلُ عَمَلِهِ لِلَّهِ تَعَالَى وَالِدَارِ الْآخِرَةِ وَعَلَى ذَلِكَ عَقْدَ نِيَّتِهِ فَلَا تَضُرُّهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ الْخَطَرَاتِ الَّتِي تَقَعُ فِي الْقَلْبِ وَلَا تُمْلِكُ ". وقد سئل مالكٌ وربيعَةُ عن الرَّجُلِ يُحِبُّ أَنْ يُلْقَى فِي طَرِيقِ الْمَسْجِدِ وَيَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي طَرِيقِ السُّوقِ، فَأَمَّا

1 - أخرجه العقيلي في الضعفاء في ترجمة حفص الابري وقال حديثه غير محفوظ تقدم في العلم.

2 - أبيات من البحر الطويل لأبي عمران الميرتيلي الأندلسي (ت 604هـ)

3 - حديث قدسي

4 - سنن الترمذي، كتاب الزهد ، الحديث رقم 2404 .

5 - الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة - علي بن سلطان محمد أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (ت1014هـ) المحقق محمد الصباغ - ج 1 - دار الأمانة - مؤسسة الرسالة - بيروت

ربيعة فكرة ذلك، وأما مالك فقال إذا كان ذلك واصله لله فلا بأس به إن شاء الله، قال إنما هذا أمر يكون في القلب، ولا يملك فهذا إنما يكون من الشيطان ليمنعه العمل، فهو من مكائد اللعين فمن وجد ذلك من نفسه فلا يكسله عن العمل والتماذي في فعل الخير، ولا يؤيسه من الأجر وليدفع الشيطان عن نفسه ما استطاع ويجدد النية والاستغفار من ذلك لله عز وجل". وقد روي عن بعض المتقدمين أنه قال: " طلبنا العلم لغير الله فردنا إلى الله ". وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يؤيد ما ذهب إليه مالك رحمه الله وقع في جامع العتبية في سماع ابن القاسم من رواية معاذ ابن جبل أنه قال: [يا رسول الله إنه ليس من بني سلمة إلا مقاتل فمنهم من القتال طبيعته ومنهم من يقتل رياءً ومنهم من يقتل احتساباً فأبي هؤلاء الشهيد من أهل الجنة؟ فقال: يا معاذ من قاتل على شيء من هذه الخصال أصل أمره أن تكون كلمة الله هي العليا فقتل فهو شهيد من أهل الجنة] ¹ وروي أن رجلاً قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : [يا رسول الله الرجل يعمل العمل فيخفيه فيطلع عليه الناس فيسره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم له أجر السر وأجر العلانية] ² وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [طلعت ليلة المعراج على النار فوجدت أكثر أهلها الفقراء فقالوا يا رسول الله أمن

¹ - المقدمات والمهدات - [أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (ت 520هـ) تحقيق محمد حجي / دار

الغرب الإسلامي بيروت - لبنان - الطبعة الأولى 1988 - ص 49

² - نفس المرجع - ص 49

المال قال لا من العلم¹ وقد قيل: "إن العالم العامل يؤجر من وجهين على العلم والعمل والعمل من غير علم كالعدم" وبالله التوفيق.

وأما فضل العلم إذا أخلصت النية فيه فلا يخفى على أحد قال الله عز وجل: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾² وقال: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾³ وقال: ﴿وَمَنْ يُوْتِ الْهِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾⁴ جاء في التفسير أنها: الفقه في الدين وكتاب الله حكمة وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام حكمة. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ]⁵. وقال عليه الصلاة والسلام: [إذا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ خَيْرًا قَيَّضَ اللَّهُ لَهُمْ فَقِيهًا]⁶. وقال عليه الصلاة والسلام: [مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ]⁷ ورُوي: [أن الملائكة تَضَعُ أَجْنَحَتَهَا لَطَالِبِ الْعِلْمِ رَضَى بِمَا يَصْنَعُ]⁸ وقال أبو هريرة: "مَنْ غَدَا أَوْ رَاحَ إِلَى الْمَسْجِدِ لَا يُرِيدُ غَيْرَهُ لِيَتَعَلَّمَ عِلْمًا أَوْ لِيُعَلِّمَهُ كَانَ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ رَجَعَ غَانِمًا"⁹ ورُوي عن النبي صلى الله

1 - أخرجه البخاري ، رقم الحديث 3241.

2 - المجادلة - آية 58

3 - الزمر آية 39

4 - البقرة آية 269

5 - صحيح البخاري - كتاب العلم - باب من يرد به الله به خيرا يفقه في الدين - الحديث رقم 71 .

6 - رواه الديلمي ، رقم الحديث 952

7 - موطأ مالك - كتاب العلم - باب ما جاء في طلب العلم -

8 - أخرجه أحمد (21715) وأبو داود (3641) والترمذي (2682) ابن حبان (1319) في صحيحه.

9 - المقدمات والممهّدات - ابن رشد تحقيق محمد حجي - دار الغرب الإسلامي - بيروت لبنان - 1988 -

ص 51.

عليه وسلم أنه قال: [ما أعمال البر كلها في الجهاد إلا كبصقة في بحر وما أعمال البر كلها والجهاد في طلب العلم]¹ إلا كبصقة في بحر]².

وظاهر الحديث، أن طلب العلم أفضل من الصلاة. وما روي عنه صلى الله عليه وسلم: [أنه سئل عن أفضل الأعمال فقال الصلاة لأول ميقاتها فذلك في الفرائض وأما النوافل فطلب العلم أفضل منها والله أعلم]³. وقال عليه {الصلاة}⁴ والسلام: [من تعلم علما ليخفي به الإسلام لم يكن بينه وبين الأنبياء إلا درجة]⁵ وقال: [لباب من العلم يتعلمه الرجل عمل به أو لم يعمل خير له من ألف ركعة من تطوع وفي أخرى: حضور مجلس علم خير من صلاة وعبادة ألف مريض وشهود ألف جنازة قيل ومن قراءة القرآن، قال وهل ينفع القرآن إلا بالعلم]⁶ وقال: [من حفظ من أمتي أربعين حديثا في أمر دينه بعثه الله يوم القيامة في زمرة العلماء، وفي أخرى: لقي الله فقيها عالما]⁷، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرض حتى النملة في جحرها حتى الحوت يصلون

1 - زيادة من ب.

2 - حديث مرسل لابن حجر العسقلاني في الإصابة في تمييز الصحابة. 405/7.

3 - صحيح البخاري - كتاب مواقيت الصلاة - حديث رقم 513.

4 - زيادة من ب.

5 - كنز العمال في سنن الأقوال والعمال، الحديث رقم 28833، والمغني عن حمل الأسفار رقم 05.

6 - ذكره الغزالي في الإحياء ونسبه لأبي ذر الغفاري رضي الله عنه "حضور مجلس عالم أفضل من صلاة ألف ركعة وعبادة ألف مريض وشهود ألف جنازة. ج 1 / ص 16، و ذكره ابن الجوزي في الموضوعات.

7 - ذكره الغزالي في الإحياء بصيغة أخرى " من حمل من أمتي أربعين حديثا لقي الله عز وجل يوم القيامة عالما "وهو حديث ضعيف. ج 1 / ص 17

على مُعلم الناس الخَيْر¹ وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: [مَنْ نَفَسَ عَنْ أَخِيهِ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَنْ يَسِرْ عَلَى مُعْسِرٍ يَسِرِ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ وَمَا قَعَدَ قَوْمٌ فِي مَجْلِسٍ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَادَرُسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ وَحَقَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ وَمَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يَسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ²] وَخَرَّجَهُ مُسْلِمٌ . وَزَادَ بَعْدَ قَوْلِهِ: وَحَقَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ] انتهى³.

تتبيهان: الأول والآخر في الاعتناء بالعلم على قدر النية فيه والانتفاع به على قدر العمل إذ ليس الحكمة بكثرة العلم إنما الحكمة مَنْ انتفع بما يَعْلَمُ. (ث). قال ابن المبارك في رقائقه: أخبرنا حبيب بن حَجَر القيسي قال كَانَ يُقَالُ [مَا أَحْسَنَ الْإِيمَانَ يَزِينُهُ الْعِلْمُ وَمَا أَحْسَنَ الْعِلْمَ يَزِينُهُ الْعَمَلُ وَمَا أَحْسَنَ الْعَمَلَ يَزِينُهُ الرِّفْقُ وَمَا أَضْفَتْ شَيْئًا إِلَى شَيْءٍ مِثْلُ حِلْمٍ إِلَى عِلْمٍ⁴. وَالْحِلْمُ {الْعَقْلُ}⁵ وَلِبَعْضِهِمْ:

تَعْلَمُ فَلَيْسَ الْمَرْءُ يُوَلَّدُ عَالِمًا * * * * * وَلَيْسَ أَخُو عِلْمٍ كَمَنْ هُوَ جَاهِلٌ

¹ رواه الترمذي في كتاب العلم باب 19 ما جاء في فضل الفقه على العبادة وصححه الشيخ الترمذي وأبو داود في كتاب العلم باب الحث على طلب العلم وابن ماجة في المقدمة باب فضل العلماء والحث على طلب العلم.

² - صحيح مسلم ، رقم الحديث 2699.

³ - يكتفي بحرف هـ في نسخة ب

⁴ . المجالسة وجواهر العلم أحمد بن محمد الدينوري ، تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان ، دار ابن حزم ، 1998 ، الجزء 3 ، ص 161.

⁵ - الفقر في نسخة ب والأرجح العقل.

فَإِنَّ كَبِيرَ الْقَوْمِ إِنْ كَانَ جَاهِلًا **** صَغِيرٌ إِذَا التَّقَتْ عَلَيْهِ الْجَحَافِلُ // نوحه 13 //

وَإِنَّ صَغِيرَ الْقَوْمِ إِنْ كَانَ عَالِمًا **** كَبِيرٌ إِذَا رُدَّتْ إِلَيْهِ الْمَسَائِلُ¹

الثاني: يجب على العالم ألا يبذل علمه إلا لمن يستحقه، ممن يستعين به على طاعة ربه، ويتخذ زادا لآخره، وأما من يتخذ ذريعة إلى التكاثر بالمال وجمع حطام الناس والتوسل إلى معرفة السلاطين، وأبناء الدنيا والتعزز على الأقران فقط، فهذا كبائع سيف من قاطع طريق، ومن أعان على معصية ولو بشرط كلمة كان شريكا فيها ولبعضهم:

وَمَنْ مَنَحَ الْجُهَالَ عِلْمًا أَضَاعَهُ **** وَمَنْ مَنَعَ الْمُسْتَوْجِبِينَ فَقَدْ ظَلَمَ²

وبالله تعالى التوفيق.

وأما معناه وحقيقته فهو وضوح الحقائق في النفس بعد التماسها قال الله تعالى: ﴿بَرَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فِي صُورِ الذِّكْرِ أَوْتُوا الْعِلْمَ﴾³ وقيل: "إحاطة العلم بحقيقة المعلوم على ما هو به من غير زيادة ولا نقصان". الجزولي "العلوم ثلاثة: علم الملك وعلم الملكوت وعلم الجبروت، فعلم الملك ما ظهر لنا بأبصارنا وعلم الملكوت ما غاب عن أبصارنا وعلم الجبروت: ما غاب عن البصر والبصائر.

¹ - من البحر الطويل - في الأصل . كبير إذا رُدَّتْ إليه المحافل ، الأبيات الإمام الشافعي (ت 204هـ) .
الجواهر النفيس في شعر الإمام محمد بن ادریس . إعداد وتقديم محمد ابراهيم سليم . مكتبة بن سينا .

القاهرة . 1988 . ص 129

² - نفس المرجع السابق - ص 129 ، البحر الطويل .

³ — العنكبوت آية 49

وكل إنسان له مُلك وملْكوت وجَبُروت فالجسد مِنْكَ مُلك والقلب ملكوت والروح جبروت انتهى.

تنبيه: اعلم يا أخي وفَقَّك الله وإيانا لطاعته ومَتَعَ جميعنا بكنز معرفته ودوام هدايته: أن كلما ذُكرت أو أذكر إن شاء الله في هذا التقييد من الأحاديث النبوية محذوفة الأسانيد طلباً للاختصار، فهي صحيحة مزوية عن الثقات العدول الأخيار المنزهين عن الكذب بتوفيق ربنا، من كبار أو صغار الموسومين بالصدق، ومنهم أخذ ولم لا مع علمهم، بقوله صلى الله عليه وسلم: [من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار]¹.

بل ينبغي للمؤمن الصدق بالله وبرسوله أنه مهما سمع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمر أو نهى أو وعد بفضل الله للمؤمنين بخير وإن خرج عن تأييد العقل أو وعيد للكافرين بعد له بشر ممّا لا يدخل تحت أوهام البشر أن يؤمن بذلك ويتحقق وجوده كما يراه ببصره. روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: "لو كشف لي عن الجنة والنار ما ازدت إلا يقينا" لما ثبتت عنده رضي الله عنه ورزقنا ممّا رزقه من كمال الصدق واليقين. وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: [لا يزال العبد يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً ولا يزال

¹ متفق عليه أخرجه البخاري في كتاب الجنائز باب ما يكره من النياحة على الميت وخرجه مسلم في المقدمة باب تغليظ الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي باب التحذير من الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم. الحديث رقم 1229.

يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا¹ //لوحه 14// وَحُكِيَ عَنْ بَعْضِ الصَّالِحِينَ " أَنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَنَامِهِ فَعَاتَبَهُ فِي أَمْرٍ فَقَالَ لَهُ يَا سَيِّدِي يَا رَسُولَ اللَّهِ لِأَنِّي لَمْ يَثْبُتْ عِنْدِي الْحَدِيثُ الَّذِي وَرَدَ فِيهِ، فَقَالَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَوْ مَا يَكْفِيكَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " انتهى.

نقلتها بالمعنى وكذا يكون حالك في جميع ما ينقل إليك من أحوال أهل العلم وحكايات الصالحين وكراماتهم رضي الله عنهم، لتفوز بأعلى مقامات اليقين وتتبرأ من الشك والشرك والنفاق وجميع وساوس اللعين، فإن طريق الكتاب والسنة والإجماع محفوظ بحمد الله ممّا خاضه الخائضون قال تعالى: ﴿إِنَّا نَعَزُّ نَزَلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَعَافِضُونَ﴾² اللَّهُمَّ طَهِّرْ قَلْبِي مِنَ النِّفَاقِ وَعَمَلِي مِنَ الرِّيَاءِ وَلِسَانِي مِنَ الْكَذِبِ وَعَيْنِي مِنَ الْخِيَانَةِ ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾³ انتهى. وبالله تعالى التوفيق.

الباب الأول في وجوب معرفة قواعد الإيمان

وفيه فصول، الزروق⁴ رحمه الله "قواعد الإيمان وأصوله التي يبنى عليها وقاعدة كل شيء أساسه وما يُبنى عليه كما أن قواعد الإسلام أصوله التي بُني عليها هو

¹ رواه أحمد وأحمد مُسْنَدُ الْمُكْثَرِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ مُسْنَدُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَقَالَ مُحَقِّقُوهُ إِسْنَادُهُ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي الْبِرِّ وَالصَّلَةِ وَالْأَدَابِ 29 - بَابُ قَبْحِ الْكَذِبِ وَحَسَنِ الصَّدَقِ وَفَضْلِهِ وَغَيْرِهِمَا.

² - الحجر آية 9

³ رواه البيهقي في كتابه الدعوات الكبير ، الحديث رقم 28 - باب ما يستحب للداعي من رفع اليدين في الدعاء | والإشارة بالسبابة وترك الجهر الشديد بذكر الله عز وجل | وغير ذلك مما يستحب له ويكره.

⁴ - أحمد الزروق البرنوصي الفاسي صاحب قواعد التصوف (ت 899هـ).

أيضاً، وقواعد الإيمان عبارة عن معرفة العقائد الباطنة وهي ستة: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر و بالقدر خيره وشره حلوه مره، وقواعد الإسلام عبارة عن أحكام الدين الظاهر التي هي الشهادتان: أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم شهر رمضان وحج بيت الله الحرام فهي خمسة، والأولى أصل لهذه، فلا تصح أعمال الإسلام إلا بالعقائد، كما لا تصح عقائد الإيمان إلا ببعض أعمال الإسلام، وهي الشهادتان ونحوهما، على خلاف في بعض السور، وقال ابن حبيب: "الحكم بمعرفة كل قواعد الإسلام شرط في صحة الإيمان، فمن ترك منها واحداً فهو كافر، وإن أقلها الوجوب والصحيح التفصيل" انتهى.

قلت: ودليل معرفة هذه القواعد على المكلف الكتاب والسنة وإجماع السلف الصالح وأما الكتاب: فقولُه تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَرَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾¹، دليل الخطاب أن المؤمن الحقيقي، من ثبت له وصف إيمان بهذه الأمور، ومن لم يثبت له ذلك فليس بمؤمن، وقوله تعالى: ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾² وقوله تعالى ﴿قُلْ كُلٌّ مَرْءٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾³ دليل على باقي القواعد إلى غير ذلك من الآيات. وأمّا السنة // لائحة 15 // فما رواه البخاري وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: [كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بارزاً يوماً للناس فأتاه رجل فقال: ما الإيمان؟ قال: الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه

1 - البقرة آية 285

2 - البقرة آية 4

3 - النساء الآية 78

ويرسله وتؤمن بالبعث، قال ما الإسلام ؟ قال: الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان قال: ما الإحسان ؟ قال أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك. قال متى الساعة ؟ قال ما المسؤول بأعلم من السائل. وسأخبرك عن أشراتها: إذا ولدت الأمة ربتها وإذا تناول رعاة الإبل البهم في البنيان¹.

في خمس لا يعلمهن إلا الله ثم تلى النبي صلى الله عليه وسلم: [إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام]²، ثم أدبر فقال رُدوه فلم يروا شيئاً فقال هذا جبريل جاء يعلم الناس أمر دينهم. قال أبو عبد الله جعل ذلك كله من الإيمان. انتهى.

(ث) "وفي الترمذي عن معاذ بن جبل قال، قلت يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويُباعدني من النار، قال: لقد سألت عن عظيم، وإنه ليسير على من يسره الله تعالى عليه، تعبد الله لا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت. ثم قال: ألا أدلكم على أبواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار وصلاة الرجل في جوف الليل ثم تلى: ﴿ تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾³ حتى بلغ ﴿ يَعْلَمُونَ ﴾ قال: ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه الجهاد، ثم قال ألا أخبرك بملاك ذلك

¹ رواه البخاري في كتاب الإيمان باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة وبيان النبي صلى الله عليه وسلم له ثم قال جاء جبريل عليه السلام يعلمكم دينكم فجعل ذلك كله ديناً وما بين النبي صلى الله عليه وسلم لوفد عبد القيس من الإيمان وقوله تعالى {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ}

² - نفس الحديث .

³ - السجدة - آية 16

كُلِّهِ قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ قَالَ كَفَ عَلَيْكَ هَذَا قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنَّا مُؤَاخِذُونَ¹ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ قَالَ: ثَكَلَتْكَ أُمُّكَ وَهَلْ يَكُوبُ النَّاسُ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَّا حَصَائِدَ أَلْسِنَتِهِمْ² [وَالْإِجْمَاعُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى وَجُوبِ مَعْرِفَةِ هَذِهِ الْقَوَاعِدِ كُلِّهَا فَمَنْ جَدَّ وَاحِدَةً مِنْهَا فَهُوَ كَافِرٌ. وَدَلِيلُ وَجُوبِ قَوَاعِدِ الْإِسْلَامِ مِنَ الْكِتَابِ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾³ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾⁴ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾⁵ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾⁶ ثُمَّ عَيَّنَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾⁷ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ عِلْمُ النَّاسِ رَحْجُ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَصْلَحَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾⁸ وَمِنَ السَّنَةِ أَيْضًا مَا رَوَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ رَضِي اللَّهِ عَنْهُمَا قَالَ: [سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَصَوْمِ شَهْرِ رَمَضَانَ// نُوْحَةُ 16// وَحُجِّ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ] ⁹ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ وَالسِّيَاقُ لِمُسْلِمٍ. وَلَا عُدْرَ لِأَحَدٍ فِي تَرْكِ مَعْرِفَةِ هَذِهِ الْقَوَاعِدِ كُلِّهَا وَلَا فِي تَرْكِ مَعْرِفَةِ الدَّلِيلِ عَلَى وَجُوبِهَا مِنَ الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ وَالْإِجْمَاعِ كَمَا تَقْدَمُ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.

1 - لمؤاخذون - في نسخة ب.

2 سنن الترمذي كتاب العلم باب 8 ما جاء في حرمة الصلاة

3 - محمد الآية 19

4 - الفتح الآية 29

5 - البقرة - آية 43

6 - البقرة الآية 183

7 - البقرة الآية 185

8 - آل عمران الآية 97

9 متفق عليه أخرجه البخاري في كتاب الإيمان 1 - باب الإيمان وقول النبي صلى الله عليه وسلم (بني الإسلام على خمس) ومسلم في كتاب الإيمان 5 - باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام

الفصل الأول

في وجوب الإيمان بالله تعالى ومعرفة الدليل على وجوده وما يجب في حقه تعالى وما يستحيل وما يجوز عقلا... وكذا في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام.

اعلم، أنه يجب شرعا كما تقدم بيانه قبل، على كل مكلف وهو العاقل البالغ أن يعرف ما يجب في حقه تعالى وما يستحيل وما يجوز عقلا بدلائلها، وكذا في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام، إذ بمعرفة ذلك يكون مؤمنا محققا لإيمانه على بصيرة في دينه، ولا يرضى العاقل لعقائده حرفة التقليد فإنها غير مخصصة في الآخرة عند كثير من المحققين، ويخشى على صاحبها الشك عند عروض الشبهات ونزول الدواهي المضلات كالقبر ونحوه مما يفتقر إلى قول ثابت بالأدلة وقوة يقين ولا يغتر المقلد بقوة تصميمه وكثرة تعبد له للنقض عليه بتصميم اليهود والنصارى تقليدا لأخبارهم وآبائهم الضالين المضلين. انتهى باختصار.

واعلم وفقك الله وإيانا، أن هذا الباب أغني باب التوحيد، هو الغاية القصوى ومنتهى المأمول للمريد، إذ هو أجل جميع أبواب العلوم، لأن شرف العلم على قدر شرف المعلوم، فمن ظفر به فقد ظفر بالحظ الأكبر، وفاز بالكنز الأوفر، إذ بمعرفة الله تعالى تحصل النجاة من مهالك الدنيا والآخرة و بها يحصل الفوز {في الدارين}¹ والظفر بالدرجات الفاخرة، فشمر فيه عن ساق الجد ولا يلهيك عنه لاه، فهو أساس

¹ — بالدارين في نسخة ب.

جميع الديانات وهو قطب رحاها وشمس ضحاها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [تكون فتن في آخر الزمان يصبغ الرجل فيها مؤمنا ويمسي كافرا إلا من أجاره¹ الله بالعلم]². قال العلماء يغني علم التوحيد.

(م) "لكن على العاقل أن ينظر أولا فيمن يحقق له هذا العلم، ويختاره للصحة من الأئمة المؤيدين من الله، بنور البصيرة الزاهدين بقلوبهم في هذا العرض الفاني، المشفقين على الضعفاء من المؤمنين، فمن وجد أحدا على هذه الصفة فليشد يده عليه، وليعلم أنه لا يوجد له والله أعلم ثان في عصره". ثم قال: "وما أقل وجود أمثال هذا في هذا الزمان الصعب، ثم إن وجد نادرا فالغالب عليه الإخفاء ولا يظهر إلا لنادر من السعداء وليشكر الله تعالى من أطلعه الله على هذا الكنز العظيم الذي يغترف منه ما يكون سببا للحياة الدائمة // نوحه 17 // والسكنى في أعلا فراديس الجنة والتمتع بالنظر إلى وجه الله الكريم. انتهى باختصار.

قال الحفيد³: "واعلم أن الإيمان ثلاثة أقسام: أحدها إيمان يخلص من الخلود في النار وهو التصديق بالله ورسوله واعتقاد أسمائه وصفته ونفي التشبيه والتعطيل. والثاني: يوجب لصاحبه دخول الجنة والنجاة من النار وذلك بأداء الفرائض واجتناب الكبائر. الثالث: يوجب سقوط الحساب واستحقاق الجنة وذلك باجتناب الذنوب مطلقا". الجزولي "الإيمان هو التصديق وشروطه أربعة: علم دون جهل وإخلاص

1 — ساقطة من نسخة ب.

2 أخرجه بهذا اللفظ ابن ماجة في كتاب الفتن (9) باب ما يكون من الفتن وقال الشيخ الألباني: ضعيف جدا وهو صحيح دون جملة العلم ومسلم في كتاب الإيمان 51 - باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن.

3 - ابن رشد الحفيد

دُونَ شِرْكٍ وَيَقِينُ دُونَ شَكٍّ وَاسْتِوَاءِ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ". وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: [الإيمان بَضْعٌ وَسَبْعُونَ بَابًا أَعْلَاهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَدْنَاهُ إِمَاطَةُ الْأَذَى مِنَ الطَّرِيقِ]¹. وَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلصَّاحِبَةِ [أَيُّ الْخَلْقِ أَعْظَمُ إِيمَانًا قَالُوا الْمَلَائِكَةُ، فَقَالَ: وَلَمْ لَا يَكُونُونَ كَذَلِكَ وَهُمْ يُشَاهِدُونَ الْأَمْرَ، ثُمَّ قَالُوا الرُّسُلُ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ قَالُوا نَحْنُ فَقَالَ وَلِمَا لَا تَكُونُونَ كَذَلِكَ وَأَنْتُمْ تَشَاهِدُونَ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ وَأَنْتُمْ تَجِدُونَ أَعْوَانًا إِلَى أَنْ قَالَ بَلْ هُمْ قَوْمٌ مِنْكُمْ يَأْتُونَ بَعْدَكُمْ لَا يَجِدُونَ أَعْوَانًا فِي الْأَوْرَاقِ مِنْ أَفْعَالِنَا وَيُؤْمِنُونَ بِنَا وَلَمْ يَرَوْنَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ]²، وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: [الإيمانُ يَبْدُو كَاللَّمْعَةِ الْبَيْضَاءِ فَإِذَا عَمِلَ الْعَبْدُ الصَّالِحَةَ الْحَسَنَةَ زَادَتْ حَتَّى يَبْيُضَ كُلُّهُ، وَالنِّفَاقُ يَبْدُو كَاللَّمْعَةِ السُّودَاءِ فَإِذَا زَادَ الْمَعَاصِي زَادَتْ حَتَّى يَسْوَدَ الْقَلْبُ كُلُّهُ فَيَطْبَعُ عَلَيْهِ بِذَلِكَ الْخَاتَمُ]³ انتهى.

قُلْتُ: وَهَوَ الرَّانُ قَالَ تَعَالَى: ﴿بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾⁴ فَهُوَ إِذَنْ كَالشَّجَرَةِ الْمَغْرُوسَةِ تَصْلَحُ وَتَكْثُرُ ثَمَارُهَا بِالْخِدْمَةِ وَالسَّقْيَا وَتَضَعُفُ بِإِهْمَالِهَا وَتَرْكِهَا. وَلِنَرْجِعَ إِلَى مَا نَحْنُ بِسَبِيلِهِ وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ. فَإِنْ قُلْتُ: فَمَا مَعْرِفَةُ اللَّهِ تَعَالَى؟ وَمَا الطَّرِيقُ إِلَيْهَا؟ وَمَا مَعْنَى مَا يَجِبُ فِي حَقِّهِ تَعَالَى وَمَا يَسْتَحِيلُ؟ وَمَا يَجُوزُ عَقْلًا؟. فَالْجَوَابُ: إِنَّ مَعْرِفَةَ اللَّهِ تَعَالَى: الْجَزْمُ بِوُجُودِهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ وَبَأَنَّ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾

¹ أخرجه بهذا اللفظ الترمذي في كتاب الإيمان باب 6 ما جاء في استكمال الإيمان وزيادته ونقصانه ومسلم في الإيمان - باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها وفضيلة الحياء وكونه من الإيمان. رقم الحديث 2556.

² - أورده الألباني في السلسلة الضعيفة والموضوعة، حديث رقم 102 وقال عنه حديث ضعيف.

³ - ليس بحديث، هي قولة لعلي بن أبي طالب.

⁴ - المطففين الآية 12

وهو السميع البصير¹ وقال بعض العلماء إثبات ذات غير مُشَبَّهَةٍ بالذوات ولا مُعْطَلَةٍ عن الصِّفَات، وقال الإمام أبو المعاني² رضي الله عنه: "مَنْ اطمأنَّ إلى مَوْجُودٍ انْتَهَى إِلَيْهِ فِكْرُهُ فهو مُشَبَّهٌ، وَمَنْ اطمأنَّ فِكْرُهُ إلى النَفْيِ الم حَضٍ فهو مُعْطَلٌ وَإِنْ قَطَعَ بموجودٍ واعترف بالعجزِ عَنْ دَرْكِ حَقِيقَتِهِ فهو مُوَحِّدٌ". وأما الطريقُ إلى مَعْرِفَةِ وجودِهِ تعالى فَمُتَوَقِّفٌ حُصُولُهَا عادةً على النظر³ الصَّحِيحِ في الأدِلَّةِ وهو التَّفَكُّرُ في مَخْلُوقَاتِ الله تعالى.

(ح) " قال الله تعالى: ﴿ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْبَصَارِ ﴾⁴ وقال تعالى: ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾⁵، وقال تعالى //نوحه 17 م خ و//: ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصَرُونَ ﴾⁶ وقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَنْصُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾⁷ الآية، إلى غير ذلك من الآيات. فَبَيَّنَ تعالى أن كلَّ ما خلق الله مِنْ شَيْءٍ موضوعٌ للفِكْرَةِ وَمَطْلَبٌ لِلدَّلَالَةِ فَكَلَّمَا صَدَرَتْ مِنَ الْعِبَادِ فِكْرَةٌ وَنَظَرَةٌ قَابِلَتُهَا آيَةٌ وَعِبْرَةٌ.

1 — الشورى الآية 11

2 — هو أبو المعالي بن عبد الملك ابن الإمام أبي محمد عبد الله حيوة الجويني (ت 478هـ) إمام الحرمين ، فقيه شافعي ، من أبرز علماء السنة، له مؤلفات كثيرة في التفسير والفقه والعقائد - ترجم له الذهبي في سير النبلاء - الطبقة الخامسة والعشرون.

3 — النظر في نسخة أ، أخذنا بالموجود في نسخة ب لانسجام المعنى.

4 — الحشر الآية 59

5 — يوسف الآية 105

6 — الذاريات الآية 51

7 — الغاشية الآية 17

فالفكرة مهيئة للإشراق بالأنوار، لا للإحتراق بالنار، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [فكرة ساعة خير من عبادة سنة¹] وفي رواية: خير من² ستين سنة، ولذلك كانت الفكرة مفتاح العبادة.

﴿إن في العلم لذكر لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾³. فثبت أن أول الواجبات على المكلف النظر، وقد قال به بعض أهل السنة وقيل: القصد إلى النظر وقيل: المعرفة التي ينتجها النظر الصحيح، وقيل التقليد انتهى.

والواجب من المعرفة: إنما هو الدليل الجملي، الذي يحصل الطمأنينة في القلب بحيث لا يقول قلبه معها سمعت الناس شيئاً، يقولون شيئاً فقلته لا التفصيلي من تحرير الأدلة ورد الشبه، فإن ذلك أمر زائد إلا أن يقع في القلب شك أو وسواس

في صفة من صفات الله تعالى الواجبة له أو ما يستحيل عليه تعالى فيجب عليه أن يبحث على ذلك حتى يذهب الشك ويعقبه اليقين، فيكتفى بدلالة وجود المخلوقات وحديثها بعد أن لم تكن على وجود خالقها ويستدل على صحة قول مدعي الرسالة بوجود الخارق على يده⁴ موافقاً لدعواه مع عجز المتحد لهم عن المعارضة وقد نبه على هذا المعنى بقوله تعالى: ﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم﴾⁵ إلى قوله: ﴿فلن لم تفعلوا ولز تفعلوا﴾⁶ الآية، فدلالة أول الآية

1 - ذكره الغزالي في الإحياء بسند ضعيف

2 - زيادة من ب.

3 - ق الآية 37

4 - يديه في نسخة ب.

5 - البقرة الآية 21

6 - البقرة الآية 24

عَلَى يَنَابِيعِ التَّوْحِيدِ وَمَعْرِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَدَلَالَةِ آخِرِهَا أَعْنِي قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ تَحْقِيقِ صِدْقِ الرَّسُولِ بَدَلَالَةٍ مُعْجَزَةِ الْقُرْآنِ الَّتِي عَجَزُوا عَنِ الْإِتْيَانِ بِسُورَةٍ مِثْلِهِ، فَافْهَمُوا بِالْمَخْلُوقَاتِ يُعْرِفَ الْخَالِقُ كَمَا أَنَّ بِالْمَصْنُوعَاتِ يُعْرِفُ الصَّانِعُ قِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ: "بِمَاذَا عَرَفْتَ رَبَّكَ، قَالَ: الْبَعْرَةُ تَذُلُّ عَلَى الْبَعِيرِ وَأَثَرُ الْأَقْدَامِ يَذُلُّ عَلَى الْمَسِيرِ وَالسَّمَاءُ ذَاتُ أَبْرَاجٍ وَالْأَرْضُ ذَاتُ فُجَاجٍ أَلَّا تَذُلُّ عَلَى الْعَزِيزِ الْقَادِرِ" انْتَهَى. وَهُوَ عَجِيبٌ، وَأَمَّا مَعْنَى مَا يَجِبُ فِي حَقِّهِ تَعَالَى وَمَا يَسْتَحِيلُ وَمَا يَجُوزُ عَقْلًا ؟

فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ مَعْرِفَةِ حَقَائِقِ هَذِهِ الْأُمُورِ، إِذِ الْحُكْمُ عَلَى الشَّيْءِ فَرَعٌ عَنْ تَصَوُّرِ مَعْنَاهُ بِحَقِيقَةِ الْمَعْرِفَةِ الْحَادِثَةِ الْجَزْمِ الْمُطَابِقِ عَنْ دَلِيلٍ فَخَرَجَ بِالْجَزْمِ الَّذِي هُوَ الْقَطْعُ بِالشَّيْءِ الظَّنُّ وَالشَّكُّ وَالْوَهْمُ، وَخَرَجَ بِالْمُطَابِقِ أَيْ الْمُوَافِقِ الْجَهْلُ الْمُرْكَبُ لِجَزْمِ الْفَلَاسِفَةِ بِقَدَمِ الْأَفْلَاكِ وَتَأْثِيرِهَا وَجَزْمِ الْيَهُودِ //لَوْحَةُ 19// وَالنَّصَارَى بِسَلَامَتِهِمْ مِنَ الْخُلُودِ فِي النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَاخْتَرَزَ بِقَوْلِهِ عَنْ دَلِيلٍ مِنْ تَقْلِيدِ عَامَّةِ الْمُؤْمِنِينَ لِعُلَمَاءِ أَهْلِ السُّنَّةِ، فَإِنَّهُ جَزَمَ مُوَافِقَ الْحَقِّ لَكِنْ مِنْ غَيْرِ دَلِيلٍ، وَفِي الْاِكْتِفَاءِ بِهِ خِلَافٌ. وَحَقِيقَةُ الْوَاجِبِ الْعَقْلِيِّ، مَا لَا يُتَصَوَّرُ فِي الْعَقْلِ عَدَمُهُ إِمَّا ضَرُورَةٌ كَكَوْنِ اثْنَيْنِ نِصْفُ الْأَرْبَعَةِ مَثَلًا وَالْعَشْرَةُ زَوْجًا، وَأَمَّا نَظَرًا أَيْ بَعْدَ التَّأَمُّلِ كَوُجُوبِ الْقَدَمِ لِمَوْلَانَا جَلَّ وَعَزَّ وَوُجُوبِ الْوَحْدَانِيَّةِ لَهُ تَعَالَى، وَحَقِيقَةُ الْمُسْتَحِيلِ مَا لَا يُتَصَوَّرُ فِي الْعَقْلِ ثُبُوتُهُ، إِمَّا ضَرُورَةٌ أَيْضًا كَكَوْنِ الْوَاحِدِ نِصْفُ الْأَرْبَعَةِ مَثَلًا، وَإِمَّا نَظَرًا كَالشَّرِيكِ لِمَوْلَانَا جَلَّ وَعَزَّ، وَحَقِيقَةُ الْجَائِزِ الْعَقْلِيِّ مَا يَصِحُّ فِي الْعَقْلِ وُجُودُهُ وَعَدَمُهُ

إِمَّا ضَرُورَةً كَالْحَرَكَةِ لَنَا، وَإِمَّا نَظَرًا كَتَغْذِيبِ الْمُطِيعِ وَإِثَابَةِ الْعَاصِي. وَاعْلَمْ أَنَّ مَعْرِفَةَ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ وَتَمْيِيزَ حَقَائِقِهَا هِيَ نَفْسُ الْعَقْلِ وَعَلَيْهَا مَدَارُ عِلْمِ التَّوْحِيدِ فَمَنْ لَمْ يَعْرِفْهَا فَلَيْسَ بِعَاقِلٍ. (م) "فَإِذَا عَرَفْتَ هَذِهِ الثَّلَاثَةَ فِي حَقِّهِ تَعَالَى تَمَيَّزَ لَكَ حِينَئِذٍ مَوْلَانَا الْمَعْبُودُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ لِاسْتِحَالَةِ الْمَشَارَكَةِ لَهُ فِي شَيْءٍ مِنْهَا، فَتَحَرَّرَ الْعَبْدُ عِنْدَ ذَلِكَ مِنْ اسْتِرْقَاقِ الْكَائِنَاتِ لَهُ لِمَا عَرَفَ مِنْ وُجُوبِ مُسَاوَاتِهَا لَهُ فِي عُمُومِ الْعَجْزِ وَالْإِفْتِقَارِ الضَّرُورِيِّ لِلْإِزْمِ إِلَى مَنْ لَا مِثْلَ لَهُ وَلَا وَكِيلَ وَلَا وَزِيرَ وَلَا مُعِينَ، الرَّبُّ الْمَلِكُ الْكَرِيمُ جَلَّ وَعَلَا، فَتَوَجَّهَ بِظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ إِلَى الْبَحْثِ عَمَّا يَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى هَذَا الْمَوْلَى الْعَظِيمِ، وَيَجُوزُ بِهِ رِضَاهُ فِي هَذِهِ الدَّارِ وَفِي دَارِ النَّعِيمِ الْمُقِيمِ، وَلَيْسَ يُمَكِّنُ أَنْ يَعْرِفَ ذَلِكَ بِالتَّخْمِينِ الْعَقْلِيِّ وَتَقْبِيحِهِ إِنَّمَا يُمَكِّنُ مَعْرِفَتَهُ ذَلِكَ مِنْ قِبَلِ الْمَوْلَى تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَلَا يُمَكِّنُ الْوُصُولُ إِلَى مَا عِنْدَهُ جَلَّ وَعَلَا بِحَسَبِ مَا أُجْرَى بِهِ الْعَادَةُ إِلَّا مِنْ قَبْلِ رُسُلِهِ الَّذِينَ اخْتَارَهُمْ لِلتَّبْلِيغِ عَنْهُ وَأَمَّنَّهُمْ عَلَى سِرِّ وَحْيِهِ فَوَجَبَ عَلَى الْمُكَلَّفِ أَنْ يَعْرِفَ خَوَاصَّهُمُ الَّتِي يَمْتَازُونَ بِهَا عَنِ الْكَذَّابِينَ بِمَعْرِفَةٍ مَا يَجِبُ لَهُمْ مِنَ الْكَمَالِ الَّذِي تَفَضَّلَ عَلَيْهِمْ بِهِ مَوْلَانَا سُبْحَانَهُ وَمَا يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِمْ مِنَ النِّقْصِ الَّذِي لَا يَلِيقُ بِرُتْبَةِ الرِّسَالَةِ الَّتِي أَقَامَهُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِيهَا وَمَا يَجُوزُ فِي حَقِّهِمْ مِنَ الْأَعْرَاضِ {البَشَرِيَّةِ}¹ الَّتِي لَا نَقْصَ فِيهَا فَمَعْرِفَةُ جَمِيعِ ذَلِكَ وَاجِبٌ عَلَى الْمُكَلَّفِ وَطَرِيقُهَا النَّظَرُ وَالِاسْتِدْلَالُ كَمَا تَقَدَّمَ انْتَهَى.

فَإِذَا عَرَفْتَ هَذَا، فَاعْلَمْ أَنَّهُ يَجِبُ لِمَوْلَانَا جَلَّ وَعَلَا الْوُجُودُ، لِتَوَقُّفِ وَجُودِ الْحَوَادِثِ عَلَى وَجُودِهِ تَعَالَى، وَدَلِيلُ خُدُوثِهَا مُلَازِمَتُهَا لِمَا يَفْتَقِرُ إِلَى مُخَصِّصٍ مِنْ حَرَكَةٍ

¹ — زيادة من ب

وسكونٍ ومقاديرٍ وصفاتٍ و جهاتٍ وأزمنةٍ وأمكنةٍ، ومُلازمُ الحادثِ حادثٌ وخُذوثُ الشيءِ لنفسه مُستحيلٌ، لما يلزمُ عليه من الجمعِ بينَ مُتتافيين، وهُما الاستواءُ والرُّجحانُ بلا مُرَجِح. وَيَجِبُ لَهُ تعالى: القَدَمُ والبقاءُ، وإلا لكانَ مُحتاجاً إلى الفاعِلِ فيكونُ حادثاً//نوحه 20// بل يكونُ وجودُه حينئذٍ مُستحيلاً، لما يلزمُ على تقديرِ حدوثه من الدَّورِ والتَّسلسُلِ المُستحيلين، ويجبُ أن يكونَ تعالى مُخالفاً في ذاته وصفاته لكلِّ ما سِواه من الحوادثِ، وإلا كانَ حادثاً مثلاً، فيستحيلُ على ذاته تعالى وصفاته الجرمية والعرضية، وكلُّ لازمٍ من لوازمِها المُقتضية للحدوثِ كالمقاديرِ من الطُّولِ والقِصرِ، والجهاتِ والأزمنةِ، والأمكنةِ والقُربِ والبُعدِ بالمسافةِ والصِّغَرِ والكِبَرِ، والمقاساةِ والحركةِ والسُّكونِ، إذ لو ماثَل الحوادثُ بوجهٍ من هذه الوجوه لكانَ حادثاً انتهى.

(ح) " اعلم أنَّ الحقَّ تعالى لا يَنْحَصِرُ في حَدٍّ، ولا يُحَدُّ في جِهَةٍ، ولا يُوصَفُ بِبُعْدٍ ولا قُربٍ ولا يَشْتَمِلُ في وَهْمٍ، ولا يَتَكَيَّفُ لَفَهْمٍ تعالى عن المِثْلِ والضِدِّ، وتَقَدَّسَ عَنِ التَّشْبِيهِ والنِّدِّ، وتَنَزَّهَ عَنِ الوالِدِ والصَّاحِبَةِ والوَلَدِ، بل هو الله الواحدُ الفردُ الصَّمَدُ ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾¹، فالعرشُ والكرسيُّ وما فوقَهُما وما دونَهُما وتُخومُ الأرضِ السابعةِ السُّفلى، وما دونَهُما ليسَ شيءٌ أَقْرَبُ إلى الله سبحانه بالمسافةِ مِنْ غيرِه، ولا أَبْعَدُ بالمِقْدَارِ تعالى أن يَحُلَّ في الحوادثِ أو تَحُلَّهُ الحوادثُ، قال بعضُ الحكماءِ، لو تَنَاهَتْ حِكْمَةُ الباري في حَدِّ العُقُولِ، لكانَ ذلكَ تقصيراً بِحُكْمَتِهِ، لكنَّه اخْتَجَبَ عَنِ العُقُولِ، كما اخْتَجَبَ عَنِ الأبْصارِ واخْتَجَبَ

¹ - الإخلاص الآية 1

عَنْ مَنْ فِي السَّمَاءِ، كَمَا احْتَجَبَ عَنْ مَنْ فِي الْأَرْضِ، فَقَدْ رَجَعَ مَعْنَى الْوَصْفِ فِي الْوَصْفِ، وَعَمِيَ الْقَلْبُ عَنِ الْفَهْمِ، وَالْفَهْمُ عَنِ الدَّرَكِ، وَالدَّرَكُ عَنِ الْاسْتِنْبَاطِ، وَدَارَ الْمُلْكُ فِي الْمُلْكِ، وَانْتَهَى الْمَخْلُوقُ إِلَى مِثْلِهِ وَأَسْنَدَهُ الطَّلَبُ إِلَى شَكْلِهِ، فَاجْتَهَدَ فِي أَنْ تَعْرِفَ نَفْسَكَ، وَذَاتَكَ، وَلَا تَطْمَعُ فِي مَعْرِفَةِ رِيكَ مَا لَمْ تَعْرِفَ نَفْسَكَ. فَمَعْرِفَةُ اللَّهِ {تَوْحِيدُهُ} ¹ وَتَوْحِيدُهُ تَمْيِيزُهُ مِنْ خَلْقِهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ] ² قَالَ ابْنُ عَمَرَ: [قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيْنَ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ] ³ وَفِي الْخَبَرِ: [لَمْ يَسْغَنِ أَرْضِي وَلَا سَمَائِي وَوَسَعَنِي قَلْبُ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ اللَّيِّنِ الْوَرِعِ] ⁴ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (يَا مُوسَى لَنْ تَرَانِي عَيْنٌ تَفْنَى وَإِنَّمَا أُحْدِثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي بَصْرِكَ إِدْرَاكًا لَتَنْتَظِرَ بِهِ إِلَى الْبَاقِي، فَتَنْتَظِرُ إِلَى الْبَاقِي بِالْبَاقِي)، فَبِالْعَقْلِ عُرِفَ وَهُوَ دَالُّ الْعَقْلِ فَهُوَ سُبْحَانَهُ ظَاهِرٌ فِي غَيْبٍ غَائِبٌ فِي ظُهُورٍ. انْتَهَى. قَالَ بَنُ عَطَاءٍ اللَّهُ فِي الْحَكَمِ: "الْحَقُّ سُبْحَانَهُ لَيْسَ بِمَخْجُوبٍ وَإِنَّمَا الْمَخْجُوبُ أَنْتَ عَنِ النَّظَرِ إِلَيْهِ إِذْ لَوْ حَجَبَهُ شَيْءٌ لَسْتَرَهُ مَا حَجَبَهُ وَ لَوْ كَانَ لَهُ سَاتِرٌ لَكَانَ لَهُ حَاصِرٌ، وَكُلُّ حَاصِرٍ لَشَيْءٍ فَهُوَ لَهُ قَاهِرٌ ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾" ⁵ . وَقَالَ أَيْضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: "إِنَّمَا حَجَبَ الْحَقِّ

1 - ساقطة من ب .

2 قال عنه ابن تيمية ليس هذا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ولا هو في شيء من كتب الحديث.

3 - أورده الإمام أبو حامد الغزالي في الإحياء، الجزء الثالث.

4 - نفس المرجع.

5 - الأنعام الآية 18

عَنكَ شِدَّةٌ قَرْبِهِ مِنْكَ، إِنَّمَا اخْتَجَبَ لَشِدَّةِ ظَهْوِهِ وَخَفِيَ عَنِ الْأَبْصَارِ // نوحه 21 //

لِعَظِيمِ نُورِهِ " 1 انتهى.

فهو سُبْحَانَهُ الْقَائِمُ بِنَفْسِهِ، تَعَالَى أَنْ يَكُونَ لَهُ فَوْقَ أَوْ تَحْتَ أَوْ يَمِينُ أَوْ شِمَالُ أَوْ يَحْمِلُهُ الْعَرْشُ أَوْ الْكُرْسِيُّ بِلِ الْعَرْشِ وَ حَمَلْتَهُ² مَحْمُولُونَ بِقُدْرَتِهِ، كَانَ تَعَالَى وَلَا مَكَانَ وَلَا زَمَانَ الْمُنَزَّةَ عَنِ الْأَيْنِ وَالْمَكَانِ وَلَيْسَ فِي الْكَوْنِ أَيْنَ، وَلَا مَخْلُوقٌ يَعْلَمُ لِلَّهِ مَكَانًا قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [كَانَ اللَّهُ وَلَا شَيْءَ مَعَهُ وَ هُوَ الْآنَ عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانَ]³ . قَالَ أَبُو عَثْمَانَ الْمَغْرِبِيُّ⁴ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ يَوْمًا: "لَوْ قَالَ لَكَ قَائِلٌ أَيْنَ مَعْبُودُكَ أَيُّ شَيْءٍ تَقُولُ ؟ قَالَ: قُلْتُ أَقُولُ حَيْثُ لَمْ يَزَلْ قَالَ، فَإِنْ قِيلَ لَكَ فَأَيْنَ كَانَ فِي الْأَزَلِ، أَيُّ شَيْءٍ تَقُولُ ؟ قَالَ: قُلْتُ، أَقُولُ حَيْثُ هُوَ الْآنَ، يَعْنِي أَنَّهُ كَمَا كَانَ وَلَا مَكَانَ فَهُوَ الْآنَ كَمَا كَانَ". قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ: "لَا يُنْكِرُ عَاقِلٌ وَجُودَ الرُّوحِ مِنْ نَفْسِهِ، وَإِنْ كَانَ لَمْ يُدْرِكْ حَقِيقَتَهُ كَذَلِكَ لَا يَقْدِرُ أَنْ يُنْكِرَ وَجُودَ الْبَارِي سُبْحَانَهُ الَّذِي دَلَّتْ أَفْعَالُهُ عَلَيْهِ وَإِنْ لَمْ يُدْرِكْ حَقِيقَتَهُ " انتهى.

(م) " في شرحه للأبيات القائل:

1 - الحكم العطائية - الحكمة رقم 164

2 - و الْكُرْسِيُّ فِي نَسْخَةِ - ب -

3 - أخرج البخاري في كتاب التوحيد بلفظ: كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل وخلق السماوات والأرض، أما الزيادة المذكورة وهو الآن على ما عليه كان فهي موضوعة لا أصل لها. ص 403 الجزء 13

4 - هو أبو عثمان سعيد بن سلام المغربي القيرواني (ت 373هـ) كانت له أحوال وكرامات أخذ عن علماء أهل السنة من أعلام التصوف السني في القرن الرابع الهجري - سير أعلام النبلاء الطبقة الحادية والعشرون ج 16، طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمان السلمي ص 358، دار الكتب العلمية 2003

رَأَيْتُ رَبِّي بَعَيْنِ قَلْبِي **** فَقُلْتُ لَا شَكَّ أَنْتَ أَنْتَ¹

قوله: "رَأَيْتُ رَبِّي بَعَيْنِ قَلْبِي" يعني: عَرَفْتُ وُجُودَهُ وما يَجِبُ لَهُ تَعَالَى، وما يَسْتَحِيلُ وما يَجُوزُ بِبَصِيرَةِ قَلْبِي الَّتِي هِيَ عَيْنُ الْقَلْبِ. و قوله " فَقُلْتُ " أي بقلبي لما أن عَرَفْتُهُ بِالْبُرْهَانِ لَا شَكَّ أَنْتَ يَا مَوْلَايَ الْمَوْصُوفُ بِالْكَمَالِ. ثم قال: وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَرَادُهُ بَرُوءِيَّةُ عَيْنِ الْقَلْبِ الْمَعْرِفَةُ الدَّقِيقَةُ، الَّتِي هِيَ آخِرُ مَقَامِ السَّالِكِينَ وَيَكُونُ حِينَئِذٍ مَعْنَى قَوْلِهِ " أَنْتَ أَنْتَ "، أي: أَنْتَ الْآنَ بِحَسَبِ الْمَعْرِفَةِ الدَّقِيقَةِ هُوَ أَنْتَ أَوَّلًا، بِحَسَبِ الْمَعْرِفَةِ الرَّسْمِيَّةِ الَّتِي نَتَجَتُهَا الْبَرَاهِينُ الْعَقْلِيَّةُ إِذْ عَلَامَةُ صِحَةِ الدَّقِيقِ أَنْ يَجِيءَ عَلَى وَفْقٍ مَا شَهِدَ بِهِ الْعِلْمُ الرَّسْمِيُّ، وَلِهَذَا يَسْتَعِيدُ الْمُؤْمِنُ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الصُّورَةِ الَّتِي تَظْهَرُ لَهُمْ فِي الْمَوْقِفِ عَلَى صِفَةِ الْحَوَادِثِ وَقَوْلُ أَنَا رَبُّكُمْ {فَيَقُولُونَ}²: هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَ رَبُّنَا أَوْ حَتَّى يَظْهَرَ لَنَا عَلَى الصِّفَةِ الَّتِي عَرَفْنَاهُ بِهَا، مِنَ التَّنَزُّهِ عَنْ سِمَاتِ الْحَوَادِثِ كُلِّهَا، وَلِهَذَا لَمَّا رَأَوْهُ عَلَى مَا يَجِبُ لَهُ تَعَالَى ﴿خَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾³ وَتِلْكَ الْفِتْنَةُ فِي الْآخِرَةِ وَهِيَ آخِرُ الْفِتَنِ الَّتِي يَظْهَرُ بِهَا الْمُؤْمِنُ الْعَارِفُ، بِمَا يَجِبُ لِمَوْلَاهُ وَمَا يَسْتَحِيلُ مِنْ غَيْرِهِ وَلَا يَسْلَمُ مِنْ ضَرَرِ تِلْكَ الْفِتْنَةِ إِلَّا مَنْ أَتَقَنَ عَقَائِدَهُ فِي هَذِهِ الدَّارِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَمَاتَ عَلَى ذَلِكَ" انتهى . وقال في مَوْضِعٍ آخَرَ: " وَقَدْ وَقَعَ فِي الْكُفْرِ وَالْبِدْعَةِ بِسَبَبِ الْجَهْلِ بِهَذَا الضَّابِطِ كَثِيرٌ مِنْ جَهْلَةِ الْمُتَعَبِّدِينَ فَتَجَدُّهُمْ يَتَخِيلُونَ فِي حَقِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَالِ صَلَاتِهِمْ وَذِكْرِهِمْ لِلَّهِ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْحَرَصِ عَلَى حُضُورِهِمْ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى صُورًا جَمِيلَةً فَائِقَةَ الْجَمَالِ مِنْ

1 - أبيات منسوبة للحلاج - من البحر البسيط المخلع.

2 - تقول، في نسخة ب.

3 - يوسف الآية 100

جنس الحوادث يقصدونها بالعبادة والركوع والسجود ويحئون إليها ويَبكون شوقاً إليها //لوحة 22// وذلك والعياذ بالله تعالى من عبادة الأصنام إلا أنها أضنام خفية منصوبة أمامهم في الباطن كالأضنام المنصوبة عند الكفار أمامهم في الظاهر فلو لم يعرف المؤمن من قواعد التوحيد سوى هذه القاعدة لانتفع بها انتفاعاً كثيراً ولمنعته من تلبس الشيطان عليه في ظاهره وباطنه، بأمر ينتزه عنه مولانا تبارك وتعالى " انتهى.

ولنرجع إلى بيان ما بقي من صفات الكمال له تعالى، وإنما أطلعنا هنا لمس الحاجة إليه. ويجب له تعالى أن يكون قائماً بنفسه، أي ذاتاً موصوفاً بصفات الكمال غنياً عن المحل والمخصص أي الفاعل فلو لم يكن تعالى ذاتاً لكان صفةً ولو كان صفةً لما اتصف بصفات المعاني ولا المغنوية لاستحالة قيام الصفة بالصفة، ولو لم يكن غنياً عن الفاعل لكان محتاجاً إليه، فيكون حادثاً وذلك محال لما تقدم من وجوب قدمه تعالى وبقائه. والمراد بالمحل هنا الذات. ويجب له تعالى: الوجدانية أي لا مثل له في ذاته، ولا في صفة من صفاته ولا مؤثر معه في فعل من الأفعال إذ لو كان معه مثل أو مؤثر، لما كان واجب الوجود لاحتياجه حينئذ إلى من يخصصه بما يمتاز به عما يماثله عموماً أو خصوصاً وذلك يستلزم الحدوث والعجز عن كل ممكن منه، فإذا وجود المخلوقات دال على وحدانيته تعالى لاستحالة صدور الفعل من اثنين لما يلزم على تقدير وجودهما من العجز والتمانع سواء اتفقا أو اختلفا أو تقاسما ﴿لو كان فيهما إلهة إلا

اللَّهُ لَفَسَدَتَا¹، وَإِذَا عَرَفْتَ وَحْدَانِيَّةَ الْمَوْلَى جَلَّ وَعَلَا، عَرَفْتَ قَطْعًا أَلَّا أَثَرَ لِكُلِّ مَا سِوَاهُ فِي نَفْعٍ أَوْ ضَرٍّ أَوْ طَاعَةٍ أَوْ مَعْصِيَةٍ أَوْ كُفْرٍ أَوْ إِيْمَانٍ أَوْ حَرَكَةٍ أَوْ سُكُونٍ، بَلْ جَمِيعُ ذَلِكَ مَخْلُوقٌ لِلَّهِ تَعَالَى وَبِلَا وَاسِطَةٍ، كَمَا أَنَّهُ لَا أَثَرَ لِقُدْرَتِنَا الْحَادِثَةِ فِي شَيْءٍ مِنْ أَعْمَالِنَا الْاِخْتِيَارِيَّةِ، كَحَرَكَاتِنَا وَسَكَنَاتِنَا وَقِيَامِنَا وَقُعُودِنَا وَمَشِينَا، بَلْ تِلْكَ الْقُدْرَةُ وَجَمِيعُ الْأَفْعَالِ مَخْلُوقَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى، وَإِنَّمَا أَجْرَى اللَّهُ الْعَادَةَ أَنْ يَخْلُقَ عِنْدَ خَلْقِهِ تِلْكَ الْقُدْرَةَ فِينَا، مَا شَاءَ مِنَ الْأَفْعَالِ وَجَعَلَ سُبْحَانَهُ بِمَخْضِ اخْتِيَارِهِ وُجُودَ تِلْكَ الْقُدْرَةِ فِينَا مُقْتَرَنَةً بِالْأَفْعَالِ، شَرْطًا فِي التَّكْلِيفِ، وَهَذَا الْاِقْتِرَانُ وَ التَّعَلُّقُ لِهَذِهِ الْقُدْرَةِ الْحَادِثَةِ مِنْ غَيْرِ تَأْثِيرٍ هُوَ الْمَسْمُومُ فِي الْاِصْطِلَاحِ وَفِي الشَّرْعِ، بِالْكَسْبِ وَالْاِكْتِسَابِ، وَبِحَسْبِهِ تُضَافُ الْأَفْعَالُ لِلْعَبْدِ قَالَ تَعَالَى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾² بِخِلَافِ حَرَكَةِ الْاِضْطِرَارِ، كَحَرَكَةِ الْاِرْتِعَاشِ فَلَيْسَتْ مِنْ كَسْبِ الْعَبْدِ إِذْ لَمْ يُقَارَنْهَا اخْتِيَارٌ، وَتَفَضَّلَ سُبْحَانَهُ بِاِسْقَاطِ التَّكْلِيفِ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ وَبِهَذَا أَيْضًا تَعْرِفُ أَلَّا أَثَرَ لِلْأَسْبَابِ الْعَادِيَةِ كَالنَّارِ فِي الْاِحْرَاقِ وَالطَّعَامِ فِي الشِّبَعِ وَالْمَاءِ //لَوْحَة 23// فِي الرِّيِّ وَالنَّبَاتِ وَالثَّوْبِ فِي التَّسْخِينِ وَالسَّيْفِ فِي الْقَطْعِ وَالشَّمْسِ وَالْمُضْبَاحِ فِي الضَّوِّ وَلَا لِلْجَنَاحِ فِي الطَّيْرَانِ وَلَا لِلرَّجْلَيْنِ فِي الْمَشْيِ وَلَا لِلْأَرْضِ فِي اِمْسَاكِ مَا عَلَيْهَا، فَاقْطَعْ بِجَمِيعِ ذَلِكَ بِأَنَّهُ مَخْلُوقٌ لِلَّهِ تَعَالَى بِلا وَاسِطَةٍ الْبَتَّةَ، وَلَا أَثَرَ فِيهِ لِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي يَوْجَدُ عِنْدَهَا لَا بِطَبْعِهَا وَلَا بِقُوَّةِ جَعَلَتْ فِيهَا، هَذَا الَّذِي تَقْتَضِيهِ وَحْدَانِيَّتُهُ تَعَالَى، وَشَهِدَ بِهِ الْبَرَهَانُ الْعَقْلِي وَدَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَإِجْمَاعُ الْأُمَّةِ، قَبْلَ ظَهْوَرِ الْبِدْعِ وَلَا يَصِحُّ غَيْرُهُ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ. (ع) انْفَقَتْ

¹ — الأنبياء الآية 22

² — البقرة الآية 286

مقالات العارفين والمحققين على أن كل ما سوى الله تعالى عَدَمٌ مَحْضٌ، من حيث ذاته لا يوصف بوجود مع الله سبحانه، إذ لو وُصِفَ به لكان ذلك شركة وإثنيّة، وذلك مناقض لإخلاص التوحيد قال الله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾¹ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [أُصَدِّقُ بَيْتَ قَالَتِ الشُّعْرَاءُ: أَلَا كُلُّ شَيْءٍ ما خلا الله باطل] ².

قال سيدي أبو الحسن الشاذلي³ رضي الله عنه: "إنّا لننظرُ إلى الله بِبَصَرِ الإِيْمَانِ والإيقان، فأغنانا ذلك عن الدليل والبرهان، وإن كان ولا بُدَ فنراهم كالهباء في الهواء، إن فَتَشْتَهُمْ لَمْ تَجِدْهُمْ شَيْئاً". ويجبُ له تعالى: القُدرة والإرادة المُتعلقتان بجميع الممكنات، والعلمُ المُتعلق بجميع الواجبات والجائزات والمُستحيلات، والحياة وهي لا تتعلّق بشيء، وبرهان وجوب اتصافه تعالى بهذه الصفات الأربع، أنه لو انقضى شيء منها لما وُجِدَ شيء من الحوادث، لتوقف كل حادث على اتصاف فاعله بها، ويجبُ له تعالى السَّمع والبَصَر المتعلقان بكل موجود قديماً كان أو حادثاً، وسَمْعُه تعالى ليس بضَمَخَةٍ ولا أُذُنٍ وبَصَرُه ليس بحدقة ولا أجفان، وإنما هما معنى قائم بذاته من غير تشبيه. ويجبُ له تعالى الكلام المنزه عن الحرف والصوت والتقديم والتأخير، والكل والبعض والتجديد والسكوت المُتعلق بما يتعلّق به العلم، ودليل وجوب اتصافه بهذه الصفات، الكتاب والسنة والإجماع. وكُنْه

¹ - القصص الآية 88

² متفق عليه أخرجه البخاري في كتاب الأدب 90 - باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه ومسلم في كتاب الشعر.

³ - هو أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي المغربي تنتسب إليه الطريقة الشاذلية (ت 656هـ) تتلمذ على عبد السلام بن مشيش سكن تونس ومات وهو في طريقه إلى بيت الله الحرام من مريديه أبو العباس المرسي.

كلامه تعالى مَحْجُوبٌ عَنِ الْعَقْلِ، كَذَاتِهِ وَكَسَائِرِ صِفَاتِهِ، إِذْ لَوْ كَانَ كَلَامُهُ تَعَالَى بِالْحَرْفِ وَالصَّوْتِ، وَمَا فِي مَعْنَاهُمَا لَكَانَ حَادِثًا بِجَامِعِ الْمُثَابَلَةِ تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا، إِذْ لَا مِثْلَ لَهُ تَعَالَى لَا عَقْلِيًّا وَلَا وَهْمِيًّا وَلَا خَيَالِيًّا، وَلَا مَوْجُودًا وَلَا مُقَدَّرًا فَهُوَ تَعَالَى مُتَكَلِّمٌ مِنْ غَيْرِ حَرْفٍ وَلَا صَوْتٍ وَلَا شَفَةِ //نوحه 24// وَلَا لَهَةٍ وَلَا لِسَانٍ، كَمَا يَعْلَمُ مَنْ غَيْرِ قَلْبٍ وَيَبْطِشُ بِغَيْرِ يَدٍ، وَيَخْلُقُ مِنْ غَيْرِ آلَةٍ. لَا يَدْفَعُ سَمْعُهُ بُعْدَ، وَلَا يَخْجِبُ رُؤْيَاهُ ظِلَامًا، (م) وَإِذَا عَرَفْتَ مَذْهَبَ أَهْلِ الْحَقِّ فِي كَلَامِهِ تَعَالَى عَلِمْتَ أَنَّ إِطْلَاقَ السَّلَفِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَلَى كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى، أَنَّهُ مَحْفُوظٌ فِي الصُّدُورِ، مَقْرُوءٌ فِي الْأَلْسُنِ، مَكْتُوبٌ فِي الْمَصَاحِفِ هُوَ بِطَرِيقِ الْحَقِيقَةِ، لَا بِطَرِيقِ الْمَجَازِ وَلَيْسَ يَغْنُونَ بِذَلِكَ حُلُولَ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى¹ الْقَدِيمِ فِي هَذِهِ الْأَجْرَامِ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا يَرِيدُونَ أَنَّ كَلَامَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَذْكُورٌ، وَ² مَدْلُولٌ عَلَيْهِ بِتِلَاوَةِ اللِّسَانِ، وَكَلَامُ الْجَنَانِ أَيْ الْقَلْبِ وَكِتَابَةُ الْبَنَانِ أَيْ الْأَصَابِعِ، فَهُوَ مَوْجُودٌ فِيهَا فَهْمًا وَعِلْمًا لَا حُلُولًا، ثُمَّ قَالَ وَبِهَذَا تَعْرِفُ أَنَّ التِّلَاوَةَ غَيْرُ الْمَتْلُوِّ وَالْقِرَاءَةُ غَيْرُ الْمَقْرُوءِ، وَالكِتَابَةُ غَيْرُ الْمَكْتُوبِ، لِأَنَّ الْأَوَّلَ مِنْ كُلِّ قِسْمَيْنِ مِنْ هَذِهِ الْأَقْسَامِ حَادِثٌ، وَالثَّانِي مِنْهُمَا قَدِيمٌ لَا نِهَايَةَ لَهُ انْتَهَى. وَاخْتَلَفَ فِي إِدْرَاكِ الْمَطْعُومَاتِ وَالْمَذُوقَاتِ وَالْمَشْمُومَاتِ وَالْمَلْمُوسَاتِ، بَلْ هُوَ رَاجِعٌ إِلَى الْعِلْمِ أَوْ هُوَ صِفَةُ زَائِدَةٍ قَائِمَةٌ بِذَاتِهِ، مُتَعَلِّقَةٌ بِكُلِّ مَوْجُودٍ كَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ مِنْ غَيْرِ اتِّصَالٍ وَلَا انفِصَالٍ، كَمَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ تَعَالَى أَوْ بِالْوَقْفِ لِعَدَمِ وُرُودِ النَّصِّ بِهِ، وَهُوَ الْمَخْتَارُ.

¹ — عز وجل - نسخة ب.

² — و، زيادة من ب.

أَقْوَالٌ (م): "إذا عرفت صفات المعاني الوجودية القائمة بذاته تعالى علمت منها الصفات المعنوية الواجبة لله تعالى، لملازمتها لها وهي كونه تعالى قادراً ومريداً وعالماً وحياً وسميعاً وبصيراً ومتكلاً عند من يرى بثبوت الأحوال، وأما المستحيل في حقه تعالى فكل ما ينافي شيئاً من هذه الصفات الواجبة له تعالى. وأما الجائز في حقه تعالى ففعل كل ممكن أو تركه صلاحاً كان، أو ضده لما عرفت قبل من وجوب عموم قدرته تعالى، وإرادته بجميع الممكنات، ويدخل في ذلك جواز خلق الله الرؤية لذاته العلية، والسَّمْعَ لكلامه القديم والثواب في دار النعيم والبعث لرسله الأكرمين صلوات الله عليهم أجمعين.

قلنا فالجائز إذا راجع لمخلوقاته، فلا يتطرق معناه لذاته العلية، ولا لشيء من صفاته السنية، وإنما مرجعه للتعلق التجيزي لقدرته تعالى وإرادته، وهذا التعلق ليس بقديم وقد علمت مما سبق حقيقة الجائز العقلي، والواجب والمستحيل فإذا لو وجب على الله تعالى شيء من هذه الممكنات عقلاً أو استحالة عقلاً للزم عليه قلب الحقائق برجوع الجائز العقلي واجباً أو مستحيلاً، وذلك لا يعقل وبالله التوفيق.

وأما الرُّسُلُ عليهم الصلاة والسلام فيجب لهم الصدق // لوحة 25 // أي مطابقة

كل ما أخبروا به من أحكام وثواب وعقاب، وغيرهما لما في نفس الأمر لأن الله تعالى قد صدقهم بما تنزل من المعجزة التي خصهم بها منزلة قوله تعالى "صدق عبدي في كل ما يبلغ عني". (م) في شرحه هذا هو الجزء الثاني من جزئي الإيمان، لأن الإيمان مركب من جزئين أحدهما: الإيمان بالله تعالى وهو حديث النفس التابع لمعرفة ما يجب له تعالى، وما يستحيل وما يجوز، الثاني الإيمان

بالرُّسلِ عليهم الصلاة والسلام، وهو أيضًا حديثُ النَّفسِ التابعُ لمعرفةٍ بما يجبُ لهم، وما يستحيلُ وما يجوزُ، ولما كانَ الجزءُ الثاني موقوفًا على الجزءِ الأولِ ولا يَخْصُلُ إلَّا بعدَ معرفته، قدَّمَ علماؤنا الكلامَ على الجزءِ الأولِ قبلَ الكلامِ على الجزءِ الثاني. انتهى

ثم قال: "وتجبُ لهم الأمانةُ أي حفظُ ظواهرهم وبواطنهم، من الوقوعِ في مُحَرَّمٍ أو مكروه، لأنَّ أتباعَهُم أمروا بالافتدَاءِ بهم في جميعِ أقوالهم وأفعالهم وسكوتهم، وذلك يَسْتَلْزِمُ عِصْمَتَهُمْ فيها من كل منهي عنه ". ويجبُ لهم أيضًا أنهم بَلَّغُوا كل ما أمرهم الله سبحانه بتبليغِهِ ولم يتركوا شيئًا منه لا نسيانًا ولا عَمْدًا، أمَّا عَمْدًا فلما سبقَ مِنَ الأمانةِ وأما نسيانًا، فللإجماعِ وأما المستحيلُ في حقِّهم عليهم الصلاة والسلام فأضدادُ هذه الثلاثة، وهي الكذبُ والخيانةُ وكتمانُ شيءٍ مما أمروا بتبليغِهِ للخلقِ، وأما الجائزُ في حقِّهم عليهم الصلاة والسلام فالأعراضُ البشريَّةُ التي لا تنافي عُلُو رُتبتهم كالمرضِ والجوعِ والفقرِ مِنَ الأعراضِ الدُّنيويَّةِ مع غنى القلبِ عنها بالله تعالى، والأكلِ والشربِ والنكاحِ والنَّسيانِ في غيرِ ما أمروا بتبليغِهِ أوفيه بعد التبليغِ والنومِ إلَّا أَنَّهُ تنامَ أعينُهُم ولا تنامَ قلوبُهُم ودليلُ وقوعِ جميعِ ذلك بهم، مشاهدتُهُ لأهلِ زمانِهِم، وبلغَ إلينا بالتواترِ وهو نقلُ جماعةٍ عن جماعةٍ يستحيلُ تواطؤُهُم {على الكذبِ عادة} ¹. وفي اتِّصافِهِم بها فوائدٌ لا تخفى قال: يغني ليس نزولُ هذه الأعراضِ بهم كَنزولِها بغيرِهِم في إمكانِ عَدَمِ اقترانِها بالفوائدِ التي تُصَيِّرُها قُرْبًا وعباداتٍ بل لا تنزلُ بهم إلَّا عاريةً عن حِظِّ النفسِ ودواعي الهوى

¹ - عادة على الكذب، في نسخة ب.

محفوظة بالفوائد العرفانية والقرب الشريفة النورانية، كتعبدهم لله تعالى في عرض الأكل والشرب، بما ندب إليه من آدابهما، والصبر والرضا عن الله عند فقدتهما وإيثار ذوي الفاقة، مع شدة الاحتياج إليهما وتشريع جميع ذلك للمؤمنين بهم التابعين لهم، وهكذا حكم مرضهم وجوعهم مع زيادة حصول التسلي عن الدنيا للأمة وتنبههم // نوحه 26 // بخسة قدرها عند الله تعالى إذ لو كان لها موقع عند الله تعالى، لأعطاهم لهؤلاء السادات الذين هم أشرف الخلق عنده تبارك وتعالى، ولحرصوا عليهم الصلاة والسلام على جمعها والتمتع بها أكثر من غيرهم فلما رأيناهم نافرين من فضولها منفرين عنها، غاية علمنا أنه لا خير في فضولها وأن الزهد فيها هو الحق الجامع لكل خير. ولا يخفى على العاقل استنباط الفوائد الكثيرة من أحوالهم عليهم الصلاة والسلام، لأن الله تعالى قد عصمهم واعتنى بكمال هدايتهم، وجعلهم قدوة للخلق في أقوالهم وأفعالهم وسكوتهم وكل ما ألفت العلماء واستنبطوا من فوائد أقوالهم وأفعالهم وأكثروا، نقطة من بحر لا ساحل له، نسأل الله سبحانه أن يزيدهم شرفاً ثم شرفاً إلى ما لا نهاية له، وأن يدخل جميعنا بلا محنة شفاعة سيد الخلق وأكرمهم على الله تعالى، سيدنا ونبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله، وبالله التوفيق.

الفصل الثاني في وجوب الإيمان بملائكة الله تعالى وكتبه المنزلة وجميع رسله عليهم الصلاة والسلام.

قد تقدم لنا الدليل من الكتاب والسنة وإجماع الأمة على وجوب الإيمان بالملائكة والكتب المنزلة، وجميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، فمن كذب بشيء

من ذلك فهو كافرٌ، فالإيمانُ بالملائكة واجبٌ، والصلاةُ عليهم صلاةُ اللهِ وسلامُهُ عليهم مندوبةٌ ومحَبَّتُهُم واجبةٌ، وكيف لا يُحَبُّونَ وهُمْ أَحِبَاءُ اللهِ وَخُدَامُهُ فوجِبَ حُبُّهُمْ لمعنيين:

أَحَدُهُمَا لكَثْرَةِ إِحْسَانِهِمْ إِلَى الْخَلْقِ لما روي: " إِنَّ لَابِنِ آدَمَ ثَلَاثَ مَائَةٍ وَسِتِينَ عَرَقًا بَيْنَ مُتَحَرِّكِ وَسَاكِنٍ، وَكَلَّ اللهُ بِكُلِّ عِرْقٍ جَمْعًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ فَلَوْ تَحَرَّكَ السَّاكِنُ أَوْ سَكَنَ الْمُتَحَرِّكُ لَتَأَذَى مِنْ ذَلِكَ، وَاخْتَلَّ حَالُهُ وَفَسَدَ نِظَامُهُ ". وروي: " إِنَّ الْعَبْدَ يَلْزَمُهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ عَشْرَةٌ، وَلَكِنَّهُمْ لَيْسُوا بِكَاتِبِينَ ". قال عثمانُ رضي الله عنه: " مَلَكٌ عَنْ يَمِينِهِ وَمَلَكٌ عَنْ شِمَالِهِ { وَمَلَكٌ أَمَامَهُ }¹، وَمَلَكٌ خَلْفَهُ، وَمَلَكٌ فَوْقَهُ، وَمَلَكٌ تَحْتَهُ وَمَلَكٌ يَضَعُهُ إِذَا تَكَبَّرَ، وَمَلَكٌ يَرْفَعُهُ إِذَا تَوَاضَعَ، وَابْلِيسُ بِاللَّيْلِ، وَأَوْلَادُهُ بِالنَّهَارِ " وقيلَ بالعكس.

الثاني: أَنْ يَحِبُّوا لِأَجْلِ مَا هُمْ بِسَبَبِهِ مِنْ كَثَرَةِ الطَّاعَةِ لِلَّهِ تَعَالَى كَمَا وَصَفَهُمْ سبحانه بقوله: ﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾²، وقال تعالى: ﴿ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾³.

قلتُ: " ومِمَّا يُقَوِّي حُبَّهُمْ فِي قَلْبٍ // نوحه 27 // الْمُؤْمِنِ وَيُوجِبُ لَهُمُ الْإِهْتِبَالُ بِهِمْ، وَهُوَ الْمَعْنَى الْأَوَّلُ كَوْنُهُمْ صَفْوَةٌ بَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى وَرُسُلِهِ وَأَنْصَارًا لِلْمُؤْمِنِينَ فِي جَمِيعِ الْمَوَاطِنِ، وَمَا جُبِلُوا عَلَيْهِ مِنْ مَحَبَّةِ الْمُؤْمِنِينَ وَالِدُّعَاءِ لَهُمْ بِالْمَغْفِرَةِ وَ الْهَدَايَةِ، كَمَا

¹ — ملك أمامه، ساقطة من ب.

² - التحريم - آية 6

³ - الأنبياء - آية 20

أَلْهَمَهُمُ الْمَوْلَى سُبْحَانَهُ لَذَلِكَ قَالَ جَلَّ مَنْ قَائِلٌ: ﴿الْكَثِيرُ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾¹ إِلَى الْعَظِيمِ.

(ث) أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ بِخَبْرٍ يَتَضَمَّنُ تَشْرِيفَ الْمُؤْمِنِينَ وَيُعْظِمُ الرَّجَاءَ لَهُمْ وَهُوَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ الْحَامِلِينَ لِلْعَرْشِ وَالَّذِينَ حَوْلَ الْعَرْشِ وَهَؤُلَاءِ أَفْضَلُ الْمَلَائِكَةِ يَسْتَغْفِرُونَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَسْأَلُونَ لَهُمُ الرَّحْمَةَ وَالْجَنَّةَ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى فِي غَيْرِ هَذِهِ الْآيَةِ ﴿كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا﴾²، أَيْ سَأَلَتْهُ الْمَلَائِكَةُ قَالَ ابْنُ عَطِيَّةٍ: "وَبَلَّغَنِي أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِبَعْضِ الصَّالِحِينَ ادْعَ لِي اسْتَغْفِرَ لِي فَقَالَ ثُبِّ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ اللَّهِ يَسْتَغْفِرُ لَكَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي وَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ"، وَقَالَ مَطْرَفُ ابْنِ الشَّخِيرِ³: "وَجَدْنَا أَنْصَحَ الْعِبَادِ لِلْعِبَادِ الْمَلَائِكَةُ وَأَغْشَى الْعِبَادِ لِلْعِبَادِ الشَّيَاطِينُ وَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ. انْتَهَى

قَالَ الْعُلَمَاءُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: "وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ الْخَوْضُ فِيهِمْ بِمَا لَمْ يَرِدْ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَلَا سُنَّةٍ، هَلْ هُمْ ذُكُورٌ أَمْ إِنَاثٌ أَوْ عَلَى أَيِّ شَكْلٍ هُمْ، فَأَنَّى لِلْعَبْدِ الضَّعِيفِ الْمَحْجُوبِ الْقَاصِرِ الْبَحْثُ فِي هَذَا وَرُوحُهُ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْهِ، وَبَسْبِهَا يَتَصَرَّفُ عَلَى حَسَبِ مَا أُجْرَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ مِنَ الْعَادَةِ، بِذَلِكَ وَهُوَ لَمْ يَعْلَمْ حَقِيقَتَهَا فَكَيْفَ بِمَنْ خُلِقَ مِنَ النُّورِ وَقُوَّتُهُ التَّسْبِيحُ وَالتَّقْدِيسُ لِلَّهِ تَعَالَى، وَلَا شَهْوَةٌ لَهُمْ أَصْلًا وَلَا لَهُمْ آبَاءٌ وَلَا أُمَّهَاتٌ، أَحْيَاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى حَيَاةً وَاحِدَةً ثُمَّ يُمِيتُهُمْ مَوْتَةً وَاحِدَةً، ثُمَّ يُخْيِيهِمْ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُمْ حَيَاتَانِ وَمَوْتَةٌ وَاحِدَةٌ، قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ (ث) وَرَوَى جَابِرُ بْنُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ

1 - غافر الآية 7

2 - الفرقان الآية 16

3 - مطرف ابن الشخير من قبيلة ربيعة وهو من التابعين اشتهر بتقواه وزهده وروى عن رسول الله، لم يشارك في الفتنة وتوفي سنة 95هـ. ترجم له الذهبي في سير أعلام النبلاء، الجزء الرابع، ص 187، واسماعيل بن عمر بن الكثير في البداية والنهاية الجزء التاسع ص 172.

عليه وسلم قال [أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلِكٍ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ وَعَاتِقِهِ مَسِيرَةً سَبْعِ مِائَةِ سَنَةٍ]¹ قال الداودي. وعن هارون بن رباب² قال: حملة العرش ثمانية يتجاوبون بصوت حسنٍ فأربعةٌ يقولون: سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ عَلَى حِلْمِكَ بَعْدَ عِلْمِكَ، وأربعةٌ يقولون سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ عَلَى عَفْوِكَ بَعْدَ قُدْرَتِكَ.

واعلم أنه يجب للملائكة عليهم الصلاة والسلام، من الكمال ما يجب للرسل عليهم الصلاة والسلام، ويستحيل ما استحال عليهم، وكل ما أُوهم نقصاً في حقهم، أو في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام، من الكتاب والسنة وجب تأويله، (م) " فقصة هاروت وماروت وجعلهما // لוחة 28 // مَلَكَيْنِ يُعَلِّمَانِ النَّاسَ السِّحْرَ وَيَزِيدُ فِيهَا، كَذِبُ الْمُؤَرِّخِينَ مِنْ أَنَّهَما عَوْقِبَا وَمُسِخَا، وذلك كله كَذِبٌ وَزُورٌ، لَا يَحِلُّ اعتقاده، وَلَا سَمَاعُهُ بَلِ الَّذِي يَجِبُ اعتقاده في حق جميع الملائكة ما وصفهم به المولى العظيم من أَنَّهُمْ ﴿عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾³ وأما قصة هاروت وماروت، فإن لم يكونا ملكين فواضح وإن كانا ملكين فتعليمهما للسحر لم يكن للعمل به بل للتجريد منه بتعريف حقيقته وبيان شره وعقوبته ولهذا أخبر تعالى عنهما أَنَّهُما قالَا: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾⁴ وهذا كتعليم حقيقة الزنا وأنواع الرِّبَا والمحرمات للتَّجَرُّدِ مِنْهَا، ولهذا قال حذيفة رضي الله

¹ أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ج 6/314 وأبو نعيم في الحلية 3/158 وإسناده صحيح كما قال الذهبي وصححه الشيخ الألباني.

² - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء - هارون بن رباب الأسدي - الحديث رقم 3260

³ - التحريم الآية 6

⁴ - البقرة الآية 102

عنه: [كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ النَّبِيَّ { صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ }¹ عَنْ الْخَيْرِ وَكَنْتُ أَسْأَلُهُ عَنْ الشَّرِّ مَخَافَةً أَنْ أَقَعَ فِيهِ]². وكقصة آدم على نبينا وعليه الصلاة والسلام وقوله تعالى ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾³ فالتحقيق أَنَّ الْمُرَادَ الْمَعْصِيَةَ وَالْغَوَايَةَ اللغويتان، وهما وقوع صورة المخالفة والغواية، التي هي ترك المرائد سواء وقعا عمداً أو نسياناً أو تأويلاً، لا الشرعيتان وهما المخالفة عمداً مع العلم بالتحريم ورحم الله تعالى الإمام العالم ابن العربي حيث قال: "يجب تنزيه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام عما نسب إليهم الجهال، ولكن الباري سبحانه بحكمه النافذ وقضائه السابق أسلم آدم إلى الأكل من الشجرة متعمداً للأكل ناسياً للعهد فقال في تعمده ﴿وَعَصَى آدَمُ﴾ وقال في بيان عذره ﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَتَنِسَ﴾⁴، فمُتَعَلِّقُ الْعَمْدِ غَيْرُ مُتَعَلِّقِ النسيانِ وَجَازٌ لِلْمَوْلَى جَلٍّ وَعَزٌّ أَنْ يَقُولَ فِي عَبْدِهِ لِحَقِّهِ (عَصَى) تَنْزِيهاً وَيَعُوذُ عَلَيْهِ بِفَضْلِهِ فيقول: (نَسِيَ) تَقْرِيْباً وَلَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ مِنَّا أَنْ يُطْلَقَ ذَلِكَ عَلَى آدَمَ، وَيَذْكُرُهُ إِلَّا فِي تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ أَوْ قَوْلِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى فِي أَشْرَفِ خَلْقِهِ سَيِّدِنَا {وَمَوْلَانَا}⁵ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿لِيَغْفِرَ لَنَا اللَّهُ مَا تَقَكَّمْ مِنْ غَنَبٍ وَمَا تَلَاخَرُ﴾⁶ وَكَقَوْلِهِ ﴿وَوَضَعْنَا عَنَّا وَزَرَ﴾⁷. أَمَا //

¹ - زيادة من ب.

² متفق عليه أخرجه البخاري في المناقب ومسلم في الإمارة 13 - باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة لكن اللفظ الذي أتى به المؤلف أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين في كتاب الفتن والملاحم.

³ - طه الآية 121

⁴ - طه الآية 115

⁵ - زيادة من ب.

⁶ - الفتح الآية 2

⁷ - الشرح الآية 3

الأول فمعناه: سترنا عنك الذنب الذي يتوهم وصوله إليك ويُعد ذلك ذنبا بالنسبة إليك، وإن كان حسنة بالنسبة إلى غيرك كالأنس بالطاعات والقصد بها، نيل ما يُلائم النفس كالجنة ونحو ذلك مما هو لائق بأهل الحجاب، فأخرى سائر الذنوب التي هي ذنوب حقيقة، وأمّا الثاني ففيه أقوال، والأظهر إن حُمِلَ الوزر على الذنب إن وضعه حينئذ بمعنى الحفظ منه ومن سوابقه ومن لواحقه // نوحه 29 // حتى لا يحمل مؤنة مؤنه. فانظر بقيته في محله وفيما لوخنا به كفاية.

وأما الإيمان بسائر الأنبياء وحبهم فواجب، والصلاة عليهم مندوبة (د) "وكيف لا يحبون وهم إخوان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وهم شركاؤه في النبوة والرسالة، وعددهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، كلهم كريم فاضل في نفسه والرسل منهم ثلاث مائة وثلاثة عشر على عدد أهل بذر، وقيل أربعة عشر على عدد جيش طالوت، وقيل خمسة عشر، وقيل لا ينبغي الحصر، لعدم النص القاطع مع قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُرْ عَلَيْكَ﴾¹ أولهم آدم وآخرهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، - أربعة سريانيون... إدريس ونوح وشيث وخانوخ وهو إدريس... ونوح... وأربعة من العرب، هود وشعيب وصالح، ونبينا {محمد صلى الله عليه وسلم}²، فأول أنبياء بني إسرائيل موسى وآخرهم عيسى (ث) وكان بين إبراهيم وموسى ألف سنة، وبين موسى وعيسى ألف سنة وبين عيسى ومحمد صلى الله عليه وعليهم وسلم خمس مائة سنة وستون

1 - غافر الآية 78

2 - مكتوبة في الطرة بنسخة ب.

سنة، وقيل أربعون سنة، واختلفوا هل في الأنبياء إناث أم لا، قال ابن العربي، الصحيح أنَّهم كلُّهم ذكور، وقيل في مريم ابنة عمران وآسية بنت مزاحم، {امرأة فرعون} ¹ أنَّهما أنبياء، لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ﴾ ². انتهى

قلت: وينبغي ألا يُختلف في الرُّسلِ أنهم كلُّهم ذكور، لأن الإمامة لا تصحُّ للمرأة مطلقاً كبرى وصغرى، كما اتفقوا على أنَّ الأنبياء كلُّهم أحرارٌ وليس فيهم عبيدٌ وما ذُكر عن لقمان الحكيم رضي الله عنه أنه نبيٌّ لم يصح وإنَّما هو وليٌّ من أولياء الله تعالى، وكان مُصاحباً لداود عليه السلام، وكان عبداً حبشياً لامرأة من بني الحسحاس بحائنين، مهملتين وسينين. وأفضل الأنبياء أولوا العزم وهم خمسة يجمعهم قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ نُوحٌ وَإِبْرَاهِيمُ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ ³ وكذا قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ﴾ ⁴ الآية، وسُمُّوا {أولي} ⁵ العزم، لأنَّهم يوحى إليهم في اليقظة والمنام وغيرهم، إنَّما يوحى إليهم في النوم وأفضلهم سيِّدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم. (م) "لا ريب ولا خفاء لكل مُوفقٍ أن سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم، رسول الله تعالى أرسله الله ﴿بِالْحَقِّ وَبِالْحَقِّ﴾ ⁶ لكافة الإنس والجن، وجعل سبحانه شريعته السمحة ناسخة لجميع الشرائع، باقية إلى أن تقوم الساعة، ولم يُخالف في ثبوت رسالته عليه الصلاة والسلام من أهل الملل والأديان، إلا البعض من اليهود والنصارى، والحجَّة عليهم أنه عليه الصلاة

¹ - ساقطة من ب

² - آل عمران الآية 42

³ - الأحزاب الآية 7

⁴ - الشورى الآية 13

⁵ - أولوا في نسخة ب.

⁶ - الفتح الآية 28

والسلام اَدَعَى النُّبُوَّةَ // نوحه 30 // وَ الرِّسَالَةَ وَأَظْهَرَ المعجزةَ، وَكُلُّ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ
فهو نَبِيٌّ مُرْسَلٌ . أما دَعْوَاهُ عليه الصلاة والسلام الرسالة إلى الخَلْقِ، فَأَمْرٌ معلومٌ
بالضَّرورةِ، وأما إظهارُ المعجزةِ فَلأنَّه أتى بالقرآنِ، وأخبرَ بالمُعْجِبَاتِ وَأَظْهَرَ أَفْعَالاً
كثيرةً، تخرجُ عن الحِصْرِ على خِلافِ المُعتادِ، بلغت جُمْلَتُهَا حدَّ التَّوَاتُرِ واستيفاءِ
ذلك، ممَّا لا تَقِي بِهِ الأسفارُ الكثيرةُ ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : "وبالجُمْلَةِ فثبوتُ
رِسالةِ نَبِيِّنَا وَمَوْلَانَا محمد صلى الله عليه وسلم، وشرفُهُ وتعظيمُ شأنِهِ على كُلِّ ما
خَلَقَ مولانا تبارك وتعالى أَجْلَى مِنْ الشَّمْسِ" وقد ثَبَتَ الإجماعُ على أَفْضَلِيَّتِهِ
صلى الله عليه وسلم على جميعِ الخَلْقِ، وشواهدُ ذلك من الكتابِ والسُّنَّةِ لا تُكادُ
تُحْصَرُ¹ ولا يَلْتَفِتُ إلى مَنْ ابْتَدَعَ وحاولَ غَيْرَ ذلك، ويَكْفِيكَ في مَعْرِفَةِ شَفَوْفِهِ²
وَعُلُوِّ مَنْزِلَتِهِ عِنْدَ اللهِ تعالى على جميعِ المَخْلوقاتِ عموماً بلا استثناء. ما أُجْمِعَ
عليه من التَّقَدُّمِ لِلشَّفَاعَةِ الكُبْرَى في مَوْطِنِ الآخِرَةِ وتَنْوِيهِ اللهِ تعالى هُنَالِكَ بِقَدْرِهِ
وَالرَّفْعِ لِمَنْزِلَتِهِ والإِكْرَامِ لَهُ حيثُ اجْتَمَعَ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ، وَجميعُ الْأَنْبياءِ
وَالْمُرْسَلِينَ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْمُقَرَّبِينَ، وَعَمَّ الْخَطْبُ واشْتَدَّ الْهَوْلُ، وَكُلُّ مَشْغُولٍ بِنَفْسِهِ
خَائِفٌ هَائِبٌ لَجَلالِ المَوْلَى العظيمِ جاتُّ على رُكْبَتَيْهِ، لِمَا يَرى في ذَلِكَ اليَوْمِ مَنْ
الْخَطَرِ وَالْهَوْلِ الْجَسِيمِ، ولا يَتَجاسَرُ أَحَدٌ في ذَلِكَ اليَوْمِ الهائلِ على مُخاطَبَةِ المَوْلَى
تبارك وتعالى في رَفْعِ شَيْءٍ مما نَزَلَ سِوَى عِبْدِهِ وَخاتِمِ رِسالِهِ وعروسِ مَمْلَكَتِهِ
وَسِرِّهَا وإِكْسيرِهَا وَسَيِّدِ كُلِّ ما خَلَقَ مولانا جَلَّ وَعَلا سَيِّدُنا مُحَمَّدٌ صلى الله عليه
وسلم، فيقولُ عندما يَنْتَهِي الناسُ في طَلَبِ الشَّفَاعَةِ إلى المَوْلَى تبارك وتعالى: أنا

1 - أَخَذنا بما هو موجود في ب .

2 - شَفَوْفٌ جَمْعُ شَفٍّ وَالشَّفَفُ : الْفَضْلُ ، كما جاء في معجم المعاني الجامع

لَهَا، لَا يَخَافُ وَلَا يَهْمُهُ أَمْرُ نَفْسِهِ وَلَا يَتَتَعَّعُ¹ وَيَذْهَبُ حَتَّى يَسْجُدَ تَحْتَ الْعَرْشِ،
فَيَقُولُ الْمَوْلَى جَلَّ وَعَلَا: ارْفَعْ رَأْسَكَ يَا مُحَمَّدُ وَقُلْ يُسْمَعُ لَكَ وَسَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ
تُشْفَعُ، فَاَنْظُرْ رَحِمَكَ اللَّهُ هَذَا الْخَطَابُ الْعَزِيزُ اللَّطِيفُ الشَّرِيفُ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ مِنْ مَوْلَانَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فِي هَذَا الْيَوْمِ الْهَائِلِ الَّذِي غَضِبَ فِيهِ سُبْحَانَهُ
غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، كَيْفَ وَهُوَ صَرِيحٌ بِالْمَعْنَى بِلَا
نِزَاعٍ وَلَا رَيْبٍ وَلَا اخْتِمَالٍ، إِنَّهُ لَا أَكْرَمَ مِنْ نَبِينَا وَسَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ عَلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى. وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ: [عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَوَّلُ مَنْ
يَقْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ فَيَقُولُ رِضْوَانُ خَازِنُهَا عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ
رِضْوَانُ {خَازِنُهَا}² عَلَيْهِ السَّلَامُ: بَكَ أَمَرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ أَوْ كَمَا قَالَ³.
وَرُوي مَا مَعْنَاهُ "أَنَّ النَّارَ عِنْدَمَا تَسْوِقُهَا الْمَلَائِكَةُ الْمُؤَكَّلُونَ بِهَا بِالسَّلَاسِلِ لِتُحِيطَ
بِالْخَلْقِ فِي الْمَحْشَرِ فَإِذَا قُرِبَتْ مِنْهُمْ // لَوْحَةٌ 31 // نَحْوَ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ تَشْهَقُ
شَهِيقًا عَظِيمًا مَنكَرًا وَتَنْفِلُ مِنْهَا الْأَعْنَاقُ إِلَى الْمَحْشَرِ، طَوَّلَ الْعُنُقِ خَمْسَمِائَةِ سَنَةٍ
لَهُ فَمَّ وَأَسْنَانٌ مِنْ نَارٍ، وَيَصِلُ الْعُنُقُ إِلَى الْمَحْشَرِ، وَيَزْفِرُ عَلَيْهِمْ، وَيَشْهَقُ عَلَيْهِمْ
شَهِيقًا مَنكَرًا لَا يَسْتَطِيعُ سَمَاعُهُ، وَيَمْلَأُ عَلَيْهِمُ الْجَوُّ ظِلْمَةً وَنَارًا زِيَادَةً عَلَى مَا هُمْ
فِيهِ مِنَ الْأَهْوَالِ الْجَسِيمَةِ، وَيَلْتَقِطُ الْعُنُقُ النَّاسَ مِنَ الْمَوْقِفِ وَيَبْتَلِعُهُمْ ذَلِكَ الْعُنُقُ
الطَّوِيلُ إِلَى جَوْفِهِ، وَحِينَئِذٍ تَجْتَوُوا عَلَى الرُّكْبِ الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَالْأَنْبِيَاءُ وَالرُّسُلُ
عَلَى جَمِيعِهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَحِينَئِذٍ يَنْهَضُ إِلَى النَّارِ نَبِينَا وَسَيِّدُنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدُ

1 - تتعنع ، يتتعنع ، تتعنا ، تردد في قول شيء ، كما جاء في معجم المعاني الجامع

2 - ساقطة من ب.

3 - صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب في قول النبي صلى الله عليه وسلم أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعًا. حديث رقم 196 .

صلى الله عليه وسلم، فيزجرها عن الناس ويأمرها بالتأخر عنهم، فتسمع النار حينئذ نداءً من قبل الله تبارك وتعالى: اسمعي له وأطيعي وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: [أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأنا سيد الناس وآدم فمن دونه تحت لوائي يوم القيامة ولو كان موسى وعيسى حين ما وسعهما إلا اتباعي]¹ وبالجمله فثبت شرفه وأفضليته على جميع المخلوقات يكاد أن يكون معلوماً من الدين ضرورة حيث لا يحتاج إلى سرد دليل.

• تنبيهان ؛ الأول: قال الشيخ العارف بالله محمد بن عباد رضي الله عنه في رسائله في معنى الأفضلية التي بين الأنبياء والرسل وفي معناهم الملائكة على جميعهم الصلاة والسلام قال: [إنما وقعت الأفضلية بينهم بحكم الله تعالى بأفضلية بعضهم لا من أجل علة موجبة لذلك وجدت في الفاضل وفقدت في المفضول، وللسيد أن يفضل بعض عبده على بعض بما شاء، وإن كان كل واحد منهم كاملاً في نفسه بالغاً من ذلك الغاية، وأما أن يعتقد أن صفات الفاضل ناقصة وصفات الأفضل كاملة، فهذا عندي تكلف وتعسف ولا يسلم من الوقوع في سوء الأدب]². باختصار، قلت: وعلى هذا النمط يحمل ما ورد في تفضيل بعض سور القرآن وآياته كما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى في محله. الثاني اختلّف هل يتعرّض للأفضلية بين الأنبياء

¹ لم أعر عليه أبداً بهذا اللفظ وإنما الذي صح بلفظ "أنا سيد ولد آدم ولا فخر" أخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد تحت رقم 73 ، باب ذكر الشفاعه وقال الشيخ الألباني: صحيح ، وأما الطرف الأخير من الحديث فلا يصح إلا عن موسى عليه السلام بلفظ "ولو كان موسى حياً ما وسعته إلا اتباعي" رواه البيهقي في شعب الإيمان في المقدمة ذكر حديث جمع القرآن 199/1 وحسنه الألباني في تخريج أحاديث مشكاة المصابيح برقم 175.

² - لم أعر عليه

والملائكة عليهم الصلاة والسلام أولاً على أربعة أقوال، ثالثها الوقف، و
رابعها الفرق بين ملائكة الأرض وملائكة السماء فملائكة السماء أفضل من
الأنبياء وملائكة الأرض الأنبياء أفضل منهم وهذا الخلاف فيما عدا نبينا
محمد صلى الله عليه وسلم، وأمّا النبي صلى الله عليه وسلم فإنه أفضل
من جميع ما خلق الله بالإجماع وبالله تعالى التوفيق.

وأما الكتب المنزلة من عند الله تعالى فهي مائة كتاب وأربعة كتب، أنزل الله على
شيث خمسين وعلى إدريس ثلاثين وعلى إبراهيم// نوحه 32 // عشرة صحائف وعلى
موسى قبل التوراة عشرة، وأنزل التوراة على موسى والإنجيل على عيسى و الزبور
على داوود، والفرقان على نبينا محمد عليه وعليهم الصلاة والسلام، كذا روى أبو
ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رضي الله عنه: [دخلت المسجد، فإذا
رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس، فجلست إليه فقال: يا أبا ذر للمسجد
تحية، ركعتان فم فاركعهما، قال فلما ركعتهما جلست إليه فقلت: يا رسول الله إنك
أمرتني بالصلاة فما الصلاة، قال خير موضوع، فاستكثر أو استقل الحديث، قال
قلت يا رسول الله ما كانت ضحف إبراهيم قال: كانت أمثالا كلها أيها الملك
المسلط المبتلى المغرور إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ولكن
بعثتك لترد عني دعوة المظلوم، فإني لا أردّها ولو من كافر وكان فيها أمثال وعلى
العاقل أن تكون له ساعة ينجي فيها ربّه ساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يفكر
في صنع الله عز وجل إليه، وساعة يخلو فيها لحاجته، من المطعم والمشرب
وعلى العاقل ألا يكون ظاعنا إلا لثلاث... تزود لمعاد و مؤونة لمعاش أو لذة في
غير محرم، وعلى العاقل أن يكون بصيرا بزمانه مقبلاً على شأنه حافظاً للسانه،

ومن حسب كلامه من عمله قلّ كلامه إلا فيما يعنيه. قال: قلت يا رسول الله فما كانت صحف موسى؟ قال: كانت عبراً كلّها، عجبْتُ لمن أيقن بالموت، كيف يفرح! عجبْتُ لمن أيقن بالقدر ثم هو ينصب¹! أي يتعب، وعجبْتُ لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها ثم اطمأنَّ إليها! وعجبْتُ لمن أيقن بالحساب غداً ثم لا يعمل! قال: قلت: يا رسول الله فهل في أيدينا شيءٌ ممّا كان في يدي إبراهيم وموسى ممّا أنزل الله عز وجل، قال نعم اقرأ يا أبا ذر: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾² إلى آخر هذه السورة. يعني أنّ ذكر هذه الآيات لفي صحف إبراهيم وموسى. قال: قلت يا رسول الله زدني فأوصني قال: أوصيك بتقوى الله عز وجل، فإنّها رأسُ أمرِك. قال: قلت يا رسول الله، زدني قال إياك وكثرة الضحك فإنه يُميت القلب ويذهبُ بنور الوجه. قال: قلت يا رسول الله زدني. قال: عليك بتلاوة القرآن وذكر الله عز وجل فإنّه ذكرٌ لك في السماء، ونورٌ لك في الأرض. قلت يا رسول الله زدني. قال: عليك بالجهاد فإنّه رهبانيةٌ أمّتي. قلت يا رسول الله زدني، قال عليك بالصّمتِ إلّا من خيرٍ فإنه مطرّدةٌ للشيطان، وعونٌ لك على أمر دينك³. انتهى //

نوحه 33 // وبالله تعالى التوفيق.

¹ — أخرجه ابن حبان في كتاب البر والإحسان باب ما جاء في الطاعات وثوابها قال محققه الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده ضعيف جداً

² — الأعلى الآية 13 - 14

³ — أخرجه ابن حبان في كتاب البر والإحسان باب ما جاء في الطاعات وثوابها قال محققه الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده ضعيف جداً.

الفصل الثالث في الإيمان باليوم الآخر وتفصيله.

اعلم رحمك الله وإيانا، أن الإيمان باليوم الآخر وبجميع ما جاءت به السَّمْعِيَّاتُ من الأمور المُغَيَّبَاتِ، فما سُنِّيَّتُهُ بعدُ إن شاء الله، واجب دَل عليه الكتابُ والسُّنَّةُ، وأُجْمِعْتُ عليه الأُمَّةُ، فهو حقٌّ وصِدْقٌ، ودَلَّ العقلُ أيضا على جوازِهِ لأنَّهُ لما ثبتَ بالعقلِ والنقلِ كمالُ التصرُّفِ للمولى جل وعلا، في مُلكِهِ، ووجِبَ عمومُ تعلُّقِ قُدرَتِهِ تعالى وإرادَتِهِ، بكلِّ ممكِنٍ، ولا يُعجزُهُ تعالى شيءٌ منها، و صحَّ جوازُ خرقِ الله العادةَ دُنْيا وأُخْرَى، صحَّ أنْ يعدمَ تعالى جميعَ الخلقِ بعدَ إيجادِهِمْ وأنْ يوجِدَهُمْ بعدَ إعدامِهِمْ، كما قدَّ شوهدَ ذلك في أصلِ خَلْقَتِهِمْ في كثيرٍ، فلزم استواء جميعِها في ذلك، إذ القبولُ نفسِي لا يَخْتَلِفُ، كما أنَّ الشرعَ أتى بإثباتِ ذلك، وبُجُوبِ الإيمانِ به قال تعالى: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾¹ وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ... إِلَى الْأَخْسَرِينَ﴾² وقد ضربَ الله سبحانه لوجوبِ وجودِهِ ووجوبِ البعثِ لخلقه بعد فنائِهِمْ ووجوبِ لقائه تعالى في كتابِهِ العزيزِ امْتِثَالًا، تُفِيدُ القطعَ بوجودِ ذلك منه سبحانه لا تكاد تتحصِرُ، ولِنُشْرِ إلى بعضها مع ما يتعلَّقُ به من التفسيرِ لينتفعَ به السَّامِعُ ويطمئنَّ قلبُهُ إن كان ذا عقلٍ سديدٍ، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾³

¹ - الفرقان الآية 11

² - النمل الآية 27

³ - ق الآية 37

قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تَرَابٍ ثُمَّ مَرَّ مِنْ نُّصْفَةٍ ثُمَّ مَرَّ مِنْ عِلْقَةٍ { ثُمَّ }^١ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرَ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ هِفْلًا ثُمَّ لَتَبَلَّغُوا أَشْدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْجُلِ الْعُمْرِ لَكَيْلًا يَعْلَمُ مَن بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ فَهَتَرَتْ وَرَبَتْ وَانْبَتَتْ مِّنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ لَّا يُلْأَثُّ لَبْنُ اللَّهِ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّرُ الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَإِنَّا لَالِدِيْعَةٌ مِّنْ فِي الْقُبُورِ^٢ ٤.

(ث) " هذا احتِجاج على العالم بالبداية الأولى، وضربَ سبْحانه في هذه الآية مثليْن، إذُ اعتبرَهما الناظر جَوَزَ في العقلِ البعْثَة من القبور، ثم وردَ الشرعُ بوقوعِ ذلك وقوله: ﴿ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تَرَابٍ ﴾ يريد آدم ﴿ ثُمَّ مَرَّ مِنْ نُّصْفَةٍ ﴾ يريد المنى ﴿ ثُمَّ مِنْ عِلْقَةٍ ﴾ يريد من الدَّم الذي تعود النُّطفَة إليه في الرِّجَم والعلق الدَّم العَبِيْط ﴿ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ ﴾ يريد مضْغَة لحم على قدر ما يمضغ، و﴿ مُّخَلَّقَةٍ ﴾ يريدُ متممة وغيرِ متممة التي تسقط وقوله سبحانه: (لَنُبَيِّنَ لَكُمْ) مغناه أمر البعث (ونقر) أي نحن نُقر في الأرحامِ والأجل المُسمَّى مختلفٌ بحسبِ حين، فثم من يسقط وثم مَن يكْمَل أمره // لَوْحَة 34 // ويخرج حيا ﴿ ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ هِفْلًا ثُمَّ لَتَبَلَّغُوا أَشْدَّكُمْ ﴾ قيل بلوغِ الأربعين سنة ﴿ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُتَوَفَّى ﴾ أي قبلَ ذلك ﴿ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْجُلِ الْعُمْرِ ﴾ وهو حصولُ الإنسانِ في زمانَةٍ واختلالِ عقلٍ وضُغْفِ قُوَّة. فهذا مثالُ

1 - ساقطة من ب

2 - الحج الآية 5

واحد يقضي للمُعْتَبَر به، إن القادر على هذه المناقلِ المُتَقِن لها قادرٌ على إعادة¹ تلك الأجساد التي أوجدها بهذه المناقلِ إلى حالها الأولى. وقوله عز وجل: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً﴾ الآية، هذا هو المثال الثاني الذي يُعْطَى للمُعْتَبَر فيه جوازُ بعث الأجساد، وذلك أن إحياء الأرض بعد موتها بَيِّنُ فذلك الأجساد، وهامدةٌ معناها ساكنةٌ، واهتزازُ الأرض هو حركتها بالنبات وغير ذلك مما يغتريها بالماء ﴿وَرَبَّتْ﴾ معناه نشرت وارتفعت، والزَّوْجُ النَّوْعُ، والبَهِيجُ من البهجة وهي الحُسْن. وقوله سبحانه ﴿إِنَّمَا بَلَّغَ اللَّهُ الْحَقَّ﴾ إشارة إلى جميع ما تقدم. انتهى باختصار. وقال ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ إِنَّمَا مَا مِتَّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾² أي استبعادا للحياة بعد الموت، ثم قال تعالى في الردِّ عليه ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾³ وقال تعالى

﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نَصْفَةٍ فَإِنَّا هُوَ خَصِيمٌ مُمِيزٌ وَضَرْبُ لِرَبِّهَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾⁴ . . {هذا أيضا استبعاد لإحياء العظام} ⁵ أي بالية متفتتة ثم ردَّ عليه سبحانه بقوله: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ إلى قوله ﴿كَرْ فَيَكُونُ﴾. (ث) والصَّحِيح في نزول الآية ما رواه ابن وهب عن مالك أن أبا ابن خلف " جاء بعظم رميم ففقه في وجه النبي صلى الله

¹ - ساقطة من ب

² - مريم الآية 66

³ - مريم الآية 67

⁴ - يس الآية 77 - 78

⁵ - ساقطة من ب

عليه وسلم وحياله، وقال: من يُحيي هذا يا محمد؟¹ ولأبي هذا مع النبي صلى الله عليه وسلم مقامات ومقالات، إلى أن قتله النبي عليه السلام بيده يوم أُحُد طعنه بجربة في عنقه. والرميم البالي المتفتت وهو الرفاة ثم عَقَبَ تعالى بدليل ثالث، وهو إيجاد النار في العود الأخضر المرتوي ماءً، وهذا هو زناد العرب والنار موجودة في كل عود غير أنها في المتخلخل المفتوح المسام أوجد، وكذلك هو المرخ والعباد انتهى. إلى غير ذلك من الآيات التي تفيذ القطع بذلك، ولم يخالف فيه إلا الدهرية، المنكرون لحرق العوائد، والحجة عليهم ما تقدم.

ولليوم الآخر أسماء كثيرة، اليوم الآخر وسمي بذلك لأنه لا ليل بعده، وأوله القبر وآخره الاستقرار، في إحدى الدارين الجنة أو النار أعادنا الله منها، بمنه ويوم القيامة، ويوم البعث والنشور، ويوم القارعة، ويوم الطامة، ويوم الصاخة، والحاقة والزلزلة والحساب والفصل والأجل المسمى إلى غير ذلك، وكانت العرب إذا عظمت شيئاً أكثرت أسماءه، ولا شك أن هذا اليوم يوم عظيم يجب على العاقل الاعتناء بشأنه، والاستعداد له قبل نزوله والتزوّد له بالتقوى // نوحه 35 // قبل حلوله، إذ هو يوم طويل وسفر بعيد وخطب جسيم، تنقطع فيه العلائق والوسائل، ولا يتكلم فيه ﴿إلا من أغن له الرحمن وقل صواباً﴾² من كل سائل و﴿لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم﴾³. قال المفسرون معناه الخالص من

¹ أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين كتاب التفسير 429/2 وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

² - النبأ الآية 38

³ - الشعراء الآية 88

الشرك والمعاصي وعلّق الدنيا المتروكة، وإن كانت مباحة كالمال والبنين، ﴿يَوْمَ لَا
تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يَقْبَلَ مِنْهَا عَدْلٌ﴾¹ أي فدية ولا تنفعها شفاعَةٌ من
حميم، إلا أن يأذن الربّ الرحيم، ويا ويح المغرورين الغافلين أمثالنا المطمئنين
بزخارف الدنيا الفانية الظاهرة كسُفها الفرحين بالتّمثّع بشهواتها، التي هي لذات في
الظاهر وفي الحقيقة سُموم قتالة لا تُساع غُصتها، العاجزين المطروحين
المطرودين الذين {استعبدتهم}² الهوى وغرهم الأمل والمنون، وحسبوا أنّهم على
شيءٍ إلا أنّهم هم الكاذبون، حتّى أتاهم يومٌ لا مردّ له من الله، بحلول الموت الذي
يتمنى عنده تأخير ساعة أو نفس، ليأتي بتهليلة أو تسبيحة أو تحميدة أو يتصدق
بمئثال ذرة لله رب العالمين فيقال له هيهات، لا تأخير ولا تقديم. فيقول عند
ذلك ﴿يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَحْتُ بِهِ جَنبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لِمِنَ السَّالْخِينَ﴾³ (ث) (غ)
في الإحياء قال أبو زكريا التميمي⁴: "بينما سليمان ابن عبد الملك في المسجد
الحرام، إذ أتى بحجر منقوش فطلب من يقرأه فأتى وهب بن فقيه فإذا فيه: ابن آدم
لو رأيت قرب ما بقي من أجلك لزهدت في طول أمك، ولو رغبت في الزيادة من
عمك، ولقصرت من حرصك وحيلك، وإنما يلقاك غدا ندّمك، لو قد زلّت بك
قدمك، وأسلمك أهلك وحشمك، ففارقك الولد والقريب ورفضك الوالد والنسيب، فلا

1 - البقرة الآية 48

2 - استعبدهم - في نسخة ب، ونحن فضلنا ما جاء في نسخة أ.

3 - الزمر الآية: 56.

4 - الإمام الحافظ شيخ خراسان أبو زكريا يحيى بن يحيى التميمي النيسابوري من كبار رواة الحديث كان زاهدا خيرا فاضلا (ت 226هـ) أورد ترجمته الذهبي في سير أعلام النبلاء الطبقة الثانية عشر .

أنت إلى دُنْيَاكَ عائدٌ، ولا في حَسَنَاتِكَ زائدٌ فاعمل ليوم القيامة قبل الحَسرة
والندامة. فَبَكَى سُلَيْمَانُ بكاءً شديداً انتهى. شعر:

كَتَبْتُ وَقَدْ أَيْقَنْتُ لَا شَكَّ أَنَّي * * * * سَتَقْنِي يَدِي يَوْمًا وَيَبْقَى كِتَابُهَا

وَلَا شَكَّ أَنَّ اللَّهَ سَأَلُهَا غَدًا * * * * فَيَا لَيْتَ شَعْرِي مَا يَكُونُ جَوَابُهَا

فَإِمَّا نَعِيمٌ فِي الْجَنَانِ وَرَاحَةً * * * * وَإِمَّا جَحِيمٌ لَا يُطَاقُ عَذَابُهَا¹.

اللَّهُمَّ أَقِلْ عَثْرَاتِنَا وَاغْفِرْ زَلَّاتِنَا بِفَضْلِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، فَإِذَا ثَبَتَ هَذَا فَيَنْبَغِي أَنْ
يَكُونَ كَلَامُنَا فِي هَذَا الْقَصْلِ عَلَى سَبِيلِ التَّفْصِيلِ وَالِاخْتِصَارِ فِي مَوَاضِعٍ فِي
مَعْنَى السَّاعَةِ وَفِي أَشْرَاطِهَا لَوْ فِي عَدَدِ النَفَخَاتِ وَمَنْ يَفْنَى مِنَ الْحَوَادِثِ وَكَمْ بَيْنَ
النَّفَخَتَيْنِ² وَفِي الْبَرْزَخِ وَفِي إِعَادَةِ الرُّوحِ فِي الْقَبْرِ وَضَغْطَةِ الْقَبْرِ وَسُؤَالِ الْمَلَائِكَةِ
وَعَذَابِ الْقَبْرِ أَعَادَنَا اللَّهُ مِنْهُ بِمَنْهَ، وَفِي الْبُعْثِ // نوحه 36// وَالْحَشْرِ وَالنَّشْرِ
وَالْحِسَابِ، وَتَطَايُرِ الصُّحُفِ وَالْمِيزَانِ وَالصِّرَاطِ وَحَوْضِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ، وَثُبُوتِ شَفَاعَتِهِ صَلَّى وَسَلَّمَ، وَشَفَاعَةِ غَيْرِهِ وَنَفُوذِ الْوَعِيدِ فِي طَائِفَةٍ مِنْ
عَصَاةِ الْمُؤْمِنِينَ، ثُمَّ يُخْرَجُونَ مِنْهَا بِشَفَاعَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِشَفَاعَةِ غَيْرِهِ
وَإِثْبَاتِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ أَعَادَنَا اللَّهُ مِنْهَا بِمَنْهَ وَكَرَمِهِ.

أَمَّا السَّاعَةُ قَالَ: الْمَفِيدُ فِي شَرْحِ الرِّسَالَةِ، قَالَ الشَّيْخُ: يَغْنِي الْجَزُولِيُّ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ: السَّاعَةُ عِبَارَةٌ عَنِ الْآخِرَةِ وَهِيَ مِنْ بَابِ تَسْمِيَةِ الْكَلَامِ، وَيَجُوزُ لَهُ يَرَادُ

1 - أبيات منسوبة لمجهول وهي من البحر الطويل

2 - في ب (وفي عدد النفخات وكم بين النفخين ومن يفنى من الحوادث)

بالسَّاعَةِ أَوَّلَ سَاعَةِ الْآخِرَةِ، وَقِيلَ عِبَارَةً عَنْ آخِرِ سَاعَةِ الدُّنْيَا، وَتَطْلُقُ عَلَى وَقْتِ
الْإِفْنَاءِ بِالنَّفْخَةِ وَالْإِحْيَاءِ، فَالْأَوَّلَى هِيَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ
أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾¹ أَيِ أَيِّ وَقْتٍ لَوْفَتْهَا. وَالثَّانِيَةُ هِيَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ
يُرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾² وَمَجْمُوعُهَا هُوَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ
تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّالِفَةُ﴾³ وَأَمَّا أَشْرَاطُهَا أَيُّ عَلَامَاتُهَا، فَاعْلَمْ أَنَّ مَجِيءَ
السَّاعَةِ مِمَّا اسْتَأْثَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِعِلْمِهِ لَا يَعْلَمُهُ قَطْعًا إِلَّا هُوَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِلَيْهِ يُرْجَى
عِلْمُ السَّاعَةِ﴾⁴ وَقَوْلُهُ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ، لَكِنْ بَيْنَ يَدَيْهَا أَشْرَاطٌ تَقْدَرُ بِهَا،
وَأَشْرَاطُ تُوَكِّدُ قُرْبَهَا فَهِيَ عَلَى قِسْمَيْنِ صُغْرَى وَكُبْرَى. فَأَمَّا مُقَدِّمَاتُهَا: قِلَّةُ الْعِلْمِ
وظُهُورُ الْجَهْلِ وَكَثْرَةُ الْفِتَنِ، وَوَلَايَةُ الصِّبْيَانِ، وَأَنْ يَلِيَ الْأَمْرَ غَيْرُ أَهْلِهِ، وَكَثْرَةُ الرِّبَا،
وَكَثْرَةُ الْعُقُوقِ، وَتَأْمِينُ الْخَائِنِ، وَخِيَانَةُ الْأَمِينِ، وَزَادَ بَعْضُهُمْ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ فِي زَمَنِ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَجْمَ الشَّيَاطِينِ مِنَ السَّمَاءِ. وَزَادَ بَعْضُهُمْ كَثْرَةَ الْمَالِ
وَكَثْرَةَ النِّسَاءِ، وَفَتْحُ قُسْطَنْطِينِيَّةِ الْعُظْمَى وَهِيَ صُطُنْبُولُ.

وَعَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ⁵، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: [اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ
السَّاعَةِ: مَوْتِي ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدَسِ، ثُمَّ مَوْتَانِ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقَعَصِ الْغَنَمِ، ثُمَّ
اسْتِفَاضَةُ الْمَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ فَيُظَلُّ سَاخِطًا، ثُمَّ فِتْنَةٌ لَا يَبْقَى بَيْتٌ

1 - النازعات الآية: 42.

2 - النازعات الآية: 46.

3 - النازعات الآية: 7.

4 - فصلت الآية: 47.

5 - هو عوف بن مالك الأشجعي الغطفاني شهد فتح مكة وله جماعة من الأحاديث - ترجم له الذهبي في
سير أعلام النبلاء طبقة الصحابة الجزء 2 ص 487.

من العرب إلا دخلته، ثم هذنة تكون بينكم وبين بني الأصفر، فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية، أي راية تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً، السيوطي وقعت الست إلا السادسة فإنها تقع قرب خروج الدجال¹ رواه البخاري . وأما التي تؤكد قربها، ولا خلاف بين العلماء في ثبوتها لورود النص بها من الكتاب والسنة، ومن كذب بشيء منها فهو كافر، وهي خمسة : خروج الدجال لعنه الله، وظهور عيسى عليه السلام، وفتح السد، وهو {خروج}² // نوحه 37 // يأجوج ومأجوج، وخروج الدابة التي ترشم الناس، وطلوع الشمس من مغربها. أما المسيح الدجال فهو مأخوذ من دجل الشيء إذا عظم. المفيد، قال الخطابي³:

" فلغة العامة فيه بكسر الميم وشد السين، ليكون فرقاً بين مسيح الضلال ومسيح الهدى، وليس ما ادعوه بشيء، ولا فرق بينهما إلا أن مسيح عيسى بمعنى ماسح اسم فاعل لأنه كان إذا مسح ذا عاهة برئ، وقيل خلق عيسى ممسوحاً بدهن الجنة قاله الزناتي. والدجال بمعنى مفعول، لأنه ممسوح العين اليسرى، وقيل من مسح الأرض، روي أنه يضع رجله حيث انتهى بصره، ويبقى في الأرض أربعين يوماً، ثم ينزل عيسى عليه السلام فيقتله، وأول يوم كالسنة لشدته، والثاني كالشهر والثالث كالجمعة والباقي كسائر الأيام. و روى أن الدجال يخرج من يهود أصفهان أحد عينيه ممزوجة بالدم، والأخرى كأنها لم تخلق، يتناول الطير من

1 - كتاب أبواب الجزية والموادعة باب ما يحذر من الغدر والحاكم في المستدرك كتاب الفتن والملاحم وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياق.

2 - ساقطة من ب.

3 - هو أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي الشافعي (ت 388هـ) محدث وفقيه من كبار أئمة الشافعية، من مؤلفاته شأن الدعاء في شرح أسماء الله الحسنى ومعالم السنن في شرح سنن أبي داود - وفيات الأعيان ج2 ص 215 - سير أعلام النبلاء ج 17 ص 23.

الهواء له ثلاث صِيحَاتٍ، يسمَعُهَا أَهْلُ المَشْرِقِ وَأَهْلُ المَغْرِبِ يَرْكَبُ حِمَارَةً بَيْنَ أُذُنَيْهَا أَرْبَعُونَ ذِرَاعًا، يَسْتَنْظِلُ تَحْتَ أُذُنَيْهَا سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الْيَهُودِ، عَلَيْهِمُ اللُّغْنَةُ وَعَلَيْهِمُ التَّيْجَانُ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الجُمُعَةِ مِنْ صَلَاةِ الغَدَاةِ، وَقَدْ أَقِيِمَتِ الصَّلَاةُ فَالتَفَتَ المَهْدِي فَإِذَا هُوَ بَعِيسَى بْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَدْ نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ فِي ثَوْبَيْنِ كَأَنَّمَا يَقْطُرُ رَأْسُهُ المَاءَ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [قَدْ أَفْلَحَ أُمَّتِي أَنَا أَوَّلُهَا وَعِيسَى آخِرُهَا]¹. وعن ابن عمر رضي الله عنهما أَنَّهُ قَالَ: [يَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا رَأَى الدَّجَالَ ذَابَ كَمَا تَذَوُّبُ الشَّحْمَةِ فَيَقْتُلُهُ وَيَتَفَرَّقُ عَنْهُ الْيَهُودُ فَيَقْتُلُونَ حَتَّى أَنَّ الحَجَرَ يَقُولُ يَا عَبْدَ اللَّهِ السَّلَامُ هَذَا يَهُودِي تَعَالَى فَاقْتُلْهُ]².

(ث) وفي الحديث الصحيح، عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [فَمَنْ أَدْرَكَ الدَّجَالَ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ]³ زاد أبوداود [فَإِنَّهَا جَوَارِكُمْ مِنْ فِتْنَتِهِ]. وعن أَبِي الدَّرْدَاءِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: [مَنْ قَرَأَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَالِ]⁴ رواه مسلم. وتَلْبِيسُهُ وَتَمْوِيهِهِ عَلَى الْجَهَالِ كَثِيرٌ. روي: " أَنَّهُ يَتَّبِعُهُ كُلُّ شَيْءٍ وَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ وَتَنْتَبِثُ الْأَرْضُ لِحَيْنِهَا وَمَعَهُ جَنَّةٌ وَنَارٌ فَجَنَّتُهُ نَارٌ وَنَارُهُ جَنَّةٌ، فَمَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ وَدَخَلَهَا كَانَتْ عَلَيْهِ بَرْدًا وَسَلَامًا وَأَنَّهُ يُسَلِّطُهُ اللَّهُ عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ فَيَقْتُلُهُ وَيُحْيِيهِ بِإِذْنِ اللَّهِ فَيَقُولُ لَهُ الرَّجُلُ: الْآنَ أَعْلَمُ أَنَّكَ الدَّجَالُ، فَلَا يُسَلِّطُ عَلَيْهِ ثَانِيًا، وعن ابن عمر عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ

1 - لم أعثر عليه

2 - أخرجه مسلم الحديث رقم 34.

3 - أخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشرط الساعة باب ذكر الدجال وصفته وما معه ، الحديث رقم 2937

4 - من قرأ عشر آيات من سورة الكهف عُصِمَ من فتنة الدجال، ورد هذا الحديث بهذه الصيغة في صحيح ابن حبان حديث رقم 785 قال شعيب الأرناؤوط إسناده صحيح.

قال: [ليضحبن الدجال أقوام يقولون إِنَّا لَنَعْلَم أَنَّهُ كاذب ولكننا نضحه // لوحة 38
// لنأكل طعامه ونزعى من الشجر فإذا نزل غضب من الله نزل بهم كلهم]¹. قال
السيوطي رضي الله عنه في جوابه المسمى: - بالكشف عن مجاوزة هذه الأمة
الألف - الذي دلت عليه الآثار، " أن مدة هذه الأمة تزيد على ألف سنة ولا تبلغ
الزيادة عليها خمس مائة سنة، وذلك لأنه ورد من طرق أن مدة الدنيا سبعة آلاف
سنة وأن النبي صلى الله عليه وسلم بعث في آخر الألف السادسة، وورد أن
الدجال يخرج على رأس المائة، وينزل عيسى عليه السلام فيقتله ثم يمكث في
الأرض أربعين سنة، وأن الناس يمكثون بعد طلوع الشمس من مغربها مائة
وعشرين سنة، وأن بين النفختين أربعين سنة فذلك مائتا سنة، والباقي من الألف
أقل من ذلك، وإلى الآن لم يخرج الدجال ولا نزل عيسى عليه السلام ثم قال
والدجال إنما يخرج على رأس المائة، وقبله مقدمات منها ظهور المهدي قبله بسبع
سنين، فأقل ما يكون أن يكون خروجه على رأس الألف إن لم يتأخر إلى مائة
بعدها "، قلت: وقد مضى رأس الألف على ظاهر التاريخ من الهجرة إذ هذه سنة
ثلاثين بعد الألف بالسنة القمرية، وأما بالعجمية فهي تمام الألف بإسقاط
الإزدلافت، وهي ثلاث سنين من كل مائة والله أعلم، فإن لم يظهر بشيء من
ذلك بالقرب، تعين تأخيره لآخر هذه المائة والله أعلم. ثم قال: وأخرج أحمد الزاهد
عن أبي هريرة: [يلبث عيسى بن مريم في الأرض أربعين سنة لو يقول للبطحاء
سيلي عسلا لسالت، وورد أنه لا يموت أحد في زمانه، ولا يمرض ويقول الرجل

¹ - رواه ابن أبي شيبة في المصنف كتاب الفتن باب ما ذكر في فتنة الدجال.

لغَنَمِهِ وإِبْلِهِ: اذهبوا فارْعُوا وتمُرُّ الشاةُ بين الزَّرْعَيْنِ ، لا تَأْكُلْ مِنْهُ سُنْبِلَةً وَالْحَيَّاتُ وَالْعَقَارِبُ لا تَوْدِي أَحَدًا، وَوَرَدَ أَنَّهُ إِذَا مَاتَ يَسْتَخْلِفُونَ بِأَمْرِهِ رَجُلًا مِنْ بَنِي تَمِيم يُقَالُ لَهُ الْمُقْعَدُ فَإِذَا مَاتَ الْمُقْعَدُ لَمْ يَأْتِ عَلَى النَّاسِ ثَلَاثَ سِنِينَ حَتَّى يُزْفَعَ الْقُرْآنُ مِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ وَمَصَاحِفِهِمْ. وَوَرَدَ: أَنَّهُ يَبْقَى النَّاسُ بَعْدَ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ سَبْعَ سِنِينَ لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عداوةٌ ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ رِيحًا باردةً تَجِيءُ مِنْ قَبْلِ الشَّامِ، فَلَا تَدْعُ أَحَدًا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ، إِلَّا قُبِضَتْ رُوحُهُ حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ فِي كَبِدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتْ عَلَيْهِ حَتَّى تَقْبِضَهُ ثُمَّ يَبْقَى أَشْرَارُ النَّاسِ فَيَجِيئُهُمُ الشَّيْطَانُ فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ فَيُعْبَدُونَهَا¹. وَوَرَدَ: إِذَا انصَرَفَ عَيْسَى وَالْمُؤْمِنُونَ مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، لَبِثُوا سَنَوَاتٍ ثُمَّ زَادَا أَهْيَنَةُ الْهَرَجِ وَالْغُبَارِ فَإِذَا هِيَ رِيحٌ قَدْ بَعَثَهَا اللَّهُ لَتَقْبِضَ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ، فَتَلْكَ آخِرُ عَصَابَةِ تُقْبِضُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. ثُمَّ تَبْقَى أَشْرَارُ الْخَلْقِ يَتَهَارَجُونَ تَهَارِجَ الْحَمِيرِ مِائَةَ سَنَةٍ وَقِيلَ مِائَةَ وَعِشْرِينَ سَنَةً عَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ " //² لَوْحَةٌ 39 // انتهى باختصار.

تَنْبِيهِ: وَلَا يُعَارِضُ هَذَا بِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ]³. قَالَ الْبُخَارِيُّ، فَهُمْ أَهْلُ الْعِلْمِ وَلَا يَكُونُ الْعِلْمُ مَعَ فَقْدِ الْقُرْآنِ كَمَا قَالَه الدَّائِدُ ، لِأَنَّ ذَلِكَ مِنَ الْأَشْرَاطِ الَّتِي

¹ أخرجه مسلم في صحيحه ، رقم الحديث 2940.

² أخرجه أحمد مُسْنَدُ الشَّامِيِّينَ حَدِيثُ النَّوَاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْكَلَابِيِّ الْأَنْصَارِيِّ وَقَالَ مُحَقِّقُهُ إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ.

³ متفق عليه أخرجه البخاري في كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة باب قول النبي صلى الله عليه وسلم (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق). وهم أهل العلم، ومسلم في كتاب الإيمان باب نزول عيسى بن مريم حاكمًا بشرية نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

هي أمر الله، " وقد حكى ابن الخطيب عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: [أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَى الْأَرْضِ خَمْسَةَ أَنْهَارٍ: سَيْحُون، جَيْحُون، وَدِجْلَةٌ، وَالْفَرَات، وَالنَّيْل من عين واحدة من عُيُون الْجَنَّةِ، على جناح جبريل فاستودعها الجبال، وأجراها في الأرض وجعل فيها منافع للناس، فإذا كان عند خُرُوج يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى جَبْرِيْلَ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَرَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ الْقُرْآنَ وَالْعِلْمَ كُلَّهُ وَالْحَجَرَ مِنْ رُكْنِ الْبَيْتِ، وَمَقَامَ إِبْرَاهِيمَ وَتَابُوتَ مُوسَى بِمَا فِيهِ، وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ الْخَمْسَةُ فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ عَذَابٍ بِهِ لَقَادِمُونَ﴾¹ فَإِذَا رُفِعَتْ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ فَقَدْ أَهْلُهَا خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ². انتهى باختصار. ذكره الثعالبي وأما يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ فَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ مَأْجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾³ الْآيَةُ.

(ث) روي: " أَنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ يَشْرَفُونَ كُلَّ يَوْمٍ عَلَى الْفَتْحِ فَيَقُولُونَ غَدًا نَفْتَحُ وَلَا يَرُدُّونَ الْمَشِيئَةَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي فَتْحِهِ، فَإِذَا كَانَ غَدًا وَجَدُوا الرِّدْمَ كَأَوَّلِهِ حَتَّى إِذَا أَذِنَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ فِي فَتْحِهِ قَالَ قَائِلُهُمْ: غَدًا نَفْتَحُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَيَجِدُونَهُ كَمَا تَرَكُوهُ قَرِيبَ الْإِنْفِتَاحِ فَيَفْتَحُونَهُ حِينَئِذٍ"⁴. وَالْحَدَبُ كُلُّ مُسْنَمٍ مِنَ الْأَرْضِ كَالْجَبَلِ وَالطَّرِيقِ وَالْكُذْبَةِ وَالْمَرَادُ أَنَّهُمْ يَطْلَعُونَ مِنْ كُلِّ ثَنِيَّةٍ وَيَمْلَأُونَ الْأَرْضَ مِنْ كَثَرَتِهِمْ وَ﴿يَنْسِلُونَ﴾⁵ مَعْنَاهُ يُسْرِعُونَ. وَأَسْنَدَ الطَّبْرِي عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: [يُخْرِجُ يَأْجُوجَ مَأْجُوجَ فَلَا يَتْرَكُونَ

¹ - المؤمنون الآية: 18.

² - جواهر الحسان - الثعالبي - الجزء الرابع - ص 145

³ - الأنبياء الآية: 97.

⁴ - الجواهر الحسان - الثعالبي - الجزء الرابع - ص 101

أحدًا إلا قتلوه إلا أهل الحصون فيمرون على بحيرة طبرية فيمُر آخرهم فيقول كان هنا إمارة ماء. قال: فينبعث الله عليهم النّقب حتى تكسر أعناقهم فيقول أهل الحصون: لقد هلك أعداء الله، فيدُلّون رجلاً ينظر فيجدهم قد هلكوا قال فيُنزل الله ماءً من السماء فيقذف بهم في البحر فتطهر الأرض منهم]. وفي حديث حذيفة نحو هذا، وفي آخره قال: [وعند ذلك طلوع الشمس من مغربها]. قلت: وهو أيضا من الشروط الكبرى وبها يكون غلق باب التوبة فلا تقبل التوبة بعدها من مؤمن ولا كافر، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا﴾¹، الآية . وأما خروج الدابة فقال تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾² (ث) روي: " أن ذلك حين ينقطع الخير ولا يؤمر بمعروف ولا ينهى عن منكر ولا يبقى منيب ولا تائب"³، وفي الحديث // لوحة 40 //: أن الدابة وطلوع الشمس من المغرب من أوّل الأشرار، وهذه الدابة روي أنها تخرج من الصفا بمكة وقوله تعالى ﴿تُكَلِّمُهُم﴾ من الكلام. وقرأ ابن عباس (تكلّمهم) بفتح التاء وسكون الكاف من الكلم وهو الجرح. وسئل ابن عباس عن هذه الآية فقال: تُكَلِّمُهُم وتكَلِّمُهُم . وروي " أنها تمرّ على الناس فتسم الكافر في جبهته وترجّره وتشتّمه وربما حطّمتّه وتمسّح على وجه المؤمن وتبيّضه ويعرف بعد ذلك الإيمان والكفر من أثرها وفي الحديث: تخرج الدابة معها خاتم سليمان وعصى موسى فتجلو وجوه المؤمنين بالعصا وتختم أنف الكافر بالخاتم، حتّى أن الناس يجتمعون

1 - الأنعام الآية: 158.

2 - النمل الآية: 82.

3 - الجواهر الحسان - الثعالبي - الجزء الرابع - ص 258

فيقول هذا يا مؤمن ويقول هذا يا كافر رواه البزار¹. وأما عدد النفخات وكَم بينهما.

المفيد: فالنفخات ثلاث على ما تَصَمَّنَه حديثُ أبي هريرة رضي الله عنه [الأولى نفخةُ الإمامة، واثنان للإحياء، وَتُرد الأرواحُ إلى أجسادها بواحدةٍ وَتُدْعَوْنَ إلى الموقفِ بالأخرى، فالصوتُ الأول: أيتها الأرواحُ الغافلةُ والنُفُوسُ المطمئنةُ أجبي خالقك فقد دعاك. والصوتُ الثاني: أيتها الأجسامُ البالية والعظامُ النخرةُ عودي كما كنتِ أولًا بإذنِ ربك ثم هُلْمِي إلى ما قَدِّمْتَ من عَمَلٍ]². واختلفَ في مقدار ما بينهما، فالصحيحُ أَنَّهُ أربعونَ سنةً وقيلَ ثلاثونَ سنةً. وفي الحديث: [يُمَطَّرُ اللهُ الأرضَ قبلَ هذا أربعينَ يومًا بماءٍ شبيهٍ بمَنِي الرِّجالِ، فينبُتُ بهِ الأجسادُ مما بقي في الأرضِ، وهو عَجْمُ الذَّنْبِ، المقولُ فيه "تأكلُ الأرضُ ابنَ آدمَ إلا عَجْمَ الذَّنْبِ منه خلقَ وفيه يَركبُ، فإذا تَهَيَّأتِ الأجسادُ، نَفَخَ فيها الرُّوحُ³ حينئذٍ، وعَجْمُ الذَّنْبِ ويقالُ عَجَبُ الذَّنْبِ، عَظْمٌ كالظَّفرِ مُسْتَدِيرٌ مُعَلَّقٌ بآخرِ فقرةٍ من فقارِ الصَّلبِ وعليه يَسْتَقِرُّ الجلوسُ]. وفي الحديث: [إذا صارَ الإنسانُ رَمِيمًا ولم يبقَ إلا عَجْمُ الذَّنْبِ فيأمرُ اللهُ تعالى بِمَطَرٍ يَنزُلُ من تحتِ العرشِ كَمَنِي الرِّجالِ يُحْيِي اللهُ الخَلْقَ من ذلكَ، كما كانوا أولَ مرَّةٍ، فيجمَعُ اللهُ الأرواحَ في قَرْنٍ من نورٍ فيه ثُقُبٌ على عددِ الخلائقِ، ثم يأمرُ اللهُ تعالى إسرائيلَ بالنفخِ في الصُّورِ، فَيُخْرِجُ كلَّ روحٍ من ثُقُبِها، فيصيرُ كلَّ روحٍ إلى قَبْرِه فيبيعُهم اللهُ تعالى] واختلفَ في نفخةِ الفزعِ، هل

1 - الجواهر الحسان - الثعالبي - الجزء الرابع - ص 159

2 - لم أَعثر عليه .

3 - الأرواح في نسخة أ، أخذنا بما هو موجود في نسخة ب لانسجام المعنى.

هي في الدنيا على القوم الذين تقوم عليهم القيامة ويُقوي ذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنها تَذْهَبُ كُلُّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ إِثْمَةٍ حِمْلًا حَمْلُها وَتَرى النّاسَ سُكّارًا وَمَا هُمْ بِسُكّارٍ﴾¹ الآية. وجاء في حديث أبي هريرة: [أَنَّ نَفْخَةَ الْفَرْعِ تَمْتَدُّ وَإِنَّ ذَلِكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِي النَّصْفِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ فَيُسَيِّرُ اللَّهُ الْجِبَالَ فَتَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ثُمَّ تَكُونُ سَرَابًا ثُمَّ تَرْتَجُّ الْأَرْضُ بِأَهْلِها رَجًّا وَتَضَعُ الْحَوَامِلُ مَا فِي بُطُونِها وَيَشِيبُ الْوِلْدَانُ وَيُولِي النَّاسَ مَدْبِرِينَ ثُمَّ يَنْظُرُونَ إِلَى السَّمَاءِ فَإِذَا هِيَ // نُوحَةٌ 41 // كَالْمُهْلِ ثُمَّ انْشَقَّتْ]²، ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم: [والموتى لا يعلمون شيئاً من ذلك قلت يا رسول الله فمن استثنى الله عز وجل حين يقول: ففزع من في السماوات ومن في الأرض إلا ما شاء الله؟ قال: أولائك هم الشهداء]³. وقيل هي في القيامة، ويعضده ما خرجه البخاري وغيره عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [يقول الله جل ثناؤه يوم القيامة، يا آدم فيقول لبيك يا ربنا وسعديك، فيقول: أخرج بعث النار، فيقول يا ربنا وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسع مائة وتسعة وتسعين إلى النار وواحد إلى الجنة، فحينئذ تضع الحامل حملها ويشيب الولد وتري الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد] وفي تمام الحديث [تسع مائة وتسعة وتسعون من يأجوج ومأجوج إلى النار وواحد منكم إلى الجنة وما أنتم في الأمم إلا كالشعرة البيضاء في الثور الأسود، أو كالشعرة السوداء في الثور الأبيض]⁴، أو كما قال صلى الله عليه وسلم. قلت: ولا

1 - الحج الآية: 2.

2 أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده أول الكتاب 84/1.

3 - لم أعثر عليه

4 أخرجه البخاري تحت رقم 3348 ، و مسلم تحت رقم 222 . و لكن هناك اختلاف في الصيغة.

يبعد وقوعهما معًا والله أعلم. وأما من يفنى من الحوادث فلا خلاف أنه يفنى جميع الخلق من الملائكة والجن والإنس والشياطين والبهائم إلا من استثنى الله تعالى في قوله ﴿ فَصَعَوْا فِي السَّمَاوَاتِ وَمِنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾¹. (ث) عن ابن بزيمة: "الذي تلقيناه من شيوخنا المحققين أن العوالم التي لا تقنى سبعة: العرش، والكُرسي، واللوح، والقلم، والجنة، والنار، والأرواح. وأما البرزخ فهو الحاجز بين الشيئين قال تعالى ﴿ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ ﴾² أي حاجز ومعناه هنا: الحاجز بين الدنيا والآخرة وفيه تكون الأرواح. والإيمان به واجب دلّ عليه الكتاب والسنة ومن كذّب به فهو كافر زنديق.

المفيد: والبرزخ له ثلاثة أشياء: زمان ومكان وحال، فزمانه خروج الروح من الجسد إلى يوم يبعثون، وأما مكانه: من القبر إلى عليين، تعمّره أرواح السعداء ومن القبر إلى سجين تعمّره أرواح الأشقياء، وأما الحال فهي ثلاثة: فأرواح أهل السعادة مُنعمّة إلى يوم الدين، وأرواح أهل الشقاء مُعذّبة إلى يوم الدين، وحال هي فيه محبوسة لا توصف بشيء من حين خروجها من الجسد إلى أن تُسأل في القبر. انتهى

وأما إعادة الروح في القبر وضغطه القبر وسؤال الملكين وعذاب القبر فقد ثبت ذلك كله بالكتاب والسنة. (غ) في بداية الهداية وأنه لا يقبل إيمان عبد حتى يؤمن بجميع ما أخبر به الرسول بعد الموت وأوله سؤال منكر ونكير، وهما

¹ - الزمر الآية: 68.

² - الرحمن الآية: 20.

شخصان مهيبان هائلان، زاد غيره أزرقان يغيبان في شعورهما ينحتان الأرض
بأنيا بهما بيد كل واحد مَرْزَبَةٌ من حديد لو اجتمع عليها الثقلان لم يُطيقوها. قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم: [وهي أهون عليهم من هذا ورفع شيئاً من الأرض
// لوحة 42 // ثم قال (غ) " يُقْعِدَانِ الْعَبْدَ فِي قَبْرِهِ سَوِيًّا ذَا رُوحٍ وَجَسَدٍ، فَيَسْأَلَانِهِ عَنِ
التَّوْحِيدِ وَالرِّسَالَةِ، وَيَقُولَانِ لَهُ مَنْ رَبُّكَ ؟ وما تعبد ؟ وما دينك ؟ وما نبيك ؟ وهما
فَتَّانَا الْقَبْرِ وَسَوَّالُهُمَا أَوَّلُ فِتْنَةٍ بَعْدَ الْمَوْتِ فَيُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيُضِلُّ الظَّالِمِينَ .
وذكر النبي صلى الله عليه وسلم أن منكراً ونكيراً ينزلان بالميت في قبره وهما
فظان غليظان أسودان أزرقان يسألانه، فقال له عمر: وأنا كما أنا الآن فقال له:
نعم إذا أخاصمهما¹، " فرآه ابنه عبد الله بعد موته في المنام، فقال ما كان منك
فقال جاءني الملكان فقالا لي: مَنْ رَبُّكَ؟ وما دينك ؟ فقلتُ لهما: الله ربي ونبيي
محمد صلى الله عليه وسلم . وأنتما مَنْ ربكما فنظر أحدهما إلى صاحبه فقال إنه
عمر فوليا عني " . انتهى

تنبيهات:

الأول: المفيد تسمية الملكين الكريمين عليهما السلام منكراً بفتح الكاف ونكيراً إلا
على جهة الذم فليس في الأسماء والدَّوَاتِ حسنٌ ولا قبيح لعينه.

الثاني: تخصيص المؤمنين بالسؤال لئلا يعتقد أنه تحصن بإيمانه من ذلك للعلم
المقطوع بأن الكافر أولى من ذلك . انتهى . الثالث: ذكر السيوطي في أرجوزته؛ "

¹ - ذكره الغزالي في الإحياء ، الجزء الرابع ، ص 426

أن سبعة لا يُسألون في قبورهم فضلاً من الله تعالى، فذكر الشهيد والمرابط يعني رباط الجهاد، والصديق، والمطعون، والأطفال، والميت يوم الجمعة أو ليلتها، والقارئ كل ليلة (تبارك) الملك، وزاد بعضهم معها سورة السجدة ". باختصار. فانظره.

وأما ضغطة القبر، فقد ثبت أيضاً: أن كل ابن آدم تضمه الأرض، فالمؤمن تضمه ضمة حنانة وشفقة، والكافر تضمه ضمّ سخطٍ وعذابٍ، وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: [إذا مات العبد المؤمن فيقول له القبر مرحباً أهلاً، فسترى صني بك، فيضمه ضمة شفقة وحنانة، كالوالدة الشفيقة على ولدها، ويقول: مرحباً بمن كنتُ أحبه وهو على ظهري، فكيف الآن وهو في بطني فيتسع مدّ بصره، ويُفتح له منه باب إلى الجنة، وإذا دفن الكافر أو الفاجر ندم وقال له: لا مرحباً ولا أهلاً، فسترى صني بك فيضمه ضمة عداوة وكراهة ويقول: لا مرحباً بمن كنتُ أبغضه وهو على ظهري، فكيف الآن وهو في بطني فيلتئم عليه ويلتقي عليه، حتى تختلف أضلاعه ويخرج منه ما رضع من أمه ويضيق عليه، ويُسلط عليه سبعون حية، لو أن واحدة منها نفخت في الأرض ما انبتت شيئاً فتنهشه وتخدشه حتى يفضي إلى الحساب]¹. وأما عذاب القبر للكفار، ولبعض عصاة المؤمنين أعادنا الله منه بمنّه ونعيمه لمن رجم المولى الكريم بفضلته من عباده الموحدين، فلا خلاف بين أهل السنة في ثبوته وأنه حق على الروح والجسد قال

¹ - لم أعر عليه .

تعالى ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾¹ قيل: عذاب القبر.
(ث) والضنك النكد الشاق في المعيشة. // لوحة 43// وقال تعالى في آل فرعون:
﴿النار يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾²، و وردَ أَنَّ الميت يعرض عليه مقعده
بالغداة والعشي، فإن كان من أهل الجنة فمن الجنة، وإن كان من أهل النار فمن
النار. وما ثبت في الصحيح: [أنه صلى الله عليه وسلم اجتاز على قبرين فقال
هذان يُعَذبان وما يُعَذبان في كبير وإنه لكبير، أحدهما كان لا يستتر من بوله
والآخر كان يمشي بين الناس بالنميمة]³، وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: [لا
يُعَذَّب أحد من هذه الأمة في قبره إلا في أحد الثلاثة: النميمة والغيبة، والتبول].
(ث) "وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: [أتدرون فيمن
أنزلت هذه الآية، فإن له معيشة ضنكا قالوا الله ورسوله أعلم، قال عذاب الكافر
في القبر والذي نفسي بيده إنه لئسלט عليه تسعة وتسعون تتينا لكل حية تسعة
رؤوس ينفخن في جسمه، ويلسعنه ويخدشنه إلى يوم القيامة، ويحشر من قبره إلى
الموقف أعمى]⁴ وقال صلى الله عليه وسلم: [من كذب بعذاب القبر فلا ينجو منه
إلى يوم يُنفخ في الصور ومن كذب شفاعتي فلا تسعه شفاعتي يوم القيامة، ومن
كذب بحوذي فلا يشرب منه يوم القيامة]، ولم يخالف في ذلك إلا بعض المعتزلة
والحجة عليهم ما تقدم. تنبيه (م) ولا يقدح في عذاب القبر وسؤاله، مشاهدتنا للميت

1 - طه الآية: 124.

2 - غافر الآية: 46.

3 متفق عليه رواه البخاري في الجنائز باب عذاب القبر من الغيبة والبول، ومسلم في الطهارة، باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه. الحديث رقم 34.

4 - الجواهر الحسان - الثعالبي - الجزء الرابع - ص 72

على نحو ما وضع في قبره، وكذا من غرق أو أكلته الطير أو السباع أو أحرقتة النار. ومثل ذلك ضغطة القبر لأن في الموت وما بعدها خوارق عادات أخبر بها الشرع وهي جائزة عقلاً، فوجب الإيمان بها على ظاهرها. وأما البعث قال المفيد: فهو إعادة المعدم ولا يدخل تحت مقدور البشر اتفاقاً، والدليل على ثبوته ما تقدّم بيانه. قال تعالى: ﴿مَنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾¹، وقال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾².

(ث) يحتمل معنيين أحدهما: أن يكون خبراً عن البعث، والثاني: أن يكون خبراً على أن كل شخص يبعث يوم القيامة على هيئته التي خرج بها من الدنيا، ويؤيد هذا قوله صلى الله عليه: «يُخْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَفَاةَ عَرَاةٍ غُرْلًا»³ كما بدأنا أول خلقٍ نعيدُهُ⁴. ومعنى غُرْلًا غير مختونين⁵.

المفيد: فإن قيل أهل الجنة هل هم مختونون أم لا؟ فالجواب من ذلك ما رواه عبد الحكم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ أَجْمَعُونَ أَعْلَاهُمْ وَأَسْفَلُهُمْ عَلَى قَدِّ وَاحِدٍ فِي طَوْلِ آدَمَ سِتُونَ ذِرَاعًا شَبَّانًا جُرْدًا مُرْدًا مُكْحَلِينَ مُخْتَنِينَ»⁵ ومعنى جُرْدًا لا أسنان لهم، ومُرْدًا لا لحية لهم إلا شعر الرأس والحوajib والأشْفَار، وأما البعث // نوحه 44 // فهو من القطع الذي ثبت بالكتاب والسنة وأجمع عليه

1 - طه الآية: 55.

2 - الأنبياء الآية: 104.

3 أخرج مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة.

4 صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي 2194/4.

5 أخرج أحمد في مسند المكثرين من الصحابة مسند أبي هريرة وقال محققه حديث حسن بطرقه وشواهد دون قوله: "في عرض سبع أذرع"، فقد تفرد بها علي بن زيد وهو ابن جُدعان، وهو ضعيف والترمذي في صفة الجنة باب 12 ما جاء في سن أهل الجنة وحسنه العلامة الألباني.

الأنبياء والرسل، وجميع المسلمين وهو عبارة عن إعادة الله الخلق بأعيانهم بعد هلاكهم وهو من المعلوم من الدين ضرورة فلا حاجة إلى سرد الدليل عليه، ثم وقع الخلاف بعد ذلك بين أهل السنة في تلك الإعادة هل هي إيجاد بعد إعدام محض؟ أوهي جمع بين تفريق أجزاء والحق التوقف في ذلك، وهو اختيار إمام الحرمين، إذ كل واحد من الأمرين جائز هيئ في قدر المولى جل وعز، ولم يرد قاطع من الشرع بتعيين الواقع منها فكان الأخط الوقف والله تعالى أعلم. قال في الكبرى¹: " وفي إعادة الأعراض بأعيانها طريقان: الأول تعاد بأعيانها باتفاق، الثاني قولان والصحيح منهما إعادتها بأعيانها وفي إعادة عين الوقت قولان ". انتهى

تنبيه: لا خلاف في بعث المكلفين من الملائكة والجن والإنس والشياطين للنواب والعقاب، وإنما اختلف في البهائم فقل لا تبعث إذ لا تكليف عليها وقيل تبعث (ث) " قال أبو هريرة وعبد الله بن عمر: إن الله تعالى يحضر البهائم يوم القيامة فيقتص لبعضها من بعض، ثم يقول لها بعد ذلك كوني ترابا فيعود جميعها ترابا فعند ذلك (يقول الكافري) ليتني كنت ترابا². ثم قال: " قلت: اعلم رحمك الله أنني لم أقف على حديث صحيح في عودها ترابا وقد نقل عن أبي الحكم إنكار هذا القول وقال: ما نفث روح الحياة في شيء فيفنى بعد وجوده، وقد نقل الفخر هنا عن قوم بقاءها، وإن هذه الحيوانات إذا انتهت مدة أعراضها جعل الله كل ما كان

1 - العقيدة الكبرى وتسمى عقيدة أهل التوحيد للإمام محمد بن يوسف السنوسي (ت 895هـ) تعد من أهم ما صنف في مجال العقيدة الإسلامية وعلم التوحيد وقد كان الطلاب يتنافسون على حفظ هذه العقيدة وهي أول ما صنفه الإمام السنوسي في العقيدة وقد قام بشرحها في كتاب سماه " عمدة أهل التوفيق والتسديد في شرح عقيدة التوحيد " المسمى بشرح السنوسية الكبرى.

2 - النبأ - آية 40

منها حسن الصورة ثوابا لأهل الجنة، وما كان قبيح الصورة عقابا لأهل النار ثم قال: " فَإِنْ صَحَّ فِيهِ شَيْءٌ وَجِبَ اعْتِقَادُهُ وَإِلَّا فَلَا مَدْخَلَ لِلْعَقْلِ هُنَا " ¹. وأما الحشر والحساب فقد ذلَّ على وجوبهما الكتاب والسنة وأجمعت على وجودهما الأمة قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُعْرَضُونَ﴾ ² وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ ³ وقال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ وقال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ ⁴ والمراد بالمجيء لا بالحركة والانتقال لاستحالة ذلك على الله تعالى عقلا ، فقيل: إِنَّ ذلك ممَّا يُؤْمِنُ بِهِ وَيُسَلِّمُ فِيهِ، الأمرُ إلى الله تعالى مع وجوب التنزيه له تعالى وقيل: كما تقول: جاء البرد والطياليسة أي بالطياليسة جمع طيلسان، وهو البرنوس فيكون المعنى: جاء ربك بالملائكة. وقيل معناه: جاء أمره وقضاؤه وفصله بين العباد، وجاء إذا كان يوم القيامة ﴿تَبَدَّلَ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾ ⁵ ويأمرها تعالى فتَمْتَدُّ مَدَّ الْأَدِيمِ أَي الْجِلْدُ وَهِيَ أَرْضٌ بِيضَاءٌ وَقِيلَ مِنْ فِضَّةٍ، لَمْ يَعْصَ اللَّهُ عَلَيْهَا قَطُّ، فتكون

// نوحه 45 // فيها مسيرة خمسمائة عام، فيكون عليها الجن والإنس والسماء كالقبة نزلت على أطراف الأرض، وفي غلظها مسيرة خمس مائة ثم ينزل ملائكة سماء الدنيا فيحدقون بالجن والإنس ثم ملائكة السماء الثانية، ثم كذلك فيصطفون صفا بعد صفا ثم يقول الله تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّ اسْتَعْصَمْتُمْ أَنْ تَنْفَكُوا مِنْ أَقْصَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفَكُوا لَا تَنْفَكُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ ⁶ أي بحجة

1 - الجواهر الحسان - الثعالبي - الجزء الخامس - ص 546

2 - الحاقة الآية: 18.

3 - يونس الآية: 22.

4 - الفجر الآية: 22.

5 - إبراهيم الآية: 48.

6 - الرحمان الآية: 33.

وجاء: أن الناس يُساقون إلى الحشر على أقسامٍ فالمؤمنون يجثون رُكباناً على النُوقِ المُحلاتِ بحلي الجنة، خَطْمُها من ياقوتٍ وزبرجد، قاله علي. وجاء: أنه يزكّب كل أحدٍ منهم ما أَحَبَّ، فمنهم من يزكّب الإبل ومنهم من يزكّب الخيل ومنهم من يزكّب السفينة فتجيءُ عائمةً بهم، وقد ورد في الضحايا: "أنها مطاياهم إلى الجنة والفاجر والكافر يُجرُّ على وجهه"¹. (ث) وفي الخبر: "أن المؤمن يلقاه عمله في أحسن صورةٍ و أفوحها فيُسَلِّم عليه ويقول طالما ركبك في الدنيا وأجهدتك فاركبني اليوم قال: فيَحْمِلُهُ تمثالُ العمل، وإن الكافر يلقاه عمله في أقبح صورةٍ وأنتنها فيشتُمه ويقول: أنا عمالك الخبيث طال ما ركبتي في الدنيا بشهواتك فأنا أركبك اليوم قال: فيَحْمِلُ تمثالُ عمله الخبيث وأوزاره على ظهره"² انتهى.

المفيد، ثم الخلق مُتفاوتون في الحساب، فمن مُناقش فيه ومن مُسامح بفضل الله وممن يدخل الجنة بغير حسابٍ وهم المقربون، ويسأل الله من يشاء من الأنبياء عن تبليغ الرِّسالة، ومن يشاء من الكافرين عن تكذيب المرسلين، ويسأل المبتدعة عن السنة ويسأل المسلمين عن الأعمال. وجاء في الحديث: [تقديره محلَّب شاة أو بقرة أو مقدار ما تُصلي فيه ركعتا الفجر أو مقدار ما تقرأ فيه أم القرآن، وهذا كله على حسب اختلاف الناس، والصحيح أنه يحاسبهم حساباً يسيراً ليس بينه وبينهم تُرجُمان] وصح: " أن يكون ذلك في لحظةٍ واحدةٍ أو كيف يشاء سبحانه". وجاء: " أن المؤمن يُحاسب بالفضل والمِنَّة فيخلو إليه ربُّه سبحانه فيُعَدِّد عليه أعماله

1 - كتاب الضحايا من بداية المجتهد ونهاية المقتصد لأبي الوليد محمد بن رشد القرطبي - الجزء رقم 1 ، بتصرف كبير.

2 - تفسير ابن عطية سورة الأنعام .

فيقول له: عملت كذا في سنة كذا في شهر كذا في يوم كذا في ساعة كذا في محل كذا والعبء يُقر بذلك لمولاه سبحانه. فيقول له المولى جلّ جلاله: سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم، والكافر والمنافق يُحاسب بالعدل على رؤوس الأشهاد ويُنادى عليهم ﴿هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين﴾¹. وجاء في قوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾² (ث) قال بعضهم: " قدره في الطول قدر خمسين ألف سنة " وقال بعضهم: " بل قدره في الشدة " والأول هو الظاهر. وعن أبي هريرة قال [يقصر يومئذ على المؤمنين حتى يكون كوقت الصلاة]³ وقال عبد الحي في العاقبة⁴: " فمن الناس من يطول مقامه وحبسه إلى آخر اليوم // نوحه 46 // ومنهم من يكون انفصاله في مقدار يوم من أيام الدنيا، وفي ساعة أوفي أقل من ذلك ويكون رايحاً في ظل كسبه وعرش ربه، ومنهم من يؤمر به إلى الجنة بغير حساب ولا عذاب، كما أن منهم من يؤمر به إلى النار من أول الأمر من غير وقوف، أو بعد يسير من ذلك، باختصار. والحاصل أن أحوال الحشر والحساب لا تتحصّر بديوان... ولا تُكَيّف بالأذهان... نسأل الله ربنا من فضله، أن يعاملنا بلطفه ورحمته لا بعدله.

وأما تطاير الصحف والميزان والصراط، فقد ثبت ذلك بالكتاب والسنة وأجمعت عليه الأمة قال تعالى ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلَمْنَهُ لَحْظُهُ فِي عُنُقِهِ وَنُفِجَ لَهُ يَوْمَ

¹ هود الآية: 18.

² - المعارج الآية: 4.

³ - لم أعثر عليه

⁴ - العاقبة: للإمام المحدث الحافظ أبي محمد عبد الحق بن عبد الرحمان الإشيلي المالكي (ت 581هـ) كتاب في الوعظ والإرشاد - دار الكتب العلمية 1994 - تحقيق محمد حسن إسماعيل، من ص 142 إلى 144 بتصرف.

الْقِيَامَةِ كِتَابًا يُلْقَاهُ مَنْشُورًا اقْرَأْ كِتَابًا كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلِيًّا حَسِيْبًا¹
وقال تعالى: (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُخْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا²
المفيد، وفي حديث [فاطمة وعائشة رضي الله عنهما قالت كل واحدة منهما: أين
أجذك يوم القيامة يا رسول الله ؟ قال: عند اللواء معي الأنبياء فإن لم تقدرني فعند
الميزان فإن لم تقدرني عند الصِّراط]³ وفي حديث آخر: [هل يذكر أحد حبيبه يوم
القيامة أم لا قال: أمّا في ثلاثة مواطن فلا؛ عند الميزان حتى يعلم أثقل ميزانه أم
لا، وعند تطاير الصحف حتى يعلم يأخذ كتابه بيمينه أم بشماله، وعند الصِّراط
حتى يفرغ من حالته]⁴. فأما المؤمن فيأخذ كتابه بيمينه وإن كان فاسقاً وهو من
اليمن والبركة، فيحاسب حساباً يسيراً، أي سهلاً لينا لا يناقش فيه وقيل الأخذ
باليمن لمن لا نصيب له في النار، وبالشمال لمن له نصيب في النار من
المؤمنين ويكون ذلك علامة له على عدم خلوده في النار، ووراء ظهورهم للكافرين
فقل تَنْقَلُ يُمْنَاهُ إِلَىٰ عُنْقِهِ وَيُجْعَلُ شِمَالُهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فَيُؤْتَىٰ كِتَابُهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ، وَقِيلَ
يَنْقُبُ صَدْرَهُ فَتُدْخَلُ شِمَالُهُ مِنْهُ فَيَأْخُذُ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ جِزَاءً عَلَىٰ إِيحَادِهِ فِي كِتَابِ
الله تعالى وراء ظهره في الدنيا. والمؤمن يجده مكتوباً بخط أبيض فيقرأه فيبيض
وجهه. ومن أخذ كتابه بشماله أومن وراء ظهره يجد خطأ أسود فيسود وجهه، وذلك

1 - الإسراء الآية: 13.

2 - الأنبياء الآية: 47.

3 مسند أحمد مُسْنَدُ الْمُكْثَرِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ مُسْنَدُ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَقَالَ مُحَقِّقُوهُ رَجَالُهُ
رجال الصحيح، ومثنته غريب. وأخرجه الترمذي (2433) عن عبد الله بن الصباح، عن بدل بن المحبر،
عن حرب بن ميمون، بهذا الإسناد. وقال: حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

4 أخرجه الحاكم في المستدرك في كتاب الأحوال وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين وقال
الذهبي في تلخيصه للمستدرك على شرط البخاري ومسلم لولا إرسال فيه بين الحسن وعائشة.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾¹ قيل يجد فيه: ﴿اقرأ كتاباً كفى بنفسه اليوم عليك حسيباً﴾² اقرأ كتابك يا خاطئ، اقرأ كتابك يا عاصي، اقرأ كتابك يا بطل، اقرأ كتابك يا مقصر، اقرأ كتابك يا مفترط، اقرأ كتابك يا ابن آدم، عدل عليك من جعلك حسيب نفسك.

تنبيه: وهل الكتاب المقروء كتاب الحفظ؟ أو كتاب يكتبه في قبره بيده في كفه وإن كان لا يحسن الكتابة، كما ورد في الحديث قولان: وأما الميزان فهو عند أهل السنة بعمود وكفتين. قلت: ورد: "أن كفتيه كأطباق السماوات كفة من نور وهي التي توزن فيها الحسنات وكفة من ظلمة وهي التي توزن فيها" // نوحه 47 // السيئات". ثم قال: "والموزون فيها قيل صحف الأعمال وقيل أمثلة يخلقها الله تعالى للحسنات والسيئات ويظهر سبحانه خفتها وثقلها على قدر أجور الأعمال وما يتعلق بها من ثوابها وعقابها"، وهل الوزن خاص بالمؤمنين أم عام لهم وللكفار ويكون معنى قوله تعالى: ﴿فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾³، نفى الوزن النافع تردد، وهل لكل مكلف ميزان يخصه أو للجميع ميزان واحد؟ فيه خلاف، وليس المقصود من الوزن المقاصة وإبطال كل واحدة من الحسنات والسيئات بما يقابلها كما ذهب إليه الجبائي⁴ من المعتزلة، وإنما المقصود منه إظهار مقادير الثواب والعقاب، على حسب مشيئة الله تعالى، فيكون على هذا أخذ الكتاب باليمين

1 - آل عمران الآية: 106.

2 - الإسراء الآية: 14.

3 - الكهف الآية: 105.

4 - محمد بن عبد الوهاب البصري الجبائي شيخ المعتزلة وصاحب التصانيف (ت 303هـ بالبصرة) أخذ عن أبي يعقوب الشحام، صاحب كتاب الأصول، النهي عن المنكر، أنظر ترجمته في سير أعلام النبلاء الجزء 14 ص 183.

علامةً على عدم الخلود في النار، وعند الميزان يعلم أقدارُ ثوابِ المقبول من الأعمال الصالحات، وأقدارُ العذابِ للمؤاخذين به من الأعمال السيئات، وتقعُ النصفَةُ بينَ المظلومين عند ذلك. وذكرَ البزارُ من حديث أنسٍ عن النبي صلى الله عليه وسلم: [قَالَ مَلِكٌ بِالمِيزَانِ فيؤْتَى بِابْنِ آدَمَ فيُوقَفُ بَيْنَ كَتِفَي المِيزَانِ فَإِنْ ثَقُلَتْ موازينُهُ نَادَى مَلِكٌ بِصَوْتٍ يُسْمِعُ الخَلَائِقَ: سَعِدَ فُلَانٌ سَعَادَةً لَا يَشْقَى بَعْدَهَا أَبَدًا وَإِنْ خَفَّ ميزَانُهُ، نَادَى مَلِكٌ بِصَوْتٍ يُسْمِعُ الخَلَائِقَ شَقِيَّ فُلَانٌ شَقَاوَةً لَا يَسْعُدُ بَعْدَهَا أَبَدًا]¹ انتهى.

من العاقبة ذكره (ث) ومذهب أهل السنة: إنَّ العبدَ إذا أتى بطاعةٍ كأمثالِ الجبالِ ثمَّ كانت له مخالفةٌ واحدةٌ لم يثب منها، فهو في المشيئة، فله سُبْحانه أن يعاقبه عليها بعذله، ويُعطيه بعدَ ذلك جزاءَ طاعته، وله جَلٌّ وعَلا أن يغفرها بفضله وجوده وكرمه. المفيد، والوزنُ يومَ القيامةِ على ثلاثة أقسام:

فالأولُ: للإيمانِ فيُرجح بجميع السيئات فيكون ذلك علماً على الخلود في النعيم ويوزن الكُفر بحسنات الكافر فيرجح بها، فيكون علماً على الخلود في الجحيم. الثاني: توزنُ الأعمالُ بالمثاقيل الزرِّ فيظهر بها مقاديرُ الجزاءِ.

الثالث: توزنُ فيه مظالمُ العبادِ على ما جاء في صحيح الأخبار: "أن المظلوم يأخذُ من حسناتِ الظالم بقدرِ ظلمه إياه، فإن لم تكن له حسناتٌ طرَحَ عليه من سيئاته فيُصرفُ عقابها إليه إلا أن يغفر الله له بمنه" انتهى.

¹ أخرجه البزار في مسند أبي حمزة أنس بن مالك رضي الله عنه 323/2.

وأما الصراط، فهو جَسْرٌ ممدودٌ على مَتْنٍ جَهَنَّمِ أي ظهرها، يَرِدُهُ الأولون والآخرون، لا طريقَ إلى الجَنَّةِ إلا عليه، وهو أَرَقُّ من الشَّعرِ وأحَدٌ من السَّيفِ ومسيرتهُ ثلاثةُ آلافِ عامٍ، ألفٌ صعود، وألفٌ هبوط، وألفٌ استواء، كذا وردت به الأخبار .

وقال ابن دهاق: "اختلفوا في صِفَتِهِ، فذهبت فرقةٌ إلى أَنَّهُ بسيطٌ يقفُ الناسُ بأجمعهم عليه، وعليه يكونُ حسابُهم، وهذا مذهبُ أبي الحسن رحمه الله تعالى، وأبي المعالي أيضا حيثُ قال: يَرِدُهُ الأولون // نوحه 48 // والآخرون، فإذا توافوا عليه قيلَ للملائكةِ ﴿وَقُلْ فَوَهُمْ إِنْهُمْ مَسْئُولُونَ﴾¹ وجعلوا وضفَّهُ له عليه الصلاة والسلام [بالزَّرقَةِ كالشَّعرِ والحدِّ كالسَّيفِ وأكثر في بساطته]². وَمَنْ أَهْلُ الْعِلْمِ وَهُمْ الأكثرون، من قالَ إن الصراطَ جِسْرٌ طرفُهُ في أرضِ القِيَامَةِ وطرفُهُ الثاني في طرفِ الجَنَّةِ، وهو منصوبٌ على مَتْنِ النَّارِ. وقالوا أيضا: أَنَّ أَرْضَ القِيَامَةِ تكونُ على النَّارِ وعليها اجتماعُ الخلائقِ بأسرهم وإنَّ النارَ تفورُ حتَّى تغلي من جوانبها، ويخرجُ منها أعناقُ كالجداول وهي الذكرُ من الحَيَاتِ تسري بينَ الناسِ فتحمِلُ مَنْ شاءَ الله إلى نفسها.

قال عليه الصلاة والسلام: [وُكِّلَتْ بِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ وَلَهِيَ بِهِمْ أَعْرَفٌ مِنَ الْوَالِدَةِ بَوْلدها]³ ويكونُ الذَّهابُ إلى الجَنَّةِ على الصِّراطِ، ولا سبيلَ لها إلا عليه، وهو

1 - الصفات الآية: 24.

2 أخرجه مسلم كتاب الإيمان باب معرفة طريق الرؤية، الحديث رقم 182

3 - صح بلفظ آخر أخرجه الترمذي بلفظ تَخْرُجُ عَنْقٌ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهَا عَيْنَانِ تُبْصِرَانِ وَأُذُنَانِ تَسْمَعَانِ وَلِسَانٌ يَنْطِقُ، يَقُولُ: إِنِّي وَكِّلْتُ بِثَلَاثَةٍ، بِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ، وَبِكُلِّ مَنْ دَعَا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ، وَبِالْمُصَوِّرِينَ " وَفِي الْبَابِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ كِتَابُ صِفَةِ جَهَنَّمَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ: صَحِيحٌ.

المعنى بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِهْآ¹﴾ ولا يُستبعد مرور الخلائق عليه وإن كان على الصفة التي وصفه بها صلى الله عليه وسلم لأن الله سبحانه هو الذي يُحرك ويُسكن ويُمسك ما شاء، كيف شاء لا تأثير لما سواه في أثر ما عموماً، والله تعالى يُسهل الصراط على من أرادَه كما جاء في الحديث أن منهم [من يمر كالبرق الخاطف ومنهم من يمر كالريح الهاتف ومنهم من يمر كالجواد ومنهم من تُخردل رجلاه وتتعلق يداه، ومنهم من يُجر على وجهه]² المفيد. وعن النبي صلى الله عليه وسلم: [إن على جسر جهنم ستة عشر محبسا أولها يسأل عن الإيمان والثاني عن الصلاة والثالث عن الصيام والرابع عن الزكاة والخامس عن الإمامة والسادس عن الربا والسابع عن الحسد والثامن عن الكبر والتاسع عن الظلم والعاشر عن المغصية والحادي عشر عن الخيانة والثاني عشر عن العجب والثالث عشر عن البخل والرابع عشر عن الغيبة والخامس عشر عن صلة الرحم والسادس عشر عن السخاء]³. اللهم أقلل عثراتنا، واغفر زلاتنا، بفضلك يا أرحم الراحمين. وأما حوض نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فهو مما وردت به الآثار، وصحت به الأخبار، قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: [من كذب بحوضي فلا يشرب يوم القيامة]⁴ وهل هو خاص به أو لكل نبي حوض؟ وعليه فحوض نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أكثرهم ورودا المفيد. وجملته ما قيل في وصفه "أنه مسيرة شهر وقيل شهرين وقيل ثلاثة أشهر وطوله وعرضه سواء،

1 - مريم الآية: 71.

2 - أخرجه البخاري، رقم الحديث 7439.

3 - لم أعر عليه.

4 - لم أعر عليه..

حافته من الزبرجد وأنيته عدد نجوم السماء له ميزابان يصبان فيه من الكوثر وماؤه أشد بياضا من اللبن واللبن من الزبد // نوحه 49 // وأبرد من الثلج وأحلى من العسل، من يشرب منه لا يظما أبداً، سقانا الله منه بجوده وكرمه. زاد غيره: "والموكل عليه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم كل على ركن من أركانه الأربعة". ثم قال: وفي الحديث [قالت عائشة رضي الله عنها: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فقال: يا عائشة إن الله أعطانني نهراً في الجنة يقال له الكوثر ليس أحد من أمتي يشاء أن يسمع خيراً من ذلك الكوثر إلا سمعه فقالت: يا رسول الله فكيف ذلك؟ قال: أدخلي أصبعيك في أذنيك وشدي فالذي يسمع فيها من خير من ذلك الكوثر. يشرب منه من سبقت له السعادة والنجاة من نار جهنم لا يظما من شرب منه أبداً، أي لا يعطش وطعام الجنة وشرابها ليس للجوع والعطش]¹. فإن قيل: إذا كان طعام الجنة وشرابها لا يدفع الجوع والعطش فما فائدة تكرار الأكل والشرب فيها؟ فالجواب: إن أكلهم وشربهم تلذذ لا للجوع والعطش والله أعلم.

¹ حديث موضوع (أي مكنوب) قال الألباني رحمه الله:

رواه الدار قطني كما في (الجامع الصغي) ((553)) عن عائشة، رضي الله عنها. وما هو في (سننه) المتبادرة لدى الإطلاق، فلعله في غيرها.

وقال الحافظ المناوي رحم الله في (الفي) ((327/1)): ((رمز لضعفه - يعني السيوطي -، ومن حكى أنه رمز لصحته أو حسنه فقد وهم، وبين السخاوي وغيره أن فيه وقفاً وانقطاعاً، لكن يعضده ما رواه الدار قطني أيضاً عن عائشة (يعني مرفوعاً): ((إن الله أعطانني نهراً في الجنة لا يدخل أحد إصبعيه في أذنيه إلا سمع خيريه)) قالت: فكيف؟ قال: ((أدخلي إصبعيك وسدي إذنيك منهما خيريه)).

قلت: وأورده الشيخ الألباني رحمه الله في ((ضعيف الجامع)) ((170/1)) وقال: ((موضوع)) وأحال على كتاب ((تذكرة الموضوعات)) للشيخ الفتني رحمه الله.

فإن قيل: هل الحوض قبل الصِّراطِ أو بعده ؟ فالجواب: أن العلماء اختلفوا في ذلك، (م) وهل هو قبل الصِّراطِ أو بعد الصِّراطِ ، أو هما حوضان أحدهما قبل الصِّراطِ والآخر بعد الصِّراطِ، وهو الصحيح، أقوال انتهى. فقيل هو بعد الصِّراطِ بدليل من شرب منه لا يظماً أبداً، والظماً والتعبُ لا بد منه في جواز الصِّراطِ، وقيل هو قبل الصِّراطِ بدليل أنه عليه السلام أخبر أن رجلاً يُزادون عنه أي يُطردون كما يُزاد البعير الضال، فيقول النبي عليه السلام: [هلموا هلموا فيقال له: قد بدّلوا وغيروا بعدك ويقول: فسحقا فسحقا أي بُعدا]¹، (ر) في الحديث قيل له كيف يا رسول الله، تعرّف من يأتي بعدك من أمّتك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [أرأيت لو كانَ للرجلِ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ، في خيلٍ دُهِمَ لهم لا يعرف خيله، قالوا بلى يا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فإنّهم يأتون يوم القيامة غُرّاً مُحَجَّلِينَ من أثر الوضوءِ، وأنا فرطهم على الحوض]² والفرطُ المُقَدَّمُ في الخير، والغُرّةُ بياضُ الوجه، و التَّحْجِيلُ بياضُ اليدين والرجلين... وهل هو قبل الميزان أو بعده. (ث) قال القرطبي: " إذا انقضى الحسابُ كان بعده وزنُ الأعمالِ لأن الوزنَ، فينبغي أن يكون بعده المُحاسبة "، واختلف في الميزانِ والحوض. قال القاسبي³: " والصحيحُ أن الحوضَ قبل الميزان " وذهب صاحب القوت⁴: " إلى أنه

¹ - رواه ابن حبان في صحيحه ، رقم 1046 ، حديث صحيح.

² - صحيح مسلم ، رقم 249.

³ - هو أبو الحسن علي بن محمد المعافري القروي المالكي صاحب الملخص، عارف بالعلل والرجال والفقه والأصول والكلام وهو من أصح العلماء كتباً. أنظر سير أعلام النبلاء، الطبقة الثانية والعشرون.

⁴ - صاحب القوت الإمام الزاهد العارف أبو طالب محمد بن علي بن عطية الحارثي (ت 386هـ) المكي المنشأ العجمي الأصل اشتهر برياضات الجوع، من مصنفاته - قوت القلوب. أنظر سير أعلام النبلاء الطبقة الحادية والعشرون.

بعد الصراط " قال القرطبي: " والصحيح: أن للنبي صلى الله عليه وسلم حوضين وكلاهما يُسمَّى كوثرًا وأن الحوض الذي يذأ عنه من بدل وغير، يكون في الموقف قبل الصراط، وكذا حياض الأنبياء عليهم السلام تكون في الموقف على ما ورد // نوحه 50 // في الأخبار.

وأما ثبوت شفاعته نبينا محمد صلى الله عليه وسلم عامة وخاصة، وشفاعة غيره خاصة، فهو أمر معلوم من الدين ضرورة. وقيل هو المراد بقوله تعالى ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَ رَبُّكَ مَقَامًا مِثْلًا﴾¹ قيل معناه الشفاعة لأهل الموقف وهذا وعد من الله تعالى، ووعدته تعالى لأبد منه وكذا قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يَعْصِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾² قيل معناه الشفاعة. وقال صلى الله عليه وسلم: [من كذب بشفاعتي لم تتله يوم القيامة] وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: [خُيرت بين الشفاعة وبين أن يدخل شطر أمتي الجنة فاخترت الشفاعة لأنها أعم]³ ومذهب أهل الحق جواز ذلك مطلقا للرسل والملائكة والمؤمنين، وأجملها وأفضلها لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، لأنها أعم وأتم وفي حديث لأبي هريرة وأبي بكر الصديق رضي الله عنهما: [أنه عليه السلام حين التجأ الناس إلى آدم ونوح وإبراهيم وموسى⁴ وعيسى عليهم السلام في الشفاعة، وكل واحد يستعذر ويذكر خطيئته قال عليه السلام : ثم التجئوا إلي فأخّر ساجدا تحت العرش ثلاث مرات فيقال لي: قد سَمِعَ لك ارفع

1 - الإسراء الآية: 79.

2 - الضحى الآية: 5.

3 أخرجه ابن ماجة كتاب الزهد باب ذكر الشفاعة ، الحديث رقم 4317 ، قال الشيخ الألباني: صحيح دون قوله لأنها.

4 - زيادة من ب .

رأسك وسل تغطه واشفع تشفع إلى أن قال الله تعالى: أَدْخِلُوا جَنَّتِي مَنْ لَا يُشْرِكْ بِي شَيْئًا... الحديث¹. وعنه صلى الله عليه وسلم: [إذا كان يوم القيامة فأشفع لمن كان في قلبه مثقال حبة من الإيمان ولمن في قلبه مثقال ذرة من الإيمان حتى لا يبقى لمن في قلبه إيمان]². والشفاعات خمس:

الأولى: عامة لجميع الخلق، وهي خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم في تعجيل الحساب وصرف كل واحد إلى مستقره وقد تقدمت.

والثانية: أن يشفع لقوم أن يدخلوا الجنة بغير حساب، وهذه أيضا خاصة به صلى الله عليه وسلم .

والثالثة: أن يشفع في قوم استوجبوا النار، فيسلموا منها وقد يشفع في هذه غيره.

والرابعة: أن يشفع في قوم دخلوا النار فيخرجوا منها وإليها، الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم: [شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي]³ وقد يشفع في هذه غيره.

والخامسة: أن يشفع لقوم في رفع الدرجات في الجنة وقد يشفع في هذه غيره فهذه خمس شفاعات. وزاد بعضهم سادسة وهي شفاعته صلى الله عليه وسلم لعمه أبي طالب. روي أنه صلى الله عليه وسلم سأل ربه أن يخفف عنه فألبس نعلين من

¹ رواه أحمد رقم 12847 ، قال السيوطي إسناده صحيح .

² - رواه البخاري رقم الحديث 6565.

³ - كل ما ورد في إحياء الله لوالدي النبي صلى الله عليه وسلم وإيمانها به باطل لا يصح عند أهل الحديث بل الثابت عكسه كما في صحيح مسلم بلفظ " استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي " كتاب الجنائز باب استئذان النبي صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل في زيارة قبر أمه

نارٍ تغلي منهما أم دماغه، والظاهر أنها خاصة به، وأمّا أبواه صلى الله عليه وسلم، فقد روى ابن طلاع¹ أنهما أحياهما الله له صلى الله عليه وسلم، حتى آمنا به ثم عادا لموتهما، وذلك مما تقتضيه كرامته وفضله وجاهه صلى الله عليه وسلم عند ربه، ويحتمل أن يكون ذلك إن صح بعد قوله صلى الله عليه وسلم للرجل: [أبي وأبوك في النار والله أكرم وأعدل]²، وروي في قوله تعالى: ﴿يَرْجُونَ تَجَارَةً لَّنْ تَبُورَ﴾ // لوحة 51 // ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله³ (ث) " لن تبور لن تكسُد وزيادة الفضل، قالت فرقة: تضعيف الحسنات وقالت فرقة: هو إمّا النظر إلى وجه الله عز وجل وإمّا أن يجعلهم شافعين في غيرهم كما قال: ﴿لِّلْكَافِرِ أَحْسَنَ الْحُسْنَىٰ وَزِيْلَةَ﴾⁴ ثم قال: قلت وقد خرج أبو نعيم بإسناده عن الثوري عن شقيق عن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لِيُؤْفِيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾: أجورهم من فضله قال: أجزهم: يدخلهم الجنة ويزيدهم من فضله: الشفاعة لمن وجبت له النار، ممن صنع إليه المعروف في الدنيا⁵، وخرج ابن ماجة في سننه عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [يضطف الناس صفوفًا، وقال ابن نمير: أهل الجنة، فيمّر الرجل من أهل النار على الرجل من أهل الجنة فيقول: أما تذكر يوم استسقيتني فسقيتك شربة قال: فيشفع له، ويمر

1 - هو محمد بن الفرج القرطبي المالكي (ت 497هـ) مفتي الأندلس ومحدثها في عصره، عالما بالفقه وهو من أهل قرطبة له كتاب في أحكام النبي وكتاب في الشروط. سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي، الجزء 19 الطبعة الخامسة والعشرون.

2 أخرجه أبو داود كتاب السنة باب في ذراري المشركين وصححه الألباني.

3 - فاطر الآية: 30.

4 - يونس الآية: 26.

5 - الجواهر الحسان - الجزء الرابع - ص 390/389

الرَّجُلُ عَلَى الرَّجُلِ، فيقول: أَمَا تَذْكُرُ يَوْمَ نَاولتَكَ طهوراً فيشفعُ له، قال ابن نُمير ويقول: يا فلان أَمَا تَذْكُرُ يَوْمَ بَعثتني لِحَاجَةٍ كذا وكذا فَذَهَبْتُ لَكَ فيشفعُ له¹. وروي عن سعيد بن جبیر في ذلك: [أَنَّ الرَّجُلَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَبْلَ قَرَابَتِهِ فيقول: أَيْنَ أَبِي؟ أَيْنَ أُمِّي؟ {أَيْنَ ابْنِي}² أَيْنَ زَوْجَتِي؟ فيلحقون به لصلاحهم]. وأحاديث الشفاعة قد استفاضت وبلغت حدَّ التواتر، ومن أعظمها شفاعَةُ أَرْحَمِ الرَّاحِمِينَ سبحانه. ففي صحيح مسلم من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ قَالَ: [فيقبض قبضةً من النار فيُخْرِجُ منها قوماً لم يعملوا خيراً قطُّ قد عادوا حُمَماً فيُلْقِيهِمْ فِي نَهْرٍ عَلَى أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ وفيه فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم يعرفهم أهلُ الجنة يقولُ اللهُ عز وجل شَفِعتُ الملائكةُ وشَفَعَ النبيُّون وشَفَعَ المؤمنون ولم يبقَ إلا أَرْحَمِ الرَّاحِمِينَ هؤلاءِ عتقاءُ اللهِ الذين أدخلهم الجنةَ بغيرِ عملٍ عملوه ولا خيرٍ قَدَّموه]³ الحديث. وخرَّجَ أَبُو الْقَاسِمِ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بِسَنَدِهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: [قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا فرغَ اللهُ من القضاءِ بينَ خلقه أخرجَ كتاباً من تحتِ العرشِ أنَّ رحمتي سبقتُ غضبي وأنا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فيخرج من النار مثلَ أهلِ الجنة أو قال: مثلي أهلُ الجنة قال وأكثرُ ظنِّي أَنَّهُ قال مثلي أهلُ الجنة مكتوبٌ بينَ أعينهم عتقاءُ اللهِ]⁴ انتهى. وقد جاء في الأثر أَنَّهُ يَمُرُّ على جهنم زمان يخفق أبوابها قد أخلتها الشفاعةُ يعني الطبقةَ العليا التي فيها عُصاةُ المؤمنين ولا شفاعَةَ لكافرٍ. انتهى والله المسؤولُ بكرمِ وجهه العظيم وبجاهِ نبيه المصطفى الكريم. ألا

¹ خرجه ابن ماجه ، رقم الحديث 3685 ، والطبراني في المعجم الأوسط ، رقم 6511 ، ضعفه الألباني .

² - غير موجودة بنسخة أ.

³ - صحيح مسلم - كتاب الإيمان باب معرفة طريق الرؤية - الحديث رقم 182.

⁴ أخرجه عبدالرزاق بن همام في المصنف كتاب الجامع ، باب من يخرج من النار.

يُحْرَمْنَا مِنْ شَفَاعَتِهِ وَلَا مِنْ رُؤْيَا وَجْهِهِ دُنْيَا وَآخِرَى، إِنَّهُ رَءُوفٌ رَحِيمٌ. وَأَمَّا نَفُوزُ الْوَعِيدِ فِي طَائِفَةٍ مِنْ عَصَاةِ الْمُؤْمِنِينَ وَيُخْرَجُونَ // لَوْحَةٍ 52 // بِشَفَاعَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ بِشَفَاعَةِ غَيْرِهِ فَأَمْرٌ مَعْلُومٌ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾¹ وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا لِمَن كَانَ مِن دُونِ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾² وَمَا تَقَدَّمَ مِنْ حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ.

المفيد، اعلم أن المذنبين من المؤمنين أقسام: من لا يُذكر له ذنب ولا يُعاقب، ومن يُذكر له ولا يُعاقب، ومن لا يُذكر له ذنب ويُعاقب، ومن يُذكر له ويُعاقب، فالمعاقب هو الذي يخرج من النار بإيمانه. {وتنبأ}³ الذنوب على ثلاثة أقسام: ذنب لا يُترك وهو مظالم العباد، وذنب لا يُغفر وهو الشرك بالله، وذنب لا يُعاب به وهو ما كان بين العبد وبين ربه. (م) لا نشك أن المكلفين الوافدين على موقف الآخرة ينقسمون أولاً إلى قسمين: مؤمن وكافر، فالكافر مُخَلَّدٌ وَمُعَذَّبٌ فِي النَّارِ أَبَدًا بِإِجْمَاعٍ، وَالْمُؤْمِنُ عَلَى ضَرْبَيْنِ مَطِيعٌ لَمْ يَعَصِ اللَّهَ تَعَالَى قَطُّ، وَعَاصٍ فَالْمَطِيعُ مُخَلَّدٌ فِي نَعِيمِ الْجَنَّةِ أَبَدًا غَيْرَ مُعَذَّبٍ أَصْلًا بِإِجْمَاعٍ، وَالْعَاصِي عَلَى ضَرْبَيْنِ تَائِبٌ وَمَصِرٌّ عَلَى الْمَعْصِيَةِ إِلَى الْوَفَاةِ. فَالتَّائِبُ مُلْحَقٌ بِالْمَطِيعِ لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [التائب من الذنب كمن لا ذنب له]⁴ واختلف في قبول التوبة من المؤمن العاصي فقليل قُطِعِي كالتوبة من الكافر وقيل نظري.

1 - آل عمران الآية: 129.

2 - النساء الآية: 48.

3 - بياض في نسخة ب.

4 - رواه ابن ماجه كتاب النكاح باب حق المرأة على زوجها، رقم 4250، صححه الألباني في صحيح ابن ماجه. ورواه أيضا الطبراني في المعجم الكبير رقم 10281.

وأما المَصِرُّ إلى المماتِ، فهو في مشيئة الله تعالى إن شاء عَذَّبَهُ، ثم أخرجَهُ إلى الجنةِ بمحضِ فضله وكرَمِهِ، إما على يدِ شفيعٍ أو بدونه، وإن شاء غفرَ لَهُ ابتداءً بفضله، على يدِ شفيعٍ أيضاً أو بدونه، وقد وقع إجماعُ أهلِ الحَقِّ على نفوذِ الوعيدِ، في طائفةٍ من العصاة المؤمنين بمجيءِ النَّصِّ بذلك، ثم لا يُخلَّدُ على سبيلِ التَّأْيِيدِ مؤمَّنٌ في النارِ، بفضلِ الله تعالى، وبهذا تَعَرَّفُ فسادُ قولِ المعتزلة والخوارج، القائلين بخلودِ ذوي الكبائرِ غيرِ التائبين في النارِ، وفسادُ مذهبِ المُرجئة بتَحْتُمُ العفو عن كلِّ عاصٍ مؤمِّنٍ، وأنَّه لا يُعَذَّب ولا يدخلُ النار إلا الكافر فقط، فقولُ أهلِ السُّنة بأنَّ الفسقة غيرِ التائبين في مشيئة الله يَغْفِرُ لِمَن يشاء ويرحَم من يشاء، وأنَّه لا بدَ لِكُلِّ مؤمِّنٍ من النَّعيمِ المؤبدِ وإنْ عَذِبَ أولاً على ذنوبه، وَسَطَ بين المذهبيينِ الفاسدينِ لم يفرطوا كما قالتِ المُعتزلة والخوارج ولا فرطوا كما قالتِ المُرجئة انتهى.

وأما إثباتُ الجنةِ والنارِ بالكتابِ والسُّنة، ووجودُهُما فأمرٌ {مَعْلُومٌ}¹ من الدينِ ضرورةً . فالجنةُ دارُ ثوابِ الله في الآخرة. والنارُ دارُ عقابه وهما مخلوقتانِ والجنةُ مخلوقةٌ قبل النارِ لأنَّها رحمةٌ والدليلُ على وجودِهما قوله تعالى: ﴿أَعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ² فِي النَّارِ ﴿أَعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ³ وَالْإِعْدَادُ إِنَّمَا يَكُونُ حَقِيقَةً فِي مَوْجُودٍ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ، وقوله صلى الله عليه وسلم: [أَشْتَكْتُ النَّارَ إِلَى رَبِّهَا فَقَالَتْ: رَبِّ أَكَلْ بَعْضِي بَعْضًا فَأَذِنَ لَهَا بِنَفْسَيْنِ نَفْسٍ فِي الشِّتَاءِ وَنَفْسٍ فِي الصَّيْفِ

1 - ساقطة من أ.

2 - آل عمران الآية: 133.

3 - آل عمران الآية: 133.

أَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الْحَرِّ // نوحه 53 // وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهِيرِ¹. وقيل للنبي صلى الله عليه وسلم حين صَلَّى صلاة خسوف الشَّمْسِ: [يا رسول الله رأيناكَ تناولت شيئاً في مقامِكَ هذا ثمَّ رأيناكَ تَكْغَكَغَتْ فقال: إني رأيتُ الجنةَ فناولتُ منها عنقوداً فلو أخذتُها لأكلتُم منه ما بَقِيَت الدُّنيا ورأيتُ النارَ فلم أرَ كالْيَوْمِ منظراً قطُّ. ورأيتُ أكثرَ أهلِها النساءَ]² وهذا يدلُّ على خلقتَهما وقال تعالى ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾³ قيل معناه إذا امتدَّت السماواتُ السَّبْعُ والأرضونَ السَّبْعُ، كالسَّطَرِّ الواحدِ، فذلك مقدار عرضِها، وأما طولُها فلا يعلمه إلا الله تعالى. وفي كلِّ سماءٍ وكلِّ أرضٍ مسيرةٌ خمسٍ مائة عامٍ، وقال الفخر في الآية وجه ثانٍ: "أنَّ الجنةَ التي عرضُها مثلَ عرضِ السماواتِ والأرضِ إنّما تكونُ للرجلِ الواحدِ لأنَّ الإنسانَ يرغبُ فيما يكونُ ملكاً له، فلا بدَّ وأنَّ تصيرَ الجنةُ المملوكةُ لكلِّ أحدٍ مقدارُها هكذا ". (ث) وقدرةُ الله أوسعُ وفضلهُ أعظمُ، وذكر الطبري في كتابه: " لما خلق الله عز وجل الجنةَ قال لها: امتدِّي فقالت: يا ربِّ كم وإلى كم ؟ فقال لها: امتدِّي فقال كم ؟ فقال لها: امتدِّي مئة ألف سنة، فامتدَّت فقال لها امتدي، فقالت ياربِّ كم وإلى كم قال لها: امتدي فقالت: يا ربِّ كم وإلى كم فقال لها: امتدِّي مقدار رحمتي فامتدَّت فهي تمتدُّ أبداً الأبدَين. فليسَ للجنةِ طَرَفٌ كما أنه ليسَ لرحمةِ الله طَرَفٌ " وفي الصحيح: [وأما الجنةُ فإنَّ الله ينشئُ لها خلقاً]⁴، وجاء أن أبوابَ الجنةِ ثمانيةٌ وجاء أن ما بينَ المسراعينِ من أبوابِ الجنةِ مسيرةُ أربعين سنة

¹ أخرجه البخاري كتاب بدء الوحي باب صفة النار وأنها مخلوقة.

² أخرجه البخاري كتاب الكسوف باب صلاة الكسوف جماعة.

³ سورة آل عمران الآية: 133.

⁴ رواه البخاري كتاب التفسير باب تفسير سورة ق.

وسياتي عليها يومٌ يزدهمون فيها، كما تزدهم الإبلُ إذا وردت خُمصاً ظمَاء. وفي الصحيح: [أنَّ في الجنةِ شجرةً يسيرُ الراكبُ المجدُّ في ظلِّها مائةَ عامٍ لا يقطعُها] وفي صحيح مسلم: [سأل¹ موسى ربه عن أدنى أهل الجنة منزلةً وأنه رجلاً يأتي بعدما يدخل الجنة الجنة فيقول له أتَرْضَى أن يكونَ لك ما كان لملكٍ من ملوك الدنيا، فيقولُ رضيْتُ يا رب فيقول لك ذلك ومثله معه ومثله ومثله ومثله² فقال في الخامسة رضيْتُ أي رب فيقال له لك ذلك ومثله وعشرة أمثاله فيقولُ رضيْتُ أي رب³ فيقول له فإن لك مع هذا ما اشتَهتْ نفسُك ولذَّتْ عينُك⁴ المفيد، والجناتُ ثمانية: جنةُ الرضوان، وجنةُ عاليةً، وجنةُ العلا، وجنةُ الخلد، وجنةُ النعيم، وجنةُ الفردوسِ، وجنةُ عدن، وجنةُ المأوى، وإنما جُعِلت ثمانيةً لأن سِهام الإسلام ثمانية لأهل كل سَهمٍ منها بابٌ، ومن لا سَهمَ له فيها فلا حظَّ له فيها، وسهامُ الإسلام:

النُّطقُ بالشهادتين، والصلاةُ والزكاةُ ورمضانُ // لوحة 54 // والحجُّ والجهادُ، والأمرُ بالمعروف، والنهي عن المنكر.

وأبوابُ جهنمَ سبعة: وهي جهنم، ولظى، والحطمة، والسَّعير، والجحيم، وسقر، والهاوية، ولما خلق اللهُ للإنسان سبعةَ أعضاء وبها تقعُ المعصيةُ الموجبةُ للنارِ،

¹ — في سؤال، في نسخة أ.

² — زيادة من ب

³ — زيادة من ب

⁴ أخرجه البخاري كتاب بدء الوحي باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة ، رقم 3252.

وهي العين، والأذن، واللسان، واليدان، والرجلان، والبطن، والفرج . جعلَ لجهنم سبعة أبواب، لكل بابٍ منهم جزءٌ مقسوم انتهى .

قال الله تعالى: ﴿وسيق الخدين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً﴾¹ (ث) أي جماعات، ﴿حتّوا إذا جاءوها وفتحت أبوابها﴾² قيل فالواو مؤذنة بأنهم يجدونها مفتوحة كما هو شأن منازل الأفراح والسرور، ﴿وقال لهم خزنتها سلامٌ عليكم صبتم فادخلوها خالدين﴾ وقالوا الحمد لله الذي صدّقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوا من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين﴾³ أي الجنة. قال ابن المبارك في رقائقه: " عن علي رضي الله عنه أنه تلى هذه الآية ﴿وسيق الخدين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً﴾ حتّوا إذا جاءوها قال: وجدوا عند باب الجنة شجرة يخرج من ساقها عيان فعمدوا إلى إحداها، كأنما أمروا بها فاغتسلوا بها، فلم تشعث رؤوسهم بعدها أبداً، ولم تتغير جلودهم بعدها أبداً، كأنما دهنوا بالدُّهن ثم عمدوا إلى الأخرى فشربوا منها، فطهرت أجوافهم وغسلت كل قدرٍ فيها، وتلقاهم على كل بابٍ من أبواب الجنة ملائكة، سلامٌ عليكم طبتُم فادخلوها خالدين، ثم تلقاهم ولدان يطوفون بهم كما يطوف ولدان الدنيا بالحميم، يجيء من الغيبة يقولون أبشر، أعد الله لك كذا وأعد الله لك كذا، ثم يذهب الغلام منهم إلى الزوجة من أزواجه فيقول: قد جاء فلان باسمه الذي كان يُدعا به في الدنيا، فتقول له أنت رأيتُه ؟ فيستخفها الفرخ حتى تقوم على أسكفة بابها، ثم ترجع فيجيء، فينظر إلى تأسيس بُنيانه من جندل

1 - الزمر 73.

2 - الزمر 73.

3 - الزمر الآية: 73.

اللؤلؤ أخضر وأحمر وأصفر، مِنْ كُلِّ لَوْنٍ، ثُمَّ يَجْلِسُ فَيَنْظُرُ، فَإِذَا زَرَابِيٌّ مَبْثُوثَةٌ
وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ، ثُمَّ يَرْفَعُ رَأْسَهُ فَلَوْلَا أَنَّ اللَّهَ قَدَّرَ ذَلِكَ لَأَذْهَبَ بَصَرُهُ، إِنَّمَا هُوَ مِثْلُ
الْبَرْقِ ثُمَّ يَقُولُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا﴾¹
انتهر. وقال صلى الله عليه وسلم: [قال الله عز وجل: اعتدتُ لعبادي الصالحين
ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشرٍ ذُخْرًا بَلَاءَ مَا أَطْلَعْتُمْ
عليها، واقْرءُوا إن شِئْتُمْ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾² الآية]³،
وبَلَاءَ معناه غير، قال تعالى: ﴿وَإِنَّمَا رَأَيْتَ ثَمَرًا رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾⁴ قيل
فيه: " هو أَنَّ أَدْنَاهُمْ مَنْزِلَةٌ يَنْظُرُ فِي مُلْكِهِ مَسِيرَةَ أَلْفِ عَامٍ يَرَى أَقْصَاهُ كَمَا يَرَى⁵
أَدْنَاهُ " // لَوْحَةٌ 54 // وقيل: " الْمَلِكُ الْكَبِيرُ تَسْلِيمُ الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِمْ وَاسْتِئْذَانُهُمْ
وَتَعْظِيمُهُمْ لَهُمْ " وقيل: " مَلِكُ التَّكْوِينِ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا كَانَ "، وخرج الترمذي من رواية
أبي سعيد قال: " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [أدنى أهل الجنة الذي له
ثمانون ألف خادم واثنان وسبعون زوجة وتتصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت،
كما بينَ الجابيةِ إلى صنعاء]⁶. وفي صحيح البخاري ومسلم عن النبي صلى الله

1 - الأعراف الآية 43

2 - سورة السجدة الآية 17

3 - صحيح البخاري كتاب التوحيد باب قول الله تعالى { يريدون أن يبذلوا كلام الله }

4 - الإنسان ، الآية 20

5 - ساقطة من ب.

6 - جامع الترمذي - كتاب صفة الجنة - باب ما جاء في احتجاج الجنة والنار - رقم الحديث 2501

عليه وسلم: [أَنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّابِئُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ سَنَةٍ، لَا يَقْطَعُهَا وَلَقَابُ قَوْسٍ أَحَدِكُمْ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ أَوْ تَغْرُبُ]¹.

وروي: [مَوْضِعُ قَيْدٍ، وَرُوي سَوْطٌ، وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، أَطْلَعَتْ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ لِأَضَاءَتِ مَا بَيْنَهُمَا، وَلَمَلَأَتْهُ رِيحًا وَ لَنْصِيفُهَا عَلَى رَأْسِهَا يَغْنِي الْخَمَارَ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا] وفي الخبر: " أَنَّ أَزْوَاجَ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنَ الْحَوْرِ الْعَيْنِ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ، وَأَنَّ الْمَرْأَةَ لَتَأْخُذُ بَيْنَ أَصْبَعَيْهَا سَبْعِينَ حُلَّةً، فَتَلْبِسُهَا فَيَرَى مَخِ سَاقِيهَا مِنْ وَرَاءِ تِلْكَ السَّبْعِينَ حُلَّةً، قَدْ ظَهَرَتْ الْأَخْلَاقُ مِنَ الشُّوْءِ وَالْأَجْسَادُ مِنَ الْمَوْتِ، لَا يَتَمَخَّطُونَ فِيهَا وَلَا لَا يَنْزَفُونَ وَلَا يَبُولُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَإِنَّمَا هُوَ رَشْحُ مِسْكِ ﴿رِزْقُ اللَّهِ فِيهَا بُكْرَةٌ وَعَشِيَّةٌ﴾² وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ شُبَّانٌ جَرْدٌ مُرْدٌ لَيْسَ لَهُمْ شَعْرٌ إِلَّا فِي الرَّأْسِ وَالْحَاجِبِينَ وَأَشْفَارِ الْعَيْنِينَ، لَمْ يَكُنْ لَهُمْ عَانَةٌ وَلَا شَعْرٌ إِلَّا بِطِ، وَهُمْ أَبْنَاءُ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً بَيْضُ الْوَجْهِ خَضِرُ الثِّيَابِ] وقال صلى الله عليه وسلم: [إِنَّ فِي الْجَنَّةِ أَسْوَاقًا لَا شِرَاءَ فِيهَا وَلَا بَيْعَ يَجْتَمِعُونَ فِيهَا حَلَقًا يَتَذَاكِرُونَ فِيهَا كَيْفَ كَانَتِ الدُّنْيَا، وَكَيْفَ كَانَتِ عِبَادَةُ الرَّبِّ تَعَالَى، وَكَيْفَ كَانَ فَقَرَاءُ الدُّنْيَا أَغْنِيَاؤُهَا وَكَيْفَ كَانَ الْمَوْتُ وَكَيْفَ صِرْنَا بَعْدَ طَوْلِ الْبَلَاءِ إِلَى الْجَنَّةِ]³

ويروى: "أَنَّ بِنَاءَ الْجَنَّةِ لِبْنَةٌ مِنْ ذَهَبٍ وَلِبْنَةٌ مِنْ فِضَّةٍ وَتُرْبَتُهَا مِسْكٌ الْإِذْقَرُ وَحَصْبَاؤُهَا اللَّوْلُؤُ وَالْيَاقُوتُ وَالْجَوَاهِرُ" انتهى .

1 - إتحاف المهرة - مسند جابر بن عتيك الأنصاري الأوسي - رقم الحديث 6165

2 - مريم - آية 62

3 - إتحاف المهرة - رقم الحديث 881 .

تنبيهات:

الأول: اعلم يا أخي وفقك الله وإيانا لطاعته، وأمانتنا وإياك على محبته والشوق إلى لقائه . إن نعائم الجنة لا تُكفيها الأذهان ولا يُعبر عنها بلسانٍ، ولا يحصرها ديوانٌ وكيف لا تقصر عن التعبير عنها الألسنُ، مع قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ مَا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾¹ وهناك زيادة ما هو أعظم وأجلُّ، وأبلغ وألذُّ من ذلك كله بما لا نسبة ولا مشاركة ولا كيفية بينه وبين نعائم الجنة كلها، وفيه بذل أهل العقول نفوسهم واتفوا مُهَجَّتْهم ورفَعوا عن كل ما سواه همَمُهم وهو: النظر إلى وجه الله الكريم، ووجهه ذاته من غير تكليف ولا تشبيه ولا جهة ولا مقابلة قال تعالى: ﴿وَجْوهٌ يَّوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاضِرَةٌ﴾² // نوحه 56 // وقال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمُنَاسَاةٍ﴾³، قيل: الحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله الكريم، وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم: [سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر ولا تضامون وتضارون في رؤيته]⁴، وليلة البدر ليلة أربعة عشر .

(م) "وجه التشبيه بالقمر ما أشار إليه في آخر الحديث من عدم تضارر بعضهم بعضا وقت الرؤية، أما الجهة والجسمية ولوازمهما فمستحيلة في حقه تعالى، وبالجمله فالمقصود تشبيه الرؤية بالرؤية، لا تشبيه المرئي بالمرئي. ومن الأدلة: إجماع السلف الصالح على الرغبة إلى الله تعالى أن يمتتعهم بالنظر إلى ذاته

1 - السجدة - آية 17

2 - القيامة - آية 22

3 - يونس - آية 26

4 - جامع الترمذي - كتاب صفة الجنة - باب ما جاء في رؤية الرب تبارك وتعالى - الحديث رقم 2493

الكريمة، وقد وردَ ذلك في بعض أدعيته صلى الله عليه وسلم، ولا يُعارض هذه الأدلة قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾¹ لأن الإدراك يشعُر بالإحاطة فهو أخصُّ من الرؤية فالمعنى: أنه لا يراه أحدٌ رؤيةً إحاطةً، كما لا يعلمه علم إحاطةً، ولا يلزم من نفي الأخصِّ نفي الأعم.

المفيد: قال أبو جعفر الطبري: "في رؤية الله تعالى أربعة أشياء أحدهما رفعُ الشبهة لكثرة الخلاف فيه، والثاني: دركُ المنية لأنَّ قومًا يعبدونه لوجهه، والثالثُ كمالُ اللذة لقوله تعالى: وتلذُّ الأعين، والرابع: لإزالة التهمة، لأنَّ الرجلَ يدخلُ على الأمير فإذا لم يره، يظنُّ أنه ساخطٌ عليه، ثم الناس فيها متفاوتون على قدر درجاتهم عند الله تعالى. قال التتائي³ في شرحه لمختصر خليل "هل ترى الجنُّ الله تعالى أم لا؟" قال عز الدين في قواعده الصغرى: "لا يرونه كما لا تراه الملائكة وإنما الرؤية مختصة بالبشر، وهل يدخلون الجنة أم لا؟ وأكثر أهل العلم على دخولهم فيها، والمأثور عن مالك والشافعي عدم دخولهم وإنما هم في رياضها يراهم المؤمنون ولا يرون المؤمنين". انتهى (ث) "وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم: [أنَّ أهلَ الجنة إذا استقروا فيها وحصل لكل واحد منهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال الله لهم: أتريدون أن أعطيكم ما هو أفضل من هذا؟ فيقولون يا ربنا ما هو أفضل من هذا؟ فيقول الله سبحانه:

¹ - زيادة من ب

² - الأنعام، الآية 103

³ - هو محمد بن إبراهيم بن الخليل التتائي، فقيه مالكي من قرى مصر من مؤلفاته شرح مختصر الخليل وفتح البديع. أنظر شجرة النور الزكية - ص 272

﴿أَحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أُسْحَظُّ عَلَيْكُمْ أَبَدًا﴾¹. قال الفخر: "ومعرفة أهل

الجنة برضاه تعالى عنهم أبلغ في إيجاب السرور. انتهى

قلت، كما أن رؤيته تعالى نهاية السرور، ونسأله سبحانه بفضلِهِ العظيم وبجاهِهِ العظيم أن يُمتّعنا وجميع الأحبة بالنظرِ إلى وجههِ الكريم إنه رحمانٌ رحيم.

الثاني، المفيدُ أجمع أهل الحق على أن الجنة التي أعدّها لأوليائِهِ المؤمنين هي التي أُهبط منها آدم عليه السّلام، نبيُّه وخليفته في أرضِهِ، ومن زعم أن جنة آدم غير هذه التي // نوحه 57 // أعدّها الله للمتقين أو أن آدم الذي أُهبط من الجنة ليس هو أبو البشر فقد ضلّ وابتدع وخالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة، وما احتج به هذا الضال من أن الجنة موصوفة بدار الخلود والمقامة والسلامة، ولا حزن فيها ولا نصب، ولا لغو فيها ولا تأثيم ولا كذب ولا حسد، وهذه الصفات مُنتفية عن جنة آدم، لأنّه خرج منها وكذب فيها إبليس، وأثم وتكبر وحسد، ويستحيل وصف الله تعالى للشيء بخلافه لم يلزم، لأنّ صفة الجنة ليست بذاتية وإنما هي بفعل الله تعالى، فجاز وصفها بذلك في وقتٍ دون وقت، أو يكون وصفها بذلك موقوفا على شرط. انتهى ثم قال "وآدم هو أبو البشر وهو مشتق من الأئمة، وهي الحُمرة وقيل لأنّه خلق من أديم الأرض؛ أي وجهها والأديم الجلد.

وفي الزاهي²: "أن آدم عليه السلام دُفن بين بيت المقدس وصخرة إبراهيم عليه السلام، ورأسه عند البيت، ورجلاه عند الصخرة وبينهما ثمانية عشر ميلاً" وقيل:

¹ أخرجه الترمذي في صفة الجنة باب 16 ما جاء في رؤية الرب تبارك وتعالى.
² - كتاب الزاهي في أصول السنة لأبي إسحاق محمد بن القاسم بن شعبان القرطي (ت 355هـ)، من مصنفات المالكية وذخائرها. وردت ترجمة مؤلفه في سير أعلام النبلاء، الطبقة العشرون.

" لما أهبطَ كان رأسه يمسُّ السماءَ حتَّى أُلصَّعَ، وورثت ذريته الصَّلَعُ من ذلك، وكان يتأنَّس بكلامِ الملائكة فاشتكت الملائكةُ بنَفْسِهِ فأَنقَصَ اللهُ تعالى طوله، وأقره على ستين ذراعًا بذراعه. انتهى

قيل: "وكان سبب هبوطه ما سبق في سابقِ علمِ الله تعالى، وقضائه وقدره أن يخلق آدم في الدنيا من الأرض ثم يأمر الملائكة فتحمله إلى الجنة، فيمكث فيها سبعة أيام، ثم ينهأه عن أكل الشجرة ثم يأكل منها ناسياً، أو متأولاً يظنُّها غيرها"، قيل: " خُلِقَ يومَ الجمعةِ وأهبطَ يومَ الجمعةِ، فسمى الله ذلك معصية بالنسبة إليه، إذ صدرت منه صورة المعصية، وإن يكن معصية حقيقية " وللسَّيِّدِ أن يَصِفَ عبده بما شاء تأديباً له فكانَ ما أَراده اللهُ تعالى منه، فأهبط هو وحواء زوجته، وقد خُلِقَتْ من ضلعه اليسرى القصيرى. قال السيوطي: " نَبَتَتْ مِنْهُ كَمَا تَنْبُتُ النَّخْلَةُ من النواة قبل إدخالهما الجنة، وهي التي اضطرتته حتى أكلَا معا من الشجرة ". قال ابن عباس وغيره: " خلقَ اللهُ آدمَ وحشاً في الجنةِ وحدهُ، ونامَ فأَنزَعَ اللهُ تعالى إحدى أضلاعه القصيرى من شماله وقيل من يمينه فخلقَ منها حواءَ. " انتهى

" وإبليسُ لاستكباره عن السُّجودِ لآدمَ حينَ أَمَرَ اللهُ الملائكةَ بالسُّجودِ له فسَجَدُوا، والحيَّةُ كانت تُدْخِلُ إبليسَ في فمها لوسوسةَ آدمَ. وكان هبوطه عليه السلام هبوطَ تَكْرَمَةٍ وشرفٍ وإِعْزَازٍ، ليكونَ خليفةً في الأرض وليُظْهرَ سبحانه سابقَ علمه فيه، وَلِيُخْرِجَ // نوحه 58 // مِنْ ذَرِيَّتِهِ أَهْلَ وَلايَتِهِ مِنَ الأنبياء والمرسلين وغيرهم، لا هُبوبَ إهانةٍ وإِذلالٍ واحتقارٍ، وكذا هو قانون اتصافِ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالأعراض البشرية. واخْتَلَفَ في الشَّجَرَةِ التي نَهَى عنها فقيل شجرةُ الحنطة، وهي القمحُ وقيل التينُ، وقيل الكرم وهو العنب. قيل لما أهبطَ إبليس من

الجنة طلب قرآنا فأعطي الشعرَ، وطلب مؤذنا فأعطي المزمارَ، وطلب كتابا فأعطي الوشمَ، وطلب مسجدا فأعطي الأسواقَ، وطلب بيتا فأعطي الحمامَ، وطلب مصائد فأعطي النساءَ، وطلب مجلسا فأعطي الطُّرقاتَ، نعوذ بالله من غروره.

وأما النار، أعادنا الله منها بمنه التي أعدت للكافرين ولأهل الكبائر من المؤمنين غير التائبين، ففيها من أنواع العذاب الأليم، والحزن والهول الجسيم، ما يُدهش العقل ويذهب الكسل، ويُمِرّ العيش، ويوجب الطيش، وفيها ما لا عين رأت ولا أدُنَّ سمعت ولا خطر على قلب بشر قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ نَارًا أَحْمَقَ بَعْمُسًا إِذْ يَقُولُ لَاخِلْفِيَ النَّارُ﴾¹. (ث) والسَّرادق: هو الجدار المحيط. قال ابن عباس "سُرادقها حائط من نار"، وقالت فرقة: دخانٌ محيط بالكُفَّارِ. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: [سُرادق النار أربعة، جدر كثف، عَرْض كل جدار مسيرُهُ أربعين سنة]² انتهى. وقال صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه وسلم [ما رأيت ميكائيل ضاحكا قطُّ قال له ما ضحك منذ خلقت النار]³، وهي تحت الأرض السابعة السفلى، كما أن الجنة فوق سبع سماوات وسُفُّها عرشُ الرحمان، والجنة درجات والنار دركات، أعلاها جهنم وأسفلها الهاوية وهي كناية عن طبقاتها، قيل في كل طبقة منها سبعة وأربعون واديا تتعوذ جهنم من ذلك الوادي في كل يوم سبع مرات... [الحديث. وفي الحديث أيضا [الزبانية يوم القيامة أسرع إلى فسقة

1- الكهف الآية 29

2 - صحيح البخاري - الحديث رقم 17368

3 - رواه أنس بن مالك في كتاب الترهيب والترهيب، رقم 336

حملة القرآن، منهم إلى عبدة الأوثان يقولون ليس من علم كمن لم يعلم¹، ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: [قلت يا جبريل صف لي جهنم قال: نعم يا محمد، إن الله تعالى لما خلق جهنم أوقد عليها ألف عام فاحمرت، ثم أوقد عليها ألف عام فابيضت ثم أوقد عليها ألف عام فاسودت، فهي سوداء مظلمة لا يطفئ لهيبها ولا يخمد جمورها والذي بعثك بالحق نبياً {لو انفتح مثل خرب الإبرة منها لاحترق أهل الدنيا من حرها}² // لوحة 59 // والذي بعثك بالحق نبياً، لو أن ذراعا من السلسلة التي ذكرها الله في كتابه، وضع على جبل لذاب، حتى يبلغ الأرض السابعة، والذي بعثك بالحق نبياً لو أن رجلاً بالمغرب يُعذب لاحترق الذي بالشرق من شدة عذابه، حرها شديداً، وقعرها بعيداً، وحليها حديد، وشرابها صديد، وثيابها مقطعة النيران، وسراويل القطران]³. وعن مقاتل أنه قال: إن الشقي إذا عطش في النار، نادى بالشراب، فيؤتى بالحميم فإذا دنا منه، سقط لحم وجهه ثم يدخل فيه فيسقط أضراسه ولهائته، ثم يدخل بطنه فيقطع أمعاءه، ويُنضج جلده فيعذبون ما شاء الله أن يعذبوا، ثم يدعون خزنة جهنم ﴿الْمَعْوَا رَبِّكُمْ يَنْفُخُ فِي سَافِرَةٍ عَنَّا يَوْمَ مَزْالِ الْعَذَابِ﴾⁴ فلا تجيب الخزنة، ثم يدعون ملكاً خازن النار أربعين عاماً فلا يجيبهم، فيقولون قد دعونا الخزنة، ودعونا ملكاً فلم يجب، هلموا فلنجزعوا، فيجزعون ألف سنة فلا يُغني عنهم، ثم يقولون هلموا

1 - التتوير شرح الجامع الصغير لمحمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني (ت 1182) تحقيق محمد إسحاق - دار السلام الرياض - الطبعة رقم 2011 - الحديث رقم 4569 ، حديث موضوع.

1 - ساقطة من ب

3 أخرجه البيهقي في شعب الإيمان في كتاب الخوف من الله تعالى 193/2.

4 غافر الآية: 49.

فلنصبروا ألف سنة، فلا يغني عنهم فيقولون: ﴿سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص﴾¹ ثم إنهم يدعون الله تعالى ويسألون الغيث ألف سنة، ثم يقول الله تعالى لجبريل: أي شيء يطلبون، فيقول له: يا رب وأنت أعلم يسألون الغيث، فتظهر لهم سحابة حمراء فيطمعون بالغيث، فتُمطر عليهم عقارب كأمثال البغال، فتلدغ الواحد منهم فلا يذهب الوجع ألف عام، ثم يسألون الله تعالى ألف سنة أن يرزقهم الغيث، فتظهر لهم سحابة سوداء فيقولون هذه سحابة المطر، فترسل عليهم حيات كأمثال أعناق البخت، كلما لدغت واحدا لا يذهب وجعها ألف سنة، وذلك معنى قوله تعالى ﴿ولهم عذابا فوق العذاب﴾² انتهر. اللهم أجرنا من النار بجاه نبينا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

وقال صلى الله عليه وسلم: [لو أن قطرة من الزقوم قطرت في الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معاشهم فكيف بمن يكون طعامه]³. وقال صلى الله عليه وسلم: [يؤتى بالموت على صورة كبش أملح، فيوقف بين الجنة والنار، ثم ينادي مناد يا أهل الجنة أتعرفون ما هذا؟ فيشرفون ينظرون ويقولون بأجمعهم، هذا هو الموت فيذبحه جبريل بين الجنة والنار، ثم يقول: يا أهل الجنة خلود لا موت فيها ويا أهل النار خلود لا موت فيها، فذلك قوله تعالى: ﴿وأنذرهم يومَ الحسرةِ إنا قاضي الأمرُهم في غفلةٍ...﴾]⁴⁵. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [إذا أراد العصاة

¹ إبراهيم: 21.

² النحل الآية: 88.

³ أخرجه الترمذي في صفة جهنم باب 4 ما جاء في صفة شراب أهل النار، رقم 2585 وقال: حسن صحيح وضعفه الألباني.

⁴ مريم - الآية 39

⁵ أخرجه النسائي في السنن الكبرى كتاب التفسير سورة مريم

المَوْحِدُونَ أَنْ يَدْخُلُوا النَّارَ فَيَبْسِمُونَ فَتَبَاعَدَتِ النَّارُ مِنْهُمْ مَسِيرَةَ خَمْسِ مِائَةِ عَامٍ،
فَإِذَا وَقَفُوا عَلَى شَفِيرِ جَهَنَّمَ وَنَظَرُوا إِلَى النَّارِ وَالِىَ الزَّبَانِيَةِ قَالُوا يَا مَالِكُ إِذْنٌ لَنَا
حَتَّى نَبْكُوا عَلَى أَنْفُسِنَا، فَيَأْذَنُ لَهُمْ فَيَكُونُ الدُّمُوعَ حَتَّى تَغْنَى ثُمَّ يَكُونُ الدَّمُ، فَيَقُولُ
مَلِكٌ مَا أَحْسَنَ هَذَا الْبَكَاءَ لَوْ كَانَ لَكُمْ فِي الدُّنْيَا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ تَعَالَى // نوحه 60 //

لَمَّا مَسَّتْكُمْ النَّارُ الْيَوْمَ. فَإِذَا أَلْقَوْا فِيهَا نَادَوْا بِأَجْمَعِهِمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَتَرْجِعُ عَنْهُمْ
النَّارُ فَيَقُولُ مَلِكٌ لِلنَّارِ خُذِيهِمْ قَالَتِ النَّارُ فَكَيْفَ وَهُمْ يَقُولُونَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَيَقُولُ
نَعَمْ بِذَلِكَ أَمَرَكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ فَتَأْخُذُهُمْ عَلَى قَدَرِ ذُنُوبِهِمْ بَعْضُهُمْ إِلَى قَدَمِيهِ،
وَبَعْضُهُمْ إِلَى رُكْبَتِهِ وَبَعْضُهُمْ إِلَى صَدْرِهِ، وَبَعْضُهُمْ إِلَى حَلْقِهِ فَإِذَا هَوَّتِ النَّارُ إِلَى
وُجُوهِهِمْ، قَالَ مَلِكٌ لَا تَحْرِقِي وَجُوهُهُمْ فَطَالَ مَا سَجَدُوا لِلرَّحْمَانِ فِي الدُّنْيَا وَلَا
تَحْرِقِي قُلُوبَهُمْ فَطَالَمَا عَطَشُوا فِي شَهْرِ رَمَضَانَ. . وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَقَالَ: [إِنَّ أَهْلَ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي، الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَلَمْ يَتُوبُوا، يُعَذَّبُونَ فِي الْبَابِ
الْأَعْلَى وَاسْمُهُ جَهَنَّمُ، ثُمَّ بَكَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَكَى مَعَهُ جَبْرِيلُ
عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَتْ لَهُ فَاطِمَةُ كَيْفَ يُسَاقُونَ، فَقَالَ يَا فَاطِمَةُ الرِّجَالُ بِاللِّحَاءِ
وَالنِّسَاءُ بِالنَّوَاصِي، لَكِنْ لَا تَسْوَدُّ وَجُوهُهُمْ وَلَا تَزْرُقُ أَعْيُنُهُمْ وَلَا يُخْتَمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ
وَلَا يَقْرَنُونَ مَعَ الشَّيَاطِينِ وَلَا تَوْضَعُ عَلَيْهِمُ السَّلَاسِلُ وَالْأَغْلَالُ]¹ انتهى.

فَإِنْ أَرَدْتَ يَا أَخِي السَّلَامَةَ مِنْ ذَلِكَ فَعَاجِلْ بِالتَّوْبَةِ وَاشْتَغِلْ بِالطَّاعَةِ فَإِنَّ [التَّائِبَ
مَنْ ذَنْبُهُ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ]². (غ) " الشَّرُّ مَعْجُونٌ مَعَ الْخَيْرِ فِي طِينَةِ آدَمَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ عَجْنَا مُحْكَمًا لَا يَخْلُصُهُ إِلَّا إِحْدَى نَارَيْنِ، نَارُ النَّدَمِ، أَوْ نَارُ جَهَنَّمَ فَالْإِحْرَاقُ

¹ لم أعثر عليه.

² سبق تخريجه.

بالنَّارِ ضروريٌّ في تَخْلِيصِ جواهرِ الإنسانِ عنْ خَبَائِثِ الشَّيْطَانِ والبدءِ الآنَ
بأَخْفِ النَّارِينَ، وأَهْوَنَ الشَّرِّينِ أَوْلَى مَنْ أَنْ يُسَاقَ إِلَى حَالِ الإِضْرَارِ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ
وإِمَّا إِلَى النَّارِ". والله المستعان.

الفصل الرابع في الإيمان بأحوال الموت أسعدنا الله ببقائه بمنه

اعْلَمْ أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ كَلَامُنَا فِي هَذَا الْفَصْلِ عَلَى سَبِيلِ الْإِخْتِصَارِ فِي مَوَاضِعَ
: فِي مَلِكِ الْمَوْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَكَيْفَ يَقْبِضُ الرُّوحَ فِي مَعْنَى الرُّوحِ، وَفِي
الْمَلَائِكَةِ الْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَفِي مَا يَكُونُ سَبَبًا لِحُسْنِ الْخَاتِمَةِ وَمَا يَسْتَدِلُّ
بِهِ عَلَيْهَا، وَفِي الشَّهَدَاءِ وَعِيَادَةِ الْمَرِيضِ وَفِي مَا يُفْعَلُ بِالْمُخْتَضِرِ وَفِي مَا جَاءَ فِي
غَسْلِ الْمَيِّتِ وَكَفْنِهِ وَتَحْنِيطِهِ وَحَمْلِهِ وَالصَّلَاةَ عَلَيْهِ وَدَفْنِهِ وَفِي أَيِّ الْأَيَّامِ أَفْضَلُ
لِلْمَوْتِ، وَفِي أَيِّ الْبَقَاعِ أَفْضَلُ لِلدَّفْنِ وَفِي مَا يُهْدَى لِلْمَيِّتِ مِنَ الْقُرْبَاتِ وَفِي زِيَارَةِ
الْقُبُورِ، وَفِي حُكْمِ الْأَوْلَادِ وَالتَّعْزِيَةِ.

أَمَّا مَلِكُ الْمَوْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَدْ جَاءَ فِيهِ، أَنَّهُ مَلِكٌ عَظِيمٌ هَائِلٌ وَاسْمُهُ عَبْدُ
الْجَبَّارِ. الْمَفِيدُ، رَأْسُهُ فِي {كَلِكِل} ¹، الْعَرْشِ وَرَجُلَاهُ تَحْتَ تَخُومِ الْأَرْضِ السَّابِعَةِ،
وَلَهُ يَدَانِ، يَدٌ فِي الْمَشْرِقِ وَيَدٌ فِي الْمَغْرِبِ، وَالدُّنْيَا بَيْنَ يَدَيْهِ كَالدِّرْهَمِ فِي يَدِ ابْنِ
آدَمَ يَقْلِبُهُ يَمِينًا وَشِمَالًا، وَالْخَلَائِقُ كُلُّهُمْ تَحْتَ رُكْبَتَيْهِ، وَفِي الْحَدِيثِ أَيْضًا: [أَنْ مَا
بَيْنَ كَتِفَيْهِ مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ عَامٍ]، وَقَالَ مَلِكُ الْمَوْتِ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ: [مَا مِنْ دَارٍ وَلَا حُجْرَةٍ إِلَّا وَأَنَا أَنْظُرُ فِيهَا مِائَةَ مَرَّةٍ فَأَقُولُ: يَا مَعْشَرَ أَهْلِ

¹ - ساقطة من ب

الدنيا لا تبكوا // نوحه 61 // على ما مضى وابكوا على أنفسكم إن لي فيكم عودة ثم عودة حتى لا يبقى منكم واحد]. وأما قبض الأرواح، فهو من أعظم الآيات الدالة على توحيد الله تعالى، وكل حيوان فحكمه حكم آدمي، خلافا لبعض المبتدعة قال وهب بن منبه¹: "إن ملك الموت قاعد على كرسيه، واللوح المحفوظ بين عينيه، والدنيا ركبتيه، وفي اللوح المحفوظ أسماء الخلائق كلها، ويدها تبلغان المشرق والمغرب فإذا جاء أجل العبد نظر إليه، فإذا علم أعوانه، نظر إليه وأنه مقبوض عنده، بطشوا به حتى إذا بلغت روحه الحلقوم، مد ملك الموت يده فقبضها" قالت العلماء، أن ملك الموت يقبض أرواح كل من مات، وإن كانوا في ساعة واحدة، كما أن منكرًا ونكيرًا يسألان كل من مات، وإن كان دفنهم في ساعة واحدة.

المفيد، فإن قيل كيف الجمع بين قوله تعالى: ﴿يَتَوَفَّى الْأَنْفُسُ﴾² وقوله: ﴿يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ﴾³ وقوله: ﴿تَوَفَّنَا رُسُلُنَا﴾⁴ قلنا: الله تعالى هو الفاعل الحقيقي خالق القبض وفاعله وهو تعالى يأمر الملك بقبضها ثم قرن معه أعوانا. وملك الموت عليه السلام هو أحد الأربعة المقربين الثاني جبريل، الثالث ميكائيل، الرابع إسرافيل عليهم الصلاة والسلام، فينبغي للمؤمن أن يكثر من الصلاة والتسليم

¹ - وهب بن منبه (ت 114هـ) تابعي جليل روى له البخاري ومسلم وأبو داود، من كتبه قصص الأنبياء، قصص الأخيار، ترجم له الذهبي في سير أعلام النبلاء الجزء الرابع ص 543.

² - الزمر - آية 42

³ - السجدة - آية 11

⁴ - الأنعام - آية 61

على ملك الموت وأن يكونَ عنده أحب من كل شيء، إذ هو الذي يجمع بينه وبين حبيبهِ، وخالفه ومولاهُ تعالى لا إله إلا هو.

وأما الروحُ (ث) " ثم علماء الإسلام اختلفوا في جواز الخوض فيها على قولين، واختلفوا هل هي جوهر أو عرض؟ أو ليست بجوهر ولا عرض، ولا توصف بأنها داخل الجسم ولا خارجة، ثم قال: والذي عليه المحققون من المتأخرين أنها جسم نوراني شفاف سار في الجسم سريان النار في الفحم ودليل وجودها في الجسد قوله تعالى ﴿فلولا إغما بلغت الحلقوم﴾¹ فلو لم تكن في الجسم لما قال ذلك " ما من دار ولا حجرة إلا وأنا أنظر فيها مائة مرة فأقول: يا معشر أهل الدنيا .

المفيد: اعلم أن الروح لفظ مشترك يُطلق ويُراد به جبريل عليه السلام قال تعالى: ﴿نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين﴾² ويُطلق على القرآن قال تعالى: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا﴾³ وقالت طائفة " الروح خلق من الملائكة على صورة بني آدم يرون الملائكة ولا تراهم فهم للملائكة كالملائكة لبني آدم " حكاه القاضي، وبعض المفسرين. والمقصود هنا الروح المختص بالإنسان، التي أجرى الله تعالى العادة للإنسان، أن يحيى مادام متصلاً به ويموت عند انفصاله، وهو خلق من خلق الله تعالى يُمكن أن يكون خلقاً ممّا خلقت منه الملائكة ويُمكن أن يكون // نوحه 62 // من جنس آخر يودعه الله تعالى في النطفة عند تصوُّرها وتسويتها، عادةً أجراها الله تعالى في بني آدم كما أخبر به في (ألم)

1 الواقعة الآية: 83.

2 الشعراء الآية: 193.

3 الشورى الآية: 52.

السَّجْدَةُ؛ في قوله (وبدأ خلق الإنسان من صِينٍ ثمَّ جعل نسله من سُلَالتِهِ من ماءٍ مهينٍ)¹ أي ضعيف، ثُمَّ سِوَاهُ وَ نَفَخَ فِيهِ رُوحَهُ، وَخَرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ: [إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عِلَاقَةٌ مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً فِي مِثْلِ ذَلِكَ ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ الْمَلَكَ فَيَنْفَخُ فِيهِ الرُّوحَ وَيُؤَمِّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ فَيُكْتَبُ رِزْقُهُ وَأَجَلُهُ وَعَمَلُهُ وَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ، فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ، وَأَنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُ النَّارَ]² قُلْتُ: وَفِي بَعْضِهَا قِيلَ: [أَفَلَا نَتَّكِلُ عَلَى اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ اعْمَلُوا فكل مُيسِّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ]³.

فَنَبَتْ أَنَّ الرُّوحَ خُلِقَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى بِمَنْزِلَةِ النَّفْسِ مِنَ الْإِنْسَانِ، فَأَمَّا أَرْوَاحُ الصَّيِّدِ وَالْبَهَائِمِ فَإِنَّمَا هِيَ أَنْفَاسُهَا الْمَتَرَدِّدَةُ فِيهَا، هِيَ مِنْ جِنْسِ نَفْسِ ابْنِ آدَمَ الْمَتَرَدِّدَةِ فِيهِ لَا مِنْ جِنْسِ رُوحِهِ، وَلَوْلَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَخْبَرَنَا عَنْ أَرْوَاحِ بَنِي آدَمَ وَعَرَّفَنَا أَنَّهَا تَوْضَعُ فِي النُّطْفَةِ وَتَخْرُجُ عِنْدَ الْوَفَاةِ وَيَذْرُكُهُ الْمَرءُ يَبْصُرُهُ عِنْدَ وَفَاتِهِ لَمْ يَكُنْ لَنَا طَرِيقٌ إِلَى الْعِلْمِ بِهِ، وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَلَيْسَ لَنَا أَنْ نُثَبِّتَ أَرْوَاحًا لغيرِ

1 - السجدة الآية 8.

2 أخرجه مسلم في كتاب القدر باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته. رقم الحديث 4718

3 أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب قول الله تعالى { ولقد يسرنا القرآن للذكر } ، رقم الحديث 6605

بني آدم أكثر من النَّفس المترددة فيها، ثم قال واختلف في النفس والروح، فقلَّ
أسمان لمعنى واحد، وإليه ذهب غير واحد من أصحابنا، وذكر أصبغ عن ابن
قاسم في العتبية، أنه سمع عبد الرحمان بن خالد يقول: بلغني أن الروح له جسدٌ
ويدان ورجلان ورأس وعينان، يُسلُّ عن الجسد سلاً . وفي رواية ابن وهب، أن
النَّفس هي التي لها جسدٌ مُجسَّدٌ، قال ابن حبيب هذا الجسدُ كخلقٍ مُركَّبٍ عليه
خلقٌ، وكخلقٍ في جوفٍ خلقٌ تُسلُّ من الجسدِ بصورتها، فالنَّفسُ هي التي تلتدُّ
وتفرح، وتتألم وتحزن، وتعقل وتسمع وتُبصر، وتتكلَّم، والروح لا يعرف شيئاً من
ذلك، والنفس هي التي ترى في منامها، وتقبض عند النوم، فمن انقضى أجله اتبع
روحه نفسه في المنام، فكان ذلك توفيةً، ثم تصير الأرواح والأنفس بعد الموتِ
شيئاً واحداً، وإنما يتميَّز في الأجساد، قال تعالى: ﴿وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾¹
وهي التي ترجع إلى جسدها إلى تمام أجلها، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم عند
المضطجع: [اللَّهُمَّ إِنْ أَمْسَكَتَ نَفْسِي فَاغْفِرْ لَهَا وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا // نوحه 63 // فاحفظها
بِمَا تَحْفَظُ بِهِ الصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكَ]² فليست تموت الأنفس والأرواح، وإنما تموت
الأجساد وتخرج النفس ثم هي حيةٌ عند الله تعالى مُنعمَةٌ إن كانت من أهل السعادة
أو مُعذَّبةٌ إن كانت من أهل الشقاء إلى يوم القيامة.

(ث) "وعن الشيخ الصالح أبي الطاهر الرزكري رحمه الله، قال: "حضرتُ عندَ
وليٍّ من الأولياء حين النزغ، فشاهدتُ نفسه قد خرجت من مواضع من جسمه ثم

¹ - الزمر - الآية 42

² أخرجه أحمد مُسنِّدُ الْمُكْثَرِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ مُسنِّدُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقال محققوه إسناده صحيح على شرط الشيخين. رقم الحديث 67963.

تَشَكَّلَتْ عَلَى رَأْسِهِ بِشَكْلِهِ وَصُورَتِهِ ثُمَّ صَعَدَتْ إِلَى السَّمَاءِ وَصَعَدَتْ نَفْسِي مَعَهَا فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا شَاهَدْتُ أَبَا وَرَجُلٌ مَلَكٌ مَمْدُودَةٌ عَلَيْهِ فَأَزَالَ ذَلِكَ الْمَلَكُ رِجْلَهُ وَقَالَ لِنَفْسٍ ذَلِكَ الْوَلِيِّ : اضْعِدِي فَصَعِدْتُ فَأَرَادْتُ نَفْسِي أَنْ تَصْعَدَ مَعَهَا، فَقَالَ لَهَا: ارْجِعِي فَقَدْ بَقِيَ لَكَ وَقْتُ، قَالَ فَرَجَعْتُ فَشَاهَدْتُ النَّاسَ دَائِرِينَ عَلَى جِسْمِي، وَقَائِلٌ يَقُولُ مَاتَ، وَآخَرٌ يَقُولُ لَمْ يَمُتْ فَدَخَلْتُ مَنْ أَنْفِي أَوْ قَالَ مَنْ عَيْنِي وَقَمْتُ "، ثُمَّ قَالَ وَهَذِهِ الْحِكَايَةُ صَحِيحَةٌ وَرَجُلٌ إِسْنَادُهَا ثَقَاتٌ. انْتَهَى وَأَمَّا الْمَلَائِكَةُ الْكَرَامُ الْكَاتِبُونَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَهُمْ الْحَفَظَةُ عَلَى الْعِبَادِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾¹ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾² وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾³ أَيُ تَشْهَدُ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلَائِكَةُ النَّهَارِ. وَفِي الصَّاحِحِينَ [يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةُ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةُ بِالنَّهَارِ وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ وَفِي صَلَاةِ الْعَصْرِ]⁴ فَوَجَبَ الْإِيمَانُ بِذَلِكَ . الْمَفِيدُ . وَرُوي: " أَنَّ لِكُلِّ إِنْسَانٍ مَلَكًا عَنْ يَمِينِهِ، يَكْتُبُ الْحَسَنَاتِ، وَمَلَكًا عَنْ شِمَالِهِ يَكْتُبُ السَّيِّئَاتِ، وَمَلَكُ الْيَمِينِ أَمِينٌ عَلَى مَلِكِ الشَّمَالِ، فَإِذَا عَمَلَ الْعَبْدُ حَسَنَةً ابْتَدَرَهَا صَاحِبُ الْيَمِينِ فَكَتَبَهَا بِعَشْرَةِ أَمْثَالِهَا فَزَيْدٌ، وَإِذَا أَذْنَبَ يَقُولُ مَلَكُ الْيَمِينِ لِمَلِكِ الشَّمَالِ لَا تَكْتُبْهُ لَعَلَّهُ يَتُوبُ فَيَمُهِلُهُ سِتِّ سَاعَاتٍ مِنْ النَّهَارِ أَوْ مِنْ اللَّيْلِ، فَإِنْ تَابَ كَتَبَ صَاحِبُ الْيَمِينِ تِسْعَ حَسَنَاتٍ، وَلَا يَكْتُبُ

1 - الانفطار الآية: 10.

2 - ق الآية: 18.

3 - الإسراء: الآية: 78.

4 - متفق عليه أخرجه البخاري كتاب مواقيت الصلاة باب فضل صلاة العصر ومسلم كتاب الإيمان باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها وفضيلة الحياء وكونه من الإيمان. رقم الحديث 555.

صاحبُ الشمالِ شيئاً، وإنْ لمْ يَثْبُ قالْ لَهُ أَكْتُبْ أَرَاخُنَا اللهُ مِنْ صُحْبَتِهِ. ويجعلُ اللهُ لَهُمْ إِمَارَةً على ما في القلبِ مِنْ النِّيَّةِ قِيلَ رَائِحَةٌ طَيِّبَةٌ على النِّيَّةِ الصَّالِحَةِ والعَكْسُ العَكْسُ " وعن ابن عباسٍ رضي اللهُ عَنْهُ [أنهم يَصْحَبُونَ الناسَ وقتَ التَّكْلِيفِ لا قبلَ ذلك]. قلتُ وظاهرُ هذا أن الصَّبِيَّ لا يُكْتُبُ عَلَيْهِ شَيْءٌ أَمَّا السَّيِّئَاتُ فلا تُكْتُبُ عَلَيْهِ اتِّقَاقًا، وَأَمَّا الحَسَنَاتُ فظَاهِرُ النُّصُوصِ أَنَّهَا تُكْتُبُ لَهُ وَهَلْ هِيَ لَهُ أَوْ لَوَالِدِيهِ أَوْ لَهَا مَعًا أَقْوَالٌ وَروى عَنْهُ عليه السلام: [أن مَقْعَدَ الْمَلَكَيْنِ على الشَّفَتَيْنِ قَلَمُهُمَا اللِّسَانُ وَمِدَادُهُمَا الرِّيقُ]¹ وعن الحسن: [أن مَقْعَدَهُمَا تحتَ الشَّفَةِ وكان يُطَيَّبُ عَنفَقَتُهُ لذلك] وروى: " أنهما يكتبان الحسنات والسيئات دون المباح// نوحه 64 // .

(ث) " وروى ابن المبارك في رقائقه بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: [إذا فَنِيَتْ أَيْامُ الدُّنْيَا عن هذا العبدِ الْمُؤْمِنِ بعَثَ اللهُ إلى نفسه من يَتَوَقَّاهَا قال فقال أصحاباه اللَّذَانِ يحفظانِ عليه عمله، إن هذا قد كان لنا أحمًا وصاحبًا وقد حان اليومُ منه فراقٌ فأذنوا لنا، أوقالَ دعونا نُثْنِ على أخيْنا فيقال أثنيَا عليه، فيقولانِ جزاك اللهُ خيرًا ورضي عنك وغفرَ لك وأَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ فَنِعْمَ الْأَخُ كُنْتَ وَالصَّاحِبُ ما كانَ أيسَرَ مَوْثِقَكَ وَأَحْسَنَ مَعُونَتَكَ على نَفْسِكَ ما كانتَ خَطَاياكَ تَمْنَعُنَا أَنْ نَصْعَدَ إلى رَبِّنا فَنُسَبِّحَ بِحَمْدِهِ وَنَقْدِسَ لَهُ، ونسجُدُ لَهُ ويقولُ الذي يَتَوَقَّى نفسه أخرجَ أَيُّها الرُّوحُ الطَّيِّبُ إلى خيرٍ يومٍ مرَّ عَلَيْكَ فَنِعْمَ ما قَدَّمْتَ لِنَفْسِكَ، أخرجَ إلى الرُّوحِ والريحانِ وَجَناتِ النَّعِيمِ وَرَبِّ عَلَيْكَ غَيْرَ غَضَبانٍ، وإذا أَفْنِيَتْ أَيْامُ الدُّنْيَا على العبدِ الكافرِ، بعَثَ اللهُ إلى نفسه من يَتَوَقَّاهَا، فيقولُ أصحاباه اللَّذَانِ كانا يحفظانِ عليه

¹ - الألباني ، ضعيف الجامع ، الحديث رقم 1632 ، موضوع .

عمله، إن هذا قد كان لنا صاحبًا، وقد حان منه فراقٌ، فأذنوا لنا أو دعونا نشن على صاحبنا، فيقول أثنيا عليه، فيقولان لعنة الله عليه وغضبه عليه، ولا غفر له، وأدخله النار، فبئس الصاحب، ما كان أشدَّ مؤنته، وما كان يعين على نفسه، إن كانت خطايا وذنوبه ل تمنعنا أن نصعد إلى ربنا فنسبح له ونقدس له ونسجد له، ويقول الذي يتوفى نفسه، أخرج أيها الروح الخبيثة، إلى شرِّ يومٍ مرَّ عليك، فبئس ما قدّمت لنفسك، أخرج إلى الحميم وتصلية الجحيم، وربِّ عليك غضبان. انتهى

المفيد: فيَقْبَلانِ بينَ عَيْنَيْهِ إِنْ كَانَ صَالِحًا، وَيَنْصَرِفَانِ إِلَى مَقْعَدِهِمَا الَّذِي كَانَا فِيهِ قَبْلَ أَنْ يَسْتَحْفِظَاهُ، وَلَا يَعُودَانِ إِلَى غَيْرِهِ أَبَدًا. وحكى الترمذي: [أنهما يجلسان على القبر يستغفران للمؤمن] المفيد: فَإِنْ قَلَّتِ اللَّهُ تَعَالَى يَعْلَمُ أَعْمَالَ الْعَبْدِ، فَمَا فَائِدَةُ الْحَفَظَةِ ؟ قُلْنَا لَمْ يَجْعَلْهُمُ اللَّهُ تَعَالَى لِحَاجَةٍ لِأَنَّهُ غَنِيٌّ عَنْ جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ، وَإِنَّمَا جَعَلَهُمُ لِيَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَيْهِمْ، إِذَا جَحَدُوا أَعْمَالَهُمْ وَإِرْسَالَ الرُّسُلِ. (ث) "وقد جاء في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم: [أن العبد الكافر يوم القيامة يقول يا رب أليس وعدتني ألا تظلمني قال فإن ذلك لك قال فإنني لا أقبل عليّ شاهداً إلا من نفسي قال فيختم على فيه وتكلم أركانه بما كان يعمل قال: فيقول لهؤلاء بُعْدًا لَكِنَّ وَسُحْقًا فَعَنْكُنْ كُنْتُ أَدَافِعُ]¹. نسأل الله تعالى من فضله أن يرضيهما عنا بمنه وكرمه.

¹ أخرجه مسلم كتاب كتاب الزهد والرقائق ، رقم 2969.

وأما ما يكون سبباً لحسن الخاتمة ويُستدل به عليها، فاعلم يا أخي وفقك الله وإيانا لما يُحبه ويرضاه ولطف بك وبنا// لوحة 65// فيما قدره وقضاه، إن أمر الخاتمة هي النُكْتَةُ الَّتِي تَقْسَمُ الظُّهُورُ، وتَصْفِرُ الوُجُوهُ وتَقْطَعُ القُلُوبُ وتَذِيبُ الأَكْبَادُ وتُدْمِي العُيُونُ مِنَ الْعُبَادِ، وهو خوف نزع المعرفة والإيمان عند احتضار الإنسان. (غ) " فهو الغاية التي ينتهي إليها خوف الخائفين وتبكي عليها أعين الباكين قال بعضهم: إن الغموم ثلاثة: غم الطاعة ألا تقبل وغم المعاصي ألا تغفر، وغم المعرفة أن تسلب " وقال المخلصون: " بل الغم كله واحدٌ بالحققة وهو غم المعرفة فكل غم دونه سهلٌ إذ له انقضاء.

ولقد بلغنا عن يوسف بن أسباط¹ رحمه الله أنه قال: " دخلت على سفيان فبكي ليلته أجمع فقلت له: بكاؤك هذا على الذنوب؟ قال: فحملت تبنا وقال: الذنوب أهون على الله عز وجل من هذا، إنما أخشى أن يسلبني الله عز وجل الإسلام " نسأل الله المنان أن يتوفانا على ملة الإسلام، إنه أرحم الراحمين. انتهى

فإذا علمت هذا؛ فاعلم أن الناس على قسمين شقي وسعيد؟، فالشقاوة هي المضرة اللاحقة في العقبى والسعادة هي المنفعة اللاحقة في العقبى إذ هما في الدنيا أمران مغيبان لا يعلمهما قطعا إلا الله تعالى، لكن جعل سبحانه بمقتضى الحكمة والشرع الدال على الحقيقة لكل واحد علامة يستدل بها عليه، فالطاعة إماراة على السعادة، والمعصية إماراة على الشقاوة. قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُصِغِرِ اللَّهُ وَرَسُولَهُ نُخِلْهُ

¹ من سادات المشايخ له مواظ وحكم، روى عن محل بن خليفة والثوري - أنظر سير أعلام النبلاء الطبقة التاسعة - الجزء 9 ص 169.

جنات...¹ الآية. ﴿ومن يعص الله ورسوله... إلى نُدخله نارا...﴾² الآية. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، والأَحْمَقُ مَنْ اتَّبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِي]³ وقال عليه السلام: [اعْمَلُوا فكلُّ مُيسِّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ]⁴ فإن أردتَ يا أخي حُسْنَ الخاتمةِ بفضلِ الله تعالى، والفوزَ بالدرجاتِ العُلا، فعليكَ أولاً بِاتِّقَانِ عقائِدِكَ، وبنائها على أساسِ الدلائلِ والبراهينِ، وتشبيدها ثانياً بِإِخْلَاصِ الطاعاتِ، حتى لا يجدَ الشيطانُ اللعينُ إلى اختلالِها مَسَلَكًا، ثم إن أخذتَ لك فيها ثَلَمَةً بمعصيةٍ، أو عُجْبٍ لِعَفْلَتِكَ عنه، بادرتَ تجديدها وإصلاحها بالتوبةِ والنَّدَمِ، والرجوعِ إلى الله تعالى، ثم كذلك إلى المماتِ، قال صاحبُ السِّرِ المصون، قال سيدي عبد الحق في العاقبة " إن عادة الله مَنْ صَدَقَ فِي إِيْمَانِهِ لَا يَنْزِعُهُ ثَوْبَ الْإِيْمَانِ عِنْدَ الْمَمَاتِ، قَالَ وَكُلُّ مَا ذُكِرَ مِمَّنْ بُدِّلَ بِهِ عِنْدَ الْخَاتِمَةِ إِنَّمَا هُوَ لاختلالِ عقيدتهِ في الأصل، وأمّا من عَرَفَ الله // نوحه 66 // حقَّ معرفته، فاللهُ أَكْرَمُ مَنْ أَنْ يَنْزَعَ عَنْهُ ثَوْبًا أَلْبَسَهُ بِفَضْلِهِ وَبَدَأَهُ بِهِ مِنْ غَيْرِ سَوَالٍ، فَاجْهَدْ فِي الطَّاعَةِ وَلَا تَسْتَحْقِرْ مِنْهَا شَيْئًا، فَاَلْمَقْبُولُ كَثِيرٌ وَإِنْ قَلَّ، وَاحْذَرِ الْمَعْصِيَةَ وَلَا تَسْتَصْغِرْ مِنْهَا شَيْئًا فَإِنَّ الصَّغِيرَةَ كَبِيرَةٌ إِذَا حَقَرْتُ، وَلَا تَغْفُلْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ بِاللِّسَانِ وَالْقَلْبِ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [يَمُوتُ الْمَرْءُ عَلَى مَا عَاشَ عَلَيْهِ وَيُبْعَثُ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ]⁵ وقال صلى الله عليه وسلم: [من مات وهو يعلم

¹ النساء الآية: 14.

² - النساء ، الآية 14.

³ أخرجه ابن ماجة كتاب الزهد باب ذكر الموت والاستعداد وضعفه العلامة الألباني.

⁴ صحيح البخاري - حديث رقم 4949، ورد أيضا في صحيح مسلم - حديث رقم 2647.

⁵ رواه مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت.

أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ¹ وَأَكْثَرَ ذِكْرَ الْمَوْتِ، وَقَدْ أَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذِكْرِ الْمَوْتِ وَأَعَادَ الْقَوْلَ فِيهِ تَهْوِيلًا لِأَمْرِهِ وَتَعْظِيمًا لَشَأْنِهِ. ث" واعْلَمْ أَنَّ كَثْرَةَ ذِكْرِ الْمَوْتِ يَزِدُّ عَنْ الْمَعَاصِي وَيُلِينُ الْقَلْبَ الْقَاسِيَّ² أَنْتَهَى. وَفِي الْحَدِيثِ قِيلَ: [أَيُحْشَرُ مَعَ الشَّهَدَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَدٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ نَعَمْ مَنْ ذَكَرَ الْمَوْتَ فِي الْيَوْمِ عَشْرِينَ مَرَّةً] فَبَادِرْ يَا أَخِي بِالتَّوْبَةِ وَالتَّقْوَى قَبْلَ أَنْ يَحُولَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا حَائِلُ الْمَوْتِ فَإِنَّهَا غَيْرُ مَأْمُونَةٍ فِي كُلِّ نَفْسٍ أَوْ لَحْظَةٍ، فَيَكُونُ الْعَبْدُ دَائِمًا أَبَدًا دَائِمَ الْفَكْرِ لِلْمَوْتِ عَامِلًا عَمَلٌ مَنْ لَا يَعُودُ إِلَيْهِ لِأَنَّهَا لَا تَأْتِي إِلَّا فَجْأَةً، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا تَأْتِيَكُمْ إِلَّا بَغْثَةً﴾³، فَإِذَا كَانَ دَائِمَ الْفَكْرِ لِلْمَوْتِ لَمْ يَجْزَعْ لِمَفْاجَأَتِهَا لِأَنَّهُ عَلَى ذَلِكَ بَنَى أَمْرَهُ وَوُطَّنَ نَفْسَهُ، وَأَمَّا الدُّنْيَا فَإِنَّمَا كَانَ فِيهَا كَالْمَسَافِرِ يَتَزَوَّدُ لَخُرُوجِهِ، وَكَانَ يَنْظُرُ إِلَيْهَا بَعِينَ الزَّوَالِ وَالِاحْتِقَارِ إِذْ لَمْ يَرَ فِيهَا مَا يَسْرُهُ وَإِنَّمَا كَانَتْ حَاجَتُهُ مِنْهَا مَا تَزَوَّدَهُ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَقَدْ حَصَلَ.، بَلْ يَفْرُحُ حِينَئِذٍ لِلْمَوْتِ أَشَدَّ الْفَرَحِ لَمَّا يَرَاهُ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ تَعَالَى، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَانِشَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: [إِذَا عَايَنَ الْمُؤْمِنُ الْمَوْتَ قَالَتْ لَهُ الْمَلَائِكَةُ نَرْجِعُكَ فَيَقُولُ إِلَى دَارِ الْهَمُومِ وَالْأَحْزَانِ بَلْ قُدُّمًا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى. وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيَقُولُ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ]⁴، وَجَاءَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ

كَبِيرِينَ﴾⁵.

¹ أخرجه مسلم ، رقم 26.

² الجواهر الحسان - الجزء الرابع ص 76.

³ الأعراف الآية: 187.

⁴ - أورده عبد الرحمان بن عبد السلام الصفوري (ت 894هـ) في نزهة المجالس ومنتخب النفائس - المطبعة

الكاستلية - مصر ج 1 ص 64.

⁵ النحل الآية: 32.

(ث) "أي تقبض الملائكة أرواحهم وهي طيبة بالتوحيد، والتصديق للرسول وأفواههم طيبة بكثرة ذكر المولى سبحانه، والتزك للغيبة والنميمة والهمز واللزم وهم طيبون بأداء الفرائض واجتباب الكبائر والملائكة، يقولون سلام عليكم سيروا إلى الجنة، وهذه بشارة من الله تعالى للمؤمنين بما كنتم تعملون في الدنيا". وجاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْكَايِنَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ توعَدُونَ﴾¹.

(ث) "قيل استقاموا على الإيمان والطاعات، ولم يزوغوا زوغان الثعالب//نوحه 67// وقوله لا تخافوا. قال أبو نعيم: "بلغنا أن العبد المؤمن حين يبعث من قبره يتلقاه الملكان اللذان كانا معه في الدنيا فيقولان له لا تخف ولا تحزن وأبشر بالجنة التي كنت توعده، قال فأمن الله خوفه وأقر عينه وقال ابن المبارك في رقايقه عن سفيان: تتنزل عليهم الملائكة أي عند الموت لا تخافوا ما أمامكم ولا تحزنوا على ما خلفتم من ضياعكم، و أبشروا بالجنة التي كنتم توعدون قال يبشر بثلاث بشارات عند الموت، وإذا أخرج من القبر وإذا فزع، نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا، قال قرناؤهم يلقونهم يوم القيامة فيقولون لا نفارقكم حتى تدخلوا الجنة"². انتهى والله المستعان.

وأما ما يستدل به على حسن الخاتمة والسعادة فأمران :

¹ فصلت الآية: 30.

² الجواهر الحسان - الجزء الخامس - ص 135.

الأول ما وردَ عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: [ارقبوا الميت عند ثلاثة: إذا رشح جبينه، وذرفت عيناه، ويبست شفتاه، فذلك من رحمة الله تعالى تنزل به، وإذا غط غطيّ المجنون، وأخمر لونه وأزبدت شفتاه فهو من عذاب الله تعالى نزل به]¹ وأما انطلاق اللسان بالشهادتين فهو من علامة الخير والسعادة دون شك.

الثاني حُسن الثناء (ث) "واعلم أن الله سبحانه جعل حُسن الثناء علامة على حسن عَقْبى الدار والكون في الجنة مع الأبرار جاء بذلك صحيح الآثار عن النبي المختار. ففي صحيح البخاري ومسلم [عن أنس قال: مروا بجنزة فأتوا عليها خيرا فقال النبي صلى الله عليه وسلم وجبت، ثم مروا بأخرى فأتوا عليها شرا فقال وجبت فقال عمر: ما وجبت؟ فقال هذا أثنتيم عليه خيرا فوجب له الجنة، وهذا اثنتيم عليه شرا فوجب له النار أنتم شهداء الله في الأرض]² ونقل صاحب الكوكب الدري عن البزار عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: [يوشك أن تعرفوا أهل الجنة من أهل النار، قالوا رسول الله بم؟ قال بالثناء الحسن والثناء السيئ].³ وخرج البزار عن أنس قال [قيل يا رسول الله من أهل الجنة قال من لا يموت حتى تملأ مسامعه بما يُحبه، قيل فمن أهل النار؟ قال من لا يموت حتى تملأ مسامعه بما يكرهه]⁴ وعن أبي هريرة أن رجلا قال يا رسول الله دُلّني على

1 - العاقبة في ذكر الموت - عبد الحق بن عبد الرحمان الإشبيلي المعروف بابن الخراط (ت 581هـ) تحقيق خضر محمد خضر - طبعة 1986 - ج 1 - ص 143

2 صحيح البخاري كتاب الجنائز باب ثناء الناس على الميت وصحيح مسلم كتاب الجنائز باب ثناء الناس على الميت، رقم 1367.

3 مسند البزار 337/3 تحقيق محفوظ الرحمان زين الله.

4 مسند البزار 442/11 تحقيق عادل بن سعد

عملٍ أدخل به الجنة، فقال لا تغضب¹ وأتاه آخر، فقال متى أعلم أنني مُحسنٌ قال إذا قال جيرانك محسنٌ فإنك محسنٌ وإذا قالوا أنك مُسيءٌ فأنت مُسيءٌ² وقيل: [مرّت جنازة بابن مسعود فقال لرجلٍ قم فانظرُ أمِن أهل الجنة هو أم من أهل النار، فقال الرجلُ ما يُدريني قال فانظرُ ما ثناءُ الناسِ عليه فأنتم شهداءُ الله في الأرض] انتهى. // نوحه 68 // وبالله التوفيق وإياه نستعين.

وأما الشهداء فجمع شهيد، المفيد: وأصل الشهادة، العلم والبيان، والمرادُ ها هنا هو المقتولُ في سبيلِ الله، وسُمِّيَ شهيدا لأنَّ الملائكةَ تشهدُ له بالإخلاصِ أو لأنَّه لما بذلَ نفسه للإتلافِ في سبيلِ الله، كان ذلك شهادةً قاطعةً على صدقه في إيمانه واعتقاده لأن الجودَ بالنفسِ غايةُ الجودِ كما قيل:

وَجُدْ بِرُوحِكَ فِينَا إِن كَلِفْتَ³ بِنَا **** وَاتْرُكْ هَوَاكَ لَنَا إِن كُنْتَ تَهَوَانَا⁴.

وللشهيد سبعُ كراماتٍ اختصَّ بها دونَ غيره، منها كفارةُ ذنوبه بأولِ الملاقاة ولا يُسألُ في قبره، وأمنه الله من الفزعِ الأكبرِ وكساهُ تاجُ الكرامة، وشفَّعه في سبعين من أهله، وزوجه الله اثنين وسبعين من الحورِ العينِ، ولا يأكلُ جسده التراب، والشهداءُ أحياءٌ عندَ ربِّهم يُرزقون لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ﴾⁵ فإن قلتَ فما معنى هذه الحياة المسندة إليهم مع تزويج

¹ رواه البخاري كتاب الأدب باب الحذر من الغضب.

² أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ، رقم 8278 .

³ - كلف يكلف ، أحب و عشق .

⁴ الأبيات منسوبة لابن الفارض وهي من البحر البسيط .

⁵ آل عمران الآية: 169.

نسائهم و إراثة أموالهم، وتنفيذ وصاياهم ؟ قلنا اختلف فيها، فقل: هي حياة مجازية لأن الله تعالى فضّلهم بدوام حالتهم التي كانت في الدنيا، برزقهم، وبإجراء الثواب عليهم كالأحياء، وقيل حياة غير مكيفة ولا معقولة، يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم: [وَدَّ لو قَتَلَ ثم يُحْيى مرارا]¹ وكذا شهداء أحد، فدلّ على أنّ حياتهم ليست كحياة الدنيا لقوله تعالى: ﴿ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ وقوله: ﴿ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ أي بالتشريف والمكانة، ومعنى يُرزقون أي مثل الأحياء يأكلون ويشربون، وقيل تُعرضُ أرزاقهم على أرواحهم فيصلُ الروح والفرح إلى أجسادهم كما تُعرض النار على أهل فرعون غدوا وعشيا انتهى. وسيأتي ما يزيد هذا بيانًا إن شاء الله في باب الجهاد. والشهيد لا يُغسل لأنه يُبعث بدمه، اللون لونُ الدّم والريح ريح مسك ولا يُصلّى عليه لأنه مغفور له، ويُدفن بثيابه إن سترته وإلا زيد عليها، ومثله في ذلك السقط الذي ازداد ميتًا، بخلاف سائر الشهداء. وقد جاء في الحديث أن الشهداء غير المقتول في سبيل الله سبعة، وهم: الغريق، والحريق، والمبطون، وذو الهدم، وذو الجنب، والذي يموت بالطّاعون، والمرأة تموت بجمع، وهي التي تموت من النفاس، وزاد بعضهم، التي تموت بكرا، ومن قُتل على ماله، ومن مات غريبا، ومن قتله السبع، ومن مات يوم الجمعة، وقد جاء: "أربعة لا تأكل الأرض أجسادهم، الأنبياء، والشهداء، والقراء، وهم العلماء، والمأذنون" وبالله تعالى التوفيق.

أما عيادة المريض، وما ينبغي له، فالكلام فيه في مواضع // نوحه 69 // في فضل المرض، وفي آداب المريض. وفي الترغيب في عيادة المرضى وفي آداب العائد.

¹ صحيح البخاري كتاب الجهاد والسير باب تمنى الشهادة.

أما فضل المريض؛ فاعلم انه قد جاءت فيه آثار صحيحة منها ما روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال: [لا تُكرهوا مرضاكم على الطَّعام والشراب فإن الله تعالى يُطعمهم ويسقيهم]¹، وقال صلى الله عليه وسلم: [أنين المريض تسبيحٌ، وصياحه تهليلٌ، ونفسه صدقةٌ، ونومه عبادة وتقلُّبه من جانبٍ إلى جانبٍ جهادٌ في سبيل الله، ويكتب الله له من الأجر أكثر مما كان يعملُه في الصِّحة]، وقال صلى الله عليه وسلم [فوالذي نفسي بيده ما على الأرض مُسلم يُصيبه مرضٌ فما سواه إلا حطَّ الله عنه خطاياه كما تحطُّ الشجرة ورقها]²، وقال صلى الله عليه وسلم: [الحُمى حظُّ كل مؤمنٍ من النار]³، وعن أبي هريرة قال: [جاءت الحُمى على وجه شبّه امرأة سوداء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها من أنتِ قالت أنا أم مِلْدَم، قال: وما أم مِلْدَم؟ قالت آكلُ اللحم وأنشَفَ الدَّم وحَرِّي من فيح جهنم فعرفَ أنها الحُمى. فقالت: يا رسول الله إبعثني إلى أحبِّ أهلك، فبعثها إلى الأنصار فأخذتهم سبعة أيام، فبعثوا صريخهم إليه عليه الصلاة والسلام، فدعا لهم فرفعها الله عنهم، وكان صلى الله عليه وسلم إذا رآهم قال: مرحبًا بقوم طَهَّرهم الله تطهيرًا]. وعن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: [قال ربكم: وعزتي وجلالي لا أخرجُ عبدا من الدنيا وأنا أريدُ أن أرحمه حتى أوفي كل خطيئة عملها بمرضٍ أو ضيقٍ عيشٍ، فإن بقي عليه شيء شددتُ عليه الموتَ حتى يجيء إليَّ

¹ أخرجه الترمذي كتاب الطب باب 4 ما جاء: لا تكرهوا مرضاكم على الطعام والشراب وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

² أخرجه ابن حبان كتاب الجنائز باب ما جاء في الصبر وثواب الأمراض والأعراض قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

³ مسند أحمد حديث أبي أمّامة الباهلي الصدّي بن عجلان بن عمرو ويُقال: ابن وهب الباهلي.

كما ولدته أمه، ولا أخرج عبداً من الدنيا وأنا أريد أن أعذبه حتى أوفيه كل حسنة عملها بصحة أو سعة في رزقه، وإن بقي له شيء منها هونت عليه الموت حتى يجيء إليّ وليس له حسنة¹ انتهى. وقال صلى الله عليه وسلم: [المريض ضيف يرفع له في كل يوم عمل سبعين شهيداً فإن عافاه الله من مرضه فهو كيوم ولدته أمه، فإن غلبته الموت أدخله الله الجنة].

وأما آداب المريض، المفيد: آداب المريض خمسة: قلة التشكي للخلق، إلا إذا كان ممن تُرجى برّكته أو لطيب، وقلة الصرخ، وأن يظهر الصبر، وأن يفرع إلى الدعاء، وأن يتوكل على الله. انتهى

قلت: ومن أكد الأدب في حقّه، بل هو فرض عليه، أداء فرض الصلاة كيفما تيسر قائماً، فإن لم يقدر فمستنداً لغير حائض أو جنب، ولهما أعاد في الوقت استحباباً، ثم جالساً كذلك فإن لم يقدر فمضطجعا، وندب على أيمن ثم أيسر، ثم ظهر في وقتها. ابن أبي زيد "ولا يؤخر الصلاة إذا كان في عقله وليصلها بقدر ما يطيق، أي لا يتركها // لائحة 70 // وأرخص له أن يجمع بين الصلاتين في آخر وقت الظهر وأول وقت العصر إن كان ذلك أرفق به، وكذا لبطن ونحوه، وللصحيح فعله وكذلك المغرب والعشاء عند مغيب الشفق، وإن لم يقدر على مس الماء لخوف حدوث مرض، أو زيادته أو تأخر برء أو لعدم تناول، يتيمم بتراب يستعده أو بحجر طاهر فإن لم يجد تيمم بالحائط إلى جانبه إن كان طيناً، أو عليه طين وإن تعذر الماء والصعيد سقطت.

¹ لم أعثر عليه.

وَأَمَّا الْفِطْرُ إِنْ كَانَ صَائِمًا فَإِنْ خَافَ بِسَبَبِهِ زِيَادَةَ مَرَضٍ، أَوْ تَأْخِيرَ بَرٍّ أَوْ مَشَقَّةٍ غَيْرِ فَادِحَةٍ جَازَ لَهُ الْفِطْرُ، وَلَهُ أَنْ يَشْبَعَ وَيَتِمَادَى وَلَوْ زَالَ عَذْرُهُ، وَإِنْ خَافَ هَلَاكَ أَوْ شَدِيدَ أَدَى وَجَبَ الْفِطْرُ وَإِنْ تَرَكَ فَهُوَ عَاصٍ، وَمِنْ آدَابِهِ أَنْ تَكُونَ وَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةً عِنْدَ رَأْسِهِ، وَأَلَّا يُوصَى بِمَا فِيهِ ضَرَرٌ عَلَى الْوَرَثَةِ. (د) " وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم: [لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ]¹ أَرْبَعِينَ مَرَّةً، فَإِنْ مَاتَ فِي مَرَضِهِ ذَاكَ أُعْطِيَ أَجْرَ شَهِيدٍ، وَإِنْ بَرِيءٌ بَرِيءٌ وَقَدْ غُفِرَتْ لَهُ جَمِيعُ ذُنُوبِهِ، وَمَنْ قَالَ فِي مَرَضِهِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ مَاتَ فِي مَرَضِهِ لَمْ تَطْعَمِهِ النَّارُ.

وَأَمَّا التَّرْغِيبُ فِي عِيَادَةِ الْمَرَضَى، فَلَمَّا وَرَدَ فِيهَا مِنَ الْأَجْرِ الْعَظِيمِ (ث) "عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [مَنْ عَادَ مَرِيضًا أَوْ زَارَ أَخَاهُ فِي اللَّهِ نَادَاهُ مُنَادٍ أَنْ طُبْتُ وَطَابَ مُمْشَاكَ وَتَبَوَّأْتَ مِنَ الْجَنَّةِ مَنْزِلًا]²، وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: [مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَ، قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا خُرْفَةُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ جَنَّاتُهَا]³ انتهى.

وَأَمَّا آدَابُ الْعَائِدِ لِلْمَرِيضِ، الْمَفِيدُ فَتِسْعَةً، خِفَّةُ الْمَجْلِسِ، وَقِلَّةُ السُّؤَالِ، وَأَنْ يَظْهَرَ الشَّفَقَةُ، وَأَلَّا يَقْنَطُهُ، وَأَلَّا يَطَّلَعَ فِي عَوَاتِ الْبَيْتِ وَأَنْ لَا يَسْتَقْبَحَ مَا يَرَاهُ مِنْهُ...وَأَنْ يُسَلِّمَ وَأَلَّا يَذْكُرَ عِنْدَهُ الْمَوْتَى، وَأَنْ يُرْشِدَهُ إِلَى الصَّلَاةِ وَذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى.انتهى وكان

¹ صحيح البخاري كتاب الأنبياء باب قول الله تعالى { وإن يونس لمن المرسلين }

² سنن الترمذي كتاب البر والصلة باب 64 ما جاء في زيارة الإخوان ، رقم الحديث الحديث 2008 ، وقال الشيخ الألباني: حسن.

³ صحيح مسلم كتاب البر والصلة والآداب باب فضل عيادة المريض، رقم الحديث 2568.

صلى الله عليه وسلم إذا زار مريضاً يقول في دعائه له [أذهب البأس رب الناس
إشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقماً]¹ وعنه صلى الله عليه
وسلم [من عاد مريضاً ولم يخضِرْ أجله، فقال عند رأسه سبع مرات: أسأل الله
العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك إلا عافاه الله سبحانه]² وروى عن جعفر بن
محمد رضي الله عنه " أنه دخل على مريض يعودُه، فقال له : قل اللهم أنك
عايدت أقواماً فقلت قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم
ولا تحويلاً، وأنا أعلم أنك أنت الله ربى القادر على كشف الضر عنكم ولا تحويلاً
وأنا أعلم أنك أنت الله ربى القادر على كشف ضري فاكشف عني وحوّله إلى
أعدائك الجاحدين لك. قال وأنا// نوحه 71 // عندي مجرب". انتهى وبالله تعالى
التوفيق.

وأما ما يفعل بالمختضر، فاعلم أنه إنما سمي محتضراً لأربعة أمور لأنه حضره
أجله، وحضره أهله وحضرته الملائكة لقبض روحه، وحضرته الشياطين تقتته عن
دينه. أما تريض المريض وحضور المختضر ففرض كفاية على الأخياء وكذا
غسله وكفنه والصلاة عليه ودفنه، وذلك على القرابة ثم الأصحاب ثم الجار ثم
سائر المسلمين وإن تركوا عصوا، وينبغي أن يحضره أهل الفضل والصلاح ولا
تقربه حائض ولا جنب، ولا يتولوا خدمته، قيل لنجاستهم وقيل لأجل الملائكة الذين
يحضرونه وقد جاء، لا تدخل الملائكة بيتاً فيه جنب ولا حائض وفي رواية ولا

¹ رواه أحمد ، رقم 3885 ، وأبو داود رقم 3883.

² رواه أبو داود كتاب الجنائز باب الدعاء للمريض عند العيادة ، رقم الحديث 3106 قال الألباني:
صحيح.

كلب ولا تمثال واستحب بعض العلماء القراءة عند رأسه بسورة يس، لقوله صلى الله عليه وسلم [اقرأوا سورة يس عند موتاكم]¹ وفي الخبر إذا قرئت عليه سورة يس بعث الله ملكاً إلى ملك الموت يهون على عبده الموت قيل تقرأ عند تكفينه وقيل عند دفنه. وفي الخبر قال صلى الله عليه وسلم [من قرأ يس على رأس المريض أو على قبر الميت أعطاه الله يوم القيامة بكل آية ألف مدينة في الجنة من مدينة إلى مدينة ألف فرسخ وكتب الله له بكل شعرة من قرنه إلى قدميه ألف حسنة وزوجه ألف حور]² في الجنة³، وفضل الله أوسع من ذلك، وكرة ذلك مالك رحمه الله، فقيل مخافة أن يتخذ سنة، وإن ثبت عنه الحديث، وينبغي أن يقول لا إله إلا الله [إن للموت سكرات اللهم اغفر لي وارحمني وألحني بالرفيق الأعلى، اللهم أعني على غمرات الموت وسكرات الموت]⁴، وينبغي أن يلحق لا إله إلا الله محمد رسول الله عند الموت لقوله صلى الله عليه وسلم [لقنوا موتاكم لا إله إلا الله فإنها تهدم الذنوب هدمًا، قال فإن قالها في حياته قال أهدم وأهدم]⁵ وقد تقدم [من

1 أخرجه أبو داود كتاب الجنائز باب القراءة عند الميت قال الشيخ الألباني: ضعيف وهذا لفظ ابن العلاء.

2 - حوراء في نسخة ب

3 لا يوجد في كتب السنة المعتبرة.

4 لا يوجد بهذا اللفظ وإنما الوارد من حديث عبد الله بن الزبير قال سمعت عائشة رضي الله عنها قالت سمعت النبي صلى الله عليه وسلم وهو مستنجد إلي يقول اللهم اغفر لي وارحمني وألحني بالرفيق الأعلى " رواه البخاري كتاب المغازي باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته، وورد أن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول: لا إله إلا الله إن للموت لسكرات، ثم يصب على يده، ثم يقول: في الرفيق الأعلى حتى قبض ومالت يده صلى الله عليه وسلم " أخرجه الطبراني في المعجم الكبير باب ذكر أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهن.

5 - لا يوجد هذا الحديث على شهرته بهذا اللفظ وإنما ورد بلفظ " لقنوا موتاكم لا إله إلا الله " أخرجه مسلم كتاب الجنائز باب تلقين الموتى لا إله إلا الله وابن حبان بزيادة فيه ولفظه " لقنوا موتاكم لا إله إلا الله فإنه من كان آخر كلمته لا إله إلا الله عند الموت دخل الجنة يوماً من الدهر وإن أصابه قبل ذلك ما أصابه " قال الشيخ شعيب " حديث صحيح.

كَانَ آخِرَ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَمَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ¹
وَيُلْقَنُ الْمَرَّةَ بَعْدَ الْمَرَّةِ وَلَا يُلْحَ عَلَيْهِ وَلَا يُقَالُ لَهُ قُلْ مَخَافَةً أَنْ يَقُولَ لَا جَوَابًا
لِلشَّيَاطِينِ الْفَتَانِينَ فَيُسَاءَ بِهِ الظَّنُّ، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا حَضَرَهُ الْمَوْتُ، يَأْتِيهِ الشَّيْطَانُ
فِي صُورَةِ أَبِيهِ، وَمَنْ تَقَدَّمَ مِنْ أَقَارِبِهِ أَوْ غَيْرِهِ، فَيَقُولُ لَهُ قَدْ سَبَقْتُكَ لِهَذَا، وَأَنَا
أَعْرِفُ مِنْكَ لَهُ مَتَّى عَلَى دِينِ النَّصْرَانِيَّةِ، أَوْ عَلَى دِينِ الْيَهُودِيَّةِ، فَإِنْ لَمْ يُثَبِّتْهُ اللَّهُ
صَدَقَهُ وَأَطَاعَهُ // لَوْحَةُ 72 // فَيَمُوتُ كَافِرًا، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ تَعَالَى وَإِنْ ثَبَّتَهُ فَيَقُولُ لَا،
وَلِذَلِكَ لَا عِبْرَةَ بِقَوْلِ الْمَيِّتِ إِذَا لَقْنَتْهُ كَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ فَيَقُولُ لَا، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأَمْرَ
أَشَدُّ وَأَضْيَقُّ وَأَهْوَلُ مِمَّا تَظُنُّ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [الْمَوْتُ غُصْنُ
شَوْكِ قَدْ أُدْخِلَ فِي جَوْفِ أَحَدِكُمْ فَأَخَذَتْ كُلُّ شَوْكَةٍ بَعْرَاقٍ ثُمَّ جَذَبَهُ رَجُلٌ شَدِيدُ
الْجَذْبَةِ فَأَخَذَ مَا أَخَذَ وَبَقِيَ مَا بَقِيَ]² وَيُرْوَى " أَنَّ عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
كَانَ كَثِيرًا مَا يَقُولُ وَاعْجَبَا لِرَجُلٍ يَنْزِلُ بِهِ الْمَوْتُ وَمَعَهُ عَقْلُهُ فَكَيْفَ لَا يَصْفَهُ، فَلَمَّا
نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ قَالَ لَهُ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ: قَدْ كُنْتَ تَقُولُ كَذَا وَكَذَا قَالَ لَهُ: يَا بُنَيَّ الْمَوْتُ
أَعْظَمُ مَنْ أَنْ يَوْصَفَ وَلَكِنْ سَأَصِفُ لَكَ مِنْهُ شَيْئًا وَاللَّهُ لَكَأَنَّ عَلَى عُنُقِي حَبَالٌ
وَلَكَأَنَّ رُوحِي يَخْرُجُ مِنْ ثَقْبِ الْإِبْرَةِ، وَلَكَأَنَّ الشَّوْكََ فِي جَوْفِي وَ لَكَأَنَّ السَّمَاءَ انْطَبَقَتْ
عَلَى الْأَرْضِ وَأَنَا بَيْنَهُمَا. قَالَ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ: فَلَمْ أَقُمْ مِنْ عِنْدِهِ حَتَّى مَاتَ رَحِمَهُ اللَّهُ "
وَاللَّهُ تَعَالَى يَهَوِّنُ عَلَى الْمُؤْمِنِ بِرَحْمَتِهِ. رَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [أَنَّهُ
رَأَى مَلَكَ الْمَوْتِ عِنْدَ رَأْسِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ يَا مَلَكَ الْمَوْتِ أَرْفُقْ بِصَاحِبِي
هَذَا فَإِنَّهُ مُؤْمِنٌ فَقَالَ لَهُ يَا مُحَمَّدُ أَبَشِّرْ فَأَنَا بِكُلِّ مُؤْمِنٍ رَفِيقٌ] وَيُرْوَى " أَنَّ إِبْرَاهِيمَ

1 - أخرجه مسلم كتاب الإيمان باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا.

2 - لم أعره عليه.

عليه السلام قال لَمَلِكِ الموت هل تستطيعُ أن تُريني الصُّورة التي تقبِضُ بها أرواحَ
الفُجَّارِ، قال لا تُطيقُ ذلك قال بلى فأعْرَضَ عَنْهُ مَلَكُ الموتِ ثم التفتَ إليه فإذا
هو رجل أسود الثياب قائم الشعر، مُنْتِنَ الريح يخرج مِنْ فيه ومناخره لهيبُ النار
والدخانِ فغشي على إبراهيم ثم أفاق وقد عادَ ملكُ الموتِ إلى صورته الأولى فقال
يا مَلِكِ الموتِ لو لم يَلْقُ الفاجرُ عند الموتِ إلا صورة {وَجْهَكَ}¹ لكان ذلكَ حسْبُهُ
وبخلافِ ذلكَ يَأْتِي المؤمن ". انتهى وأما آدابه هو في نفسه فينبغي له تحسينَ
ظنه بالله تعالى ففي صحيح البخاري ومسلم عن جابر قال [سمعتُ النبي صلى
الله عليه وسلم يقولُ قبل وفاته بثلاث لا يموتن أحدكم إلاَّ وهو يُحسِنُ الظنَّ بالله
عز وجل]² زاد ابن أبي الدنيا³ " فإن قوما أَرَادَهُمْ سوءُ ظَنِّهِمْ بالله فقال لهم تبارك
وتعالى وذلكم ظَنُّكم الذي ظننتم بربِّكم أَرَادَكُم"⁴ وقال ابن مسعود "والذي لا إله إلا
هو لا يحسنُ أحدُ الظنَّ بالله إلا أعطاهُ الله ظنَّه وعن واثلة ابن الأسقع⁵ قال
سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول [قال الله تعالى أنا عندَ ظنِّ عبدي بي
فليظن به ما شاء]⁶ وقال ابن عياض⁷ " ما دمت حيا فلا يكن شيء أرجى من الله

¹ - وجهه في ب.

² صحيح مسلم - رقم الحديث 59. أخرجه بدون الزيادة البخاري كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت.

³ ن. هو عبد الله بن محمد بن قيس القرشي البغدادي، ولد سنة 208هـ، من تصانيفه القناعة، قصر الأمل، التوكل. سير أعلام النبلاء - الطبقة الخامسة عشر.

⁴ فأصبحتم من الخاسرين - سورة فصلت الآية: 23.

⁵ واثلة بن الأسقع أسلم سنة تسع وشهد غزوة تبوك وكان من قراء المسلمين، روى عن النبي عدة أحاديث، اعتمدها البخاري في صحيحه.

⁶ صحيح البخاري - كتاب التوحيد - باب قول الله تعالى ويحذركم الله نفسه - رقم الحديث 6970

⁷ هو ابن مسعود أبو علي التميمي البربوعي الخراساني، ولد بسمرقند، ارتحل لطلب العلم، روى عنه سفيان الثوري أجل شيوخه.

تعالى"، قال صاحب السر المصون¹ "ولما أبرز الوجود والعقل ألا راحم للعبد إلا مولاه الذي خلقه ورباه تعين // لوحة 73 // ألا راحم له سواه إن شاء، إذ لا يرحم الولد إلا أمه الذي ربته"، قال عليه الصلاة والسلام [اللَّهُ أَرْحَمُ بِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ مِنَ الْوَالِدَةِ بِوَلَدِهَا]² وقد صدق عليه السلام، إذ الأم لم تخلقه ولم تعلم ما قبله ولا ما بعده، فإذا كانت راحمة له بمجرد التربية، فأكرم الأكرمين الذي خلقه وعلم به قبل كونه فجري على قدرة تعالى، قال تعالى ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾³ فانظر كيف أعقب اللطف للخلق.

وهذه لطيفة من اللطيف. وفي الموطأ أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول [اللهم اغفر لي وارحمني وألحِقني بالرفيق الأعلى]⁴ يعني أعلى مرتقى في الجنة ويتفكر في سعة رحمة الله تعالى وعظيم لطفه وجوده. الزروق⁵: "خصلتان ليس فوقهما شيء من الخير حسن الظن بالله تعالى وحسن الظن بعباد الله وخصلتان ليس فوقهما شيء من الشر سوء الظن بالله تعالى وسوء الظن بعباد الله " انتهى. وإن قدر أن يكون طاهراً في نفسه وما عليه طاهر فحسن. روى عن أبي سعيد الخدري "أنه لما حضرته الوفاة دعا بثيابٍ جددٍ فلبسها ثم قال سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول [إن الميت يُبعثُ في ثيابه التي مات فيها ويُستحبُّ استقبالُ

1 - سيف بن علي بن عامر الفراني صاحب السر المصون والجواهر المكنون.

2 رواه البخاري، رقم الحديث 5999 من حديث عمر رضي الله عنه

3 الملك الآية: 14.

4 سبق تخريجه.

5 أحمد بن محمد بن عيسى البرنوسي الفاسي (ت 899هـ) الفقيه المالكي المعروف صاحب الشروحات الستة والثلاثون على الحكم العطائية وشرح الأسماء الحسنى، أنظر جذوة الإقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس لأحمد بن القاضي المكناسي، الرابط 1975، ص 128. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، لمحمد بن محمد مخلوف، دار الفكر، ص 267.

الْقِبْلَةِ بِهِ كَالْمَيْتِ فِي قَبْرِهِ وَإِلَّا فَعَلَى ظَهْرِهِ وَرَجُلَاهُ إِلَى الْقِبْلَةِ¹ ". وَرَوَى ذَلِكَ عَنْ عَلِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَجَمَاعَةٌ مِنَ السَّلَفِ وَذَلِكَ عِنْدَ إِحْدَادِهِ وَشَخْصِهِ يَبْصُرُهُ إِلَى السَّمَاءِ. وَمِنَ السُّنَّةِ تَغْمِيضُ الْمَيْتِ إِذَا قُضِيَ لَا قَبْلَ ذَلِكَ كَمَا يَفْعَلُهُ الْعَوَامُ وَمَنْ لَا دِينَ لَهُ، وَيُعرفُ مَوْتُهُ بِأَرْبَعَةِ أَشْيَاءٍ، بَانْفِرَاجِ الشَّفَتَيْنِ وَانْفِتَاحِ عَيْنَيْهِ وَانْقِطَاعِ نَفْسِهِ وَإِرْخَاءِ قَدَمَيْهِ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [اغْمُضُوا مَوْتَاكُمْ فَإِنَّ الْبَصَرَ يَتَّبِعُ الرُّوحَ]² وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَقُولَ عِنْدَ تَغْمِيضِهِ، "سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ، لِمَثَلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ، بِسَمِ اللَّهِ وَعَلَى وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ يَسِّرْ عَلَيْهِ أَمْرَهُ وَسَهِّلْ عَلَيْهِ مَوْتَهُ، وَاجْعَلْ مَا خَرَجَ إِلَيْهِ خَيْرًا مِمَّا خَرَجَ عَنْهُ، وَأَسْعِدْهُ بِلِقَائِكَ" وَرَوَى الْأَوْزَاعِيُّ³ "إِنَّ الْمَيِّتَ إِذَا لَمْ يَغْمَضْ بِقَبْرِ مَوْتِهِ حَتَّى يَبْرُدَ فَإِذَا جَبَذَهُ رَجُلٌ مِنْ إِبْهَامِي رِجْلَيْهِ وَآخِرٌ مِنْ إِبْطِيهِ فَإِنَّهُ يَتَغَمَّضُ" وَجَرَّبْنَا ذَلِكَ فَوَجَدْنَاهُ صَحِيحًا. وَيُسْتَحَبُّ إِسْرَافُ تَجْهِيْزِ الْمَيِّتِ لِقَبْرِهِ، إِلَّا لَغْرَقٍ بِالمَاءِ لِاحْتِمَالِ حَيَاتِهِ، وَسْتِرِهِ وَوَضْعِ ثَقِيلٍ عَلَى بَطْنِهِ وَرَفْعِهِ عَنِ الْأَرْضِ، وَلَا بَأْسَ بِالبُكَاءِ بِالدَّمْعِ حِينَئِذٍ وَالصَّبْرُ أَجْمَلُ لِمَنْ اسْتَطَاعَ. الْمَفِيدُ وَهُوَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ مَبَاحٌ قَبْلُ وَبَعْدُ وَهُوَ الْبُكَاءُ بِغَيْرِ صَوْتٍ وَمَمْنُوعٌ قَبْلُ وَبَعْدُ وَهُوَ الْبُكَاءُ بِالصَّرَاحِ وَالنِّيَاحَةِ، وَمَبَاحٌ قَبْلُ وَمَمْنُوعٌ بَعْدُ وَهُوَ الْبُكَاءُ بِالصَّوْتِ وَدَلِيلُ إِبَاحَةِ الْبُكَاءِ حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ [قَالَ مَاتَ مَيِّتٌ مِنْ آلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاجْتَمَعَ // نُوْحَةُ 74 //النِّسَاءُ يَبْكِيْنَ فَقَامَ عَمْرٌ فَفَنَهَاھُنْ فَقَالَ

¹ سنن أبي داود - كتاب الجنائز - حديث رقم 3114.

² صحيح مسلم في الجنائز باب في إغماض الميت والدعاء له إذا حضر.

³ أبو عمرو والأوزاعي شيخ الإسلام وعالم أهل الشام، كان زاهدا ذاكرا، أنظر ترجمته في سير أعلام النبلاء الطبقة السادسة الجزء 7 ص 107.

رسول الله صلى الله عليه وسلم دَعُهُنْ ياعمر إن العين دامعةٌ والفؤادُ مصابٌّ¹ والعهدُ قريبٌ² وروته عائشة رضي الله عنها قالت [لما مات عثمان بن مضعون³ كشفَ النبي صلى الله عليه وسلم الثوبَ عن وجهه وقَبَلَ بينَ عينيه وبكى بكاءً طويلاً فلما رُفِعَ السريرُ قالَ طوبى لك يا عثمان لم تلبسك الدنيا ولا تلبستها] وهو حديثٌ مشهورٌ. وفي الحديثِ عنه عليه السلام أنه قال [ما مات مؤمنٌ في غربةٍ غابت عنه فيها بواكيه إلا بكَّت عليه السماء] ثم قرأ هذه الآية ﴿فما بكَّت عليهم السماء والأرض﴾⁴ وقال إِنَّهُمَا لا يبكيانِ على كافرٍ وعن مُجاهدٍ، ما مات مؤمنٌ إلا بكَّت عليه السماء والأرض، وروى ابن المبارك [إنَّ العبدَ المؤمنَ إذا ماتَ تنادَتْ بقاعُ الأرضِ عبدُ الله المؤمنُ ماتَ فتبكي عليه السماء والأرض فيقولُ الرحمانُ تبارك وتعالى ما يُبكيكما على عبدي فيقولان يا ربنا لم يمشِ على ناحيةٍ منَّا قطُّ إلا و هو يذكره]⁵ وعن عطاءٍ "ما من عبدٍ يسجدُ لله سجدةً في بقعةٍ من بقاع الأرضِ إلا شهدت له يوم القيامة وبكَّت عليه يوم يموتُ " انتهى. ويُنهى عن الصراخِ و النياحةِ وضربِ الخُودِ لقوله صلى الله عليه وسلم [ليسَ منَّا من حلقَ ولا من دَلَقَ ولا خَرَقَ ولا من سلقَ] فالحلقُ حلقُ الشَّعرِ والدَلَقُ ضربُ الخُودِ وهو عندَ العامةِ { أَجْجَدور }⁶ والتخريقُ خرقُ الثيابِ والسَّلَقُ رفعُ الصَّوتِ وهو عندَ

¹ رواه النسائي الصغرى كتاب الجنائز باب الرخصة في البكاء على الميت الحديث رقم 1846، وضعفه الألباني.

² ابن حبيب بن وهب بن حذافة من سادة المهاجرين ومن أولياء الله المتقين أول من دفن بالبقيع. أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، دار ابن حزم 2013، الجزء 4 ص 496.

³ الدخان الآية: 29.

⁴ - الجواهر الحسان - الجزء الخامس - ص 200

⁵ - كلمة أمازيغية باللهجة الريفية

العامة { تيووغ }¹ والنياحة وهو { إيدونان }² والنهي هنا نهى تحريم، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم [إن الميت يعذب ببكاء الحي عليه]³. قال أهل العلم إذا كان البكاء من سنتهم ورضيه أو أوصى به وإلا فلا، والصبر إلى الله فيه فضل كثير قال تعالى ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾⁴. وعن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال [ما تجرع عبد قط جرعة أحب إلى من جرعتين جرعة غضب ردها بجلم وجرعة مصيبة ردها بصبر ولا قطرة أحب إلى الله من قطرتين قطرة دم في سبيل الله وقطرة دموع في سواد الليل و هو ساجد ولا خطا العبد خطوة أحب إلى الله من خطوتين خطوة إلى الصلاة المفروضة وخُطوة إلى صلة الرحم]⁵ وبالله تعالى التوفيق. وأما غسل الميت غير الشهيد والسقط فسنة واجبة، وفيه فضل كثير قال صلى الله عليه وسلم لأُم عطية حين ماتت ابنته [اغسلنها ثلاثا أو خمسا أو سبعا إن رأيتن ذلك وابدأن بالميا من قبل المياسر وابدأن بأعضاء الوضوء واغسلنها بماء وسدر واجعلن في الأخيرة كافورا]⁶، ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لهم [لا تنظروا

1 - نفس الشيء

2 - نفس الشيء

3 أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجنائز باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه، بلفظ «إن الميت يعذب ببكاء الحي».

4 البقرة الآيات: 155 - 156 - 157.

5 رواه السمرقندي في كتاب تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين، باب الصبر على المصيبة رقم 345.

6 أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الجنائز باب غسل الميت ووضوئه بالماء والسدر.

إلى عورة الميت // نوحه 75 // عند غسله، فإني أخاف أن تشقّ حدّاتكم جميعاً وتلعنكم الملائكة ويكتب عليكم بكل شعرة على ذلك الميت من قرنه إلى قدميه ستون خطيئة، ولا يُفلم أظفاره ولا يُحلق {له} ¹ شعرٌ وضُمَّ معه إن فعل ولا يخضبُ بحناء ² وقال صلى الله عليه وسلم: [من غسل ميتاً كتب الله له بكل شعرة على جسد ذلك الميت عشرين ألف حسنة ورفع له عشرين ألف درجة] وينشف من الماء بعد الغسل ويستحب اغتسالُ غاسله، ليبالغ في غسله ولا يحضره غير معينٍ و يُجعل ³ على مرتفعٍ ولا يؤخر بالكفن عن الغسل ويغسل كلَّ صنفٍ من ذكر أو ⁴ أنثى صنفه ولا بأس بغسل أحد الزوجين صاحبه من غير ضرورة، ويستتر عورته ولا بأس أن يُغسل النساء الصبي ابن كسبع ورجل كرضيعة دون ستر عورته وبالله التوفيق. وأما الكفن فهو واجبٌ، وهل الواجب ثوبٌ يستتر جميع جسده أو ستر العورة والباقي سنةٌ خلافٌ ويستحب أن يكون أبيض وأن يكون من قطنٍ أو كتانٍ، وجاز من صوفٍ أو غيره وأما الحنوطُ فهي الروائح الطيبة وهي مستحبة تُدرس وتُجعل بين أكفانه، وفي جسده وحواشيه ومراقه ومواضع السجود منه، والكفن من رأس مال الميت وكذا مئونة تجهيزه، إن كان بأجرٍ وإن لم يكن له مالٌ فعلى المنفق بسبب قرابةٍ أوقٍ، لا زوجٍ، والفقير من بيت المال، وإلا فعلى المسلمين ويستحب أن يكون وتراً ثلاثاً أو خمساً والسبع للمرأة، وما جعل له من أزره وقميصٍ وعمامةٍ وإن من ثوبٍ واحدٍ، فذلك محسوبٌ في عدد الأثواب الوتر، وقد كفن النبي صلى

1 - ساقطة من ب

2 - لم أعثر عليه

3 - يرفع في ب وقد أثرنا يجعل.

4 - و، في ب.

الله عليه في ثلاثة أثوابٍ بيضٍ سَحُولِيَّةٍ لَيْسَ فِيهَا قَمِيصٌ وَلَا عِمَامَةٌ قِيلَ موجودانِ وقيل محسوبانِ أَدْرَجَ فِيهَا إِدْرَاجًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَأَمَّا الْحُمْلُ فَفِيهِ فَضْلٌ كَثِيرٌ، وَيَسْتَحِبُّ إِسْرَاعُ مَشْيِهِ وَمَشْيِهِ لَا رُكُوبَهُ وَتَقْدِمَهُ وَتَأَخُّرَ رَاكِبٍ وَامْرَأَةٍ وَسُتْرَهَا بِقُبَّةٍ وَكُرَّهُ قَوْلُ اسْتَغْفِرُوا لَهَا بَلْ يَذْكُرُ اللَّهُ كُلَّ عَلَى حَدِّهِ وَالْقِيَامُ لَهَا وَحُمْلُهَا بغير وضوءٍ، وجاء في الخبر عنه صلى الله عليه وسلم [إذا حُمِلَ المَيِّتُ تَرَفَّرَتْ رُوحُهُ فَوْقَ نَعْشِهِ وَيَقُولُ: لَا تَلْعَبُ بِكُمْ الدُّنْيَا كَمَا لَعَبْتُ بِي]¹ وعن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم [إذا وُضِعَتِ الجَنَازَةُ فَاحْتَمَلَهَا الرِّجَالُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً قَالَتْ، قَدِّمُونِي قَدِّمُونِي، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ قَالَتْ يَا وَيْلَهَا أَيْنَ يَذْهَبُونَ بِي يَسْمَعُ صَوْتُهَا كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا الْإِنْسَانَ وَلَوْ سَمِعَهَا الْإِنْسَانُ لَصَعِقَ]² وهما مَيِّتَانِ، مَيِّتٌ يَسْتَرِيحُ مِنْ تَعَبِ الدُّنْيَا وَيُفْضِي إِلَى رَاحَةِ دَارِ الْبَقَاءِ، وَمَيِّتٌ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ الْعِبَادُ وَالْبِلَادُ، وَيُفْضِي إِلَى سُوءِ الْمَصِيرِ وَبَيْسِ الْمَهَادِ وَرَوَى أَنَّ الْمَيِّتَ //

لوحة 76 // يَعْرِفُ مَنْ يُغَسِّلُهُ وَمَنْ يَحْمِلُهُ وَمَنْ يَصَلِّي عَلَيْهِ وَمَنْ يَدْفِنُهُ وَرَوَى [أَنَّ رُوحَهُ تَنْتَظِرُهُمْ حَتَّى إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَسُدُّوا قَبْرَهُ نَزَلَ فِيهِ وَجَلَسَ عِنْدَ جَسَدِهِ، فَيَسْمَعُ خَفَقَ نَعَالِهِمْ حَتَّى إِذَا لَمْ يَسْمَعْ شَيْئًا، فَإِذَا بِمَلَكٍ فَيُدْخِلُ رُوحَهُ فِي جِسْمِهِ فَيُجْلِسُهُ فَيَقُولُ لَهُ اكْتُبْ]³ الحديث، وعنه صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ [مَا مِنْ أَحَدٍ يَمُوتُ إِلَّا نَدِمَ، قَالُوا وَمَا نَدَامَتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ إِنْ كَانَ مُحْسِنًا نَدِمَ أَلَّا يَكُونَ أَزْدَادَ وَإِنْ كَانَ

¹ الأربعون الودعانية الموضوعة لأبي محمد بن علي بن ودعان الموصلي (ت 494هـ) تحقيق علي حسن علي عبد الحميد، دار عمان الأردن، الطبعة 1987، الحديث الأربعون.

² أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب كلام الميت على الجنازة. حديث رقم 1253

³ لم أعثر عليه

مُسِيئًا نَدِمَ أَلَا يَكُونُ نَزَعًا¹ [خرجه الترمذي. وقال صلى الله عليه وسلم] من تبع جنازة مسلم إيمانًا واحتسابًا وكان معها حتى يُصلى عليها ويفرغ من دفنها فإنه يرجع من دفنها بقيراطين كل قيراطٍ مثل أخذ، يعني ثوابًا ومن صلى عليها ثم رجع قبل أن تُدفن فإنه يرجع بقيراط²، وأما الصلاة عليه فواجبة على الأصح كفاية، وقيل سنة ويُصلى على أكثر الجسد لا على الأقل ولو الرأس، ومن دفن بغيرها فعلى قبره إلا الشهيد في القتال والسقط فلا، وعن النبي صلى الله عليه وسلم [من صلى على ميت مسلم صلى عليه جبريل مع سبعين ألف ملك وغفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر] وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال [من صلى عليه أمة تبلغ أربعين رجلًا لا يُشركون بالله شيئًا يدعون له إلا وتقبل الله دعائهم فيه و لو كان عاصيًا]³ وفي رواية [ما من ميتٍ صلت عليه أمة تبلغ مائة يستشفعون له إلا تقبل الله شفاعتهم فيه]⁴، قال العلماء ينبغي لولي الميت أن يجتهد في إحضار أحد العددين المذكورين ولو أن يمشي على الناس واحدًا بعد واحدٍ، ويدعو كلٌّ من حضر الصلاة ولو بعجمية ولا يكفي الإمام فقط، فإن الدعاء ركُنٌ من أركانها في حق كل من صلى عليه كالنية وأربع تكبيرات وتسليم واحدة خفية للإمام والمأموم، ودعا المسبوق إن تركت الجنازة وإلا التكبير ولا تكرر، وجاز جمع الجنائز في صلاة واحدة ويلي الإمام أفضلهم وكذا في قبر واحدة، ويلي القبلة الأفضل ولا ينبغي خروج النساء خلفها ولا حضورهن، وعن عمر رضي الله عنه

¹ رواه الترمذي في سننه، كتاب الزهد، قال الألباني ضعيف جدا،

² - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب اتباع الجنائز من الإيمان. رقم الحديث 47

³ - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز باب من صلى عليه أربعون شفّعوا فيه.

⁴ - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز باب من صلى عليه مائة شفّعوا فيه.

عن النبي صلى الله عليه وسلم: أئِماً امرأة خرجت من بيتها إلى جنازة لتُصلي عليها كتب الله عليها بكل خطوة سيئة وبكل نظرة إليها من الرجال سيئة، ولا يغسل المسلم أباً كافراً ولا يدخله قبره، إلا أن يخاف أن يضيع فليؤاريه. وأما الدفن // لوحة 77 // فهو واجب، ومن سنة القبر ألا يضيق وأن يكون لحداً وألا يُعمق جداً، ولا يُحصص ولا يُبنى عليه إلا لتمييز من غيره ويشد بلبن أو حجر أو عود وشبهه، وتشدُّ الفرَجُ لكَيْلاً يقع عليه التراب، وتحلُّ عقدُ الكفن ويقال عند لُحْدِهِ: اللهم إن صاحبنا قد نزل بك وخلف الدنيا وراء ظهره، وافتقر إلى ما عندك، اللهم ثبتْ عند المسألة منطقَه ولا تبْتليه في قبره بما لا طاقة له به {ويُستحب} ¹ حثو القريب فيه ثلاثاً من التراب، وكُره انصرافُ عنها بلا إذن، أو بغير صلاةٍ واتباعها بنار، والمشهور جواز نقل الجنازة من موضع لموضع ولا بأس بإحضار المصحف والروائح الطيبة، وجعل الرِّيحان في القبر وورى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال [حفر القبور من الجهاد وزيارة الإخوان من الجهاد وعبادة المريض من الجهاد] ² وقال صلى الله عليه وسلم [أفضلُ الجهاد حفرُ القبور وزيارة الإخوان ومغزلُ النساء فمن حفر قبراً أعطاه الله ثواب ستين شهيداً ومن زار أخاه في الله أعطاه الله ثواب أربعين نبياً وأعطى الله لهذه المرأة الغزاة ³ ما دامت على مغزلها أجر ستين حجةً، وكتب الله لها بكل طاقةٍ أجر تسبيحةٍ وذلك مثل جبل أُحُد مرتين] ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال [القبر إذا ضيق لا

1 - زيادة من ب .

2 - لم أعر عليه

3 - الغزلة في نسخة خ ب.

يُسمعُ صاحبه الآذان وإذا زاره أحد من أحبائه أو أخ في الله لا يدري من يزوره فلا تضيقوا قبور موتاكم وسعوا عليهم ليسمعوا الآذان والدعاء، وجاء أن الميت يسمع خفق نعالهم إذا انصرفوا، وورد أن تراب القبر يسبح للميت ما لم يضيق عليه، وجاء من وسع قبراً كتب الله له عشر حسنات ورفع له عشر درجات وجاء تراب الأرض يستغفر للميت ما لم يخصص. وقال صلى الله عليه وسلم [من ساق لبنة واحدة للمقابر بنا الله له بيتاً في الجنة وزوجه أربعين حوراء، ويروى لا يأتي على الميت أشد من أول ليلة، فيبيت في قبره فيرحم الله من ترحم عليه تلك الليلة بشيء، فمن لم يجد فليصل ركعتين بالفاتحة والكرسي والإخلاص عشر مرات، ويجعل ثوابها للميت دفع الله عنه عذاب القبر وأدخل عليه سبعين نورا، وبعث الله إليه سبعين ألف ملك يؤنسونه إلى يوم ينفخ في الصور، وغفر الله له الذنوب كلها وكتب الله لذلك المصلي عبادة سنة، وبنا الله له بكل آية قرأها مدينة في الجنة وأعطاه الله ثواب شهيد. واستحب بعضهم تلقين الميت بعد انصراف الناس عنه، يناديه ثلاثاً يا فلان بن فلانة وإن لم يعرف أمه نسبه إلى أمه حواء، ثم يقول تذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة // نوحه 78 // أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فإنه يسمع ويوجب . وأما أي الأيام أفضل للموت فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال [سألت جبريل عليه السلام فقلت الموت في أي يوم أحب إليك فقال يوم الجمعة وبعده يوم الأحد يا محمد]¹. فضل جنازة يوم الجمعة كفضل الله على سائر خلقه، وشاهدتها له بكل تكبيرة ستون حسنة، ومن

¹ - لم أعثر عليه.

عَزَا وَلِيَّهَا فَلَهُ بِكُلِّ كَلِمَةٍ عِبَادَةٌ سَنَةٍ. وَمَنْ مَاتَ يَوْمَ الْأَحَدِ نَجَا مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَشِدَّةِ الْحِسَابِ وَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ ضَاحِكًا، وَأَمَّا أَيُّ الْبَقَاعِ أَفْضَلُ لِلدَّفْنِ، قَالَ الْعُلَمَاءُ يَسْتَحَبُّ لَوْلِيِّ الْمَيِّتِ أَنْ يَقْصِدَ بِهِ قُبُورَ الصَّالِحِينَ وَمَدَافِنَ أَهْلِ الْخَيْرِ فَيَدْفِنُهُ مَعَهُمْ تَبَرُّكًا بِهِمْ لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [لَأَنَّ الْمَيِّتَ يَتَأَذَى بِالْجَارِ السَّوِّءِ كَمَا يَتَأَذَى بِهِ الْحَيُّ]¹ وَأَمَّا مَا يُهْدَى لِلْمَيِّتِ مِنَ الْقَرَبَاتِ، فَلَاشَكَّ أَنَّهُ يَنْتَفِعُ بِكُلِّ شَيْءٍ وَإِنْ قَلَّ مِنْ صَدَقَةٍ وَقِرَاءَةٍ وَدَعَاءٍ إِذَا قَصَدَهُ بِهِ ابْتِدَاءً، هَذَا هُوَ الصَّحِيحُ وَشَوَاهِدُ ذَلِكَ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ كَثِيرَةٌ. رَوَى أَنَّ أَرْبَعَةَ أَشْيَاءَ تَنْوَرُ الْقَبْرَ وَتَوْسَعُهُ: الْمَحَافِظَةُ عَلَى الصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَالصَّدَقَةِ وَالتَّسْبِيحِ هَذِهِ فِي حَالِ الْحَيَاةِ. وَرَوَى عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ [الْمَيِّتُ فِي قَبْرِهِ كَالْغَرِيقِ يَنْتَظِرُ دَعْوَةً تَلْحَقُهُ مِنْ ابْنِهِ أَوْ أَخِيهِ أَوْ صَدِيقٍ لَهُ، فَإِذَا لَحِقَتْهُ كَانَتْ لَهُ أَحَبَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا]² (ث) وَيُقَالُ أَنَّ الْمَيِّتَ كَالْحَيِّ فِيمَا يَهْدَى إِلَيْهِ بَلِ الْمَيِّتُ أَكْثَرُ، لِأَنَّهُ لَا يَسْتَحْقِرُ مَا يُهْدَى إِلَيْهِ وَلَوْ مِقْدَارَ جَنَاحٍ بِعَوْضَةٍ. وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ وَعِلْمٌ يَبُتُّهُ فِي صَدُورِ الرِّجَالِ مُنْتَفِعٌ بِهِ وَوَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ]³، وَقَدْ أَمَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالسَّلَامِ عَلَى أَهْلِ الْقُبُورِ وَالدَّعَاءِ لَهُمْ، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي سَلَامِهِ: [السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ]⁴ وَيُرْوَى إِذَا مَرَّ الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ بِالْقُبُورِ فَيَقُولُ أَشْهَدُ أَنْ لَا

1 - المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة للسخاوي، باب حرف الهمزة. رقم 47.

2 - أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، كتاب بر الوالدين، باب حفظ حق الوالدين بعد موتهما.

3 - رواه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب الوصايا، باب الدعاء للميت.

4 - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة والتججيل في الوضوء.

إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وحده لا شريك له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، إِلَّا نُورَ
اللَّهِ تِلْكَ الْقُبُورِ كُلِّهَا وَغَفَرَ لِقَائِلِهَا مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ وَكَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ
حَرْفٍ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ، وَمَا عَنْهُ مِثْلُ ذَلِكَ مِنَ السَّيِّئَاتِ وَلَهُ عِبَادَةُ أَلْفِ سَنَةٍ .
وروى من قال لا إله إلا الله محمد رسول سبعا ثم أهداها للميت رَفَعَ عَنْهُ الْعَذَابَ
أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، وروى من قرأ سُورَةَ يَسَّ غُفِرَ اللَّهُ لَهُ وَلِلْمَيِّتِ، وَكَتَبَ اللَّهُ لِلْقَارِئِ كُلِّ
يَوْمٍ ثَلَاثِينَ حَسَنَةً إِلَى يَوْمِ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَيُرْوَى سُورَةُ الْإِخْلَاصِ إِحْدَى عَشْرَةَ
مَرَّةً، ثُمَّ يَدْعُوا لِنَفْسِهِ وَلِأَهْلِ الْقُبُورِ، وَرَوَى سَبْعٌ يُوْجَرُ عَلَيْهِنَّ بَعْدَ مَوْتِ، مَنْ غَرَسَ
غَرْسًا أَوْ أَجْرَى نَهْرًا، أَوْ عَلَّمَ عِلْمًا، أَوْ حَفَرَ بَيْرًا أَوْ بَنَى مَسْجِدًا، أَوْ كَتَبَ مَصْحَفًا،
أَوْ تَرَكَ وَلَدًا يَسْتَغْفِرُ لَهُ، أَوْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، وَعَنْ حَاتِمِ الْأَصَمِّ، مَنْ مَرَّ
بِفُضَاءِ الْقُبُورِ وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِي نَفْسِهِ، وَلَمْ يَدْعُ لَهُمْ فَقَدْ خَانَ نَفْسَهُ وَخَانَهُمْ. وروى من
قرأ آية الكرسي // نوحه 79 // لأهل القبور ففيه فضلٌ كثيرٌ، وفي الخبر ما مِنْ رَجُلٍ
يَمُرُّ بِقَبْرِ أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ فَيُسَلِّمُ عَلَيْهِ إِلَّا عَرَفَهُ وَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ، وَفِي رِوَايَةٍ فَإِنْ لَمْ
يَعْرِفْهُ وَسَلَّمْ عَلَيْهِ رَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ. وعن بعض المفسرين أن أرواح الأحياء
والأموات تلتقي في المنام وتتعارف ما شاء الله منها، وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم [اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساوئهم]¹ وقال صلى الله عليه
وسلم [لا تسبوا الأموات فإنهم أفضوا إلى ما قدموا]². وروى عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أنه قال [إذا رُفِعَ الْعَذَابُ عَنْ أَهْلِ الْقُبُورِ خُرِبَتْ قُبُورُهُمْ فَإِذَا رَأَيْتُمُوهَا

1 - المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة للسخاوي، باب حرف الهمزة رقم

84.

2 - نفس المرجع السابق ونفس الباب.

خرابا فاعلموا أن الله تعالى قد غفر لأهلها فاستغفروا ربكم واسألوه أن يرحمكم كما رحم أولئك الميتين¹، قلت: قال أهل التأويل، ورؤية الميت في المنام في حالة حسنة، أو قال لست بميت أوفي عمل صالح، دليل على حسن حالته عند الله تعالى والله أعلم. وأما زيارة القبور ففيها فضل كثير، تذكر بالموت وترشد في الدنيا وتقتصر الأمل، وتنشط إلى العمل، وينبغي أن يتأدب الزائر مع الأموات كما يتأدب مع الأحياء وليحذر الضحك والتخطي عن القبور والجلوس عليها بلا ضرورة، قال البجائي قال المقرئ: في الحقائق والرقائق "إن الولي إذا زار قبره إنسان عرفه وإذا سلم عليه ردّ عليه سلامه وإذا ذكر الله ذكر معه لا سيما إن ذكر لا إله إلا الله فإنه يجلس متربعا ويذكر معه، حاشى قلوب العارفين أن تموت، فهم لا موت لهم وإنما موتهم انتقال من دار إلى دار، ولذلك يجب على الزائر للولي أن يتأدب معه كحال الحياة فلا يعرض عنه بقدميه ولا يستدبره". وقال العلماء "لا يُحفر للميت في موضع قبر غيره لأنه يؤدي إلى كسر عظام الميت ولا ينقل ما على القبر إلى قبر آخر، ولا يزال ما على القبر من ربيع أو شجر أخضر لأنه يستغفر للميت ولو كان يابسا جاز أن تزال فروعه دون أصله فإنه يُلحق إلا أن يكون على جهة التعظيم للشجر فإنه يزال كله للبدعة". وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم [أحسنوا الدفن ولا تؤذوا موتاكم بالعويل ولا بالتركية، ولا بتأخير الوصية، وعجلوا قضاء دينه عنه، وإذا حفرتم قبره فلا تغمقوا ووسعوه واعزلوه عن جيران السوء، ولا تجصصوا القبور، ولا تبنوها ولا تخطوها ولا تمشوا عليها، ولا

1 - لم أعثر عليه

تَتَّخَذُوا عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ، وَلَا يُصَلِّي أَحَدُكُمْ وَالْقَبْرِ أَمَامَهُ، وَقِيلَ إِذَا دُرِّسَتِ الْقُبُورُ
وَبَلَغَتْ أَرْبَعِينَ سَنَةً، جَازَ الْإِنْتِقَاعُ بِظَاهِرِهَا بِالْحَرثِ وَغَيْرِهِ، وَالْمَشْهُورُ أَنَّ الْقَبْرَ
حَبْسٌ، مَا دَامَ بِهِ صَاحِبُهُ فَلَا يُنْتَقَعُ بِهِ شَيْءٌ. وَرَأَيْتُ هُنَا سَوْالًا وَجَوَابًا لِبَعْضِ
الْعُلَمَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، لِمَنَاسِبَتِهِ لِلْبَابِ وَلكَثْرَةِ فَوَائِدِهِ، نَصُّهُ سَيِّدِي رَضِيَ اللَّهُ
عَنْكُمْ جَوَابَكُمْ الشَّافِي فِي مَسَائِلٍ أَوَّلُهَا إِذَا مَاتَ // نُوْحَةٌ 80 // الْمَيِّتُ وَتَرَكَ أَحَدًا
مِنْ أَقَارِبِهِ أَوْ أَصْدِقَائِهِ، هَلْ يَنْفَعُونَهُ بِدَعَائِهِمْ أَوْ صَدَقَاتِهِمْ وَإِنْ كَانُوا فَاسِقِينَ ؟ فَإِنْ
قَلْتُمْ بَانْتِقَاعِهِ فَهَلْ لَا تَجُوزُ الْقِرَاءَةُ وَالْدُّعَاءُ إِلَّا عِنْدَ الْقَبْرِ أَوْ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ ؟
الثَّانِي: هَلِ الْأَرْوَاحُ مُلَازِمَةٌ لِلْقُبُورِ دَائِمًا أَوْ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ دُونَ بَعْضٍ ؟ الثَّلَاثُ
هَلْ تَعْرِفُ الْأَرْوَاحُ زَائِرَهَا وَهَلْ تَرَاهُ عَيْنَانَا أَمْ لَا ؟ الرَّابِعُ: إِذَا مَاتَ صَغِيرًا هَلْ يَزَارُ
أَمْ لَا ؟ فَإِنْ قَلْتُمْ بِزِيَارَتِهِ فَمَا فَائِدَةُ زِيَارَتِهِ ؟ وَنَصُّ الْجَوَابِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ كَانَ اللَّهُ لَنَا
وَلَكُمْ بِمَنِّهِ ،أَمَّا أَقَارِبُ الْمَيِّتِ وَأَصْدِقَاؤُهُ فَيَصِلُ لِلْمَيِّتِ مَا أَهْدُوا إِلَيْهِ مِنْ دَعَاءٍ أَوْ
صَدَقَةٍ أَوْ قِرَاءَةٍ أَوْ ذِكْرٍ إِذَا قَصَدَ بِذَلِكَ وَجَهَ اللَّهُ الْعَظِيمَ وَلَا يَمْنَعُهُ فِسْقُهُ مِنْ قَبُولِهِ
وَمُقْتَضَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾¹ أَيِ الْمُتَّقِينَ الشَّرِكِ، وَلَوْ
كَانَ مَعْنَاهُ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ خِلَافُ هَذَا لَهَلَكْنَا، لَكِنْ يَقْصَدُ بِذَلِكَ عِنْدَ الشُّرُوعِ فِيهِ أَوْ
قَبْلَهُ لَا بَعْدَهُ فَيَحْصُلُ ثَوَابُهُ لِلْمَيِّتِ، وَسَوَاءٌ ذَلِكَ عَلَى الْقَبْرِ أَوْ غَائِبًا عَنْهُ إِلَّا أَنَّهُ
عَلَى الْقَبْرِ أَفْضَلُ، فَيَحْصُلُ لَهُ ثَوَابُ الْقِرَاءَةِ وَبِرْكَهَ الْإِسْتِمَاعِ وَأَمَّا الْأَرْوَاحُ، فَأَحْوَالُهَا
مُخْتَلِفَةٌ فَبَعْضُهَا فِي سَمَاءِ الدُّنْيَا وَأُخْرَى فِي الثَّانِيَةِ، وَهَكَذَا إِلَى الْعَرْشِ وَبَعْضُهَا فِي
جَنَّةِ الْمَأْوَى، وَبَعْضُهَا فِي كِفَالَةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبَعْضُهَا فِي حَوَاصِلِ طُيُورٍ

1 - المائدة الآية: 27.

بيضٍ وخضرٍ وسودٍ وبعضها مترددة بين السماء والأرض، وبعضها تتخير فيقال لها جولي حيث شئت.

قلتُ، قال ابن حجر رضي الله عنه، حيث أشار لما تقدّم "مع ذلك فبينها وبين أجسادها انتقالٌ مغنويٌّ كحال النّوم أو كشعاع الشّمس تتنعم الأجساد بتنعّم الأرواح أو بالعكس" انتهى. ثم قال "وتزار القبور في كلّ وقتٍ إلّا أنّها في يوم الخميس والجمعة والسّبت أفضل" وفي رواية قبل طلوع الشّمس فإنّها تكلم من يزورها "وأما هل تراه عياناً أم لا، فثبت وصحّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [ما من مسلم يمرّ على قبر أخيه كان يعرفه في الدّنيا يسلم عليه إلّا عرفه وردّ عليه السّلام وإن لم يعرفه ردّ عليه السّلام، وأما الصغير فيزار قبره ويدعى له، ينتفع بذلك كما ينتفع البالغ الرّشيد. للعبدوسي¹ رضي الله عنه وأما حكم الأولاد أعني الذين ماتوا قبل البلوغ . (ث) بعد حكايته، الخلاف في أولاد المشركين وأهل الفترة والمجانين، قلت والصّحيح في هذا الباب أنّ أولاد المشركين في الجنّة وأما أولاد المسلمين ففي الجنّة من غير شكّ، متفقٌ عليه وقد أسند أبو عمر بن عبد البر في التمهيد من طريق أنس عن النّبي صلى الله عليه وسلم قال [سألت ربي اللاهين من ذرية البشر إلّا يُعذبهم فأعطانيهم]² قال أبو عمر إنّما قيل للأطفال اللاهين لأنّ أعمالهم كاللهو واللّعب من غير عقْد ولا حزم، ثم أسند عن النّبي صلى الله عليه وسلم أنه

1 - عبد الله بن محمد بن موسى العبدي فقيه مالكي من أهل فاس كان مفتيها ومحدثها له رسائل وفتاوي (ت 849هـ). أنظر الإعلام للزركلي .

2 - القضاء والقدر للبيهقي، باب ذكر البيان أن ليس أحد من بني آدم إلا وقد كتب سعادته وشقاوته، رقم 629.

قال [أولادُ المُشركينَ خَدَمَ أهلَ الجَنَّةِ]¹ . وروي عن سلمان قال " أطفالُ المُشركين // نوحه 81 // خَدَمَ أهلَ الجَنَّةِ " وذكرَ البخاري حديثَ الرُّؤيا الطويل وفيه [وأما الرجلُ الطويلُ الذي في الرُّوضةِ فإنَّه إبراهيم عليه السلام وأما الولدانُ حوله فكل مولودٍ يولدُ على الفِطْرَةِ قال فقيل يا رسولَ الله وأولادُ المُشركين فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأولادُ المُشركين]² ، وفي رواية [والصبيانُ حوله أولادُ الناسِ]³ وظاهره العموم في جميعِ أولادِ النَّاسِ . وعن حاتمِ الطائي عن النَّبي صلى الله عليه وسلم أنَّه قال [ما قَدَّمَ الرَّجلُ شيئاً بين يديه أقربَ إلى الله تعالى وهو لأقبيه وأعظمُ أجراً من ولدٍ قَدَّمه بين يديه ابنُ اثنتي عشرة سنةً]⁴ ، وعن أبي هريرة عن النَّبي صلى الله عليه وسلم أنه قال [من مات له ثلاثة أولاد لم يلج النارَ إلا تحلةً اسملقاً]⁵ انتهى . وقال صلى الله عليه وسلم [يأتي الصَّبي يوم القيامة فيقال له ادخل الجنة فيقول: ياربَّ أبوي فيقول له ادخل الجنة، ثانياً وثالثاً فلا يزالُ يشفعُ في أبويه حتى يُشفعه الله فيهما فيدخلهم جميعاً الجنة]⁶ ، وقال صلى الله عليه وسلم [السَّقَطُ يشفعُ لأبويه يوم القيامة]⁷ ، وقال صلى الله عليه وسلم [لأنَّ أقدَّمَ سقطاً أحبَّ إلي من أن

1 - مسند أبي داود الطيالسي، كتاب ما أسند أنس بن مالك الأنصاري، باب يزيد بن أبان عن أنس، رقم 2225.

2 - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التعبير، باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح.

3 - الاستذكار للقرطبي، كتاب الجنائز، باب جامع الجنائز.

4 - تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي، باب الصبر على المصيبة. ص 262.

5 - نفس المرجع السابق ص 257.

6 - نفس المرجع السابق، ص 258.

7 - لم أعثر عليه.

أترك بعدي مائة ولد فرسانا كلهم يقاتلون في سبيل الله إلى يوم القيامة ¹ وبالله تعالى التوفيق.

وأما التعزية فهي سنة، وهي التنبيه على الصبر والدعاء بحسن العاقبة وإظهار الحزن لأجل مصيبة أخيه وحدها ثلاثة أيام، وما زاد على ذلك فهو تجديد حزن وقد قال صلى الله عليه وسلم [لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاثة أيام إلا على زوجها أربعة أشهر وعشرا] ² وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال [من أصيب بمصيبة فيقول كما أمر الله تعالى إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتى واعقبني خيرا منها، إلا فعل الله ذلك به] ³، وروى أن الضرب على الفخذ عند المصيبة يحبط الأجر، والصبر عند الصدمة الأولى يُعظم الأجر. وروى من عزا مصابا كان له مثل أجره وروى ألبسه الله لباس العز يوم القيامة. وعن ابن عباس أنه قال : أول شيء كتبه الله في اللوح المحفوظ [إني أنا الله لا إله إلا أنا ومحمدٌ رسولي فمن استسلم لقضائي وصبر على بلائي وشكر نعمائي كتبته صديقا وبعثته مع الصديقين ومن لم يستسلم لقضائي ولم يصبر على بلائي ولم يشكر نعمائي فليتخذ إلها سواي] ⁴ ويقال في التعزية، أعظم الله لك الأجر، وألهمك الصبر ورزقنا وإياك الشكر، وقالت العلماء التعزية مشروعة في الذكر وفي الأم وفي المرأة الصالحة، وأما الطعام الذي يُصنع

1 - المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار لأبي الفضل، كتاب ذكر الموت وما بعده، الباب الرابع في وفاة النبي صلى الله عليه وسلم.

2 - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب إحداث المرأة على غير زوجها.

3 - كتاب الجنائز، باب ما يقال في المصيبة. (قريب في المعنى).

4 - سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة للألباني، 714/11 رقم 5429.

للميت، وتجتمع عليه النياحة، فإن أوصى به أو كان الورثة كلهم رشاء، فأذنوا فهو مكروه، لأنه يُقسي القلب وإن لم يوص، وكان في الورثة محجورون فهو حرام، وأما ما يُصنع في غير يوم الدفن // نوحه 82 // إن أوصى به أو أذن الكبار وأريد به وجه الله واجتماع أهل الخير، على القراءة والدعاء له والترحم عليه فلا بأس به، لقوله عليه السلام [من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل]¹،

والسنة إنما هي تهيئة طعام من الجيران لأهل الميت لقوله عليه السلام [اصنعوا لآل جعفر طعاماً فقد نزل بهم ما يشغلهم] وهذه السنن كلها قد تركت في زماننا هذا، وصار من لم يعمل طعاماً لميته يوم موته يُعير بذلك فإننا لله وإنا إليه راجعون على مصائب الدين. (د) ولن يعمل بالسنن وينكر البدع، إلا من هون الله عليه إسقاط الناس بمخالفتهم فيما أرادوا ونهيه عمّا اعتادوا، ومن يسر الله عليه ذلك أحسن الله تعويضه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [إنك لن تدع شيئاً لله إلا عوّضك الله خيراً منه]². انتهى

وقد بالغنا في هذا الفصل بحمد الله لما رأيناه من مس الحاجة إليه وعموم الانتفاع به و لو استقصيناه لضاقت به الأسفار وقصرت عنه الأعمار، والله يسمع لنا فيما يبدوا من الخلل فإن المؤلف حاطب ليل والله المستعان.

1 - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب استحباب الرقية من العين والنملة والحمة والنظرة.
2 - رواه الإمام أحمد في مسنده، مسند أحاديث رجال من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم. (بلفظ مغاير).

الفصل الخامس في الإيمان بالقدر

هذا هو الركن السادس من أركان الإيمان، وهو الإيمان بالقدر خيره وشره حلوه ومُره، المفيدُ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [لا يبلغ أحد حقيقة الإيمان حتى يؤمن بالقدر خيره وشره حلوه ومُره، حتى يعلم أن ما يصيبه لم يكن يخطئه وأن ما يخطئه لم يكن ليصيبه]¹ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم [من كانت فيه ثلاثة فكتُم واحدة فقد كفر، شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمدا رسول الله، وأنه مبعوث بعد الموت والإيمان بالقدر خيره وشره حلوه ومُره]²، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم [يقول الله تعالى أنا لله لا إله إلا أنا، خلقتُ الخيرَ وقدرتُه فطوبى لمن خلقتُه للخير، وخلقتُ الخيرَ له وأجريتُ الخيرَ على يديه، أنا الله لا إله إلا أنا خلقتُ الشرَّ وقدرتُه، فويل لمن خلقتُه للشرِّ وخلقتُ الشرَّ له، وأجريتُ الشرَّ على يديه]³ وقال صلى الله عليه وسلم [لكل أمة مجوس ومجوس هذه الأمة القدرية]⁴ .

في رواية [يَكْفُر قومٌ من أمتي وهم لا يشعرون قيل له وكيف ذلك قال يُقرّون ببعضِ القدرِ ويكفّرون ببعضه قيل له فما يقولون قال يقولون الخير من الله والشر من الشيطان وفيه أولئك زنادقة هذه الأمة ينازعون الله في ملكه وسلطانه يقولون

1 - رواه البزار في مسنده، مسند أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، باب حديث أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم. (بلفظ قريب).

2 - لم أعثر عليه .

3 - كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للمتقي الهندي، تحقيق صفوت السقا و بكرى الحيايى ، مؤسسة الرسالة ، الجزء 1/ ص 124 رقم الحديث 587.

4 - المجالسة وجواهر العلم للدينوري المالكي، أحمد بن مروان بن محمد الدينوري ، دار ابن حزم 1998 ، الجزء 3/ 218 ، رقم الحديث 863.

القدر وقد فرغ قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف عام¹. قال الشعبي² رضي الله عنه "اختلف الصحابة رضي الله عنهم في القدر فقال بعضهم الخير من الله والشر من العبد وقال بعضهم كل ذلك من الله // نوحه 83 // فذهبوا إلى أبي بكر الصديق وعمر الخطاب رضي الله عنهما فقال أبو بكر بالأول، وقال عمر بالتاني فذهبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قد اختلفت أهل السموات كاختلافكم فذهبوا إلى جبريل عليه السلام و ميكائيل عليه السلام، فقال ميكائيل بالأول وقال جبريل بالتاني فدعوا الله فقضى لجبريل بما قضى لك يا عمر" وفي رواية فتحاكما إلى إسرائيل فقال بقول عمر، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [فاقضوا قضاء بينكم لو أراد الله ألا يعصى لما خلق إبليس]³، قال ابن عمر "القدر عبارة عن علم الله وقدرته وإرادته والإرادة على قسمين إرادة تكوين وإرادة شرعية والأفعال على قسمين طاعة ومعصية، فالطاعة إذا وقعت أرادها وأمر بها كوناً وشرعاً، والمعصية إذا وقعت أرادها وأمر بها كوناً ولم يردها أي لم يرخص بها، ولم يأمر بها شرعاً، والخير والخلو مترادفان كالشر والمّر وقيل الخير الطاعة والخلو لذنها وثوابها، والشر المعاصي والمّر مشقتها وعقابها"⁴. انتهى

فائدة، يُستقرأ ممّا تقدّم ثلاثة أمور، الأول أن الله وجودٌ دون ما أمر، أي يأمرُ بالشيء وهو لم يرده، الثاني أنّه ينهي عن شيء ويريدُه ويقضيه، الثالث يُحرّم

1 - القدر للفريابي، باب ما روي في أولاد المشركين، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: "الله أعلم بما كانوا عاملين". ص 159.

2 - هو عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار الإمام علامة عصره. أنظر سير أعلام النبلاء - الطبقة الثانية، الجزء 4 ص 349.

3 - المعجم الأوسط للطبراني، كتاب الألف، باب من اسمه إبراهيم.

4 - ليس بحديث.

الشيء ويعين عليه. بيانه أن الله تعالى أمر إبليس بالسجود لآدم عليه السلام وحال بينه وبينه لما سبق في سابق علمه أنه لا يصل منه، ونهى آدم عليه السلام عن أكل الشجرة وأراد منه أكلها لذلك أيضا، وحرّم الميتة وأعان على أكلها بالاضطرار. انتهى

وقال الطرطوشي¹: "الإيمان بالقدر أن تعلم أن كل ما يقع في العالم من حركة وسكون ونفع أو ضرر أو كفر أو إيمان أو طاعة أو معصية، ولا طائر يطير بجناحيه ولا دابة تدب على بطنها أو على رجليها وما تسقط من ورقة ولا تطير بعوضة إلا كان بقضاء الله وقدرته مع علمه السابق لذلك دون زيادة ولا نقصان. قلت: وقد تقدّم في شرح وحدانية الله تعالى ما يُغني عن التطويل هنا وبالله التوفيق.

الباب الثاني في وجوب معرفة قواعد الإسلام والعمل بها وفيه فصول

قد تقدّم الكلام في قواعد الإيمان وقواعد الإسلام وما يتعلق بهما، وفي الدليل على وجوبها من الكتاب والسنة وإجماع الأمة في الباب الأول، فأغنى عن الأول هنا ولنرجع إلى بيان الفصول وبالله تعالى التوفيق.

الفصل الأول في معنى لا إله إلا الله محمد رسول الله وحكمها وفضلها

قال م بعد تقريره في عقيدته الصغرى ما يجب في حق الله تعالى عقلا وما

¹ - هو أبو بكر بن محمد بن الوليد بن خلف المعروف بأبي بكر الطرطوشي (ت 520هـ) فقيه مالكي، أخذ عن أبي علي التستري، صاحب كتاب سراج الملوك في سلوك الملوك - أنظر سير أعلام النبلاء - الطبعة السابعة والعشرون الجزء 19 ص 490.

يستحيل وما يجوز وكذا في حق الرُّسل عليهم الصلاة والسلام، كما بيَّناه في الباب الأول و{يجمع}¹ معاني هذه العقائد // نوحه 83 // كُلُّها قول لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم، قال في شرحها لما فرَغَ من ذِكْرِ ما يَجِبُ على المُكَلَّفِ معرفته من عقائد الإيمان في حقِّ مولانا جلَّ وعزَّ، وفي حقِّ رسله عليهم الصلاة والسلام، كَمَلَّ الفائدة هنا ببيان اندراج جميع ما سبق تحت كلمة التوحيد وهي لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ محمد رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم، ليحصل لك العلم بعقائد الإيمان تفصيلاً وإجمالاً ولتعرف بذلك شرف هذه الكلمة وما انطوى تحتها من المحاسن حتَّى يتشعَّشع القلب عند ذكرها بأنوار اليقين، وتتموَّج فيه أضواء الإيمان حتى تنبسط على الظاهر وتنتشر إلى عليين، ويتفتَّح لك كنز هذه الكلمة عن يواقيت فراديس الجنان، وتعرف قدر ما مُنحت من النعمة العظمى التي منَّ بها بمَحْضِ فضلِهِ المولى الكريم الرحيم الرَّحمان بعدَ أنْ كانَ قد احتوى بيتَ بَدَنِكَ على كنزٍ عظيم من كنوز مولانا الموصلة إلى كشف الحُجُب والتَّمتُّع بشريف الرِّضوان، ولم تدرِ يا مسكين ما هنالك وعَسُرَ عليك الوصولُ إلى ما في باطنِهِ من المحاسن الفاخرة التي لا تتال والله لولا فضلُهُ تعالى بشيءٍ من الأثمان ولا شكَّ أن هذه الكلمة المشرفة ممَّا يجبُ على كلِّ مؤمنٍ أن يعتنى بشأنها إذ هي ثمن الجنة والمنقذة من المهالك دنيا وأخرى، وقد نصَّ العلماء على أنَّه لا بد من فهم معناها وإلاَّ لم ينتفع بها صاحبها في الإنقاذ من الخلود في النار². انتهى

1 - جمع في نسخة ب.

2 — زيادة من ب.

فحسبك¹ بهذا الكلام تأكيداً على ملازمته وحثاً على وجوب معرفة معناها .

(غ) عن سيد البشر صلوات الله عليه وسلامه إخباراً عن الله تعالى [لا إله إلا الله حصني من دخله آمن من عذابي] ثم قال [لا إله إلا الله هو الحصن الأكبر وهو علم التوحيد من تحصن بها فقد حصل سعادة الأبد ونعيم السرمد، ومن تخلف عنه فقد حصل شقاوة الأبد وعذاب السرمد، ومهما لم تكن هذه الكلمة حصناً على دائرة قلبك وروحها، نقطة تلك الدائرة وسلطانها حارساً يمنع نفسك وهواك وشيطانك من الدخول إلى تلك النقطة، وإلا فأنت خارج عن الحصن ومجرد قولك لا إله إلا الله لا يزن مثقال ذرة ولا يعدل جناح بعوضة، فانظر ما هو نصيبك من هذه الكلمة، فإن كان نصيبك منها روحها ومعناها فأولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه، وهو نصيب سيد الأولين والآخرين محمد صلى الله عليه وسلم ومائة ألف نبي، ونيف وعشرين ألف نبي عليهم الصلاة والسلام فقد حزت ذكر الكونين وفزت بسعادة الأبد في الدارين وإن كان نصيبك منها مجرد قلقة اللسان وقعقة الحروف ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تَوْمِنُوا ۖ // نوحه 84 // وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا ۚ ﴾² الآية فأنت رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول³ ومائة ألف منافق ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ ۖ ﴾⁴ فقد صرت شقياً خسر الدنيا والآخرة ﴿ إِنَّ

3 — وحسبك، في نسخة ب.

2 - الحجرات، 14.

3 - عبد الله بن أبي سلول شخصية عاصرت الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة، من قادة ورؤساء الخزرج لقب بكبير المنافقين.

4 - المنافقون، الآية: 1.

المنافقين في الدرك الأسفل من النار¹ لا إله إلا الله حصن، ولكن نصبوا عليه
فنجين التكذيب ورموه بحجارة التخريب وتظاهروا عليه بغلول الشقاق والنفاق فدخل
عليهم العدو فطمس معالمه، ودرس مراسمه وشوش مسكن الملك ومحل نظره،
وسلبهم المعنى وتركهم مع الصورة [إن الله لا ينظر إلى صوركم وإنما ينظر إلى
قلوبكم]² سلبوا معنى لا إله إلا الله فبقى معهم قلقلة اللسان وهو ذكر الحصن لا
معنى الحصن، فكما أن ذكر النار لا يحرق {و} ذكر الماء لا يروي وذكر الخبز
لا يشبع، كذلك ذكر الحصن لا ينفع، القول قشر والمعنى لب، وماذا يصنع
بالقشر مع فقدان اللب؟ وكذلك هذه الكلمة مع معناها بمنزلة الروح مع الجسد كما
لا ينتفع لا يُنتفع بالجسد دون الروح، كذلك لا يُنتفع بهذه الكلمة دون معناها، ثم
قال: أترى إذا قلت لا إله إلا الله وأنت عابد هواك ودرهمك ودينارك ماذا يكون
جوابك يا عبدي؟ لم تقول ما لم يكن؟ ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾³ الآية. وأنت
عابد هواك ﴿أَفَرَأَيْتَ مِمَّنْ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾⁴ [تعس عبد الدرهم تعس عبد
الخميسة تعس وانتكس]⁵ ما دمت تقول لا إله إلا الله وأنت تسكن إلى أهل ومال
وطن، وتزكن إلى ولد ومسكن، فلست بقائل كل قول كذبه الفعل، فهو مردود
بلسان الحال ولسان الحال أفصح من لسان المقال. ما دمت تقول لا إله إلا الله

1 - النساء، الآية: 145.

2 - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم، وخذله، واحتقاره
ودمه، وعرضه، وماله.

3 - غير موجودة بنسخة أ

4 - الصف، الآية: 2.

5 - الجاثية، الآية: 23.

6 - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله.

وتَأْنَسُ بغيرنا فلسنا لك ولست لنا، مَنْ كَانَ لِلَّهِ كَانَ اللَّهُ لَهُ ﴿وَكُنَّا لَنَا خَاشِعِينَ﴾¹، وكنا لهم حافظين .

يا عبي لم تلوذ بغيري وأزمة الأمور كلها بيدي، أنا ملكُ الملوكِ أَتَصَرَّفُ في ملكي كيفَ أَشَاءُ فلا تلوذَ بسِوَايَ ولا تَتَيْسَ من رَحْمَتِي ﴿أَنَّهُ لَا يَبْئُثُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾² و ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾³، إِذَا قُلْتَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِنْ كَانَ مَسْكُنُهَا مِنْكَ اللِّسَانُ وَلَا ثَمَرَةٌ لَهَا فِي الْقَلْبِ فَأَنْتَ مُنَافِقٌ، وَإِنْ كَانَ مَسْكُنُهَا مِنْكَ الْقَلْبُ فَأَنْتَ مُؤْمِنٌ، وَإِنْ مَسْكُنُهَا مِنْكَ الرُّوحُ فَأَنْتَ عَاشِقٌ، وَإِنْ كَانَ مَسْكُنُهَا مِنْكَ السِّرُّ فَأَنْتَ مُكَاشِفٌ، فَالْإِيمَانُ الْأَوَّلُ إِيْمَانُ الْعَوَامِ، قُلْتُ يَعْنِي إِيْمَانُ الْقَلْبِ وَالثَّانِي إِيْمَانُ الْخَوَاصِّ وَالثَّالِثُ إِيْمَانُ خَوَاصِّ الْخَوَاصِّ، فَالْأَوَّلُ خَبْرٌ صَدَقَ مَجَرِدُ وَالثَّانِي ثَمَرَةٌ بِصِيرَةٍ وَانْشِرَاحِ صَدْرٍ، وَالثَّالِثُ ثَمَرَةٌ مُشَاهِدَةٍ وَمُكَاشَفَةٍ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ بِلِسَانِكَ دُونَ قَلْبِكَ فَتَنَادِي عَلَيْكَ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ: إِلَهِي كَذَا وَكَذَا سَنَةً فَمَا اعْتَرَفَ بِحَظِّي وَلَا رَاعَى حُرْمَتِي. وَإِنَّ هَذِهِ الْكَلِمَةَ تَشْهَدُ لَكَ أَوْعَلَيْكَ // نوحه 85 // انتهى.

الغرضُ منه ما يَرْجِعُ إِلَى تَبْيَانِ شَيْءٍ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ الْمَشْرِفَةِ (م) وَلِهَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ كَلَامُنَا فِيهَا عَلَى سَبِيلِ الْإِخْتِصَارِ فِي سَبْعَةِ فُصُولٍ وَنَحْنُ نَقْتَصِرُ مِنْهَا عَلَى سِتَّةٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فِي ضَبْطِهَا وَفِي مَعْنَاهَا وَفِي حُكْمِهَا وَفِي فَضْلِهَا وَفِي كَيْفِيَّةِ ذِكْرِهَا عَلَى الْوَجْهِ الْأَكْمَلِ وَفِيهَا يَحْصُلُ لِذَاكِرِهَا عَلَى الْوَجْهِ الْأَكْمَلِ.

1 - الأنبياء - آية 90

2 - يوسف، الآية: 87.

3 - الأعراف، الآية: 99.

أما ضبطها (م) فينبغي للذاكر ألا يطيل ألف لا جدًا، قلت: قيل: والعلة في ذلك مخافة أن تخرقه الموت فيموت على النفي وقيل بجواز المد فيه . (ث) قال النووي: "المذهب الصحيح المختار استحباب مد الذاكر قوله لا إله إلا الله لما فيه من التدبر" وأقوال السلف وأئمة الخلف في هذا مشهورة انتهى. ثم قال: "وأن يقطع الهمزة من إله إذ كثيرا ما يلحق بعض الناس فيردها ياء، وكذا يفصح بالهمزة من إلا ويشد اللام بعدها، وأما كلمة الجلالة والتعظيم التي بعد إلا فإن وقف عليها تعين السكون وإن وصلها بشيء كأن يقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له فله فيها وجهان الرفع وهو الأرجح والنصب وهو المرجوح، وينبغي أن يُنَوَّن الذاكر اسم سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ويدغم تتوينن في الراء". وأما معنى هذه الكلمة فلا شك أنها محتوية على نفي وإثبات، فالمُنْفِي كل فرد من أفراد حقيقة الإله غير مولانا جل وعز، والمثبت من تلك الحقيقة فرد واحد وهو مولانا جل وعز وأوتي بالإلّا لقصر حقيقة الإله عليه تعالى بمعنى أنه لا يمكن أن توجد تلك الحقيقة لغيره تعالى عقلا ولا شرعا، قلت ومما يزيده وضوحا أنك لو قلت مثلا زيد صاحبي لم يكن نسا في أن ليس لك صاحب إلا زيدا إذ يحتمل أن يكون لك صاحب غيره بخلاف ما لو أتيت بالإلّا التي هي للحصر بعد النفي، فقلت لا صاحب لي إلا زيد، علمنا قطعا نفي الصحبة عن كل أحد وإثباتها لزيد فقط فافهم. ثم قال رحمه الله: "وحقيقة الإله هو الواجب الوجود والمستحق للعبادة" ولا شك أن هذا المعنى كُلي أي يقبل بحسب بمجرد إدراك معناه أن يصدق على كثيرين، لكن البرهان القطعي دل على استحالة التعدد فيه، وأن معناه خاص بمولانا جلّ وعزّ فقط، أما الاسم المُعظم المذكور بعد حرف الاستثناء فليس هو

بمعنى الإلاه فيكون كلياً بل هو جزئي، علم على ذات مولانا جل وعز لا يقبل معناه التعدد ذهناً ولا خارجاً، ولو كان معنى الله كمعنى الإلاه لزم استثناء الشيء من نفسه والتناقض في الكلام بنفي الشيء ثم إثباته والحاصل أن المعاني المقدرة عقلاً في هذه الكلمة باعتبار معنى المستثنى، والمستثنى منه أربعة، ثلاثة منها // لوحة 86 // باطلة وهي أن يكونا جزئيين أو كليين أو الأول جزئياً والثاني كلياً والرابع عكس الثالث وهو أن يكون الأول كلياً والثاني جزئياً، وهو ينقسم قسمين أحد قسميه باطل وهو أن يكون المراد بالكلي الذي هو الإلاه مطلق المعبود، لم يصح لما يلزم عليه من الكذب لكثرة المعبودات الباطلة، والآخر هو الذي يصح من الأقسام كلها، وهو أن يكون المراد بالإلاه المعبود بالحق صخ. قلت يعني بالإلاه المعبود بالحق ما يُقدَّر لينفي غير مولانا تبارك وتعالى. وقال بعض أهل العلم بل يصح القسم الرابع على إطلاقه ولا عبرة بالمعبودات الباطل وكأنها لم تكن إذ المَعْدُوم شرعاً كالمَعْدُوم حساً، ثم قال رحمه الله تعالى: " لا يصح من هذه الأقسام كلها إلا أن يكون الإلاه كلياً بمعنى المعبود بحق، و الاسم المَعْظَمُ عَلَمٌ للفرد المَوْجُودِ منه، فالمعنى على هذا لا مستحق للعبادة مَوْجُودٌ أوفي الوجود إلا الفرد الذي هو خالق العالم جلّ وعلا. وإن شئت قلت في معنى الإلاه المستغني عن كل ما سواه، والمفتقر إليه كل ما عداه، وهو أظهر من المعنى الأول وأقرب منه، وهو أصل له لأنه لا يستحق أن يُعبد أي يذلّ له كل شيء إلا من كان مستغنياً عن كل ما سواه ومفتقراً إليه كل ما عداه فظهر أن العبارة الثانية أحسن من الأولى، وبها ينجلي اندراج جميع عقائد الإيمان تحت هذه الكلمة، ويتسع بها صدر المؤمن لفيض أنوار المعارف ويكون على ساحل النجاة والأمن من كل

خَبِطَ وَقَعَ فِي مَعْنَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ وَيَدْخُلُ الضَّعِيفُ وَالْقَوِيُّ فِي رَوْضَةِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ الْمُشْرِفَةِ يَمْرُحُ فِي أَنْهَارِهَا وَيَتَنَزَّهُ فِي سَلْسَبِيلِ أَنْهَارِهَا وَيَجْتَنِي مِنْ ثَمَارِ مَعَارِفِهَا وَيَسْمَعُ مِنْ تَغْرِيدِ أَطْيَارِهَا يَأْتِيهَا مَا كَتَبَ لَهُ. قَالَ الْمُقْتَرَحُ: "وَلَفْظُ الِاسْتِثْنَاءِ فِي الْحَقِيقَةِ لَا يَجْرِي عَلَى ظَاهِرٍ مَا يَفْهَمُهُ كُلُّ قَاصِرٍ فِي أَنَّهُ نَفْيٌ وَإِثْبَاتٌ إِذْ يَلْزَمُ مِنْهُ هُنَا كُفْرٌ وَإِيمَانٌ. انْتَهَى. قُلْتُ يَعْنِي رَحِمَهُ اللَّهُ يَنْبَغِي لِذَاكَرِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ الْمُشْرِفَةِ أَنْ يَكُونَ الِاسْتِثْنَاءُ حَاضِرًا فِي ذِهْنِهِ ابْتِدَاءً، فَالْفَرْدُ الْمَوْجُودُ الْمَعْبُودُ بِالْحَقِّ لَمْ يَتَسَلَّطْ عَلَيْهِ نَفْيٌ إِلَّا لَاهُ، وَإِنَّمَا هُوَ مُسْتَثْنَى فِي الْعَقْلِ مُحَاشَى لِيُثَبِّتَهُ تَصْرِيحًا بِقَوْلِهِ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّمَا تَسَلَّطَ النَّفْيُ عَلَى مَا يُقَدَّرُ مِنْ إِلَهِ مَعْبُودٍ بِحَقِّ غَيْرِ مَوْلَانَا الْعَالَمِ الْخَالِقِ لَجَمِيعِ الْعَالَمِ الْمُوصُوفِ بِالْكَمَالِ جَلَّ وَعَلَا. غُ هَذِهِ الْكَلِمَةُ أَوَّلُهَا كُفْرٌ وَآخِرُهَا إِيمَانٌ، فَعَالَمُ الْعَدْلِ وَقَفُوا مَعَ الْإِلَهِ فَوْقُوهَا فِي الْكُفْرِ فَقِيلَ لَهُمْ لَا تَقْفُوا فِي هَذَا الْمَنْزِلِ الْأَوَّلِ وَاعْبُرُوا إِلَى الْمَنْزِلِ الثَّانِي وَعَالَمُ الْفَضْلِ وَقَفُوا فِي الْمَنْزِلِ الثَّانِي مَنْزِلُ إِلَّا اللَّهُ، فَقِيلَ ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ﴾¹ أَوَّلُ مَنْ وَقَعَ مِنْ عَالَمِ الْعَدْلِ فِي كُفْرٍ لَا إِلَهَ طَرِيدُ الْمَلَائِكَةِ إِبْلِيسُ وَأَوَّلُ // نُوْحَةُ 87 // مَنْ دَخَلَ مِنْ عَالَمِ الْفَضْلِ فِي إِيمَانٍ إِلَّا اللَّهُ، صَفْوَةُ الْحَضَرَةِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَجَعَلَ رَأْسَ جَرِيدَةِ الْعَدْلِ إِبْلِيسُ، وَجَعَلَ رَأْسَ جَرِيدَةِ الْفَضْلِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَاحْذَرِ أَنْ تَلْحَقَ بِإِبْلِيسَ فَتَلْحَقَ بِغَيْرِ أَبِيكَ، فَتَقْطَعَ النَّسَبَةَ الْآدَمِيَّةَ وَتَتَّصِلَ بِالنَّسَبَةِ الشَّيْطَانِيَّةِ، وَيُنَادِي بِالْمَشَارَكَةِ فِيكَ ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾² فَلَا إِلَهَ مُرْتَبِطَةٌ بِاللَّهِ إِلَّا اللَّهُ، لَا إِلَهَ سُمَّ إِلَّا اللَّهُ تَرِياقٌ، فَكَمَا أَنَّ مَنْ شَرَبَ السَّمَّ وَلَمْ يَشْرَبْ مَعَهُ التَّرِياقَ هَلَكَ، فَكَذَلِكَ مَنْ شَرَبَ

1 - البقرة الآية: 285.

2 - الإسراء، الآية: 64.

سَمَّ لا إله ولم يشرب معه ترياق إلا الله فإنه يهلك انتهى .

فائدة: قال صاحب السِّر المصون : " كلمة لا إله إلا الله الاستثناء فيها لا يُقال فيه مُتصلٌ ولا مُنفصلٌ فإنه تعالى منزَّة عن ذلك ولا يُتَمَّ إلا بِمُحمَّد رسول الله، ولا إله إلا الله حقيقة ومُحمَّد رسول الله شريعة، ومعنى ذلك أنه سبحانه قال فيما يحكيه عنه نبيُّه عليه السلام: [كنتُ كنزاً لم أعرف فأُحببتُ أن أعرف فخلقتُ خلقاً ليُعرفونى]¹، وقال عليه السلام [كانَ اللهُ ولا شيءَ معه]² فهذا هو الحقيقة المحققة عند أهل الطريقة، لأنَّ جميعَ الأشياءِ سواه مُحدثَةٌ والحقيقة الله الله الله وإنما أتى لا إله بعدَ وجودِ الخلق، فما قبلَ الاستثناءِ ظلمةٌ وإنما أنارَه {ما بعدَ الاستثناءِ} فالكونُ كُلُّه ظلمةٌ³ وإنما أنارَه ظهورُ الحقِّ فيه، {وهو الله في السماواتِ والأرضِ}⁴ تعليم للموجوداتِ بما شاهدوا بالبصر، وإلا فهو الله قبل السماواتِ وقبل الأرض، ومن هنا استحالة الحيلولة والمكان وهذا حقٌّ مشاهدة البصيرة وقلنا: محمَّد رسولُ الله شريعة، بيانُ الشريعة وفاءً بقوله سبحانه: فأُحببتُ أن أعرف فخلقتُ خلقاً وذلك الخلقُ هو نورُ محمد صلى الله عليه وسلم الذي ظهر فيه سبحانه حتى عرف، ولذا لما جمَعَ سبحانه بين الحقيقة والشريعة قال ﴿وما تشاءونَ إلا أن يشاءَ اللهُ⁵ ولا تقولنَّ شيءَ إنمَّا فاعلٌ غملاً إلا أن يشاءَ اللهُ﴾⁶، وما تشاءونَ وإنِّي فاعلٌ،

1 - مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، كتاب الإيمان، باب الإيمان بالقدر.

2 - شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري لعبد الله بن محمد الغنيمان، شرح حديث عمران بن حصين "كان الله ولم يكن شيء قبله" 375/1.

3 - ساقطة من ب .

4 - زيادة من ب .

5 - الإنسان، الآية: 30، سورة التكويد، الآية: 29.

6 - الكهف، الآية 23 - 24.

شريعة وإلا أن يشاء الله . فيهما حقيقة، فالتَّوَكُّلُ المحض العَرِيُّ عن الأسباب حقيقة والأخذ بالأسباب شريعة، وقد قال صلى الله عليه وسلم [التَّوَكُّلُ حِرْفَتِي والسَّبَبُ سُنَّتِي]¹ إشارة إلى أن الحرفة مركوزة في الطَّبَاعِ مِنْ حَيْثُ أَنَّهَا الْحَقِيقَةُ والغالب سلطان الحقيقة لأن الأشياء إِنَّمَا كَوْنُهَا سبحانه ليظهر فيها بأفعاله. ثم قال رضي الله عنه: " ووقع ما أذكره الآن إن شاء الله، وهو أَنِّي جَلَسْتُ مُتَفَكِّرًا فِي رُؤْيَا النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْهَامِ الْمُلهِمِ وَوَسوسة الشَّيْطَانِ فنوديتُ من سِرِّي أَنَا الْكُلُّ، إِذَا ظَهَرْتُ // نوحه 88 // فِي مُحَمَّدٍ كُنْتُ رَسُولِي وَإِذَا ظَهَرْتُ فِي الْمَلِكِ كُنْتُ مُلهِمًا بِحَسَبِ التَّجَلِّي، فَإِنْ تَجَلَّيْتُ بِالْجَمَالِ الْأَعْظَمِ فِي بَشَرٍ كُنْتُ مُحَمَّدًا، أَوْ إِنْ تَجَلَّيْتُ بِجَمَالٍ دُونَهُ كُنْتُ وَلِيًّا، وَإِنْ تَجَلَّيْتُ بِهِ فِي الْمَلِكِ كُنْتُ مُلهِمًا وَإِنْ تَجَلَّيْتُ بِالْجَلَالِ فِي الشَّيْطَانِ وَسُوسَ فِي الْإِنْسَانِ وَخَنَّسَ، بِحَسَبِ التَّمَكِينِ، اقْرَأ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾² فَإِنْ أُرِدْتَ الْإِغْوَاءَ بِالشَّيْطَانِ أَوْ بِالْإِنْسَانِ، أَنْسَيْتُ الْمُغْوَى ذِكْرِي، وَالْإِتْبَاعَ لِأَمْرِي، فَإِنْ رَأَيْتَ مُحَمَّدًا فَأَنَا دَعْوَتَكَ بِهِ، وَإِنْ رَأَيْتَ مُلهِمًا فَأَنَا أَلْهَمْتُكَ بِهِ، وَإِنْ رَأَيْتَ وَسْوَاسًا مِنْ ﴿الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾³ فَإِنِّي قَدَّرْتُ وَمَكَّنْتُ، فَلَيْسَ إِلَّا أَنَا بِي قُلِّ وَعَلَيَّ دُلٌّ، فَهَا أَنَا الْكُلُّ. فَقُلْتُ: إِيَّاهِي بِمَ أَعْلَمُ الْفَرْقَ بَيْنَ الْمُلهِمِ وَالشَّيْطَانِ وَغَيْرِهِ، فنوديتُ، أَجْعَلُ لَكَ عِلَامَةً تَكُونُ لَكَ عَلَمًا عَلَى ذَلِكَ وَهِيَ إِنْ تَعَرَّفْتُ إِلَيْكَ بِوَجْهَةٍ مِنَ التَّعْرِيفِ، وَهِيَ مِثْلًا خَلَقِي لَكَ الْإِضْطِرَارَ فِي الْمَسْئُولِ، فَاعْلَمْ أَنَّكَ مَلَكٌ مُلهِمٌ، وَإِنْ انْحَلَّتِ الْعَزِيمَةُ حَتَّى ظَهَرَ نَوْعٌ مِنَ الْإِسْتِغْنَاءِ عَنْ

1 - لم أعثر عليه

2 - الناس، الآية: 1.

3 - الناس، الآية: 6.

الحاجة المسئول عنها، فهو شيطان يلعب، ﴿أَمْ لَنْ يُجِيبَ الْمُضْطَرُّ إِذَا دَعَاهُ﴾¹ فَإِنِّي أَجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَانِ، وَأَمَّا رُؤْيُكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهَذَا أَمْرٌ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ إِذَا لَمْ تُمَكِّنْهُ مِنْ ذَلِكَ.. فَانْظُرْ يَا أَخِي كَيْفَ كَانَتْ الْحَقِيقَةُ مُحِيطَةً، وَهَلْ فِي الْكَوْنِ غَيْرُ اللَّهِ تَعَالَى، وَلِذَا نَجِدُ الْعَارِفَ يَخْضَعُ لِكُلِّ ذَرَّةٍ فِي الْكَوْنِ، لَا لَهَا بَلٌّ لِسِرِّ الظَّاهِرِ فِيهَا، وَمَنْ هُنَا تَاهَ إِبْلِيسُ لَمَّا أُمِرَ بِالسُّجُودِ لِآدَمَ، فَتَاهَ عَنِ الْحَقِيقَةِ، وَوَقَّفَ مَعَ الْمَظَاهِرِ، فَصَارَ يُرَجِّحُ فِيهَا لَمَّا سَبَقَ لَهُ مِنَ الشَّقَاوَةِ، وَلَوْ عَايَنَ الْحَقَّ، لَظَهَرَ لَهُ أَنَّ السُّجُودَ إِنَّمَا كَانَ لِلظَّاهِرِ فِي صُورَةِ آدَمَ، بِصُورَةِ آدَمَ، وَلَوْ شَاهَدَ ذَلِكَ لَمَّا خَالَفَ انْتَهَى. وَهُوَ حَسَنٌ جِدًا لِمَنْ فَهَّمَهُ اللَّهُ إِيَّاهُ وَبِاللَّهِ تَعَالَى التَّوْفِيقَ.

وَأَمَّا حُكْمُ هَذِهِ الْكَلِمَةِ الْمُشْرِفَةِ، (م) فَاعْلَمْ أَنَّ النَّاسَ عَلَى ضَرْبَيْنِ مُؤْمِنٌ وَكَافِرٌ، أَمَّا الْمُؤْمِنُ بِالْأَصَالَةِ، فَيَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَذْكُرَهَا مَرَّةً فِي الْعُمْرِ، يَنْوِي فِي تِلْكَ الْمَرَّةِ بِذِكْرِهَا الْوُجُوبَ، فَإِنْ تَرَكَ ذَلِكَ فَهُوَ عَاصٍ وَإِيمَانُهُ صَحِيحٌ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ، ثُمَّ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُكْثِرَ مِنْ ذِكْرِهَا، بَعْدَ أَدَاءِ الْوُجُوبِ، وَلِيَعْرِفَ مَعْنَاهَا أَوَّلًا لِيَنْتَفِعَ بِذِكْرِهَا دُنْيَا وَآخِرَى، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَذِكْرُهُ لِهَذِهِ الْكَلِمَةِ وَاجِبٌ، شَرْطًا فِي صِحَّةِ إِيْمَانِهِ الْقَلْبِيِّ، مَعَ الْقُدْرَةِ وَإِنْ عَجَزَ عَنِ ذِكْرِهَا بَعْدَ حُصُولِ إِيْمَانِهِ الْقَلْبِيِّ، لِمَفَاجَاتِ الْمَوْتِ لَهُ وَنَحْوِ ذَلِكَ سَقَطَ عَنْهُ الْوُجُوبُ هَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ، وَمِنْ مَذْهَبِ عُلَمَاءِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَبِاللَّهِ تَعَالَى التَّوْفِيقَ.

وَأَمَّا فَضْلُهَا، (م) فَاعْلَمْ، أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ بَيَانُ فَضْلِهَا إِلَّا كَوْنُهَا عَلَمًا عَلَى الْإِيْمَانِ

في الشرع، تَغْصِمُ الدِّمَاءَ والأَمْوَالَ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَكُونَ إِيمَانِ الْكَافِرِ مُوقِفًا عَلَى النُّطْقِ بِهَا لَكَانَ كَافِيًا لِلْعَقْلَاءِ، كَيْفَ وَقَدْ وَرَدَ فِي فَضْلِهَا أَحَادِيثُ // نُوْحَةُ 90 //

كثيرة، فَمِنْهَا قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [أَفْضَلُ مَا قُلْتُهُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ]¹ رَوَاهُ مَالِكٌ بِالْمَوْطَأِ، زَادَ التِّرْمِذِيُّ فِي رِوَايَتِهِ [لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ]². وَرَوَى النَّسَائِيُّ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ [أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الْحَمْدُ لِلَّهِ³]، وَفِيهِ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: [قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَا رَبِّ عَلِّمْنِي مَا أَذْكُرُكَ بِهِ وَأَدْعُوكَ بِهِ فَقَالَ يَا مُوسَى قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا فَقَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَا رَبِّ كُلِّ عِبَادِكَ يَقُولُ هَذَا، قَالَ: قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَنْتَ، إِنَّمَا أُرِيدُ شَيْئًا تَخْصُنِي بِهِ، قَالَ: يَا مُوسَى لَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَعَامَرَهِنَّ غَيْرِي، وَ الْأَرْضِينَ السَّبْعَ فِي كَفَّةٍ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي كَفَّةٍ، مَالَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ]⁴ وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : [يُوتَى بِرَجُلٍ إِلَى الْمِيزَانِ وَيُوتَى بِتِسْعَةٍ وَتَسْعِينَ سَجَلًا كُلُّ سَجَلٍ مِنْهَا مَدَّةُ الْبَصَرِ فِيهَا خَطَايَاهُ وَذُنُوبُهُ، فَتَوَضَّعُ فِي كِفَّةِ الْمِيزَانِ، ثُمَّ تَخْرُجُ بِطَاقَةٍ مَقْدَارِ الْأَنْمَلَةِ فِيهَا شَهَادَةُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، فَتَوَضَّعُ فِي الْكِفَّةِ الْأُخْرَى فَتَرْجَحُ بِخَطَايَاهُ وَذُنُوبِهِ]⁵. وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ [التَّسْبِيحُ نِصْفُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ يَمْلَأُ الْمِيزَانَ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَيْسَ لَهَا دُونَ اللَّهِ حِجَابٌ حَتَّى

1 - رَوَاهُ الْإِمَامُ مَالِكٌ فِي مَوْطِئِهِ، كِتَابُ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الدُّعَاءِ.

2 - صَحِيحُ الْبَخَارِيِّ، كِتَابُ الدَّعَوَاتِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ 3585.

3 - السَّنَنِ الْكُبْرَى لِلنَّسَائِيِّ، كِتَابُ عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، بَابُ أَفْضَلِ الذِّكْرِ، وَأَفْضَلِ الْعَمَلِ.

4 - نَفْسُ الْمَرْجِعِ السَّابِقِ، نَفْسُ الْكِتَابِ وَالْبَابِ.

5 - رَوَاهُ الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ فِي سَنَنِهِ، كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي مَنْ يَمُوتُ وَهُوَ يَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. (بَلْفِظِ مَغَايِرَ)

تخلص إليه ¹ [وقال صلى الله عليه وسلم [ما قال أحدٌ لا إله إلا الله مُخلصاً من قلبه إلا فتحت له أبوابُ السماءِ حتى تقضي إلى العرشِ ما اجتبت الكبائر] ² وقال لأبي طالب [يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاجُّ لك بها عند الله] ³، وقال صلى الله عليه وسلم [أمرتُ أن أقاتل الناسَ حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها] ⁴ وقال صلى الله عليه وسلم [أتاني آتٍ من ربي فأخبرني أنه من مات يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له فله الجنة، فقال أبو ذر وإن زنى وإن سرق فقال وإن زنى وإن سرق] ⁵، وقال صلى الله عليه وسلم [أسعدُ الناسِ بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله مُخلصاً من قلبه] ⁶ وفي رواية قيل، ومتي إخلاصها قال أن تحجزه عن محارم الله، وقال صلى الله عليه وسلم [من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة] ⁷ وقال صلى الله عليه وسلم [لا إله إلا الله مفتاح الجنة] ⁸، فقلت: قال العلماء والمفتاح لابد له من أسنان وأسنان محمد رسول الله وروى أنس [أن لا إله إلا الله ثمن الجنة] ⁹، وفي الإحياء " وقال عليه الصلاة والسلام لو جاء قائل لا إله إلا الله صادقاً بتراب الأرض

1 - صحيح البخاري ، كتاب الدعوات رقم 3518. (راجع الحديث مع مصدره).

2 - رواه الترمذي في سننه، كتاب الدعوات، باب دعاء أم سلمة.

3 - أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب قصة أبي طالب. رقم 3671

4 - رواه البخاري ، رقم الحديث 1399.

5 - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في الجنائز، ومن كان آخر كلامه: لا إله إلا الله. رقم 1180.

6 - المرجع السابق، كتاب العلم ، رقم 99.

7 - رواه مسلم ، كتاب الإيمان ، رقم 26 ،

8 - عزاه الحافظ في الفتح إلى ابن اسحاق في (السيرة) أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أرسل العلاء بن الحضرمي قال له إذا سئلت عن مفتاح الجنة فقل لا إله إلا الله.

9 - سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة للألباني، رقم 3457.

ذُنُوبًا غُفِرَ لَهُ ذَلِكَ¹، وفيه أيضا " ليسَ على أَهلِ لا إِلَهَ اللهُ وحشةٌ في قبورِهِمْ ولا في النُّشُورِ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِمْ عِنْدَ الصَّيْحَةِ، يَنْفُضُونَ رِعْوسُهُمْ مِنَ التُّرَابِ، ويقولونَ الحمدُ لله الذي أَذْهَبَ عَنَّا الحزنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ"² وقال صلى الله عليه وسلم [لَتَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ كُلُّكُمْ // نوحه 91 //] إِلَّا مَنْ أَبَى وَشَرَدَ عَنِ اللَّهِ شُرُودَ الْبَعِيرِ عَنْ أَهْلِهِ، فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ الَّذِي يَأْبَى قَالَ مَنْ لَمْ يَقُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَأَكْثَرُوا مِنْ قَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَحُولَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهَا حَائِلٌ فَإِنَّهَا كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ، وَهِيَ كَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ وَهِيَ كَلِمَةُ التَّقْوَى، وَهِيَ الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ وَهِيَ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَهِيَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى وَهِيَ ثَمَنُ الْجَنَّةِ³ وفيه قال تعالى ﴿أَهْلُ جَزَاءٍ الْإِحْسَانِ إِلَّا﴾ [الْإِحْسَانِ]⁴ فَقِيلَ الْإِحْسَانُ فِي الدُّنْيَا قَوْلُهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي الْآخِرَةِ الْجَنَّةُ. وَيُرْوَى أَنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَتَتْهُ إِلَيْهِ صَحِيفَتُهُ فَلَا تَمُرُّ عَلَى خَطِيئَةٍ إِلَّا مَحَتْهَا حَتَّى تَجِدَ حَسَنَةً مِثْلَهَا فَتَجْلِسَ إِلَى جَنْبِهَا. وَفِي كِتَابِ عَبْدِ الْغَفُورِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَمُودًا مِنْ نُورٍ بَيْنَ يَدَيِ الْعَرْشِ فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ اهْتَزَّتْ ذَلِكَ الْعَمُودُ فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ أَسْكُنْ، فَيَقُولُ لَهُ: كَيْفَ أَسْكُنُ وَلَمْ تَغْفِرْ لِقَائِلِهَا فَيَقُولُ قَدْ غَفَرْتُ لَهُ فَيَسْكُنُ عِنْدَ ذَلِكَ]⁵. وفيه عن أَبِي ذَرٍّ [قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْصِنِي قَالَ أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِذَا عَمِلْتَ سَيِّئَةً فَأَتْبِعْهَا بِحَسَنَةٍ تَمْحُهَا قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمِنْ الْحَسَنَاتِ

1 - ذكره الغزالي في الإحياء الجزء الأول - ص 297

2 - نفس المرجع والصفحة.

3 - صحيح البخاري - كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة - باب الإقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم

رقم الحديث 6851

4 - الرحمن، الآية 60.

5 - كشف الأستار عن زوائد البزار، كتاب الأذكار، باب قل لا إله إلا الله.

لا إله إلا الله قال من أفضل الحسنات¹، وفيه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم [من قال لا إله إلا الله ثلاث مرات في يومه كانت له كفارة لكل ذنب أصابه في ذلك اليوم]²، وفيه "وذكر أبو الفضل بن الجوهري³ قال " إذا دخل أهل الجنة الجنة سمعوا أشجارها وأنهارها وجميع ما فيها، يقولون لا إله إلا الله فيقول بعضهم لبعض كلمة كنا نغفل عنها في الدنيا " وفيه أيضا قال " يهتز العرش لثلاث، لقول المؤمن لا إله إلا الله، ولكلمة الكافر إذا قالها، وللغريب إذا مات في أرض غربة " وعن بعض الصحابة رضي الله عنهم " من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه، ومدّها بالتعظيم، غفر له أربعة آلاف ذنب من الكبائر، قيل فإن لم تكن له هذه الذنوب، قال غفر له من ذنوب أبويه وأهله وجيرانه".

وذكر عياض في المدارك⁴ عن يونس بن عبد⁵{الله} : على أنه أصابه شيء فرأى في المنام قائلا يقول اسم الله الأكبر لا إله إلا الله فقالها ومسح على ما وجعه فأصبح معافا "، وذكر ابن الفاكهاني⁷ " أن ملازمة ذكرها عند دخول البيت ينفي الفقر " انتهى. (د) وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال [من قال لا إله إلا الله

1 - رواه الإمام أحمد في مسنده، مسند الأنصار، حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه.

2 - لم أعثر عليه

3 - أبو الفضل عبد الله بن الحسين المصري ابن الجوهري (ت 480هـ) ، كان من بحور الرواية ، روى الكثير وأملى مجالس عدة ، أنظر ترجمته في سير أعلام النبلاء - الطبقة الرابعة والعشرون ، الجزء 18 ص 68.

4 - ترتيب المدارك وتقريب المسالك لأبي الفضل القاضي عياض (ت 544هـ)

5 - يونس بن عبد الله بن الصفار القرطبي، عالم فقيه محدث مالكي وأحد قضاة الأندلس، من مصنفاته فضائل المنقطعين إلى الله عز وجل (ت 429هـ)، أنظر سير أعلام النبلاء الطبقة الثالثة والعشرين.

6 - سقطت من نسخة ب.

7 - هو عمر بن علي اللخمي الإسكندري تاج الدين الفاكهاني من أهل الإسكندرية، عالم بالنحو من مصنفاته الإشارة، المنهج المبين. ترجم له الزركلي في الإعلام .

خرج من فيه طائرٌ أبيضٌ له جناحانِ أبيضانِ مُكَلَّلانِ بالدرِّ والياقوتِ يعرج إلى السماءِ يُسمعُ له دويٌّ كدويِّ النحلِ فيقالُ له أَسْكُنْ، فيقولُ لا حتَّى يُغْفَرَ لقائلي، فيُغْفَرُ لقائليها ثم يُجعلُ للطائرِ بعد ذلكَ تحتَ العرشِ سبعونَ لساناً يستغفرُ لصاحبها إلى يومِ القيامةِ، فإذا كانَ يومُ القيامةِ جاء فأخذَ بيدَ صاحبه حتى يكونَ //

نوحه 92 // دليله إلى الجنة. وعن ابن عباس رضي الله عنه [أَنَّ جبريل عليه السلام جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم يوماً فوجدَهُ مَغْموماً فقال له: يا محمد مالي أراك مغموماً، قال: يا جبريل تفكرتُ في أمرِ أمتي يومَ القيامة قال: يا محمد في أمرِ أهلِ الكفرِ أم في أمرِ أهلِ الإسلامِ، قال: في أمرِ أهلِ الإسلامِ، قال فأخذَ بيده حتى أقامه على مقبرةِ بني سلمة، فضربَ بجناحه الأيمنَ على قبرٍ فقال قم بإذن الله، فقام الرجلُ مُبَيَضُ الوجهِ، وهو يقولُ لا إله إلا الله محمد رسولُ الله، الحمد لله رب العلمين، فقال له جبريل: عدْ، فعادَ كما كانَ أولاً ثم ضربَ بجناحه الأيسرَ على قبرٍ آخرٍ فقال: قم بإذن الله، فخرجَ منه رجلٌ مسود الوجهِ أزرق العينين،

وهو يقولُ وا حسرتاه واسوأته واندامتاه، ثم قال له جبريل عدْ، فعادَ كما كانَ ثم قال جبريلُ عليه السلام: على هذا يُبعثونَ يومَ القيامةِ على ما ماتوا عليه . م

وفضلُ هذه الكلمةِ كثيرٌ لا يمكنُ استقصاؤه وبهذا اختارَ الأئمةُ ملازمةَ هذا الذِّكرِ في كلِّ حالٍ، حتَّى أنَّ منهم من لا يفتُرُ عنه ليلاً ولا نهاراً ومنهم من يذكره بينَ اليومِ والليلةِ سبعينَ ألفَ مرةٍ، وأهلُ التسببِ والمشتغلينَ بالخدمةِ والصَّنائعِ اثني عشرَ ألفاً، وروى من قالها سبعينَ ألفَ مرةٍ كانت فداءه من النارِ. ثم قال " ولما كانَ تحقُّقُ هذا الخيرِ العظيمِ لذاكرِ هذه الكلمةِ موقوفاً على فهمِ معناها أولاً، ثم

استحضاره عند ذكرها ولو بطريق الإجمال ثانيًا، قَيَّدَتْ ذِكْرَهَا بِقَوْلِهِ مُسْتَحْضَرًا لِمَعْنَاهَا، فَاسْرَحْ يَا مَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِ بِلَا إِلَاهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، مَعَ فَهْمِ مَعْنَاهَا فِي رِيَاضِ الْجَنَّةِ، حَيْثُ شُنَّتْ وَكَيْفَ شُنَّتْ، نَسَأَلُهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يَجْعَلَنَا وَإِيَّاكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ خِيَارِ أَهْلِ لَا إِلَاهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَآلِهِ.

وأما كيفية ذكرها على الوجه الأكمل، فاعلم أن ذكر هذه الكلمة على كل حال بقصد القربة، يحصل به الثواب، لكن الأكمل الذي تردُّ به على القلب المواهب الإلهية والفتوحات الربانية، التي يقصُرُ عنها الوصفُ، أن يعظّمَ الذاكر ما عظّمَ الله تعالى، وأن يُحسِنَ أدبَهُ مع ما شَرَّفَ مولانا جلَّ وعزَّ. وقد علمتُ أن هذه الكلمة من أفضل الأذكار، وأشرفها عند مولانا جلَّ وعلا، فينبغي للمؤمن أن يعتنى بشأنها، فيتوضأ لها، ويلبس ثيابا طاهرة، ويقصد موضعا طاهرا، أو ليتحرَّ الخلوة والانفراد عن الخلق ما استطاع، ويقصد الأزمنة المشرفة، كما بعد الفجر إلى طلوع الشمس، وبعد العصر إلى غروبها وبين العشاءين والسحر، ويستقبل القبلة وليفتتح ورده بالاستغفار، ولو مائة مرة ليغسل باطنه، وأذنان المعاصي، ليتهيَّء لتخليه ما يردُّ عليه ذلك من أنوار بقية أوراده // نوحه 93 // ثم ليتبع إثر ذلك صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم و لو خمس مائة مرة، ليستنير بها باطنه ويتهيَّأ لحمل ما يردُّ عليه من سرِّ التَّهْلِيلِ بعده، وليقصد بذلك كله امتثال أمر الله سبحانه وطلب رضاه، وليستحضر عند ذلك شدة الحياء من المولى الكريم، مع أبلغ الافتقار وشدة الحاجة والفاقة واللجأ إلى أرحم الراحمين، مع اختقار نفسه وانكسارها إذ لم يرها أهلا لمناجاة من أوجد الكائنات كلها، وافترق جميعها إليه وهو الغني على الإطلاق

ذو الفضل العظيم، قائلاً عند افتتاح كل ذكر: لبيك مولاي وسعديك والخير كله في يديك، وهذا عبدك الضعيف¹ الذليل الحقير، عليك معولُه في باطنه وظاهره، يقول بتوفيقك ممتثلاً لأمرِكَ مُستعيناً بك، اللهم إني أَسْتَغْفِرُكَ يا مولاي، وأتوبُ إليك من جميع الكبائر والصغائر وهفوات الخواطر، اللهم إني أتوبُ إليك منها لا أَرْجِعُ إليها أبداً، وليحمد الله تعالى، إثر كلِّ ذكرٍ، مستحضراً قدرَ هذه النعمة التي وفقه الله إليها لبذئها وتاممها، يقول في هيئة ذلك: الحمد لله الذي أنعم علينا بنعمة الإيمان والإسلام، وهَدانا بسيدنا ومولانا محمد عليه من الله تعالى أفضل الصلاة وأزكى السلام، والحمد لله الذي هَدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هَدانا الله، أو غير ذلك من المحامد والاستغفار ممَّا يراه قويُّ التأثير في باطنه والذي يعينه على ذلك أن يتعوَّذَ امتثالاً لقوله تعالى ﴿ فَلَمَّا قَرَأَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾² أي فإذا أردت أن تقرأ وليتلُ إثر ذلك قوله تعالى (وما تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَقْبَلُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْراً واستغفروا لله إن الله غفورٌ رحيمٌ)³ فاستشعر عند ذلك خطاب المولى الكريم وطلبه من العبد الضعيف الاستغفار، واللُّجأ إليه فذاب عند ذلك من شدة الحياء كما تقدَّم، ثم ليشرع إثر ذلك في التعوذ كما تقدَّم قاصداً لتلاوة قوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾⁴ وليستحضر القلب شرف سيدنا ومولانا مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلَّم عند الله تعالى عندما

1 - ساقطة من ب .

2 - النحل الآية: 98.

3 - المزملة الآية 20.

4 - الأحزاب الآية 56.

يُصَلِّي عَلَيْهِ، وَيَتَخِيلُ صُورَتَهُ الطَّاهِرَةَ الرَّكِيَّةَ الْعَدِيمَةَ الْمِثَالِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
ثُمَّ لِيُجِبَ أَمْرَ مَوْلَانَا الْعَزِيزِ، يَقُولُ لَبِيكَ اللَّهُمَّ وَسَعْدِيكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ وَهَذَا
هُوَ الْعَبْدُ الْفَقِيرُ الْحَقِيرُ، رَاكِنٌ لِمَنْعِ جَنَابِكَ، مَتَوَسِّلٌ إِلَيْكَ بِأَفْضَلِ أَحْبَابِكَ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ بِتَوْفِيقِكَ مُمْتَثِلًا لِأَمْرِكَ مُسْتَعِينًا بِكَ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ، اللَّهُمَّ صَلِّ
عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ، رَسُولِكَ وَدَلِيلِكَ، صَلَاةً أَرْقَى بِهَا مَرَاثِيَ الْإِخْلَاصِ، وَأَنَالَ
بِهَا غَايَةَ الْإِخْتِصَاصِ، // نُوْحَةٌ 94 // وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا عَدَدَ مَا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُكَ،
وَأَحْصَاهُ كِتَابُكَ، أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ، ثُمَّ لِيَتَعَوَّذَ إِثْرَ ذَلِكَ قَاصِدَا التَّلَاوَةِ، قَوْلُهُ تَعَالَى فَاعْلَمْ
أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ثُمَّ لِيُجِبَ أَمْرَ مَوْلَانَا الْعَزِيزِ، يَقُولُ لَبِيكَ اللَّهُمَّ وَسَعْدِيكَ وَالْخَيْرُ
كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَهَذَا عَبْدُكَ الضَّعِيفُ الذَّلِيلُ الْحَقِيرُ، يَمْدُحُكَ بِالتَّهْلِيلِ مُتَخَلِّيًا مِنْ كُلِّ
شَرِكٍ وَمِنْ كُلِّ تَغْيِيرٍ وَتَبْدِيلٍ، يَقُولُ مُخْلِصًا مِنْ قَلْبِهِ ذَاكِرًا لِرَبِّهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّد
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى آخِرِ دَوْرٍ سُبْحَتِهِ، أَوْ مَا شَاءَ مِنْ ذَلِكَ،
وَلِيَحْفَظَ عَلَى إِحْضَارِ قَلْبِهِ لِمَعْنَى التَّهْلِيلِ، لِيَفُوزَ بِثَمَرَاتِهِ وَيَسْتَضِيءَ قَلْبُهُ بِعَظِيمِ
أَنْوَارِهِ، وَتَحْصُلَ لَهُ الْحُرِّيَّةُ الْعُظْمَى، مِنْ رَقَّةٍ لَشَيْءٍ مِنَ الْكَائِنَاتِ، وَيَتَحَلَّى بِالرُّتْبَةِ
الْعُلْيَا وَالشَّرَفِ الْأَبْهَى، وَذَلِكَ بِاسْتِنَادِهِ عِلْمًا وَحَالًا، ظَاهِرًا وَبَاطِنًا إِلَى مَوْلَاهِ الْمُنْفَرِدِ
بِالْمُلْكِ، الَّذِي لَا نَافِعَ وَلَا ضَارَّ سِوَاهُ عَلَى الْعَمُومِ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَلِهَذَا كَانَتْ هَذِهِ
الْكَلِمَةُ الْمَشْرُفَةُ جَامِعَةً بَيْنَ التَّخْلِيعِ¹ وَالتَّخْلِيَةِ، فَيُخْلِي الذَّاكِرُ أَوَّلًا مِنْ قَلْبِهِ، وَيَطْرُدُ
عَنْهُ جَمِيعَ الْخَوَاطِرِ الْوَهْمِيَّةِ، وَجَمِيعِ الْكَائِنَاتِ الَّتِي اسْتَعْبَدَتْهُ مِنْ جَاهٍ وَمَالٍ، وَنِسَاءٍ
وَبَنِينَ وَدِينَارٍ وَدِرْهَمٍ وَمَذْحٍ وَذَمٍّ، وَنَحْوَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْ لَيْسَ ثَمَّ سِوَى مَوْلَانَا

1 - التخليعة و التحلية من السلوكيات الصوفية ، والتخليعة تعني تطهير النفس من رذائلها والتحلية ملؤها بالأخلاق الفاضلة .

جَلَّ وَعَزَّ، الذي هو غَنِيٌّ في نَفْسِهِ وكلُّ ما سِوَاهُ مُفْتَقِرٌ إِلَيْهِ عاجِزٌ، عن إِيصَالِ
أَمْرِ ما لِنَفْسِهِ أو إلى غَيْرِهِ، فَلَمَّا غَسَلَ الذَّاكِرُ قَلْبَهُ بِذَلِكَ النَّقْيِ القَوِيِّ العامِّ، مِنْ كُلِّ
ما سِوَى مَوْلَانَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَصَلَى على الكَوْنَيْنِ الذَيْنِ هو مِنْ جُمْلَتِهِمَا صَلَاتُهُ
على المَيِّتِ المَعْدُومِ أَرْبَعًا، وَخَتَمَ بِالسَّلَامِ حِلَاهُ حِينَئِذٍ بِزِينَةِ الدُّخُولِ فِي حَضْرَةِ
المُلْكِ العَلامِ، فَقَالَ قَوْلَ المُضْطَرِّ الأَوَاهِ اليائِسِ يَأْسًا قَطْعِيًا دَائِمًا مِنْ كُلِّ ما سِوَى
مَوْلَانَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى، إِثْرَ نَفْيِ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَلَمَّا ابْتَهَجَ قَلْبُهُ بِنُورِ الحَقِيقَةِ، وَكَانَ
الانْتِقَاعُ مَوْقُوفًا على القِيَامِ بِرُسُومِ الشَّرِيعَةِ، وَذَلِكَ لا يَكُونُ إِلَّا بِالْإِدْمَانِ على ذِكْرِ
صَاحِبِهَا، المُبَلِّغِ لَهَا عَنْ اللهُ تَعَالَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
اِحْتِاجَ الذَّاكِرِ أَنْ يَشْفَعَهَا بِإِثْبَاتِ رِسَالَةِ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
لِيَحْفَظَ نُورَ تَوْحِيدِهِ بِإِدْخَالِهِ فِي مَنِيعِ حَرِّ الشَّرِيعَةِ، فَلِهَذَا يَقُولُ الذَّاكِرُ إِثْرَ لا إِلَهَ
إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ هُوَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَبِ اللهِ
الأَعْظَمِ الَّذِي لا يُنَالُ كُلَّ خَيْرٍ دُنْيَا وَآخِرَى، إِلَّا بِالتَّعَلُّقِ بِهِ فَمَنْ غَفَلَ عَنْ ذِكْرِهِ
والتَّمَسُّكِ بِشَرْعِهِ، لَمْ يَنْلُ مَقْصَدَهُ وَكَانَ مَرْضِيًّا بِهِ فِي سِجْنِ القَطِيعَةِ، مَحْرُومًا مِنْ
خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، ثُمَّ قَالَ بَعْضُ مَنْ طَبَعَ اللهُ تَعَالَى على قَلْبِهِ مَقَالَةً قَرِيبَةً مِنْ
الكُفْرِ، أَوْهَى الكُفْرَ بَعَيْنِهِ أَنَّ الإِكْثَارَ مِنْ ذِكْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِجَابٌ
عَنِ اللهِ تَعَالَى، وَسَلَكَ بَعْضُ الضَّالِّينَ مِثْلَ هَذِهِ العِبَارَةِ فَقَالَ: إِذْ فَرَدُّ التَّهْلِيلُ//لَوْحَةٍ
95//عَنْ إِثْبَاتِ الرِّسَالَةِ أَبْلَغُ وَأَسْرَعُ فِي تَأْثِيرِ مَعْنَى التَّوْحِيدِ، وَاحْتِجَّ لَضَلَالِهِ وَتَسْوِيلِ
شَيْطَانِهِ، بَأَنْ قَالَ لِلتَّهْلِيلِ مَعْنَى وَلِإِثْبَاتِ الرِّسَالَةِ مَعْنَى، وَإِذَا اخْتَلَفَتِ المَعَانِي على
البَاطِنِ، ضَعُفَ التَّأْثِيرُ، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا مَكْرٌ وَاسْتِدْرَاجٌ إِلَى رَفْضِ الشَّرِيعَةِ، وَالْإِنْحِلَالِ
مِنْ رِبْقَتِهَا وَتَعْطِيلِ رُسُومِهَا، وَلَوْ عَلِمَ هَذَا الضَّالُّ ما تَحْتَ قَوْلِكَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ

صلى الله عليه وسلم من الأسرار التوحيدية، والحكم التَّهْلِيلِيَّة، لَأَنْفَعَش عَنْكَ ذَلِكَ الْعَمَى فَأَصَابَ الْمَرْمَى انْتَهَى.

باختصار، اللهم أعِزَّنَا مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ، وَأَمَّا مَا يَخْصُلُ لِذَاكِرِهَا عَلَى الْوَجْهِ الْأَكْمَلِ، فَلنُشِرْ إِلَى نَقْطَةٍ مِنْ بَحْرِ كَرَامَاتِهَا كَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ الشَّيْخُ (م) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهِيَ عَلَى قَسَمَيْنِ مِنْهَا مَا يَرْجِعُ إِلَى مُحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ الدِّينِيَّةِ وَمِنْهَا مَا يَرْجِعُ إِلَى الْكَرَامَاتِ الَّتِي هِيَ خَوَارِقُ. فَمِنْ الْأَوَّلِ اتِّصَافُهُ بِالزُّهْدِ وَنَعْنِي بِهِ خُلُوُّ الْبَاطِنِ مِنَ الْمِيلِ إِلَى فَاِنٍ، وَفِرَاقُ الْقَلْبِ مِنَ الثِّقَّةِ بِزَائِلٍ، وَإِنْ كَانَتْ الْيَدُ مَعْمُورَةً بِمَتَاعٍ حَلَالٍ، فَعَلَى سَبِيلِ الْعَارِيَةِ الْمُخْضَةِ، وَتَصَرُّفُهُ فِيهِ بِالْإِذْنِ الشَّرْعِيِّ تَصَرُّفَ الْوَكَالَةِ الْخَاصَّةِ، يَنْظُرُ الْعَزْلُ عَنْ ذَاتِ التَّصَرُّفِ بِالْمَوْتِ أَوْ غَيْرِهِ، وَذَلِكَ يَنْفِي عَنِ النَّفْسِ التَّعَلُّقَ بِمَا لَا بُدَّ مِنْ زَوَالِهِ. وَمِنْهَا التَّوَكُّلُ، وَهُوَ ثِقَةُ الْقَلْبِ بِالْوَكِيلِ الْحَقِّ، بِحَيْثُ يَسْكُنُ عَنِ الْاضْطِرَابِ، عِنْدَ تَعَدُّرِ الْأَسْبَابِ ثِقَةً بِمُسَبِّبِ الْأَسْبَابِ، وَلَا يَقْدَحُ فِي تَوَكُّلِهِ لُبْسُ ظَاهِرِهِ بِالْأَسْبَابِ، إِذَا كَانَ قَلْبُهُ فَارِغًا مِنْهَا، يَسْتَوِي عِنْدَهُ وَجُودُهَا وَعَدَمُهَا، وَمِنْهَا الْحَيَاءُ بِتَعْظِيمِ اللَّهِ عِزَّ وَجَلٍّ، بِالتَّزَامِ ذِكْرِهِ وَالتَّزَامِ امْتِنَالِ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَالْإِمْسَاكِ عَنِ الشَّكْوَى بِهِ لِلْعَجْزَةِ وَالْفُقْرَاءِ غَيْرِهِ. وَمِنْهَا الْغِنَى وَهُوَ غِنَى الْقَلْبِ، بِسَلَامَتِهِ مِنْ فِتَنِ الْأَسْبَابِ فَلَا يَعْتَرِضُ عَلَى الْأَحْكَامِ، بَلَوٌ وَلَا بَلْعٌ لِعِلْمِهِ بِمَنْ صَدَرَتْ مِنْهُ، جَلَّ الْمَنْفَرْدُ بِالْخَلْقِ وَالتَّدْبِيرِ، وَمِنْهَا الْفَقْرُ وَهُوَ نَفْضُ يَدِ الْقَلْبِ مِنَ الدُّنْيَا حِرْصًا وَإِكْثَارًا، لِقَطْعِهِ بِأَنَّ حَاجَتَهُ لَيْسَتْ عِنْدَ شَيْءٍ مِنْهَا وَلِسُكُوتِ اللِّسَانِ عَنْهَا بِالْكَلِّيَّةِ مَذْحًا وَذَمًّا، وَمِنْهَا الْإِيثَارُ عَلَى نَفْسِهِ بِمَا لَا يَذْمُهُ الشَّرْعُ، وَمِنْهَا الْفُتُوَّةُ وَهُوَ التَّجَافِي عَنْ مُطَالَبَةِ الْخَلْقِ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ، وَلَوْ أَحْسَنَ إِلَيْهِمْ لَعَلِمَهُ بِأَنَّ إِحْسَانَهُ إِلَيْهِمْ وَإِسَاءَتِهِمْ إِلَيْهِ كُلُّ ذَلِكَ مَخْلُوقٌ لِلَّهِ تَعَالَى، وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْلَمُونَ، فَلَمْ يَرِ

لنفسه إحساناً حتى يطلب عليه جزاءً، ولم يرَ لهم إساءةً حتى يذمهم عليها، اللهم إلا أن يكون الشرع هو الذي أمر بذمهم ومُعاقبتهم فليُفعل حينئذ ما أمر به الشرع ليقوم بوظيفة التعبد فقط، وهذه الفتوة هي من المسالمة. ومنها الشكر وهو إفراذ القلب بالثناء على الله تعالى، ورؤية النعم منه في طي النعم، والفوائد كثيرة ومن أرادها فليجتهد في أسبابها فسيعرفها بالدوق. انتهى // لوحة 96 // (غ) لا إله إلا الله على مدينة إنسانيتك لم يبق في دائرة دارك ديّاراً، ولم يسلكها أحد من العمار، ولم يبق لك معه قرار ﴿لَا تُبْقَى وَلَا تَذَرُ﴾¹ ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا مَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَ أَهْلِهَا آلَةً﴾² فيصير عز كبرك مذلةً وتواضعاً، وعز كثرتك قلة، وعز وجودك محواً، وعز بقائك محواً، وتبدل كل صفة مذمومة {بصفة}³ محمودة، وتنتقل من عز هو ذل إلى ذل هو عز، وينقطع منها شجر صفاتك المذمومة، ويزول عنها عواسج الكفر والتعطيل ويذهب منها شوك التشبيه والتّمثيل، ويغرس فيها ریحان الإيمان والتّوحيد، وينبت فيه التّزیه والتّقرير وتتّنع صفاتك المحمودة، ﴿وَالْبَلَدُ الْكُصِيبُ يَجْرُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالْخِخْيُ لَا يَجْرُ إِلَّا نَحْلاً﴾⁴، كل سلطان لولايته أمر معدود وحدّ محدود، إلا سلطان لا إله إلا الله، فإن ولايته ثابتة أبد الأبد وباقية مدا السّرم شملت الأولين والآخرين طائعين وكارهين.

1 - المدثر - الآية 28

2 - النمل - الآية 34

3 - بكل صفة، في نسخة أ لكن فضلنا ما هو موجود في نسخة ب.

4 - الأعراف - الآية 58

شجرة لا إله إلا الله، شجرة السَّعَادَةِ، فَإِنْ غَرَسَتْهَا فِي مَنْبَثِ التَّصَدِيقِ، وَسَقَيْتَهَا بِمَاءِ الْإِخْلَاصِ وَرَاعَيْتَهَا بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ، رَسَخَتْ عُرْوُفُهَا وَثَبَتَتْ سَاقُهَا وَاخْضَرَّتْ أَوْراقُهَا، وَانْبَعَثَتْ ثِمَارُهَا وَتَضَاعَفَتْ ﴿تَوَتَّى أَكَلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾¹. فَإِنْ قَلَّتْ مَا ثَمَرَةُ هَذِهِ الشَّجَرَةِ ؟ قَلَّتْ التَّوْبَةُ وَالْيَقِظَةُ وَالزُّهْدُ وَالْوَرَعُ وَالتَّوَكُّلُ وَالتَّفْوِيزُ وَالتَّسْلِيمُ، وَكُلْ صِفَةٍ مِنْ الصِّفَاتِ الْبَاطِنَةِ الرُّوحَانِيَةِ، وَكُلُّ خُصْلَةٍ مِنْ الْخِصَالِ الظَّاهِرَةِ الْجِسْمَانِيَةِ، وَإِنْ غَرَسْتَ هَذِهِ الشَّجَرَةَ فِي بَيْتِ التَّكْذِيبِ وَالشَّقَاقِ، وَسَقَيْتَهَا مِنْ مَاءِ الرِّيَاءِ وَالنِّفَاقِ، وَعَاهَدْتَهَا بِالْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ، وَرَاعَيْتَهَا بِنَقْضِ الْعَهْدِ وَتَضْيِيعِ الْأَمَانَةِ، وَلَقَّحْتَهَا بِعَجِيبِ الْهَجْرِ، تَنَاسَرَتْ ثِمَارُهَا وَانْقَطَعَتْ عُرْوُفُهَا وَهَبَتْ عَلَيْهَا عَوَاصِفُ الْقَدَرِ وَمَزَقَتْهَا كُلُّ مُمَزَّقٍ ﴿وَقَحْمًا لَنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَبَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾²، مَنْ اسْتَظَلَ بِظِلِّ هَذِهِ الشَّجَرَةِ فَقَدْ ظَفَرَ، وَمَنْ لَا فَقَدْ خَسِرَ.

هَذِهِ الْكَلِمَةُ نَتِيجَتُهَا مَعْرِفَةُ الْوَحْدَانِيَّةِ، وَثَمَرَتُهَا الْإِقْرَارُ بِالْفَرْدَانِيَةِ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى [عَبْدِي خَلَقْتُكَ مِنْ أَجْلِ التَّوْحِيدِ وَخَلَقْتُ الْأَشْيَاءَ مِنْ أَجْلِكَ بَيْنَ الْعَالَمِ الْعُلَوِيِّ وَالْعَالَمِ السُّفْلِيِّ وَمَا بَيْنَهُمَا، وَالْمَوْجُودَاتِ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ وَالنبَاتَاتِ وَالْجَمَادَاتِ وَالْأَرْضِ تَقْلُكَ وَالسَّمَاءِ تُظَلُّكَ وَالْمَلَائِكَةُ تَحْفَظُكَ وَالنَّيِّرَانُ الْعُلَوِيُّ تُضِيءُ عَلَيْكَ وَالْمَوْجُودَاتُ السُّفْلِيَّةُ مَحَلُّ تَصَرُّفِكَ، فَالْكَوْنُ مَخْلُوقٌ لِأَجْلِكَ وَأَنْتَ مَخْلُوقٌ لِأَجْلِ التَّوْحِيدِ، فَكُلُّ الْخَلْقِ إِذَا إِنَّمَا خُلِقَ لِأَجْلِ التَّوْحِيدِ³ وَالْإِقْرَارِ بِالْفَرْدَانِيَةِ،] كُنْتُ كَنْزًا مَخْفِيًّا لَا أَعْرِفُ فَخَلَقْتُ

1 - إبراهيم - الآية 25

2 - الفرقان الآية 23.

3 - لأجل الوجدانية في الحديث

الخلق لأَعْرِفَ] ¹ ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ²، عِبْدِي خَلَقْتُ الْأَشْيَاءَ كُلَّهَا مِنْ أَجْلِكَ وَخَلَقْتُكَ مِنْ أَجْلِي فَاشْتَغَلْتُ بِمَا خَلَقْتُ لَكَ عَنِّي فَمَا أَدَّيْتُ شُكْرَ نِعْمَتِي، كُلُّ نِعْمَةٍ أَشْغَلَتْكَ عَنِّي فَهِيَ نِعْمَةٌ // لَوْحَةٌ 97 // { أَنَا الَّذِي أَفْعَلُ مَا أَشَاءُ وَأُحْكَمُ مَا أُرِيدُ، أُعْطِيَ لَا لِبَاعِثٍ، وَأُمْنَعُ لَا بِقَلَّةٍ، وَأُسْعِدُ لَا لِعَلَّةٍ، وَأُخْذِلُ لَا لِقَلَّةٍ وَأُعْطِيَ لَا لِلشُّكْرِ لَا مِنْ حَاجَةٍ، جَلَّتِ الْأَحْدِيَّةُ، وَتَقَدَّسَتِ الصَّمَدِيَّةُ عَنِ الْبَوَاعِثِ وَالْعِلَلِ، لَيْسَ فِي الْوُجُودِ إِلَّا أَنَا، فَلَا تَشْتَغِلْ إِلَّا بِي، وَلَا تُقْبَلْ إِلَّا عَلَيَّ إِنْ حَصَلَتْ لَكَ فَقَدْ حَصَلَ كُلُّ شَيْءٍ، وَإِنْ فُتِّكَ فَاتَكَ كُلُّ شَيْءٍ. باختصار ³.

قال صاحبُ السِّرِّ المَصُون قال ابنُ عطاء ⁴: " لو رأيتَ ما فيكَ لرأيتَ العجائبَ تطأُ على الكنزِ ولا تعرفُهُ، وتذهبُ تطلبُ منَ الناسِ وهي لا إلهَ إلا الله يعني محمدٌ رسولُ الله، فإذا قَلَّتْهَا كَانَ لَهَا بواطنٌ كثيرةٌ في اللِّسانِ وفي اليدِ بالكتابةِ وغير ذلكَ فما دامتْ مكتوبةً كُنْتُ جَانِياً مِنْهَا غَرْسَكَ وَمَنْ غَرَسَ جَنًا وَمَنْ وَجَدَ اللهَ تعالى ولم يعترفْ برسالةِ نبيِّه محمد صلى الله عليه وسلم ردَّ عليه تَوْحِيدُهُ، وَمَحَلُّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ المِيزَانُ وَمَحَلُّهَا الصُّحُفُ فَإِذَا قَلَّتْهَا كَتَبَهَا الْمَلَكُ وَبَيَّنَّتْهَا عَمَلُ كُلِّ عَامِلٍ إِلَى حَيْثُ قَدَرِ هِمَّتِهِ، وَعُكَّازُ الْمُرِيدِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ أَيُّ عَصَاهُ الَّتِي يَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَيَهْشُ بِهَا عَلَى عَوَالِمِهِ الْبَاطِنَةِ وَلَهُ فِيهَا مَارَبٌ أُخْرَى مِنَ الْفُتُوحَاتِ وَأَعْظَمُهَا يَقْظَتُهُ مَنْ غَفَلَتْهُ وَتَجَوَّهَرُ قَلْبُهُ بِذِكْرِ اللهِ، فَإِنَّ الْعَطَاءَ عَلَى الْغَيْبَةِ عِنْدَ الصِّدِّيقِينَ كَالْحِرْمَانِ

1 - بغية المريد في رسائل التوحيد لمحمد أبي حامد الغزالي الطوسي - المطبعة المحمودية التجارية - مصر - ص 34/33.

2 - سورة الذاريات - الآية 56

3 - نفس المصدر والصفحة بتصرف كبير.

4 - ابن عطاء الله السكندري

والوصول إلى حضرة الأحاب أنفس من العطاء عند أولي الألباب و بها يأمر
الأشياخ التلامذة في البدايات ومنها يخرج لكل واحد اسمُه اللائق به، ومنها تتفجر
المعارف، ومن أراد الفتح فليزَم ذكرًا واحدًا حتى يفتح له " انتهى. وبالله تعالى
التوفيق.

القسم الثاني : وهو ما يرجع إلى الكرامات، (م) فمنها وضع البركة في الطعام
ونحوه، حتى يكثر القليل ويكفي اليسير، وهذا مشاهد لأولياء الله تعالى كثيرا،
ومنها تيسير دنانير أو دراهم أو كليهما، أو غير ذلك مما تدعو إليه الحاجة، وقد
كان بعض المشايخ في أول أمره حاددا يتعذر عليه شغل الحداة تعذرا شرعيا
فكان إذا مضى و صفة ذكره يرفع رأسه فيجد في حجره درهما يشتري به قوت ذلك
اليوم، ونقل عن الشيخ ابن عبد الله الثوري، أنه احتاج كسوة لأولاده وزوجته، وكان
كثير الأولاد فاشتري شقة وذهب بها إلى الخياط، فأعطاه طرفها الواحد وأمسك
تحتة الطرف الآخر، فجعل الخياط يخطي بها ويفصل منها شيئا بعد شيء، حتى
صنع منها أثوابا عدة، تشهد العادة بأن ذلك لا يكون من شقة واحدة، فطال ذلك
على الخياط، فقال له يا سيدي هذه شقة ما تتم أبدا، فقال له الشيخ خوف الفتنة قد
تمت ورمى له بباقيها من تحتة. وكان بعض المشايخ لا ينتصب للذكر ولا للصلاة
على سجداته في خلوته إلا ويخلق الله على سجداته وتحتها دراهم جددا، وكان له
عائلة وأولاد فكان إذا رآه يأخذ في التوجه للصلاة وللذكر يحدقون به يرتقبون
انفصاله فإذا انفصل التقطوا تلك الدراهم، فمنهم المقل ومنهم المكثر وداموا على
ذلك حتى تحدثوا به وشاع الحديث، ومنها أن يكشف له عن حقيقة ما يريد
استعماله من الطعام فيعرف حلاله من حرامه من متشابهه بإجارة يجدها إما من

باطنِه أو ظاهرِه أومنْ غيرِه، وكرامةُ هذا البابِ كثيرةٌ لا تنحصرُ، إلا أنَّ المؤمنَ لا يقصدها بشيءٍ عن طاعته وإلاَّ دخلَ عليكَ الأَشْرَكُ الأصغرُ وهو العملُ لغيرِ اللهِ ومكر به والعيادُ باللهِ . إذن فيها ممَّا يجبُ أن يُصَفِّي منها قلبُه عندَ ذكرِ كلمةِ التوحيدِ، فليقطعَ التفاتَه إليها بالكليَّةِ وليكن مقصدهُ رضا مَولاه الذي لا إلهَ إلا هو، قال صاحبُ السِّرِّ المصونِ: "وذكر لي بعضُ من أثقُ به من فضلاء الأندلسِ أنَّه كانَ هناكَ شيخٌ لا يزيدُ على لا إلهَ إلا الله ،يعني محمدُ رسولُ الله شيئاً من الأذكارِ، وكانَ إذا أرادَ حاجةً عندَ اللهِ أو عندَ بني آدمَ، استفتحَ ذِكْرَ لا إلهَ إلا الله فقضى حاجتَه على أحسنِ وجهٍ في الوقتِ، قالَ وكانَ إذا قالها وضربَ برجلِه الأرضَ اهترَّتْ" انتهى. وسيأتي إن شاء الله مزيدُ بيانٍ لآدابِ هذا الذِّكْرِ العظيمِ في فصلِ آدابِ الذِّكْرِ والقراءة، ولتعلَّم أنا قد أطلنا في فصلِ هذه الكلمةِ المُشرِّفة، إذ هي القُطْبُ لسائرِ العباداتِ وعليها مدارُها وهي كالرُّوحِ لسائرِ الأعمالِ والقواعدِ فلا نفعَ لها إلاَّ بعدَ تحقُّقِها وكالقلبِ للجسدِ إذا صلحَ صلحَ الجسدُ كله، وإذا فسدَ فسدَ الجسدُ كله وكأمُ القرآنِ للصلاةِ تغني عن غيرها بل نقول إن هذا قليل في حقها ونزر يسير من بحر علومها فيحقُّ للمكلف ألا يشتغلَ إلا بها والله المستعان.

الفصل الثاني في الصلاة فرضاً ونقلاً وآدابها

اعلم وفقكَ اللهُ وإيانا أن هذا الفصل أعني فصل الصلاة هو غايةُ المطلوبِ في هذه القاعدةِ الثانيةِ وفائدةٌ مقصودةٌ إذ عليها المدارُ لأنَّ موضعها من الدِّينِ كموضعِ الرأسِ من الجسدِ، وهي أولُ شرائعِ الإسلامِ بعدَ شهادة أن لا إلهَ إلا الله، على يقينِها والإخلاصِ لها دومًا ذلكَ والله أعلمُ إلا لأجلِ ما وردَ فيها من الفضلِ

العظيم والترغيب من المولى الكريم، قال تعالى ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾¹، وهي أفضل ما يتقرب به إلى الله تعالى وأول عمل ينظر فيه يوم القيامة فإن أتى بها العبد تامة برُكوعها وسُجودها وما أمر به من طهارة حدث وخبث وغير ذلك من سائر أعمالها نظر² في بقية عمله، وإلا لم ينظر في شيء من عمله، ولِعَظَمَ قدرها ورفعة شأنها، فُرِضَتْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَوْقَ سَبْعِ سَمَوَاتٍ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ، بِخِلَافِ سَائِرِ الْفَرَائِضِ إِنَّمَا فُرِضَتْ بِالْأَرْضِ، وَيُدُلُّ عَلَى أَنَّهَا أَفْضَلُ مَا يُتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى. إِنَّ تَقَرُّبَاتِ الْعِبَادِ كُلِّهَا ثَلَاثَةٌ أَقْسَامٍ، أَحَدُهَا حَقٌّ لِلَّهِ تَعَالَى فَقَطْ، كَالْإِيمَانِ بِمَا يَجِبُ وَمَا يَجُوزُ وَمَا يَسْتَحِيلُ فِي حَقِّهِ تَعَالَى، وَثَانِيهَا حَقٌّ لِلْعِبَادِ فَقَطْ، بِمَعْنَى أَنَّهُ يُمَكِّنُهُمْ مِنْ اسْتِيفَائِهِ وَإِسْقَاطِهِ، وَإِلَّا فَمَا مِنْ حَقٍّ لِلْعِبَادِ إِلَّا وَفِيهِ حَقٌّ لِلَّهِ تَعَالَى، وَهُوَ أَمْرٌ بِإِيصَالِهِ لِمُسْتَحَقِّهِ كَأَدَاءِ الدُّيُونِ، وَرَدِّ الْعُصُوبَاتِ وَالْوَدَائِعِ، وَثَالِثُهَا حَقٌّ لِلَّهِ تَعَالَى وَحَقٌّ لِلْعِبَادِ، وَالْغَالِبُ فِيهِ مَصْلَحَةُ الْعِبَادِ كَالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالْكَفَّارَاتِ وَالصَّلَاةُ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى ذَلِكَ كُلِّهِ، فَعَلَى حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى كَالنِّيَّةِ وَالتَّكْبِيرِ وَالْقِرَاءَةِ وَالرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَعَلَى حَقِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَالصَّلَاةِ عَلَيْهِ وَالتَّسْلِيمِ وَالشَّهَادَةِ لَهُ بِالرِّسَالَةِ وَعَلَى حَقِّ الْمُكَلَّفِ وَهُوَ دَعَاؤُهُ لِنَفْسِهِ، بِالْهُدَايَةِ وَالْإِعَانَةِ عَلَى الْعِبَادَةِ وَعَلَى حَقِّ الْمَلَائِكَةِ وَالْمُقَرَّبِينَ، وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِينَ، بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِمُ وَالتَّسْلِيمِ، وَكَذَا السَّلَامُ عَلَى مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنَ الْحَاضِرِينَ فَكَانَتْ أَفْضَلُ الْعِبَادَاتِ لِعُمُومِ نَفْعِهَا، وَأَيْضًا فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ

1 - البقرة الآية 238.

2 - زيادة من ب

المَلَائِكَةُ لعبادته فمنهم قائمٌ، ومنهم راکعٌ ومنهم ساجدٌ، ومنهم قاعدٌ للتقديس والتمجيد والتسبيح والتعظيم والتهليل والتكبير، فأعطانا الله سبحانه هذه العبادات كلها في الصلاة فكانت أفضل العبادات لما ذكرنا انتهى.

قلت: ومن أجل ذلك ينبغي أن يكون كلامنا فيها على سبيل الاختصار في مواضع، د في آداب الخلاء والاستبراء، وما يُعفى عنه من النجاسة وفي آداب الوضوء و نواقضه وفي آداب الغسل وموجباته، وفي التيمم وشروطه ونواقضه وفي الآذان والإقامة، وفي آداب المسجد والخروج إليه وما بعد الصبح إلى الطلوع وحكم الجماعة وفضائلها، والإمامة وفي الجمعة، وفي آداب الاستعداد لسائر الصلوات، وفي أقسامها وفي فرائضها التي تنبطل بترك شيء منها، وسننها التي يجب السجود لأجلها وفضائلها ومكروهاها، ومفسداتها وفي آداب الإقبال عليها وفضائلها، وحكم تاركها ومؤخرها عن وقتها، وفي آداب ما بعد الضحى إلى الزوال وفي آداب قيام الليل والنوم وفضائلهما، أما آداب الخلاء لقضاء حاجة البول والغائط والاستبراء منهما، فينبغي للمريد أن يتباعد عن الناس حتى لا يرى له شخص ولا يسمع له صوت، وذلك مما يستدل به على حياء المرء وأن يستعد لذلك بالماء والأحجار // نوحه 98 // وأن يُقدّم الشمال في الدخول عكس الخروج وعكس المسجد والمنزل يُمناهُ فيهما ، وأن يتعوذ التعوذ الوارد في ذلك وهو [أعوذ بالله اللهم إني أعوذ بك من الخُبثِ والخَبائثِ]¹ وفي رواية النجس الرجس الشيطان الرجيم وعند الخروج يقول [الحمد لله الذي أذهب عني الأذى وعافاني] وفي الرسالة

1 - رواه البخاري ، الحديث رقم 6322 ، و مسلم - كتاب الحيض - باب ما يقال إذا أراد دخول الخلاء ، الحديث رقم 375.

"الحمد لله الذي رزقني لذته وأخرج عني مشقته وأبقى في جسدي قوته " وألاً
يستقبل القبلة ولا يستدبرها إلا في المنازل المبنية فلا بأس، واختلف في السطح
وشبهه، فأجيز وكرهه، وكذا حكم الجماع، واختلف أيضاً في استقبال الشمس والقمر
وأن يتقي مهاب الريح وألاً يكشف عورته حتى يذنوا من الأرض، وألاً يلتفت يمينا
ولا شمالا وأن يغطي رأسه وكذا عند الجماع، وألاً ينظر إلى عورته أو ما يخرج
منه وألاً يتكلم ولا يرد السلام إلا من ضرورة فيها، وأن يستبرأ بيده اليسرى وفي
الذكر يأخذه بيده اليسرى والحجر بيده اليمنى، وأن يعتمد على رجله اليسرى وأن
يجتنب الرخو النجس، فإن كان صلبا جلس، والمشهور جواز البول فقط قائما وأن
يبدأ بغسل قبله وأن يبذل يده قبل لقي الأذى لكيلا تتعلق بها الرائحة، وأن يحكها
بالأرض بعده، وأن يستجمر بالحجارة أولاً ثلاثا أو خمسا أو سبعا، فإن أنقت
أجزاء عن الماء كاليد، ودون الثلاث، إن لم تنتشر النجاسة عن المخرج كثيرا،
والماء أطيب للنفس، وتعين في مني ومذي ودم حيض ونفاس وبول امرأة ومنتشر
كثيرا، ولا يستنجى من ريح، وله في موضع الخلاء أن يسلمت ذكره من أسفل برفق
ولا يكثر من السلت لأنه كالضرع، ويعمل كل واحد على حسب عادته. والاستبراء
واجب، ولا يتساهل فيه فإن عذاب القبر يكون منه، وأن يفرج فخذه وأن يواصل
صب الماء ويبالغ في التنظيف حتى يعقب الحراشة اللبونة وأن يسترخي قليلا،
ويحرم غسل داخل المخرج، والمرأة كالرجل تغسل ما دون البكارة إن كانت بكرا، أو
ما يظهر منه عند جلوسها، وأن يجتنب في خلائه الملائع، كإزاء ماء راكد
وتحت شجرة مثمرة، وظل دائم وشاطئ نهرو طريق، وألاً يبول في حجر، وألاً
يستنجي بخاتم فيه اسم الله، وألاً يستصحب ما فيه ذكر الله في المراحيض المعدات

للنجاسة، إلا لضرورة فليكن مستورا، وأن يجتنب كنائس اليهود والنصارى والدور المملوكة التي قد خربت للأذى، وألا يخرج بين الناس بذكره في يده لأن ذلك تشويه وألا يشتغل بشيء غير ما هو فيه من قلى قمل وشبهه، لأن المطلوب إسراع الخروج منه وألا يستجمر لحائط مسجد أو حجرة لحرمته ولا بحائط الغير بل ولا بحائطه لأنه قد يصيبه المطر فيبتل فينجسه وألا يستجمر بكل ماله حرمة كالطعام والمكتوب والذهب والفضة ولا بما تعلق به حق الغير // نوحه 99 // كروث وعظم لأنه طعام الجان ولا بما لا ينقى كزجاج ومفتل وجاز بالصوف وشبهه وذيل دابة، ويستحب أن يقول بعد الاستنجاء، اللهم طهر قلبي من الشك والشرك والنفاق وحسن فرجي من الفواحش وبالله تعالى التوفيق.

وأما ما يعفى عنه من النجاسات فهي على أربعة أقسام: قسم يكفي فيه المسح وقسم يستحب غسله إذا تلاحش فقط، وقسم معفو عنه ومحكوم بطهارته وقسم يجب مع الذكر والقدرة ويسقط مع النسيان والعجز، وقد نظمها على هذا الترتيب الشيخ عبد الواحد الونشريسي¹ رحمه الله فقال:

ثمانية يجزئ عن الغسل مسحها	وهن من الأسياف ما كان ذا صقل
وجسم وثوب مخرج و محاجم	كذا قدم وخف أيضا مع النعل
وأن من الأثواب في العد مثلها	أمرنا بها عند التقا حش بالغسل
ثياب ذوي الإسلاس والجرح إن	وقرّح وبأسور ² ومرضعة الطفل

¹ - هو أحمد بن يحيى الونشريسي المعروف بأبي العباس الونشريسي (ت 914هـ) تلمساني المنشأ والأصل الفاسي منزلا ومدفنا كان من المتمكنين من الفقه المالكي مشغلا به تعليما وتأليفا من مصنفاته - إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام مالك - أنظر ترجمته في شجرة النور الزكية ص 274.

² - بأسور جمع بواسير .

وَذُو سَفَرٍ بِالظَّهْرِ يَرْجُوا مَعِيشَةً وَمَنْ فِي بِلَادِ الْحَرْبِ يُمَسِّكُ لِلْخَيْلِ
وَتَوْبُ ذَوِي الْبَرَاغِثِ وَالطُّهَرِ صِفٌ ثَمَانِيَةٌ وَهِيَ الَّتِي بَعْدَ ذَا أُمْلٍ //نوحه 141
وَقَطْرَةٌ حَمَامٍ وَمِيزَابُ أَسْطَحٍ وَأَبْوَابُ دُورٍ مِثْلَ مَا مَرَّ مِنْ قَبْلِ
وَأُخْرَى مَعَ الذِّكْرِ اسْتَبَانَ وَجُوبُهَا فَدَوْنُكَهَا فِي النَّظْمِ مَضْمُومَةُ الشَّمْلِ
وَكِفَارَةٌ لِلصَّوْمِ شَهْرٌ صِيَامِنَا كَذَلِكَ قِضَاءٌ فِي التَّطَوُّعِ وَالنَّفْلِ
وَتَسْمِيَةٌ فِي الذَّبْحِ قَدْ تَمَّ وَانْتَهَى فَلِلَّهِ رَبِّ الْحَمْدُ ذِي الْمَنْ وَالطَّوْلِ
وَأَزْكَى سَلَامٍ عَاطِرِ النَّفْحِ طَيِّبٍ عَلَى أَحْمَدٍ وَالْآلِ وَالصَّحْبِ وَالْأَهْلِ¹

قوله الأسياف يريد من دم مباح، وقوله قدّم إلى آخره يريد من أزوات الدواب
وأبوالها إن دلّا لا غيرهما وزيدت مسائل نظمها فقلت:

وَعَنْ دِرْهَمِ الدِّمَا إِشَارَةٌ دَابَّةٍ وَكَلْبٍ وَمَا قَدْ قَلَّ مِنْ رِشَّةِ الْبَوْلِ²

وينبغي أن يلحق بعد قوله من قبلٍ والله الموفق.

وأما آداب الوضوء فاعلم: أنّ الوضوء واجبٌ للصلاة والطّوافِ ومسّ المصحفِ
وأعضاؤه التي يتعلّق بها الغسلُ ثمانية، أربعةٌ منها واجبةٌ وهي غسلُ الوجهِ وحدهُ
طولاً من منبتِ الشعرِ المُعتادِ إلى الدّقنِ وهو مجمّع اللّحيين // نوحه 100 //
وعرضاً من الأذنِ إلى الأذنِ فيغسلُ الوترَ التي بين المنخرين، وظاهر الشّفتينِ
وأسارير الجبهة بتخليلِ شعرٍ تظهرُ البشرة تحتَهُ، لا جرحاً برئ غائراً أو خلق غائراً
ويصبُّ الماءَ من أعلاه، وينصبُّ وجهَهُ للماءِ وينوي عنده رفعَ الحَدَثِ أو الفِرَاضِ
أو استباحةً ممنوعٍ وإنّ مع تبرّدٍ وغسلِ اليدينِ مع المرفقين بتخليلِ أصابعهما،

1 - من البحر الطويل.

2 - البحر الطويل من نظم البطوني

وَأَعَادَ غَسَلَ كَفَيْهِمَا وَمَسَحَ رَأْسَهُ كُلَّهُ دُونَ حَائِلٍ مِنْ حَنَاءٍ أَوْ قَطْرَانٍ {أَوْ شَبْهِهِ} ¹، وَعَلَيْهِمَا أَعَادَ أَبَدًا وَغَسَلَ رِجْلَيْهِ مَعَ الْكَعْبَيْنِ، وَيُسْتَحَبُّ تَخْلِيلُ أَصَابِعِهِمَا مِنْ أَسْفَلٍ، عَكْسُ الْيَدَيْنِ، وَإِنْ نُسِيَ مِنْهَا شَيْئًا فَإِنْ تَذَكَّرَهُ بِالْقُرْبِ فَعَلَهُ وَمَا بَعْدَهُ وَإِنْ طَالَ حَتَّى جَفَّتِ الْأَعْضَاءُ فَعَلَهُ فَقَطْ، وَإِنْ عَجَزَ مَا لَمْ يَطُلْ، وَأَعَادَ الصَّلَاةَ مُطْلَقًا أَبَدًا وَإِنْ تَذَكَّرَ سَنَةً فَعَلَهَا لَمَّا يَسْتَقْبِلُ، وَهِيَ أَرْبَعَةٌ مُتَّفَقٌ عَلَيْهَا الْمُضْمَضَةُ وَالِاسْتِثْقَاقُ وَالِاسْتِنْثَارُ وَمَسَحَ الْأُذُنَيْنِ وَالْمَشْهُورُ سُنِّيَّةُ غَسْلِ الْيَدَيْنِ فِي الشُّرُوعِ وَإِنْ كَانَتَا نَظِيفَتَيْنِ وَالرَّدُّ فِي الرَّأْسِ وَتَرْتِيبُ فَرَائِضِهِ فَيَعَادُ الْمَنْكَسُ وَحَدَهُ أَنْ بَعْدَ بَجَافٍ وَإِلَّا مَعَ تَابِعِهِ، وَتُسْتَحَبُّ التَّسْمِيَةُ وَالسِّوَاكُ وَمَا زَادَ عَلَى الْوَاحِدَةِ بَعْدَ عُمُومِ الْعُضْوِ وَ مَوْضِعَ طَاهِرٍ وَالتَّيَامُنُ وَتَجْدِيدُ وُضُوءٍ إِنْ صُلِّيَ بِهِ وَقَلَّةُ مَاءٍ بِلَا حَدٍّ، وَكَرِهَ السَّرْفُ مِنْهُ وَتَتَكَيُّسُهُ وَالِاقْتِصَارُ عَلَى الْوَاحِدَةِ لَغَيْرِ عَالِمٍ وَالزِّيَادَةُ عَلَى الثَّلَاثِ إِلَّا فِي الرَّجْلَيْنِ. (غ) فِي بَدَايَةِ الْهَدَايَةِ: " فَإِذَا فَرَّغْتَ مِنَ الْاسْتِنْجَاءِ فَلَا تَتْرَكَ السِّوَاكَ فَإِنَّهُ مَطْهُرَةٌ لِلْفَمِ وَمَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ، وَصَلَاةٌ بِسِوَاكِ أَفْضَلَ مِنْ سَبْعِينَ صَلَاةٍ بِغَيْرِ سِوَاكِ، وَيَكُونُ جُلُوسُكَ مُسْتَقْبِلًا عَلَى مَوْضِعٍ مُرْتَفِعٍ وَقُلْ " بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ " ² قُلْتُ: وَفِي الصَّحِيحِ [بِسْمِ اللَّهِ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي وَوَسِّعْ لِي فِي دَارِي وَبَارِكْ فِي رِزْقِي، ثُمَّ قَالَ وَتَقُولُ عِنْدَ غَسْلِ الْيَدَيْنِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْيُمْنَ وَالْبَرَكَةَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشُّومِ وَالْهَلَكَةِ، وَتَقُولُ عِنْدَ الْمُضْمَضَةِ اللَّهُمَّ أَعْنِي عَلَى تِلَاوَةِ كِتَابِكَ وَكَثْرَةِ الذِّكْرِ لَكَ، وَتَبَالُغُ فِي الْمَاءِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ صَائِمًا وَتَقُولُ عِنْدَ الْاسْتِثْقَاقِ اللَّهُمَّ أَوْجِدْ لِي رَوَائِحَ الْجَنَّةِ وَأَنْتَ

1 - ساقطة من ب.

2 - بداية الهداية - أبو حامد الغزالي - ص 4

عَنِّي راضٍ، وَعِنْدَ الاسْتِثْنَاءِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ رَوَائِحِ النَّارِ وَمِنْ سُوءِ الدَّارِ
وَعِنْدَ غَسْلِ الْوَجْهِ، اللَّهُمَّ بَيِّضْ وَجْهِي بِنُورِكَ يَوْمَ تَبْيَضُّ وَجُوهُ أَوْلِيائِكَ وَلَا تَسْوَدُّ
وَجْهِي بِظُلُمَاتِكَ يَوْمَ تَسْوَدُّ وَجُوهُ أَعْدَائِكَ، وَتَتَوَيَّرُ رُفْعُ الْحَدَثِ وَاسْتِبَاحَةُ الصَّلَاةِ،
وَعِنْدَ غَسْلِ الْيَدِ الْيُمْنَى اللَّهُمَّ أَعْطِنِي كِتَابِي بِيَمِينِي وَحَاسِبِي حِسَابًا يَسِيرًا، وَعِنْدَ
الْيُسْرِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ تُعْطِينِي // لَوْحَةٌ 101 // كِتَابِي بِشِمَالِي أَوْ مِنْ وَرَاءِ
ظَهْرِي وَعِنْدَ مَسْحِ الرَّأْسِ اللَّهُمَّ غَشِّنِي بِرَحْمَتِكَ وَأَنْزِلْ عَلَيَّ مِنْ بَرَكَاتِكَ وَأُظِلَّنِي
تَحْتَ عَرْشِكَ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّكَ وَخُذْ بِنَاصِيَّتِي وَقُدِّنِي إِلَى مَا تُحِبُّهُ وَتَرْضَاهُ وَعِنْدَ
مَسْحِ الْأُذُنَيْنِ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ اللَّهُمَّ
اسْمَعْنِي مُنَادِي الْجَنَّةِ مَعَ الْأَبْرَارِ وَعِنْدَ غَسْلِ الْقَدَمِ الْيُمْنَى اللَّهُمَّ ثَبِّتْ قَدَمِي عَلَى
الصِّرَاطِ يَوْمَ تَزِلُّ الْأَقْدَامُ فِي النَّارِ وَعِنْدَ الْيُسْرِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ تَزِلَّ قَدَمِي
عَلَى الصِّرَاطِ يَوْمَ تَزِلُّ أَقْدَامُ الْمُنافِقِينَ فَإِذَا فَرَعْتَ فَقُلْ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ
لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى
الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ظَلَمْتُ نَفْسِي
وَعَمَلْتُ سُوءًا فَاغْفِرْ لِي وَثُبِّ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ
التَّوَابِينَ وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ وَاجْعَلْنِي مِنْ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي
صَبُورًا شَكُورًا وَاجْعَلْنِي أَذْكُرَكَ كَثِيرًا وَأُسَبِّحُكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا، فَمَنْ قَرَأَ هَذِهِ الدَّعَوَاتِ
فِي وَضُوئِهِ خَرَجَتْ جَمِيعُ خَطَايَاهُ مِنْ أَعْضَائِهِ وَخَتَمَ عَلَى وَضُوئِهِ بِخَاتَمٍ وَرَفَعَ
تَحْتَ الْعَرْشِ فَلَمْ يَزَلْ يُسَبِّحُ اللَّهَ وَيَقْدُسُهُ وَيَكْتُبُ لَهُ ثَوَابٌ ذَلِكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ
انتهى.

وَلِيَكُنْ وَضُوءُكَ بِمَاءٍ طَاهِرٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ لَوْنُهُ وَلَا طَعْمُهُ وَلَا رَائِحَتُهُ بِشَيْءٍ حَلَّ فِيهِ
نَجَسًا أَوْ طَاهِرًا مِمَّا يَنْفَكُ عَنْهُ غَالِبًا وَاغْتَرَفَ مَجْرَدَ رَائِحَةِ قِطْرَانٍ وَعَاءٍ مُسَافِرٍ، وَفِي
الْغَدِيرِ يَتَغَيَّرُ بِأَرْوَاثِ الدَّوَابِّ وَأَبْوَالِهَا، قَالَ مَالِكٌ " لَا يُعْجِبُنِي وَلَا أَحَرُّهُ فِظَاهِرُهُ
الْكِرَاهَةُ " وَاجْتَنِبْ فِي وَضُوءِكَ أُمُورًا ، لَا تَتَقَضُّ يَدُكَ فَتَرَشَّ الْمَاءَ رَشًّا أَوْ تَمْسَحَ
الْأَعْضَاءَ مَسْحًا، وَلَا تَسْفِ الْمَاءَ سَفَا ، وَلَا تَتَشَهَّدَ عِنْدَ الْوُجْهِ، أَوْ تُكَبِّرَ فَلَا يَفْعَلُ
ذَلِكَ إِلَّا جَاهِلٌ، وَلَا تَكْثِرِ الْكَلَامَ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ. (ث) وَرَوَى الدَّارِقُطْنِيُّ¹ فِي سَنَنِهِ: "
مَنْ تَوَضَّأَ وَذَكَرَ اسْمَ اللَّهِ عَلَى وَضُوءِهِ كَانَ طَهُورًا لَجَسَدِهِ، وَمَنْ تَوَضَّأَ وَلَمْ يَذْكُرْ
اسْمَ اللَّهِ عَلَى وَضُوءِهِ كَانَ طَهُورًا لأَعْضَائِهِ "²، وَفِيهِ وَفِي صَاحِيحِ مُسْلِمٍ وَغَيْرِهِ عَنْ
عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ [مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ
الْوُضُوءَ ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ مُقْبِلًا عَلَيْهِمَا بِقَلْبِهِ وَوُجْهِهِ إِلَّا وَجِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ
فَقُلْتُ مَا أَجُودَ هَذَا، فَقَالَ عَمْرٌو الَّتِي قَبْلَهَا أَجُودُ]³، قَالَ [مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ
فَيَسْبِغُ الْوُضُوءَ ثُمَّ يَقُولُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ إِلَّا فُتِّحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَّةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ]⁴، زَادَ فِي آخِرِهِ
[اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَابِينَ وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ] انْتَهَى. وَلِيَحْتَفِظَ عَلَى تَرْكِ
شَيْءٍ مِنَ الْأَعْقَابِ أَوْ لَمْعَةٍ فِي جَسَدِهِ فَإِنَّهُ جَاءَ الْأَثَرُ " وَيَلُّ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ "⁵
//نُوحَةُ 102// وَرَخَّصَ لَهُ فِي الْمَسْحِ عَلَى الْجَبَائِرِ وَالْعِمَامَةِ إِنْ خِيفَ بِنَزْعِهَا وَإِنْ

1 - أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني الإمام الحافظ المجود شيخ الإسلام (ت 385هـ) من مصنفاته علل الحديث والمؤتلف والمختلف. أنظر ترجمته سير أعلام النبلاء - الطبقة الحادية والعشرون.

2 - سنن الدارقطني - كتاب الطهارة، باب التسمية على الوضوء.

3 - رواه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب الذكر المستحب عقب الوضوء. رقم الحديث 250.

4 - نفس المرجع السابق.

5 - صحيح البخاري - الحديث رقم 60

بغسلٍ أو بلا طُهرٍ وانتشرت كقرطاسٍ صُدغٍ وقصدٍ ومرارةٍ {داحس} ¹، وإن كانت في أعضاءٍ تيمّمه وتعذر مشؤها تركها وتوضاً وإلاّ بأن كانت في غيرها فهل يتوضأ ويتركها ويتيمّم مُطلقاً وإن كثرت، أو يجمعُهما أقوالٌ وأنّ نزعها لدواءٍ أو سقطت وإن بصلاةٍ قطع وردّها ومسح وإن صحّ غسل، ورخص له أيضاً في مسح الخُفين في الوضوء إن كانا من جلدٍ طاهرٍ خُرَزَ وسُترا محلّ الفرض، وأمكّن تتابع المشي بهما فلا يمسح واسعاً ومُخرقاً قدّر ثلث القدم فأكثر بشرط أن يلبسهما على طهارة ماءٍ كملت بلا ترفهٍ ولا عَصِيانٍ لبُسهٍ أو سفرهٍ بلا حدٍّ وإن على خُفٍّ بلا حائلٍ كطين، إلا المِهْمَازَ أو رِيحِيَّةً أعلا وبالله تعالى التوفيق.

وأما نواقضه، فهي على قسمين أحداثٌ وأسبابٌ، فالأحداثُ خمسةٌ: البَوْل والغائِطُ والريحُ خرج بصوتٍ أو بغير صوتٍ، إلا القَرْقَرَةُ وشِدَّةُ مدافعةِ البَوْل والغائِطِ، إلا أن تشغل عن فرضٍ كركوعٍ فيعيد أبداً، وعن سنةٍ كزائدٍ على طمأنينةٍ فيعيد في الوقت، ولا بما يتخيل بين الأليتين والوسواس. وقد قال عليه السلام في جوابه عن ذلك [لا تتوضأ حتى تسمع صوتاً أو تجد ريحاً] والمذي مع غسل الذكر كله منه وفي النية، وبطلان صلاة تاركها أوتارك كَلِّه قولان، والودئ يجب منه ما يجب من البول إن خرج جميع ذلك على سبيل الصّحة والعادة من مخرجيه أو من ثقبه تحت المعدة أو انسداد وإلاّ فقولان، ووجب بسلسٍ فارق أكثر الزمان ويستحب إن لازم لا إن شق لا بحصى ولا دودٍ ولو ببلةٍ ودمٍ كدم استحاضةٍ، وأمّا الأسبابُ فالقبلة والمباشرة بالجسد والملامسة باليد وإن فوق حائلٍ خفيفٍ إن قصد لذة أو

¹ - ساقطة من ب

وجدها لا انتفيا إلا القبله بفم فتتقض وإن بكره أو استغفال لا لوداع أو رحمه
ويشترط الجنسية لا بهيمة، وأن يكون ممن يلتذ به عادة لا محرما كأم وأخت
وبنت، وفيد بغير الفاسق وينتقض في ذلك الرجل والمرأة. ومن غطته زوجته
وأزالت حقه أو مريض أخذت بيده عند قيامه أو أخذ بذراعها أو ضاجعها في فراش
واحد لغير قصد اللذة فلا نقض. وزوال العقل بإغماء أو سكر أو تخبط جنون أو
بنوم ثقل ولو قصر للخف، ويستحب إن طال، وبمس ذكره المتصل ببطن، أو
جنب لكف أو أصبع وإن زائدا أحس والمشهور أن مسه فوق حائل لا نقض ولا
ينتقض بمس دبر أو أنثيين أو فرج صغيرة، وقى وحجامة وأنقاط، وليتقز في
الموت فإنه ينكح ولا بمس امرأة فرجها وقيل إلا إن ألطفت، وهو أن تدخل يدها
بين شفريرها وانتقض برودة وبشك في حدث بعد طهر علم إلا المستكح والمشهور
أن الرفض // نوحه 103 // وهو العزم على نقض الوضوء ولم يفعل لا نقض.

وأما آداب الغسل وموجباته فاعلم، أن الغسل من الجنابة ودم الحيض والنفاس
واجب وفرائضه: النية والماء الطاهر والفور والتدليك لجميع ظاهر الجسد بالماء
وشروطه مع الوضوء العقل والبلوغ وبلوغ الدعوة والاستطاعة، وموجباته خروج ماء
دافق للذة معتادة في نوم أو يقظة من رجل أو امرأة، وإن لم يعقل القصة أو وجده
في ثوبه وأعاد من آخر نومة أو بعد ذهاب لذة ولم يغتسل، ومغيب حشفة أعني
موضع الختان لا بعضه أو قدرها من مقطوعها في فرج أو دبر، وإن من بهيمة ولا
فرق بين الفاعل والمفعول إن كانا بالغين، وانقطاع دم الحيض والنفاس وكذا إن
خرج الولد جافا ويجب غسل كافر بعد الشهادة بما ذكر وصح قبلها، وقد عزم

على الإسلام لا الإسلام إلا لعجز وصِفْته أن يبدأ {بالتَّسْمِيَةِ ثم} ¹ بإزالة الأذى ثم يُعيد الاستنجاء بنية الجنابة وإن شَرَكها مع زوال الأذى أجزاً، ثم يتوضأ وضوءاً كاملاً مرة بنية الجنابة مع جميع الدَّعَوَاتِ المتقدمة، وأجزاً عنه الغسل ويُصَلِّي به اتفاقاً لقول عائشة رضي الله عنها " وأَيُّ وضوءٍ أعمُّ من الغسلِ " ثم يُخلل رأسه ثم يغرف عليه ثلاث غَرَافٍ وأجزاً التخليل ثم يغسل رقبته ويجعل الماء بيده ثم يصبُّ على أذنيه فيغسل أعلاها ويمسح صماخ أذنيه ثم يفيض الماء على شقِّه الأيمن ثم على الأيسر ثم على ظهره ثم على بطنه ،ويتدَلَّك مع صبِّ الماء أو بآثره بيده، أو ما ينوب عنه من حبلٍ أو عودٍ أو حجرٍ أو حائطٍ غير حمَّام ومسجدٍ أو جارٍ، وإن تعذَّر سقطَ ويكفي الماء. وهل يجبُ استعداده أولاً قولان ولا ينبئُ غيره إلا من ضرورةٍ ويُستحبُّ تقليلُ الماءِ واستنجاءُ جُنُبٍ رجلٍ أو امرأةٍ لعودةٍ لجماعٍ فإنه أنشط، ووضوءه لنومٍ وشهرٍ بعضهم سُنِّيَّته لفعله صلى الله عليه وسلم ذلك دائماً، ولا يفعله إلا الصَّديقون وقد تُركَ العملُ به إلا قليلاً ولا ينتفض إلا بجماعٍ وقيل يكفي الاستنجاء ولا يتيَّم لعدم الماء. فوائدٌ سبعة ² الأولى: الحدِّث الأصغر يمنع من الصلاة مُطلقاً ومن سجود التلاوة والطواف بالبيت ومس المصحف وإن بقضيبٍ وحمله بعلاقة أو وسادةٍ إلا في جملة أمتعةٍ قُصِدَتْ فيجوزُ وإن على كافرٍ وعليه فيتيمم مسافرٌ أو غيره اضطرَّ لحمله، وإن خيف عليه الغرق أو الحرق ونحوه، جازَ مع الضيق حملُه بغيرِ وضوءٍ بخلاف التفسير والدَّرهَم وفيه الآية، ولوح قرآنٍ لمُعَلِّمٍ ومُتَعَلِّمٍ فقط وإن حائِضاً إن كانت يده طاهرةً وبخلاف جزءٍ من

1 - زيادة من ب

2 - ستة في نسخة أ

القرآن فيجوز لمتعلم وإن بالغًا واختلف في الكامل، وبخلاف حرز بسائر وإن لجنب وحائض، وتمنع الجنابة موانع الأصغر وقراءة القرآن فلا يمسه لؤحا إلا كآية لتعوذ واستدلال ونحوه وتمنع دخول مسجد على المشهور ولو مجتازا ككافر وإن أذن له مسلم وقيل إلا لعمل // نوحه 104 // وهل يدخل مستنجد بيت الإنسان قولان، ويحرم الوطء به وإن احتلم فيه خرج مسرعا دون تيمم إلا لضرورة خوف أو مرض، وإن لم يجد الجنب الماء إلا داخله دخل إليه دون تيمم وجاز لمن فرضه التيمم أن يتيمم خارجه ويدخل للصلاة فيه. والحيض والنفاس ينعان موانع الجنابة إلا القراءة، ويمنعان صحة الصلاة والصوم ووجوبهما، وعليه فتقضي الصوم بأمر جديد دون الصلاة، ورفع حدثها ولو جنابة، وطلاقا ووطء فرج أو تحت إزار على المشهور ولو بعد نقاء من الدَّم، وقيل إلا أن تستنجي بالماء دون التيمم وقيل إن طال جاز، ومن وطئ في الحيض فليتب إلى الله تعالى، ولا تحرم عليه الزوجة ولا كفارة، وقد سأل رجل النبي صلى الله عليه وسلم [ما يجلي لي من امرأتي عند حيضتها فقال أن تشد عليها إزارها وشأنك بأعلاها]¹ فيجوز أن يطأها بأعكانها، وسئل مالك عن رجل له نسوة وجوار هل يطأهن جميعا قبل أن يغتسل فقال لا بأس أن يطأ الرجل جاريته قبل أن يغتسل، فأما النساء الحرائر فإنه يكره أن يصيب المرأة في يوم الأخرى، ولا بأس أن يغتسل بفضل طهارتها وجاز أن يغتسلا معًا دفعة واحدة من إناء واحد، وقد كان صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك وقالت عائشة رضي الله عنها [ما رأيت فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قط]²

1 - ذكره الألباني في تخريج مشكاة المصابيح ، برواية زيد بن أسلم ، رقم 528 ، قال إسناده صحيح .

2 - أخرجه ابن ماجه ، رقم الحديث 662 ، حديث ضعيف .

(ث) وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [ستر ما بين أعين الجن وعورات بني آدم أن يقول الرجل المسلم إذا أراد أن يطرح ثيابه بسم الله الذي لا إله إلا هو]¹ وعن علي رضي الله عنه أنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم [ستر ما بين أعين الجن وعورة بني آدم إذا دخلوا الكنيف، أن يقول بسم الله]² الثانية يُمنع مع عدم الماء تقبيل متوضئ وكذا جماع مغتسل لانتقالهما إلى التيمم اختياراً إلا لطول أو ضرورة. (د) وانظر من لا يُمكنه وطء زوجته إلا بليل فإن فعل أخرت صلاة الصبح سئل عز الدين عن ذلك فأجاب يجوز له ذلك ليلاً ويأمرها بالصلاة لوقت الصبح فإن أطاعت فقد سعد وسعدت، وإن خالفت فقد أدّى ما عليه انتهى . البرزلي³ إذ لا يترك ما وجب له لما لم يجب عليها، وهذا نحو ما ذكر عن أصحاب مالك أنه يجوز للإنسان أن ينام بالليل، وإن جوز أن نومه يبقى حتى يخرج وقت الصبح، وعلى هذا لو كان بعد السحر لا يمكن حتى يُصليا، وإن تجرأ ففعل أثم، وينتقل للتيمم ولا يجوز لها التمكين من نفسها حيث لا يجوز الفعل، ويلزمه غسل الأذى عن نفسه إن قدر. الثالثة، المشهور لا يجب عليه طلاق زوجته التي لا تُصلي لكن يُستحب هجران أهل المعاصي المحتاج إليهم

1 - رواه الترمذي في سننه، كتاب السفر، باب ما ذكر من التسمية عند دخول الخلاء. رقم 606.

2 - نفس المرجع .

3 - البرزلي أحد أئمة المالكية في المغرب (ت 844هـ) كان ينعت بشيخ الإسلام -، أخذ عن ابن عرفة الذي أجازته إجازة عامة ، أنظر ترجمته في شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، ص 352 ، والأعلام للزركلي ج 5 ص 172.

وقتًا مَّا . الزروق¹ قال شيخنا أبو عبد الله // لوحة 105 // الفوري " ويعمل في ذلك ما يعمل، أن لو أَلَقْتُ لَهُ مائة دينار في البحر "انتهى.

قلت، وكذا يأمر العبد والولد ويضربهما لعشر، ويأمرهما لسبع. الرابعة: قال عليه السلام [إذا أتى أحدكم أهله فقال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقنا فرزقا ولدًا لم يضره الشيطان أبدا². الخامسة لا يجوز إخراج المني إلا بنكاح أو تسرّ مباح لا بغير ذلك، فلا يجوز الإستمناء خلافا للإمام أحمد، وفي عذر من عرفت ضرورته قال ابن العربي " هذا من الخلاف الذي لا يجوز العمل به، ثم قال وليت شعري لو كان فيه نصّا صريحًا بالجواز، لكان ذو همة لا يرضاه لنفسه " وفي كتاب أبي داود قال عليه الصلاة والسلام [ملعون من أتى زوجته في دبرها]³. السادسة: قال مالك " والله ما دخول الحمام بصواب " قال العلماء إن كان لابد منه فيدخله بشروط ثلاثة: غُضُّ البصر وستر العورة وتغيير المنكر برفقٍ ولتحفظ من ثلاثة أمور، أولها كثرة صب الماء حتى يخرج عن المعتاد فإن كان ولا بد فليتحلله الثاني تمكين الدلك مما تحت الإزار والمسح له في الأمور المتشابهات كالانبساط عليه ونحوه، الثالث معاملة صاحب الحمام وخدامه بما يليق من المروءة من غير إسرافٍ ولا إقتارٍ وقد قال عليه السلام [من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام إلا بمئزر]⁴ الحديث. السابعة للغسل فضائل كثيرة، غير ما ذكر، وهي خاصّة بالغسل الواجب، منها ما روي عن رسول الله

1 - تقدمت ترجمته سابقا.

2 - صحيح البخاري - كتاب النكاح - باب ما يقول الرجل إذا أتى أهله حديث رقم 4870

3 - رواه أبو داود في سننه، كتاب النكاح، باب في جامع النكاح. رقم الحديث 2162.

4 - رواه الطبراني في المعجم الأوسط، رقم 8214.

صلى الله عليه وسلم أنه قال [ما من عبد مؤمن أو أمة مؤمنة قاما يغتسلان من جنابة الحلال إلا غفر الله لهما ذنوبهما وهي السريرة التي بين الله وبين عباده المؤمنين]¹ ومنها ما رواه أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [المؤمن إذا أراد أن يُجامع زوجته التي تزوجها بالحلال أمر الله عز وجل أربعين ألف ملك يبسطون أجنحتهم عليهما وأمر الرحمة أن تنزل عليهما ما داما في الحركة فإن اغتسلا بالماء خلق الله عز وجل من ذلك الماء الذي اغتسلا به ملكا يسبح الله لهما إلى يوم القيامة، ويبني لهما من كل قطرة تجري على أجسادهما قصرا في الجنة] وقال صلى الله عليه وسلم [إن الرجل إذا دنا من زوجته أو أراد زوجته كتب له عشر حسنات، ومُحيت عنه عشر سيئات، ورفعت له عشر درجات في الجنة فإن أخذ بيدها كتبت له عشرون حسنة ومُحيت // لوحة 106 // عنه عشرون سيئة ورفعت له عشرون درجة في الجنة فإذا عانقها وقبلها كتبت له أربعون حسنة ومُحيت عنه أربعون سيئة ورفعت له أربعون درجة في الجنة فإذا غشيها واغتسل منها كتبت له بكل شعرة مر عليها الماء في بدنه ورأسه حسنة، فقالت عائشة رضي الله عنها هذا كله للرجل فما للمرأة؟ فقال إن المرأة إذا أخذت فيما يصلح لزوجها أو لزينته، تريد بذلك رضاها، كتبت لها عشر حسنات ومُحيت عنها عشر سيئات، ورفعت لها عشر درجات، فإن دعاها فأطاعت ثم حملت منه، كان له أجر مثل أجر الصائم القائم المجاهد في سبيل الله، فإذا أخذها طلق النِّفاس، كان لها بكل طلق مثل أجر من أعتق رقبة مؤمنة، فإذا وضعت لا يعلم أحد قدر ما

1 - لم أعر عليه.

لها من الأجر إلا الله تعالى، فإذا أرضعت ولدها كان لها بكل مصة يمص من ثديها، كمن أعتق عشرين رقبة، فإذا استكملت الرضاع وانفطمت، ناداها ملك من السماء استأنف العمل فقد {غفر الله لك} ¹ ما مضى، فقال عائشة رضي الله عنها رضينا رضينا رضينا]. قال الغماري " هذا الفضل العظيم إنما هو في النكاح الصحيح إذ هو الذي رغب فيه الشارع صلى الله عليه وسلم ورغب في تكثيره فقال [تناكحوا تناسلوا فإني مكاثر بكم الأمم] ² وأما الفاسد فعلى العكس والله أعلم."

قلت وينبغي أن تكون نيته ما أشار إليه في الحديث من التنازل أو قضاء حق الزوجة أو تحصين فرجه من الزنا ليحصل له هذا الفضل لا مقتضى الشهوة دون قصد وسيأتي إن شاء الله لهذا زيادة بيان في باب النكاح فراجعه وبالله تعالى التوفيق.

وأما آداب التيمم وشروطه ونواقضه، الزروق فاعلم أن الطهارة الحديثة ثلاثة أقسام، وضوء وغسل وبدل منهما، عند تعذرهما وهو التيمم، وكلها واجبة والأمر بها من رب واحد، فلا يفرق بين التيمم وغيره عند تعينه، إلا جاهل يخشى عليه سوء الخاتمة والعياذ بالله انتهى.

قلت وإياك ما يزعمه بعض الجهالة من أن التيمم لا يجوز إلا لمن يحافظ على الأوقات، فهذه بدعة وضلالة نعوذ بالله من الجهل، وللتيمم فرائض نية استباحة

¹ - غفر لك الله، في ب

² - رواه أبوداود في سننه، كتاب النكاح، باب النهي عن تزويج من لم يلد من النساء.(بلفظ تزوجوا الودود الولود)

الصلاة، عند وضع يده على التراب، ونوى حدثاً أصغر أو أكبر إن كان والصَّعيدُ الطاهر الذي لم ينتقل من أصله، وهو ما ظهر على الأرض منها من ترابٍ أو رملٍ، أو حجارةٍ أو سبخةٍ أو ثلجٍ وخضخاض، أو حشيشٍ أو خشبةٍ، ما لم تدخلها الصَّنعة أو معدن غير ذهبٍ وفضةٍ وجوهرٍ، ولمريضٍ حائط لبني أو حجرٍ // نوحه 107 // وكذا الصحيحُ عند تعذر غيره، والترابُ أفضلُ ولو نُقلَ، والضربةُ الأولى والثانية سُنَّةٌ، ومسحُ الوجهِ ومسحُ اليدينِ إلى الكوعينِ وسُنَّ إلى المرفقينِ، وينزع خاتمَه بخلافِ الوضوءِ، وفي الغسلِ يُحرِّكها، فإن اقتصرَ على الكوعينِ أعادَ في الوقتِ لا على ضربةٍ، والفور وهو الموالاةُ في نفسه ومع الصلاة وأن يكونَ بعد دخولِ الوقتِ، وله شرطان: عدمُ الماءِ الكافي وعدمُ القدرةِ على استعماله فأما عدمُ الماءِ فمبيحٌ للتيَمِّمِ في السَّفرِ اتفاقاً وفي الحضرِ على المشهورِ، ولكن الحاضرُ الصحيحُ لا يتيَمِّمُ إلا لفرضٍ ضاقَ وقْتُه غيرَ فرضِ الجمعةِ على المشهورِ، أو الجنازةِ إن تعينت، ولا يتيَمِّمُ للسَّننِ على المشهورِ ويفعلُها تبعاً للفرضِ، وعليه فلا يتيَمِّمُ للفجرِ بل يتركه وأما المسافرُ مطلقاً ولو راعياً وعادِمُ القُدرةِ على استعماله لمرَضٍ، أولم يجد من يُناوله إيَّاه أو به جراحاتٌ تعمُّ أكثرَ الجسدِ، والبردُ الذي يخافُ به التَّلَفَ أو حدوثَ مرضٍ أو زيادتهِ أو تأخُّرَ برئٍ وكذا خوفُ لصوصٍ أو سباعٍ أو خائفٍ على حريمه أو متاعه أو عطشَ نفسه أو غيره، أو عطشَ محتدمٍ معه من دابةٍ أو غيرها، لا كلبٍ ونحوه فإنهما يتيَمِّمانِ للفرائضِ والنَّوافلِ، ولا يُصَلِّي فرضاً بتيَمِّمٍ نفلٍ بخلافِ العكسِ ولا فرضينِ يتيَمِّمُ واحدٍ ولو مريضاً، وبطلَ الثاني ولو مشتركةً على المشهورِ واختلفَ فيمن وجد الماءَ وإن استعمله خرجَ الوقتُ فهل يستعمله وإن خرجَ الوقتُ أو يتيَمِّمُ ويُصَلِّي في الوقتِ أفضلُ قولان: وأمَّا إن خاف

فوات الوقت بطلبه فإنه يتيمم في الوقت اتفاقاً ووجب طلبه لكل صلاة، ولو توهمه لا تحقق عدمه طلباً لا يشق كزفقة قليلة، أو حوله من كثيرة إن جهل بخلهم به، وأما وقته فعلى حسب حاله، فالأيسر أو المختار والمتردد في لحوقه أوجوده وسطه، والراجي آخره، ويعيد المقتصر في الطلب في الوقت، وصحت إن لم يعد ويفعل به ما يفعل الوضوء من صلاة وطواف ومس مصحف ودخول مسجد وقراءة إن تأخرت لا فرض آخر.

وأما نواقضه فكالوضوء ويزاد عليها وجود الماء قبل الصلاة لا فيها إلا ناسيه إن اتسع الوقت ولزمه قبول هبة ماء أو فرضه لا قبول هبة ثمن ولزم أخذه بثنين اعتيد لم يحتج له وإن بذمته، وإن وجد جماعة ما لا يكفي جميعهم تقاوموه وجوباً، ولا يجوز أن يوثروا به واحداً وتسقط صلاة وقضاؤها بعدم ماء وصعيد، ويجوز للمتيم أن يأتّم بالمتوضئين.

فائدة، قال الجزولي¹ آداب الطهارة ثلاثة: الإقلاع عن الذنوب والتأهب للقاء الله والفرح بالمناجاة. وآداب الصلاة ثلاثة: حضور القلب وخشوع النفس، و مناجاة السر. وآداب الصوم ثلاثة // نوحه 108 // الصمت والإفطار على الحلال وقصر الأمل. انتهى وبالله تعالى التوفيق.

وأما الأذان والإقامة، فاعلم أن إقامة الصلاة في الجماعة وجعل إمام راتب ومسجد، أو ما يقوم مقامه واتخاذ مؤذن من السنن الواجبة التي يلزم بتركها عقوبة

¹ - تقدمت ترجمته.

دنيا وأخرى، ويتأكد ذلك في حق أهل الأمصار والقرى المجتمعة وتكون أجرتهما على جميع أهل المنزل، ولو لم يُصلَّ وعلى من كان خارجاً وله هنالك ربع وعقار. ويستحب آذان المسافر ويحرم آذان المرأة أو الفرض خرج وقته أو ضاق، أما الآذان فهو سنة مؤكدة في حق جماعة طلبت غيرها ولو جمعة، وفيه فضل كثير ولا ينبغي للمريد السالك تركه على أي حال لا سيما في زماننا هذا الذي من أخطأ فيه سنة من سنن الإسلام فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة بل وأعظم لغربة الدين، وجازت الأجر عليه أو مع الإمامة، وكرة عليها خاصة على المشهور، إلا أن يأخذ من بيت المال أو يقوم بإصلاح المسجد أو عمارته أو يعطى من الزكاة فيجوز، وجاز استعانة الجماعة بأحباس المسجد للإمام أو للمؤذن، أن فضل عن إصلاحها ووقودها وحضرها ولا يؤذن للصلاة قبل وقتها إلا الصبح ففي السدس الآخر من الليل، وشرع الآذان تنبيهاً للغافلين وإعلاماً بدخول الوقت كما شرعت الإقامة تنبيهاً للحاضرين بحضورها، وأما التصبيح بعد الآذان فبدعة لا مجرّد فيحرم لإماتة السنة، وكذلك التذكير ليلة الجمعة والتصلية بعده والتحضير عندها، والإعلام بالإقامة بمثل ضرب الباب والبوق في التحضير وإنشاد الأشعار فكل ذلك بدعة.

وشرطه أن يكون مسلماً عاقلاً بالغاً ذكراً عارفاً بالأوقات، ويستحب أن يكون خيراً ديناً حسن الصوت متطهراً غير لحان قائماً بأمور المسجد متفقداً للغريب والضيف الذي يكون في المسجد، لا يغضب على من أذن في موضعه أو أقام الصلاة، وكره إقامة راكب أو معيد لصلاته كآذانه، ولا يرد سلاماً ولا يتكلم إلا من ضرورة وبنا إن لم يطل.

وفضائل الآذان كثيرة المفيد منها، ما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال [لو علم أمتي فضل الآذان لترك الأمير إمارته والتاجر تجارته وتفرغوا للآذان لأن المؤذنين يوم القيامة أطول الناس أعناقاً أعناقهم كأعناق البخت]¹ وروى [كأعناق النعم] فقل ذلك علامة لهم وقيل لاتباعه عليهم، كما يقال فلان طويل² العنق، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم [ثلاثة على كُتبان المسك يوم القيامة رجل وعى كتاب الله، وأم به قومًا وهم له راضون، ورجل دعا الناس إلى الصلوات الخمس، وعبد ناصح لله وأدى حق مولاه]³ وقيل في قوله تعالى ﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله﴾⁴ الآية إنه المؤذن // نوحه 109 // وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم [يكتب للمؤذن لكل دينه أربعون ومائة حسنة ويؤجر بكل من سمعه ويشهد له حيث ما وقع صوته، ويصدق كل رطب ويابس يسمعه]⁵ فقال عمر رضي الله عنه أتركه يا رسول الله يضرب عليه بالسهم أو بالسيوف، فقال النبي عليه السلام سيدعه الناس في آخر الزمان إلى ضعفائهم [وقال عمر رضي الله عنه [تالله لو لا الخلافة لكنت مؤذناً] واختلف في الآذان والإمامة أيهما أفضل، قيل الآذان أفضل، لقوله صلى الله عليه وسلم [الإمام ضامن والمؤذن مؤتمن]⁶، ولا شك أن المؤتمن أفضل من الضامن، وقيل الإمامة أفضل وهو الوجه الأحسن لأن

1 - لم أعثر عليه.

2 - ساقطة من ب

3 - رواه الترمذي في سننه كتاب أبواب البر والصلة، باب ما جاء في فضل المملوك الصالح. قال الألباني حديث ضعيف.

4 - سورة فصلت، الآية: 33.

5 - سنن أبو داود - كتاب الصلاة باب رفع الصوت بالآذان حديث رقم 515

6 - سنن الترمذي - كتاب الصلاة - باب ما جاء أن الإمام ضامن والمؤذن مؤتمن الحديث رقم 207

النبي صلى الله عليه وسلم يؤم ولا يؤذن، واختلف لم، فقل لما منعه من اشتغاله بالوحي، وقيل لأن فيه تزكية نفسه وهذا خطأ لأنه لا فرق بين قوله في غير الأذان إنني رسول الله أو فيه، وقيل إنما ترك الأذان رفقا بأمرته صلى الله عليه لأنه لو أذن وقال حي على الصلاة حي على الفلاح ولم يعاجلوا لأصابتهم العقوبة لقوله تعالى ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾¹ قال ابن العربي " وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أذن مرة واحدة على راحلته في مطرٍ وابتلت " خرجه الترمذي وغيره / ويدل أيضا على أن الإمامة أفضل قوله عليه السلام [أنتمكم شفاعوكم فاختراروا بمن تستشفعوا] لأن الإمامة خلافة صغرى وقال [إن سرركم أن تقبل صلاتكم فليئمكم خياركم]² وفي الحديث [أربعة لا تأكل التراب والدود لحومهم الأنبياء والعلماء والشهداء والمؤذنون] والمستحب أن يكون المؤذن غير الإمام وهو مذهب الشافعية، وروى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتستحب حكايته لسامعه وإن في نفل لا في فرض لمنتهى الشهادتين متنى، وعوض من الحيعلتين الحوقلة وجاز حكايته قبله. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم [من قال حين يسمع الأذان والإقامة اللهم رب هذه الدعوة النافعة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة] .

1 - النور، الآية: 63.

2 - أخرجه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة حديث رقم 303.

(ث) وروى أبو أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: [إذا نادى المُنَادِي فُتِحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ واستجيبَ الدُّعاءُ فمن نَزَلَ به كُرْبٌ أو شِدَّةٌ فليَتَخَيَّرِ المُنَادِي فإذا كَبَّرَ كَبَّرَ وإذا تَشَهَّدَ تَشَهَّدَ وإذا قالَ حيَّ على الصَّلَاةِ قالَ حيَّ على الصَّلَاةِ وإذا قالَ حيَّ على الفلاحِ قالَ حيَّ على الفلاحِ ثم يقولُ اللهم ربَّ هذه الدَّعوةِ الصَّادقةِ المُستجابُ لها دُعوةُ الحَقِّ وكلمةُ التَّقوى أحيانا عَلَيْهَا وأَمِتْنَا عَلَيْهَا وَابْعَثْنَا عَلَيْهَا وَاجْعَلْنَا مِنْ خِيَارِ أَهْلِهَا أَحْيَاءَ // نوحه 110 // وأمواتا ثم يسألُ اللهَ حاجتَهُ] ¹ رواه الحاكم انتهى. وإذا قال الصلاة خير من النوم في الصُّبح،

قال صدقت وبررت. وأما الإقامة فهي سُنَّةٌ مؤكدةٌ في حقِّ الرَّجُلِ وتُسْتَحَبُّ في حقِّ المرأةِ سِرًّا وَصَحَّتْ الصَّلَاةُ ولو تُرِكَتْ عَمْدًا، ولا تتدبُّ حكايتها وإنما يشتغلُ بالدُّعاءِ والتَّوجُّهِ إلى الصَّلَاةِ، وقد جاء أن الدُّعاءَ بين الأذان والإقامة لا يُرَدُّ. ولا يستفتحها بالاستغفار والتسمية وسيأتي بيانُ الأذكارِ المشروعةِ هنالك إن شاء الله.

ومن سننها {الحزر أي لا يترسَّل كالآذان} ² وأن تكون مُعربةً إلا عند الوقف ولا يقطعها لداخلٍ إلا لإمامٍ عليه الوترُ، واختلِفَ في الفجر، فقليلٌ تقطع من أجله وقيل لا، لإمكان قضاءه بعد الطلوع، واغتر كَلَامٌ يسيرٌ بينها وبين الصَّلَاةِ وإن طال أو أُحْدِثَ أَعِيدَتْ، وإن دخل الوقتُ وحضر الإمامُ فلا يُنتظرُ غيره، ولا تبدأ صلاةٌ بعد الإقامة، ولمن لم يدخل المسجد أن يزكع الفجر خارجهُ إن لم يخف فوات ركعة،

¹ أخرجه الحاكم ، رقم 2004 ، حديث ضعيف جدا.

² - ساقطة من ب .

وليقيم معها أو بعدها بقدر الطاقة، وقيل القيام مع قوله قد قامت الصلاة، أمان من وجع الظهر وبالله تعالى التوفيق.

{وأما آداب المسجد والخروج إليه¹، فاعلم أن المسجد له آداب قبله، وآداب فيه وفضائل، أما آداب الخروج إليه، (غ) " فإذا فرغت من طهارتك فصل في بيتك ركعتي الفجر " قلت والمشهور من مذهبنا إيقاعها في المسجد، ونابت عن التَّحِيَّة ثم قال " وتتوجَّه إلى المسجد وعليه في خروجه نيات من أداء فرضه والاعتكاف في المسجد، وتعلم العلم أو تعليمه للناس وزيارة بعض الإخوان أو عيادة مريض وإماطة الأذى عن الطريق، والأمر بالمعروف وإعانة الملهوف، وغير ذلك من النيات الحسنة، إذ بكثرة النيات تتضاعف الأعمال، ثم قال " لا تدع الصلاة في الجماعة ولا سيمًا الصبح وإن كنت تتساهل في مثل هذا الربح فأنت فائدة لك في طلب العلم، وإنما ثمرة العلم العمل، فإذا سعت إلى المسجد فامش على هيبة وتؤدة ولا تعجل في طريقك، وقل اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا إليك لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا رياء ولا سُمعة، خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك، أسألك أن تُنقِذني من النار وأن تغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت²."

(د) وروى أبو سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال [مَنْ قَالَ يَغْنِي الدَّعَاءُ الْمُتَقَدِّمَ إِذَا خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ وَكَلَّ اللَّهُ بِهِ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ إِلَى

¹ - ساقطة من ب .

² - بداية الهداية ، أبو حامد الغزالي ، تحقيق عبد الحميد محمد الدرويش ، دار صادر ، الطبعة 1998 ، ص 47.

يوم القيامة وأقبل الله عليه بوجهه حتى يقضى صلاته انتهى. ثم قال //نوحه 111 //
(غ) " فَإِنْ أَرَدْتَ دَخُولَ الْمَسْجِدِ ، فَقَدِّمَ رِجْلَكَ الْيُمْنَى¹ ، قُلْتُ بَعْدَ أَنْ تَنْزِعَ الْيُسْرَى
وَيَضَعَهَا فَوْقَ النَّعْلِ إِنْ لَمْ يَكُنِ الْمَوْضِعُ طَاهِرًا ، ثُمَّ يَنْزِعُ الْيُمْنَى وَيَدْخُلُ بِهَا عَكْسَ
الْخُرُوجِ مِنْهُ ، ثُمَّ يَمْسَحُ مَا فِي النَّعْلِ مِنَ النِّجَاسَةِ أَوْ يَحْكُمُهَا بِالْأَرْضِ وَيَجْمَعُ بَيْنَ
أَسْفَلِي نَعْلِهِ إِنْ اضْطَرَّ إِلَى إِدْخَالِهِ وَيَحْطُمُهَا بِرِفْقٍ . ثُمَّ قَالَ (غ) " وَقُلِ اللَّهُمَّ صَلِّ
عَلَى مُحَمَّدٍ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ وَعِنْدَ الْخُرُوجِ مِنْهُ أَعُوذُ
بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ فَضْلِكَ ، وَمَهْمَا //
رَأَيْتَ فِي الْمَسْجِدِ مَنْ يَبِيعُ فَقُلْ لَا أَرِيحَ اللَّهَ صَفْقَتَكَ ، وَإِذَا رَأَيْتَ مَنْ يَنْشُدُ ضَالَةً فَقُلْ
لَا رَدَّهَا اللَّهُ عَلَيْكَ ، كَذَلِكَ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَإِذَا دَخَلْتَ الْمَسْجِدَ
فَلَا تَجْلِسَ حَتَّى تُصَلِّيَ رَكْعَتِي التَّحِيَّةِ وَتَجْزِيَ عَنْهُمَا رَكْعَتَا الْفَجْرِ فَإِذَا فَرِغْتَ فَانَوِ
الْإِعْتِكَافَ ، قُلْتُ وَسَيَأْتِي الدُّعَاءُ الْوَاردُ عِنْدَ ذَلِكَ فِي فَصْلِ الْأَدْعِيَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ² .

وأما آدابه فيه، السمرقندي قال أبو الليث³ حرمة المسجد خمسة عشر شيئاً، أن
يسلم إذا دخل إن كان القوم جلوساً فإن لم يكن فيه أحداً وكانوا في صلاة يقول
السلام علينا من ربنا وعلى عباد الله الصالحين وأن يصلي ركعتين قبل أن يجلس
يعني إن كان وقتاً يجوز فيه الركوع ، وإلا فليقل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا
الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله، وألا يشتري فيه ولا يبيع وألا يسلم فيه سيفاً

1 - نفس المرجع ، ص 48/49.

2 - نفس المرجع والصفحة .

3 - أبو الليث نصر بن محمد بن الخطاب السمرقندي الفقيه الحنفي (ت373هـ) الإمام الفقيه صاحب تفسير القرآن بحر العلوم وله كذلك في التصوف الإسلامي بستان العارفين - أنظر ترجمته في طبقات المفسرين لأحمد بن محمد الأذنهوي تحقيق سليمان بن صالح الخزي - مكتبة العلوم والحكم طبعة 1997.

ولا يطلب فيه ضالة، ولا يرفع فيه صوتا بغير ذكر الله ولا يتكلم فيه بشيء من أحاديث الدنيا ولا يتخطى رقاب الناس ولا ينازع في المكان ولا يضيق على أحد في الصف، ولا يمر بين يدي المصلي ولا يبصق فيه يريد وإنما يبصق في ثوبه ويحكه وإن بصق فيه حكها وجاز أن حصب أو تحت حصيره إلا أن يكثر حتى يلوث الحصر ولا يبصق منه خارجه وإنما يخرج ولا يبصق إلى القبلة مطلقا ولا عن يمينه بلا ضرورة بل عن يساره أو تحت قدمه، ثم قال ولا يفرع فيه أصابعه وأن ينزله عن النجاسة، والصبيان والمجانين، وإقامة حدود الله، وأن يكثر ذكر الله تعالى فيه ولا يغفل انتهى. وقال العلماء ويحرم تعمد إخراج ريح فيه، وكان أهل الفضل يخرجون لذلك كما يخرجون لحاجة البول والغائط إلا لضرورة، ويكره أن يعمل فيه عملا من خياطة ونحوها، ولا يغسل يده فيه وإن لم يكن بها أذى ولا يتوضأ فيه ويحرم فيه الاستنجاء. والصحن الذي أحاط به المسجد حكمه كهو ولا يوقد فيه نار ولا ينادى فيه بالجنابة، لكن على الأبواب ولا يأكل إلا مثل // لوحة 112 // الشيء الخفيف كالسويق ونحوه إلا للغرباء للضرورة، ولا يطرح فيه نوى التمر ونحوه ولا يجوز تعليم الصبيان فيه لعدم توقيهم النجاسة والرائحة الكريهة ولا يقص فيه أثاربه ولا يقلم أظفاره، وإن أخذه في ثوبه ولا تقتل فيه قملة ولا برغوث، ويجوز طرح البرغوث فيها حية لأنه خلق من الأرض بخلاف القملة وفي طرحها حية خارج المسجد قولان، وعلى المنع فقل لتعذيب الحيوان وقيل ترجع عقربا ما لسعت أحدا إلا ومات، وقيل طرحها يورث النسيان وقيل تدعي بالفقر، وذكر ابن مرزوق في شرحه لمختصر خليل أنها تطهر بالتسمية عليها عند قتلها كالخشاش ومن قتلها في الصلاة فهل تبطل صلاته أو إلا أن يكثر، قولان وليجعلها في

طرف ثوبه أو يرسلها في ثوبه ولا يمسكها بيده حتى يُسلم لأنه فعل في الصَّلاة .
الرسالة، وأرخَص في مبيت الغرباء في مساجد البادية.

المفيد، لأن البوادي ليس فيها فنادق بخلاف الحاضرة، ومن العتبية¹ من سماع ابن القاسم " لا أَحِبُّ لِمَنْ لَهُ مَنْزَلٌ أَنْ يَبِيَّتَ فِي الْمَسْجِدِ وَيُسَهِّلَ لِلضَّيْفِ وَمَنْ لَا مَنْزَلَ لَهُ " وقد كان لضياف النبي صلى الله عليه وسلم يبيتون في المسجد، قال الطرطوشي² وكذلك النوم فيه في النهار وفعله النبي صلى الله عليه وسلم و أبو بكر وعمر وعلي وجاز لمن بات فيه وخاف من اللصوص والسباع أن يتخذ آنية للبول والغائط قاله ابن رشد انتهى. وكذلك يجوز للغريب إن اضطر أن يدخل دابته فيه، خليل. وجاز لرجل تجرد للعبادة من صلاة وتلاوة وتعلم علم أن يتخذ المسجد مسكناً بخلاف المرأة، أو الذي يتخذ كالدار ويعده للادخار لأنه تغيير له عما وُضع له، وجاز فيه عقد نكاح وقضاء دين خفّ وقتل عقرب ونحوه، وجاز إنزال الضيف بمسجد بادية لأنها لذلك بنيت وجاز اتخاذ منزل للسكنى أو غيره تحته بخلاف العكس.

وأما فضائل المساجد وتعاهدها فأكثر من أن تُحصى، (ث) روى أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال [إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له

1 - العتبية من أمهات الفقه المالكي ، سميت كذلك نسبة لمؤلفها لمحمد العتبي بن أحمد الأموي ، قال ابن خلدون في المقدمة عنه ، ص 245 " اعتمد أهل الأندلس كتاب العتبية وهجروا الواضحة وما سواها " وفي نفح الطيب (ج 4 / ص 164) ولها عند أهل إفريقية القدر العالي وهو كتاب عول عليه لمتقدمون من القرويين والأندلسيين ولا تفقه فيه لحفظه للمدونة وتفقهه فيها بعد معرفة الأصول وحفظه لسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

2 - محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب الفهري المعروف بالطرطوشي نسبة إلى طرطوشة حيث ولد (ت 520هـ) أنظر ترجمته في شجرة النور الزكية ص 124/125.

بالإيمان فإنَّ الله تعالى يقولُ إنما يُعَمِّرُ مساجدَ الله من آمن بالله واليوم الآخر¹ وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال [إنَّ الله تعالى ضمنَ لمن كانت المساجدُ بيتهُ الأمنَ والأمانَ والجوازَ على الصِّراطِ يومَ القيامةِ]² خرجه البقوي وروى أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال [إذا وَطَنَ الرجلُ المساجدَ بالصلاةِ والذكرِ تَبَشَّشَ اللهُ لَهُ كما يتبشَّشُ أهلُ الغائبِ لغائبِهِمْ // نوحه 113 // إذا قَدِمَ عليهم، ومعنى تبشَّشَ أي يفرِّحُ به وأخرج السمرقندي عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قال [المساجدُ بيوتُ المتقينَ وقد ضمنَ اللهُ تعالى لِمَن كانت بيوتُهُم بالروحِ والراحةِ والإجارةِ من النارِ إلى رضوانِ الجبارِ]³، وفيه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم [كونوا في الدنيا أضيافا واتخذوا المساجدَ بيوتا وعودوا قلوبكم الرِّقةَ وأكثرُوا التفكيرَ في البلاءِ ولا تختلفنَ بكم الأهواءُ]⁴ وقال قتادة " ما كان يُرى المؤمنَ إلا في ثلاثةِ مواطنٍ مسجدٌ يعمِّره أو بيتٌ يستره أو حاجةٌ لابدَّ له منها " وعن خلف بن أيوب كان في المسجدِ فأتاه غلامٌ يسأله عن شيءٍ فقامَ لخارجِ المسجدِ ثم أجابه ف قيل له في ذلك فقال ما تكلمتُ في المسجدِ بكلامِ أهلِ الدنيا منذُ كذا وكذا سنة فكرهتُ أن أتكلَّم فيه اليومَ. قال أبو الليث " إنما يصيرُ { للعبد عند الله تعالى منزلةٌ }⁵ إذا عَظَّمَ أموره وبيوته وعبادته، والمساجدُ بيوتُ الله فينبغي أن يُعَظِّمَهَا فإنَّ تعظيمَهَا تعظيمٌ لله تعالى " وعن بعضهم " ما أسندتُ إلى شيءٍ وما

1 - سنن ابن ماجه الحديث رقم 802 وذكره البيهقي أيضا في السنن الكبرى الحديث رقم 4988

2 - لم أعثر عليه

3 - الطبراني ، المعجم الأوسط ، رقم الحديث 7149 ، بلفظ مغاير .

4 - ذكره أبو نعيم في حلية الأولياء ، ج 1 ص 358 ، حديث حسن .

5 - للعبد منزلة عند الله تعالى في نسخة ب

مددت رجلي ولا تكلمت بكلام أهل الدنيا فيه إعظاماً لقدرة " وعن الحسن رضي الله عنه " ثلاث في جوار الله تعالى رجل دخل المسجد لا يدخله إلا الله، فهو وقد الله تعالى حتى يرجع إلى أهله، ورجل خرج حاجاً أو مُعتمراً لا يخرج إلا الله فهو وقد الله حتى يرجع إلى أهله، ورجل خرج غازياً في سبيل الله، وجاء حصن المؤمن من الشيطان ثلاث: ذكر الله والمسجد وتلاوة القرآن، فمن كان في واحدة منها فهو في حصن من الشيطان. مهوّر الحور العين كنس المساجد وعمارتها، وقال أنس [من أشرق سراجاً في المسجد لم تزل الملائكة وحملته العرش تستغفر له ما دام ضوءه في المسجد]¹ وفي الصحيح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [من بنا لله مسجداً ولو مثل مفحص قطاة بني له قصراً في الجنة]² والقطاة الطائر المعروف والمفحص عشها. وعن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال [يحشر الله تعالى مساجد الدنيا كأنها بخت بيض قوالبها من العنبر وأعناقها من الزعفران ورؤوسها من المسك الأذفر، والمؤذنون يقودونها والأئمة يسوقونها فيعبرون من عرصات القيامة كالبرق الخاطف، فيقول أهل القيامة هؤلاء الملائكة المقربون فيقال لهم ليس هؤلاء الملائكة المقربين ولا الأنبياء المرسلين هؤلاء من أمة محمد صلى الله عليه وسلم الذين يحفظون صلاة الجماعة]، وعن علي رضي الله عنه " يأتي على الناس زمان لا يبقى من الإسلام إلا اسمه ولا من القرآن إلا رسمه يعمرون مساجدهم وهي من ذكر الله خراب شر أهل ذلك الزمن

1 - بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث للهيتمي (ت 807هـ) رقم 122

2 - من بنا لله مسجداً بنا الله له مثله في الجنة - نيل الأوطار أبواب اجتنب الجنائز ومواضع الصلوات -

باب فضل من بنى مسجداً حديث رقم 626

علمائهم //نوحة 114// منهم تخرج الفتنة وإليهم تعود " وروى الزهري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال [الغرباء في دار الدنيا أربعة قرءان في جوف ظالم ومسجد بين قوم لا يصلون فيه ومصحف في بيت لا يقرأ فيه ورجل صالح بين قوم سوء. وبالله تعالى التوفيق.

{وأما آداب ما بعد الصبح إلى الطلوع،(غ)}¹ فإذا فرغت من الدعاء يغني الأوراد التي تذكر قبل صلاة الصبح وأديت الفرض يريد كما يأتي وصفه إن شاء الله، فلا تشتغل بعده إلا بذكر أو تسبيح، أو قراءة قرءان، أو تفكير في ذنوبك وتقصيرك في عبادة مولاك، ولا تتحدث في هذا الوقت بأمور الدنيا ولأزم هذه الأوراد، ففي الخبر أن ذلك أفضل من عتق ثمان رقاب من ولد إسماعيل، أعني الإشتغال بالذكر إلى طلوع الشمس، من غير أن يتخلله الكلام، وتحذر من التعرض لسخط الله تعالى في يومك، فتنوي الخير لجميع المسلمين، وتقوم على ألا تشتغل في جميع نهارك إلا بطاعة الله، وتفصل في قلبك الطاعات التي تقدر عليها وتختار أفضلها، وتتأمل في تهينة أسبابها لتشتغل، ولا تدع عنك التفكير في قرب الأجل، وحلول الموت القاطع للأمل، وخروج الأمن عن الامتنان وحصول الحسرة والندامة بطول الإغترار.

قال ابن عطاء في الحكم " الغافل إذا أصبح نظر في ماذا يفعل والعاقل ينظر ماذا يفعله الله به"². (غ) ويقال لذلك: اللهم إني أصبحت لا أملك نفسي ضرا

1 - ساقطة من ب.

2 - الحكم العطائية - الحكمة رقم 114

ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ولا أستطيع أن آخذ إلا ما أعطيتني ولا أن أتقي إلا ما وقَّيتني اللهم وفقني لما تحبُّه وترضاه من القول والعمل في عافية إنك ذو الفضل العظيم. (ش) بعد ذكره ما تقدّم للغزالي "ولا يزال كذلك من غير فتور وقصور ولا نعاس فإنَّ النوم في هذا الوقت مكروهٌ جدًّا فإن غلبه النوم فليقم في مصلاه قائما مستقبل القبلة فإن لم يذهب النوم بالقيام، فليخطُ خطوات نحو القبلة ويتأخَّر كذلك لا يستدرِ القبلة، فلدوام الذكر في هذا الوقت أثر كبير وبركة عظيمة وجدنا ذلك بحمد الله ونوصي به الطالبين، وتأثير ذلك في حق من يجمع في الأذكار بين القلب واللسان أكثر وأظهر ويُلازم موضعه الذي صلَّى فيه مستقبل القبلة، زاد غيره جاعلا رأسه بين ركبتيه مُعْطيا له أو مُغْمِضا عينيه. إلى أن يرى انتقاله إلى زاويته أسلم لدينه لكلا يحتاج إلى حديث أو التفات إلى شيء فإن ترك الكلام في هذا الوقت له أثر ظاهر يجده أهل المعاملة وأرباب القلوب وندب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم. انتهى وبالله التوفيق.

{وأما حكم الجماعة وفضائلها}¹ فهو سنة كما تقدّم (د) قال بعض الشيوخ اتفق //نوحه 115// أهل السير أن ربط الصلاة بالجماعة مما اختصت به هذه الأمة ولم يصل قط من قبلهم إلا أفرادا، لما أراد الله بهذه الأمة من تضعيف أجورها [إذ صلاة الجماعة {تفضل على صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة} ² وهو حديث متفق عليه. ورغب عليه³ الصلاة والسلام في صلاة الجماعة ورغب في إعادة من

- ساقطة من ب .

² رواه البخاري ، رقم الحديث 645.

- بياض في ب .

صَلَّى فَرْدًا فِي جَمَاعَةٍ، وَجَعَلَ مَنْ أَدْرَكَ رُكْعَةً مِنْهَا مُدْرِكًا لَهَا، هَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ وَقِيلَ يَحْصُلُ بِأَقْلٍ مِنْ رُكْعَةٍ وَأَخْتَارَهُ ابْنُ رَشْدٍ.

قُلْتُ وَلَيْسَ هُوَ فِي الْفَضْلِ كَمَنْ صَلَّاهَا مِنْ أَوَّلِهَا اتِّفَاقًا لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ [مَنْ فَاتَتْهُ الْفَاتِحَةُ فَقَدْ فَاتَهُ خَيْرٌ كَثِيرٌ]¹، هَذَا فِي مَنْ فَاتَتْهُ الْفَاتِحَةُ فَقَطْ، فَكَيْفَ فِي مَنْ فَاتَتْهُ رُكْعَةٌ فَأَكْثَرَ، وَإِنْ تَرَخَا عَنْهَا اخْتِيَارًا حَتَّى فَاتَتْهُ فَهَلْ يَحْصُلُ لَهُ أَجْرُهَا أَوَّلًا قَوْلَانِ وَلَا تَبْطُلُ صَلَاتُهُ بِذَلِكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَمَنْ صَلَّى وَحْدَهُ، فَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَعِيدَ فِي

جَمَاعَةٍ، لِلْفَضْلِ مَأْمُومًا بِنِيَّةِ التَّفْوِيزِ، وَإِنْ تَبَيَّنَ عَدَمُ الْأَوَّلَى أَوْ فَسَادُهَا أَجْزَأَتْ الثَّانِيَةَ، كَالْعَكْسِ إِلَّا الْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ إِذَا أُوتِرَ بَعْدَهَا فَإِنْ فَعَلَ وَتَذَكَّرَ قَبْلَ أَنْ يَرْكَعَ قَطَعَ وَإِلَّا شَفَعَ، وَإِنْ أَتَمَّ أَتَى بِرَابِعَةٍ، وَإِنْ أَقِيِمَتِ الصَّلَاةُ فِي مَسْجِدٍ عَلَى مُحْمِلِ الْفَضْلِ وَهُوَ مَنْ صَلَّى مَعَ غَيْرِهِ وَإِنْ مَعَ امْرَأَةٍ لَا صَبِيٍّ وَهُوَ بِهِ خَرَجَ، وَإِلَّا لَزِمَتْهُ كَمَنْ لَمْ يُصَلِّهَا وَإِنْ أَقِيِمَتِ فِي صَلَاةٍ فَإِنْ كَانَتْ الَّتِي هُوَ فِيهَا قَطَعَ إِنْ لَمْ يَرْكَعْ وَإِنْ رَكَعَ شَفَعَ إِنْ لَمْ يَخْشَ فَوَاتَ رُكْعَةٍ، وَكَانَ وَقْتُ يَجُوزُ فِيهِ الرُّكُوعُ وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَهَا وَهُوَ مِمَّا يَجِبُ تَرْتِيبُهَا مَعَهَا كَمُصَلِّي ظَهْرِ أَقِيِمَتِ عَلَيْهِ الْعَصْرُ فَإِنَّهُ يَتِمُّهَا

وَإِنْ لَمْ يَشْرَعْ فِيهَا خَرَجَ حَتَّى يُصَلِّيَهَا وَيَدْرِكَ بَقِيَّةَ صَلَاةِ الْإِمَامِ وَبَيْتِهِ يَتِمُّهَا مُطْلَقًا وَمَنْ صَلَّى فِي الْمَسَاجِدِ الثَّلَاثَةِ مَسْجِدَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَسْجِدُ مَكَّةَ وَبَيْتِ الْمَقْدِسِ وَهُوَ أَيْلًا فَرْدًا، فَلَا يَعِيدُ جَمَاعَةً فِي غَيْرِهَا وَقَضَى الْمُدْرِكُ الْأَقْوَالَ أَعْنَى السُّورَةِ وَبَنَى الْأَفْعَالَ لِيَجْلِسَ عَلَى ثَانِيَتِهِ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

1 - نص الحديث عن أبي هريرة أنه كان يقول من أدرك الركعة فقد أدرك السجدة ومن فاتته قراءة أم القرآن فقد فاتته خير كثير، تخريج مشكاة المصابيح قال الألباني عن هذا الحديث أنه حديث معضل.

وسلم [إذا أتيتُم المساجدَ فلا تأتوها وأنتم تَسعون وأتوها وعليكم السكينة والوقار فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأقضوا]¹، وإنما يكونُ القضاءُ بعد سلام الإمام، وقام بتكبيرٍ إن جلسَ في ثانيته وإلا فلا، إلاَّ مدركَ التشهُد فإنه يقومُ بالتكبيرِ والسجود القبليَّ مع الإمام إن لحق ركعةً، والبعديَّ بعد القضاء، وركع من خشْيِ فوات ركعةٍ دون الصَّفِّ، ثم يدبُّ للصَّفِّ راكعاً أو قائماً لا جالساً أو ساجداً، ومن وجد الإمام راكعاً أو ساجداً أو جالساً كبَّرَ للإحرام ودخلَ معه ولا ينتظر وقوفه وكبَّرَ أيضاً لركوع أو سجود لا لجلوسٍ فإن نوى به الإحرام أو نواهما أولم ينوهما أجزأ وإن لم ينو الإحرام ناسياً له أو متعمداً لم يجزه // نوحه 116 // وتماذى في النسيان استحباباً وأعادَ وجوباً وهو أحد مساجد الإمام التي يجمعها قولك : ضذكو، فالضاد ضاحكٌ في الصلاة، يتماذى إن لم يقدر على ترك الضحك وإلا استأنف، والذال ذاكُر صلاةٍ في صلاةٍ كاليسير الذي يجب ترتيبه مع الحاضرة، وهل أربع صلواتٍ أو خمسٍ خلافً، والكافُ كبَّر للركوع كما تقدَّم، والواو وتُر أي ذاكرها فيتماذى المأموم وجوباً ويعيدُ استحباباً في هذه عكس الثلاثِ المتقدمة ويقطعُ الفِرَّ و في الإمام روايتان وإن شكَّ المدرك في إدراك الركوع ألغاهَا، ويستحبُّ سدُّ الفرج في الصَّفِّ إن قُرِبَتْ وإلا وقَّفَ خلف الصَّفِّ ولا يجذُبُ إليه أحداً ولا يُطيعه وإلاَّ فهو خطأً منهما وبالله تعالى التوفيق.

¹ صحيح البخاري عن ابن قتادة الأنصاري، رقم الحديث 805.

{ أما أفضال الجماعة }¹ فكثيرة قال صاحب الحلة " إِنَّ إِفَادَةَ الْجَمَاعَةِ فِي إِقَامَةِ الصَّلَاةِ هُوَ تَكْثِيرُ الشُّهُودِ عَلَى الطَّاعَةِ فَإِنَّ بَعْضَهُمْ يَشْهَدُ لِبَعْضٍ فَإِذَا مَا صَلَّى الرَّجُلُ وَحْدَهُ لَمْ يَشْهَدْ لَهُ بِذَلِكَ غَيْرُ حَافِظِيهِ، وَمَنْ كَثُرَ لَهُ الشُّهُودُ بِالْخَيْرِ كَانَ عَزَّهُ وَبَهَاؤُهُ وَنُورُهُ أَكْثَرَ. وَفَوَائِدُ الْجَمَاعَةِ أَكْثَرُ مِنْ هَذَا مِنْهَا أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ فِي الْجَمْعِ مَغْفُورٌ لَهُ فَيَغْفِرُ لِبَاقِي الْجَمَاعَةِ وَفِي الْحَدِيثِ مَنْ صَلَّى مَعَ مَغْفُورٍ لَهُ غُفِرَ لَهُ وَمِنْهَا تَضْعِيفُ الدَّرَجَاتِ، قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ الثَّبَانِ وَلِلْمَحَافِظِينَ عَلَى الْجَمَاعَةِ عَشْرُ كَرَامَاتٍ، تَوْفِيرُ الْأَجُورِ وَوَقَايَةُ الشُّرُورِ وَالْجَوَازُ عَلَى الْجُسُورِ وَتِمَامُ النُّورِ وَالنَّجَاةُ مِنْ دَارِ الثُّبُورِ وَدُخُولُ دَارِ السُّرُورِ وَالسَّلَامَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ الْكَفُورِ وَالْأَمْنُ مِنْ هَوْلِ يَوْمِ النُّشُورِ وَالرَّاحَةُ مِنْ ظُلُمَاتِ الْقُبُورِ وَوُجُودُ رِضَى إِيَّاهُ الْغُفُورُ، أَمَا تَوْفِيرُ الْأَجُورِ فَلِمَا رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاةٍ أَحَدِكُمْ وَحْدَهُ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً]² وَالْحَدِيثُ صَحِيحٌ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَأَمَّا وَقَايَةُ الشُّرُورِ فَلِمَا رَوَاهُ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ [مَنْ سَمِعَ الْمُنَادِيَ فَلَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ اتِّبَاعِهِ عَذْرٌ، قَالُوا وَمَا الْعَذْرُ، قَالَ خَوْفٌ أَوْ مَرَضٌ، لَمْ يَقْبَلِ اللَّهُ مِنْهُ الصَّلَاةَ الَّتِي صَلَّى]³ خَرَّجَهُ الدَّارِقُطْنِيُّ، وَأَمَّا الْجَوَازُ عَلَى الْجُسُورِ فَلِمَا رَوَاهُ الْأَعْرَجُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي آخِرِ خُطْبَةٍ خُطِبَهَا عَلَى الْمِنْبَرِ [مَنْ صَلَّى الصَّلَاةَ فِي جَمَاعَةٍ حَيْثُ مَا كَانَ فِي أَوْقَاتِهَا جَازَ عَلَى

1 - ساقطة من ب .

2 - سبق تخريجه.

3 - رَوَاهُ الدَّارِقُطْنِيُّ

الصِّراط كالبرق اللامع في أول زُمرَة السابقين وجاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر، وكان له بكل يوم حافظ فيه على الجماعة أجرٌ قتيل في سبيل الله [1] ذكره أصحاب الرِّقائق . وأما تمامُ النور // نوحه 117 // فلحديث عبد الله بن أوس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال [بَشِّرِ المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة]² خرجه أبو داود. وأما النجاة من دار الثبور فلما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال [مَنْ صَلَّى أربعين يومًا في جماعة لا تفوته التكبيرُ الأولى كتب له براءتان براءة من النار وبراءة من النَّفاق] ذكره بعض أهل الرِّقائق. {وَأَمَّا³ دخول دار السُّرور فلما روى عنه صلى الله عليه وسلم قال أنه قال [مَنْ سَرَهُ أَنْ يَسْكُنَ بِحُبُوحَةِ الْجَنَّةِ يَعْنِي وَسْطَهَا فليشهد الجماعة]⁴ وَأَمَّا⁵ السلامة من الشيطان الكفور فلقوله صلى الله عليه وسلم [عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ إِنَّمَا يَأْخُذُ الشَّاةَ الْقَاصِيَةَ]⁶ وهذا الحديث مشهور وأما الأمن من هول يوم النشور فمذكور في قوله تعالى ﴿ يَوْمَ يَكْشَفُ عِزْ سَاقٍ وَيَدْعُونَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَضِيْعُونَ ﴾⁷. قال سعيد بن جبیر في هذه الآية " كانوا يسمعون الإقامة وهم أصحاء فلا يجيبون فلا يقدرُونَ على السُّجود في العُقْبَى ويضُرُّهم من أجاب المؤذن في الدُّنْيَا " وَمَنْ سَجَدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ آمِنٌ مِنْ أَهْوَالِهَا ، لَأَنَّ فِي السُّجُودِ سَبَبُ

1 - لم أعر عليه

2 - رواه الطبراني ، المعجم الأوسط ، رقم الحديث 1275

3 - ساقطة من ب

4 - رواه الترمذي ، رقم الحديث 2165

5 - ساقطة من ب

6 - سنن أبو داود الحديث رقم 459

7 - القلم - آية رقم 42.

القرب من الربِّ سبحانه. (ث)¹ في هذه الآية يرجع ظهره طبقاً واحداً فلا يقدرُ على السُّجودِ فإذا أرادَه خرَّ على قفاه انتهى. وأما² الراحةُ في القبورِ، فقد جاء أنَّ صلاةَ الليلِ تنورُ القبرَ، وقد قال تعالى ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ أي في القبور. وأما³ رضا الملك الغفورِ فلقوله صلى الله عليه وسلم [الصلاةُ أولَ الوقتِ رضوانُ الله تعالى]⁴، ومن حافظ على الجماعة نال الرِّضوانَ والغُفرانَ. انتهى

(ث) وروى أبوداود عن سعيد بن المسيب، حضر رجلاً من الأنصارِ الموت فقال إِنِّي مُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا مَا حَدَّثْتُمُوكُمْ إِلَّا احتساباً، سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إذا توضَّأ أحدكم فأحسنَ الوضوءَ ثم خرج إلى الصلاة لم يرفع قدمه اليمنى إلا كتَبَ الله له حسنةً ولم يضع قدمه اليسرى إلا حطَّ الله عز وجل عنه سيئةً فليُقرب أو ليبعد، فإن أتى المسجدَ وصلى في جماعة غفر له فإن أتى المسجدَ وقد صلوا بعضاً وبقي بعضٌ صلى ما أدرك وأتمَّ ما بقي كان كذلك فإن أتى المسجدَ وقد صلوا فأتَمَّ الصلاةَ كان كذلك] وفيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [من توضَّأ فأحسنَ وضوءه ثم راح فوجدَ الناس قد صلوا أعطاه الله عزَّ وجل قدرَ من صلاتها وحضرها لا ينقص ذلك من أجورهم]⁵.

1 - ساقطة من ب.

2 - ساقطة من ب.

3 - ساقطة من ب.

4 - سنن الترمذي - كتاب الصلاة - باب ماجاء في مواقيت الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم - باب ما جاء في الوقت الأول من الفضل الحديث رقم 172.

5 - سنن أبو داود - كتاب الصلاة - حديث رقم 564

فوائد¹ الأولى، من ترك الجماعة أو الجمعة اختياراً مداوماً على ذلك فذلك جرحة في شهادته وفي إمامته، وهو الذي ورد فيه عن ابن عباس رضي الله عنه [مفارق الجماعة في النار] وترك الجمعة في هذا أشد، لأنها فرض عين وقد قال صلى الله عليه وسلم [ومن ترك الجمعة ثلاث مرات من غير عذر ولا علة // نوحه 118 // طبع الله على قلبه]² بطابع النفاق وإن كان كالمرة فمغتفر إن شاء الله، الثانية الأعذار التي تبيح التخلف عن الجماعة والجمعة قليل، شدة وحل أي طين وشدة مطر وشدة جذام وشدة مرض، لا الخفيف من ذلك كله وكذا تريض غيره وإشراف قريب ونحوه كصديق وزوجة وشيخ على الموت، وخوف على مال أو حبس مديان معسر أو ضرب وعري لا يجد ما يشتري به، ورجاء عفو وقصاص لزمه، وأكل كثوم وبصل وكراث نيء، كريح عاصفة بليل وشدة ظلمة، لا عرس زوجة أو عمى بقائد، أو شهود عيد، فيجب عليهم حضورها مع ذلك.

الثالثة³ من بعدت داره جداً، بحيث يشق عليه حضور الجماعة في كل وقت لشغل أو عذر، فلا يُسمح له في ترك الجماعة في داره، بل يصلي بأهله ويعلمهم ذلك إلا ألا يجد أحداً، فإن ذلك يقوم له مقام الجماعة إن شاء الله للمشقة، قال تعالى ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ ما لم يؤدي ذلك إلى تعطيل المساجد رأساً، ولا يترك جماعة في بعض الأوقات ليلاً يحرم بركة الاجتماع

- ساقطة من ب

² - سنن الترمذي - كتاب الجمعة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - باب ما جاء في ترك الجمعة من

غير عذر - الحديث رقم 500.

- ساقطة من ب .

ومشاهدة الخير، وفضل المسجد، ولا يبتني مسجداً خارج داره، لأنه يؤدي إلى تفريق الجماعة.

المفيد¹، وقد قال ابن العربي في رجل يتخلف عن الجماعة، وبنى مسجداً في موضع آخر، فإنه يؤمر برجوعه فإن رجع وإلا هُدم عليه. وقال القاضي إنما يُصلي الرجل في الجماعة، لفائدتين إما لاستحباب الأجر أو إظهار الشريعة ونفي التهم.

{الرابعة(د)}² صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في المسجد لأنها عورة ولما في خروجها من الإذابة للرجال، ولما وقع في الحديث من ترك الصف الأول خيفة أن يؤذى الناس فله من الأجر ما لو صلى فيه، وكذلك المرأة إذا تركت الصلاة في المسجد خوفاً من الفتنة فإنه يحصل لها من الأجر مثل ما لو صلت في المسجد في جماعة، لا سيما في هذا الزمان الذي قلت فيه الأخيار وكثرت الأشرار وهذا في الشابة ومن يخشى منها الفتنة وأما المتجالة فلها ذلك لقوله صلى الله عليه وسلم [لا تمنعوا إماء الله مساجد الله]³ وإذا خرجت فإنما تخرج طرفي النهار وأن تلبس أدنى ثيابها وأن تمشي في حافة الطريق لا في وسطه وألا يكون عليها ريح طيب وألا تظهر إلا الوجه والكفين إن لم تكن مفتتة وإلا وجب عليها ستر الجميع، وهكذا ينبغي خروجها مطلقاً في ضرورتها وقد تركت هذه السنة في هذا الزمان وانعكس الأمر فإننا لله وإننا إليه راجعون. قلت // لوحة 118 //

- ساقطة من ب .

- ساقطة من ب .

³ - سنن أبو داود - كتاب الصلاة - حديث رقم 565.

حُكْمُ النوافل للرجال فالإخفاء فيها أفضل للسلامة من الرياء وإظهار الفرائض أفضل.

أفضل المسجد صدره إلا لامرأة أو معتكف، وفي الخبر لو يعلم الناس ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوا، ولو يعلم الناس ما في الصف الأول لاستهّموا عليه ولقوله صلى الله عليه وسلم [خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها وخير صفوف النساء أواخرها وشرها أولها]¹، وليكن مقصده في ذلك ابتغاء مرضات الله تعالى، وقد حكى عن بعضهم أنه لازم الصف الأول أربعين سنة، فتأخر عنه يوماً لعذر ما، فأحس من نفسه الخجل من الناس فأعاد صلاته أربعين سنة. ولا يتأخر عن الصف الأول، إلا ألا يجد فيه فرجة ويسره المسجد، وردّ أنه يكتب لعامره أجران، وأفضل المسجد الفجر. وبالله تعالى التوفيق.

وأما الإمامة فأعلم أنها على قسمين كبرى وستأتي إن شاء الله تعالى في محلها وصغرى وهي إمامة الصلاة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [إن سرّكم أن تُقبل صلاتكم فليؤمكم خياركم]² قال العلماء رضي الله عنهم "أربعة يستحقون الإمامة دون غيرهم وهم الأب على بنيه والعُم على ابن أخيه والسلطان على غيره ورب المنزل على الضيف فإن لم يكن من هؤلاء فإنه يقدم الفقيه على المحدث، والمحدث على القارئ، والقارئ على الصالح والصالح على المسنّ والمسنّ على من دونه فإن تساوا في هذه الأشياء قدّموا أحسنهم خلقاً فإن تساوا فأحسنهم

¹ - سنن الترمذي - كتاب الصلاة - باب ما جاء في فضل الجماعة - باب ما جاء في فضل الصف الأول -

حديث رقم 224

² - تحفة الحبيب على شرح الخطيب - كتاب الصلاة - فصل في صلاة الجماعة - اقتداء القارئ بالقاعد.

وَجُهَا فَإِنْ تَسَاوَوْا فَأَحْسَنَهُمْ ثِيَابًا فَإِنْ تَسَاوَوْا اقْتَرَعُوا، وَهَذَا كُلُّهُ إِذَا كَانَ نِزَاعُهُمْ فِي حِيَاةِ الْفَضْلِ، وَأَمَّا إِذَا كَانَ لِلرِّيَّاسَةِ وَالْكِبَرِ فَإِنَّهُمْ يُتْرَكُونَ كُلُّهُمْ.

تنبيهان، الأول ما تقدّم من الترتيب عند عدم المشاحة على جهة الاستخباب فلو عكس لصحّ، الثاني¹ ذلك إنّما هو حيث توفّرت شروط الإمامة في جميعهم وإلاّ فلا، فاحتيج من أجل ذلك إلى معرفة شروط الإمام والمأموم، عياض في قواعده "وصفات الإمام الواجبة عشر: كونه بالغاً، ذكراً، عاقلاً، مسلماً صالحاً، قارئاً فقيهاً بما يلزمه في صلاته قادراً على أداء صلاته على وجهها فصيح اللسان وتزيّد في الجمعة مقيماً حُرّاً"² قلت، ومهما اختلف شرط من هذه الشروط دخل الخل في بعضها كعدم الذكورية والبلوغ والعقل وعدم القدرة على بغض أركانها كالقيام، تبطل اتفاقاً في بعضها كعدم الإسلام، وعلى المشهور في البعض إلاّ كقاعده بمثله وجاهل بمثله فجائز.

وصفاته المستحبة عشر كونه //نوحه 120// أفضل القوم في دينه وأفقهم وأقرأهم ذا حسب فيهم وخلق حسن سيء حُرّاً تامّ الأعضاء حسن الصوت نظيف الثوب وصفاته المكروهة عشر: كونه أعجمي اللفظ، أو أكنّ أو ألنّ أو ولد زنى أو عبداً أو أغلفاً³ أو خصياً أو أعرابياً أو أقطع اليد أو الرّجل أو مبتدعاً أو يأخذ على الصلاة أجراً أو قد كرهته جماعته أو من يلتفت إليه فيهم.

1 - ساقطة من ب .

2 - شرح الإعلام بحدود قواعد للإسلام لأبي الفضل عياض بن موسى السبتي (544هـ) تأليف الإمام أبي العباس بن أحمد بن القاسم الجذامي (ت 778هـ) تحقيق عبد بنطاهر التتاني السوسي ، دار الأمان الرباط ، الطبعة 2014 ، ص 655 ، بتصرف .

3 - غير مختن

(د) وعلى الإمام عشر وظائف مطلوبة، مراعاة أوائل الأوقات وأن يقصد بذلك وجه الله مع محافظته على ما يجب عليه، وألا يكبر حتى تستوي الصفوف أو يوكل من يسويها أو يأمرهم بذلك، وأن يجزم تحريمه وتسليمه ولا يمدّهما جداً لئلا يسبقه من خلقه ولا يقطعهما جداً حتى يخلّ بالمدي الطبيعي فيكون لحناً وأن يرفع صوته بالتكبير والتحميد ليقترن به بخلاف المأموم فلا يجهر بشيء من ذلك إلا بالإحرام والسلام، وأن يخفف الركوع والسجود بعد تحصيل الطمأنينة بعد الاعتدال وألاً يتقدم على قوم وهو يعلم أن فيهم من هو خير منه قراءة وفقهاً في الصلاة إلا إن امتنع من التقديم لما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال [من أمّ قوماً وهو يعلم أن فيهم خيراً منه فقد خان الله ورسوله] وأن يجتهد إذا أصابه ما يخوجه للاستخلاف، أفضل القوم ما استطاع، وألاً يعجب بنفسه ولا يحدثها بأنه لولا أنه خير منهم ما قدم عليهم، ولينظر إلى منة من أظهر جميله وستر قبيحه، وألاً يدخل الصلاة حتى يستغفر الله من ذنوبه ويشعر نفسه بأنه آخر صلاته. قلت، وقد قال صلى الله عليه وسلم [صل صلاة مودّع كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك]¹ وألاً يخص نفسه بالدعاء دون من خلقه فإن فعل فقد خانهم. عياض " وروى عن مالك جوارزه وأن يليه أفضلهم وأن يلتزم الرداء عند صلاته وأن يتحنى من مصلاه إذا أفرغ ". وزاد غيره وألاً يدخل المحراب قبل فراغ الإقامة وألاً يتغمق في المحراب جداً وألاً يقرأ بسورة السجدة في الفرض وأن يدعو بعد صلاته بيديه راغبين وأن يمسح بهما وجهه ولا يطوّل وقيل إن ذلك بدعة والله أعلم.

¹ - المعجم الأوسط - الطبراني - باب العين - رقم الحديث 4564

وأما شروطُ المأمومِ فعشرٌ أيضا : أن ينوي الاقتداءَ بإمامه وكونه مأمومًا ولا يلزم ذلك الإمام إلا فيما لا تصحُّ فيه صلاته إلا بالجماعة وهو الجمعُ ليلةَ المطرِ والجمعة والخوف والاستخلافُ فيجبُ عليه في ذلك أن ينوي أنه إمامٌ وقيلَ ينوي في جميع الصلوات وأن لا يسابقَ إمامه في شيءٍ من أفعال الصلاة وأقوالها وليفعل كل // نوحه 121 // ذلك بعد فعله، فالمسابقة والمساواة في الإحرام والسلام مبطلَةٌ، لا المساواة والمساابقة في غيرهما ممنوعة، ولا تُبطلُ إن أخذَ فرضه مع الإمام لقوله صلى الله عليه وسلم [أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الإمام أن يحول الله صورته صورة حمارٍ أو رأسه رأس حمارٍ] ودون ذلك أن يعلم أنه لا يُسلم قبل الإمام والمساواة مكروهة، وأن يقول آمين إذا قال الإمام ولا الضالين وأن لا يقرأ وراءه في حال الجهرِ ويقرأ فيما أسرَّ فيه وأن يقومَ ذكرًا عن يمينه واثنان فأكثر خلفه، والنساء خلف الجميع وأن يرد السلام على إمامه ثم عن يساره إن كان به أحد، وأن يقول ربنا و لك الحمد، وأن يسبح بإمامه إذا سهى وأن يفتح عليه إذا غيّر القراءان أو وقفَ يطلبُ الفتح وأن يفسحَ له إذا فرغ من دعائه.

وممنوعات صلاة الجماعة عشرٌ أيضا، أن يقتدوا بمعيدٍ لصلاته فيعيدون أبدا أفرادًا، وأن تختلفَ نيةُ الإمام والمأموم، فلا تجزئ المأموم، كاختلافهما في الأداء والقضاء واليوم، وجاز له دخولٌ على ما أحرم به الإمام، كمسافرٍ لم يدرِ إمامه حضريًا أو سفريًا، وارتفاعُ الإمام عن مأمومه كثيرًا، بكشبرٍ إن قصد به الكبر كالعكس وإلا كره، خليل، وهل يجوزُ إن كان مع الإمام طائفةٌ كغيرهم تردّد وجازَ علو المأموم بكسطحٍ لغير كبرٍ، وفضلُ مأمومٍ بكنهٍ كبيرٍ وإلا جاز، وأن يُصلي جالسًا أو إيماءً لعذرٍ دونهم ويكرهُ تقدّم المأموم عن إمامه أو مساواته بلا ضرورةٍ

وأن يسردوا صفوفهم بلا ضرورة وأن يُصلي دون الصف أو بين الأساطين وهي السواري بلا ضرورة، وأن تجمع الصلاة في مسجد له أمام مرتين، ولو صلى فيه وحده أو أذن، وله الجمع إن جمع غيره قبله، إن لم يؤخر كثيرا، ولهم الجمع خارج المسجد إلا في المساجد الثلاثة إن دخلوها والإمام الراتب إن صلى وحده قام مقام الجماعة في الأجر وجواز الجمع ليلة المطر.

تنبيهات: الأول كل سهو سهاه المأموم، فالإمام يحمله عنه مما ينجبر بالسجود، عدا الفرائض فلا يحمل منها إلا الفاتحة فقط، وكل سهو ترتب على الإمام، لزم المأموم، ولو لم يدرك موجبهُ إن صحَّ له الإدراك وإلا فلا. الثاني قال العلماء رضي الله عنهم صلاة المأموم مرتبطة بصلاة الإمام في الصحة والفساد إلا في غلبة الحدث ونسيانه، وأما إن تعمَّد أو علم مأمومه فمبطل، ويزاد على ذلك ترك شيء من فرائض صلاة الإمام، إذا أتى به المأموم فتبطل صلاة الإمام دون المأموم، وقاعدة ذلك أن كل ما يحمله الإمام عن المأمومين في سهوه عنه سهوا لهم إن هم فعلوه { وكل ما لا يحمله الإمام عن المأمومين فلا يكون سهوه عنه سهوا لهم إذا هم فعلوه. الثالث }¹ يستحب لإمام خشي تلف مال أو نفس أو منع الإمامة بعجز أو الصلاة برعاف أو سبق حدث أو تذكره // نوحه 122 // في صلاته أن يستخلف أقرب المأمومين إليه، وينوي المستخلف بالفتح أنه إمام ويبتدئ من حيث انتهى إمامه، في قراءة أو ركوع أو سجود، وابتدأ سرية لم يعلم وخرج ممسكا لأنفه وإن في حدث، وتأخر مأموما في العجز، ولا يرجع لإتمامها

فَإِنْ فَعَلَ بَطَلَتْ، وَلَهُمْ أَنْ يَسْتَخْلِفُوا إِنْ لَمْ يَسْتَخْلِفْ وَلَوْ أَتَمُّوا وَخَدَانَا أَوْ بَعْضُهُمْ أَوْ بِإِمَامِينَ صَحَّتْ فِي غَيْرِ الْجُمُعَةِ، فَإِنْ كَانَ الْمُسْتَخْلَفُ مَدْرَكًا، أَتَمَّ صَلَاةَ إِمَامِهِ بِسُجُودِهَا الْقَبْلِيِّ، ثُمَّ قَامَ هُوَ فَقَطْ لِلْقَضَاءِ، وَيَنْتَظِرُونَهُ فَإِذَا سَلَّمَ بِهِمْ قَدَّمَ غَيْرَهُ لِلْقَضَاءِ، وَأَخَّرُوا الْبُعْدِي بَعْدَ الْقَضَاءِ، وَلِيَحْذَرُ أَنْ يَرُدَّهُ الْحَيَاءُ مِنَ الْخُلُقِ عَنِ الْإِسْتِخْلَافِ أَوْ الْقَطْعِ بِالْكَلِيَةِ، فَيَكُونُ مِمَّنْ يُرْضِي الْخُلُقَ وَيَسْخَطُ رَبَّهُ تَعَالَى فَيُصْلِي بِغَيْرِ وَضوءٍ، فَإِنْ فَضُوْحَ الدُّنْيَا أَهَوُنُ مِنْ فَضُوْحِ الْآخِرَةِ. الرَّابِعُ مِنْ ابْتَلَى بِإِمَامٍ لَا تَرْضَى حَالَتَهُ فَإِنَّهُ يَعْمَلُ عَلَى عَزْلِهِ فَإِنْ لَمْ يَقْدِرْ صَلَّى فِي مَسْجِدٍ آخَرَ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ صَلَّى وَحْدَهُ وَأَعَادَ فِي الْجَمَاعَةِ خَلْفَ هَذَا الْإِمَامِ أَوْ بِالْعَكْسِ، وَمَنْ صَلَّى خَلْفَ إِمَامٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ صَحَّتْ صَلَاتُهُ وَبِاللَّهِ تَعَالَى التَّوْفِيقُ.

{ وَأَمَّا الْجُمُعَةُ وَآدَابُهَا (غ) }¹ اعلم أن الجمعة عيدُ المؤمنين وهو يومٌ شريفٌ خصَّ اللهُ به هذه الأمة وفيها ساعةٌ مبهُمةٌ لا يوافقها عبدٌ مسلمٌ يسأل الله فيها شيئاً إلا أعطاه إياه. انتهى {الجزولي}² وقال النبي صلى الله عليه وسلم [يوم الجمعة خيرٌ يومٍ طلعت فيه الشمسُ وفيها نشأت النبوةُ لأن فيه خلق آدم عليه السلام وفيه أدخله جنَّته وفيه أُنْهِبَ من الجنَّةِ وتاب عليه، وفيه مات وفيه اجتمع مع حواء وفيه استوت سفينة نوح عليه السلام على الجوديِّ، وفيه أخرج يوسف من الجُبِّ وفيه تقوم الساعةُ وما من دابةٍ إلا وهي مُصْغِيَةٌ حتى تطلع الشمس فيه شففاً على الساعةِ إلا الجنَّ والإنسَ، وهو أفضلُ من يوم الأضحى والفطر]³ انتهى. المفيد

- ساقطة من ب .

- سقطت من ب

³ - صحيح مسلم - باب الجمعة - حديث رقم 854.

عن بعض أهل العلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [إن الله عتق في كل يوم جمعة ست مئة ألف عتيق وكلهم استوجبوا النار] ¹ وفي حديث آخر [ليلة الجمعة ويومها إن مات فيه كُتِبَ له براءة من عذاب القبر وبراءة من عذاب الحشر].

(ث) وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي رضي الله عنه [إذا كان ليلة الجمعة فإن استطعت أن تقوم في ثلث الليل الآخر فإنها ساعة مشهودة والدعاء فيها مستجاب وقد قال أخي يعقوب لبنيه سوف أستغفر لكم ربي يقول حتى تأتي ليلة الجمعة] ²، {رواه الترمذي. وشروط} ³ وجوبها وصحتها ستة: الاستيطان لا بمجرد الإقامة إلا تبعا وبجامع مبني ذي بناء له بال {خليل} ⁴ وفي اشتراط سقفه وقصد تدبيرها به، وإقامة الخمس تردّد وبجماعة تتقرى بهم قرية أولاً مقيمين أحرار بالغين ذكور من غير تحديد لا في الرجال // نوحه 123 // ولا في البيوت على المشهور. {عبد الوهاب} ⁵، منع أصحابنا الثلاثة والأربعة وشبّههم وإن لم يكن أولاً، بل في الخطبة الثانية وما بعدها، فتجوز باثنى عشر رجلاً غير الإمام باقين لسلامها، وإمام مقيم حرّ عارف بأحكامها وبخطبتين قبل الصلاة تحضرهما الجماعة متصليتين بالصلاة وأن تكون بعد الزوال للغروب.

1 - أخرجه ابن عدي والبيهقي في الشعب بلفظ (إن لله في كل جمعة تسعمائة ألف عتيق).

2 - سنن الترمذي - كتاب الدعوات - باب في دعاء الحفظ

2 - ساقطة من ب

3 - سقطت من ب

4 - سقطت من ب

{وَأَمَّا آدَابُهَا (غ)}¹ فَاسْتَعِدَّ لَهَا يَوْمَ الْخَمِيسِ بِتَنْظِيفِ الثِّيَابِ وَبِكَثْرَةِ الْاسْتِغْفَارِ وَالتَّسْبِيحِ عَشِيَّةَ الْخَمِيسِ فَإِنَّهَا سَاعَةٌ تُوَازِي فِي الْفَضْلِ سَاعَةَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ وَلَا تَتْرُكْ صَوْمَهُ لَكِنْ مَعَ السَّبْتِ أَوْ الْخَمِيسِ إِذْ فِي إِفْرَادِهِ نُهْيٌ فَإِذَا طَلَعَ عَلَيْكَ الصُّبْحُ فَاغْتَسِلْ فَإِنْ غَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ وَإِنْ كَانَ لَا تَلْزِمُهُ الصَّلَاةُ ثُمَّ تَزِينُ بِالثِّيَابِ الْبَيْضِ، فَإِنَّهَا أَحَبُّ الثِّيَابِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَلِتَسْتَعْمِلْ مِنَ الطَّيِّبِ أَطْيَبَ مَا عِنْدَكَ وَبَالِغٌ فِي تَنْظِيفِ بَدَنِكَ فِي الْحَلْقِ وَالْقَصْرِ وَالتَّقْلِيمِ وَالسَّوَاكِ ثُمَّ بَكِّرْ إِلَى الْجَامِعِ عَلَى الْهَيْئَةِ وَالسَّكِينَةِ، فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [مَنْ رَاحَ إِلَى الْجُمُعَةِ فِي السَّاعَةِ الْأُولَى فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّلَاثَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ فَكَأَنَّمَا أَهْدَى دَجَاجَةً وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ فَكَأَنَّمَا أَهْدَى بَيْضَةً، فَإِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ طُوِيَتِ الصُّحُفُ وَرَفَعَتِ الْأَقْلَامُ وَاجْتَمَعَتِ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ الْمَنْبَرِ يَسْتَمْعُونَ الذِّكْرَ] . وَيُقَالُ أَنَّ النَّاسَ فِي قُرْبِهِمْ عِنْدَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى قَدْرِ بَكُورِهِمْ إِلَى الْجُمُعَةِ. وَأَطْلُبِ الصَّفَّ الْأَوَّلَ وَلَا تَتَخَطَّ الرِّقَابَ وَلَا تَمُرَّ بَيْنَ أَيْدِي الْمَصْلِيِّينَ وَصَلِّ التَّحِيَّةَ، وَحَسَنٌ أَنْ تُصَلِّيَ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ تَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكَعَةٍ بِأَمِّ الْقُرْآنِ وَسُورَةَ الْإِخْلَاصِ خَمْسِينَ مَرَّةً، فَفِي الْخَبَرِ أَنَّ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ لَمْ يَمُتْ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، أَوْ يُرَى لَهُ وَلِتُكْثِرِ الصَّلَاةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا الْيَوْمِ خَاصَّةً، وَمَهْمَا خَرَجَ الْإِمَامُ فَاقْطَعْ الصَّلَاةَ وَالْكَلامَ وَاشْتَغَلْ بِجَوَابِ الْمُؤَذِّنِ ثُمَّ بِاسْتِمَاعِ الْخُطْبَةِ فِي الْخَبَرِ" أَنَّ مَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ وَالْإِمَامِ

يخطُبُ أَنْصِتْ أَوْ صِهْ فَقَدْ لَغِيَ وَمَنْ لَغِيَ فَلَا جُمُعَةَ لَهُ " بَلْ يَسْكُتُ عَنْهُ بِالْكُلِّيَّةِ،
ثُمَّ اقْتَدِ بِالْإِمَامِ فَإِذَا سَلَّمْتَ فَاقْرَأِ الْفَاتِحَةَ قَبْلَ أَنْ تَتَكَلَّمَ سَبْعًا وَالْإِخْلَاصَ وَالْمُعَوَّذَتَيْنِ
سَبْعًا سَبْعًا، فَذَلِكَ يَعِصِمُكَ وَيَكُونُ حِرْزًا لَكَ مِنَ الشَّيْطَانِ، مَنْ الْجُمُعَةِ إِلَى
الْجُمُعَةِ، وَقُلْ بَعْدَهُ: لَكَ يَا غَنِيُّ يَا حَمِيدُ، يَا مَبْدِيُّ يَا مَعِيدُ، يَا رَحِيمُ يَا وَدُودُ، إِغْنِنِي
بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ، وَبِفَضْلِكَ عَنْ مَنْ سِوَاكَ،، ثُمَّ تَلَازِمِ الْمَسْجِدَ إِلَى الْمَغْرَبِ وَكُنْ
عَلَى أَحْسَنِ الْمَرَاqَبَةِ لِلسَّاعَةِ // لَوْحَةٌ 124 // الشَّرِيفَةُ فَإِنَّهَا مَبْهَمَةٌ فِي جَمِيعِ الْيَوْمِ،
فَعَسَاكَ تَدْرِكُهَا وَأَنْتَ خَاشِعٌ لِلَّهِ مُتَضَرِّعٌ، وَلَا تَحْضُرِ فِي الْجَامِعِ الْحِلَقَ وَلَا مَجَالِسَ
الْقَصَاصِ، قُلْتُ: وَهَمُّ الشُّعْرَاءِ الَّذِينَ يَهَيِّمُونَ فِي كُلِّ وَادٍ (ث)¹، وَرَوَى جَابِرُ بْنُ
عَبْدِ اللَّهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ [مَنْ مَشَى سَبْعَ خَطَوَاتٍ فِي شَعْرِ
كُتَبَ (مِنَ الْغَاوِينَ) فَكُلُّ شَاعِرٍ فِي الْإِسْلَامِ يَهْجُوا أَوْ يَمْدُحُ عَنْ غَيْرِ حَقٍّ فَهُوَ دَاخِلٌ
فِي آيَةِ النَّهْيِ وَكُلُّ تَقِيٍّ مِنْهُمْ يَكْتُمُ مِنَ الزُّهْدِ وَيُمْسِكُ عَنْ كُلِّ مَا يُعَابُ عَلَيْهِ، فَهُوَ
فِي الْإِسْتِثْنَاءِ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا
اللَّهَ كَثِيرًا﴾².

ثُمَّ قَالَ (غ)³ بَلْ يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَحْضُرَ مَجْلِسَ الْعِلْمِ النَّافِعِ، وَهُوَ الَّذِي يَزِيدُ فِي
خَوْفِكَ وَيَنْقُصُ مِنْ رَغْبَتِكَ فِي الدُّنْيَا، فَكُلُّ عِلْمٍ لَا يَدْعُوكَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ
فَالْجَهْلُ، أَعُوذُ عَلَيْكَ مِنْهُ، فَاسْتَعِنَ بِاللَّهِ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَأَكْثَرَ الدُّعَاءِ عِنْدَ طُلُوعِ
الشَّمْسِ، وَعِنْدَ الزَّوَالِ، وَعِنْدَ الْغُرُوبِ وَعِنْدَ الْإِقَامَةِ، وَعِنْدَ طُلُوعِ الْخَطِيبِ الْمُنْبَرِّ،

1- ساقطة من ب .

2 - الشعراء آية 227

3 - ساقطة من ب .

وعند قيام الناس إلى الصلاة، فيوشك أن تكون الساعة الشريفة في بعض هذه الأوقات، واجتهد أن تتصدق في هذا اليوم بما تقدّر عليه، وإن قلّ فجمع بين الصلاة والصدقة والقراءة والذكر والاعتكاف، واجعل هذا اليوم من الأسبوع خاصة لآخرتك، فعساه يكون كفارة لبقية الأسبوع وبالله تعالى التوفيق.

{وأما آداب الاستعداد لسائر الصلوات والإقبال عليها حتى يكون مقيماً لها¹.

(غ) ينبغي أن تستعدّ قبل الزوال لصلاة الظهر، فترقّد القيلولة، إن كان لك قيام بالليل وسهر في الخير، فإنّها معونة على قيام الليل، كما أنّ في السحور معونة على صيام النهار، والقيلولة من غير قيام الليل كالسحور من غير صيام النهار فأجتهد أن تستيقظ قبل الزوال، فتتوضأ وتحضّر المسجّد وتُصليّ التحية وتجيّب المؤذن، ثم تُصليّ أربع ركعات عقب الزوال، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُطوّلهنّ ويقول [هذا وقت تفتح فيه أبواب السماء فأحبّ أن يُرفع لي فيه عمل] وهذه الأربع قبل الظهر، من النوافل المؤكّدة، ففي الخبر من صلاهنّ وأحسن ركوعهنّ وسجودهنّ صلىّ معه سبعون ألف ملك فيستغفرون له إلى الليل، ثم صلّ الفرض مع الإمام، ثم صلّ بعد الفرض ركعتين فهما من الرواتب الثابتة، ولا تشتغل بعد الظهر إلا بتعلّم علم نافع وإعانة مسلم على ما ينفع الله به أو قراءة قرآن أو سعي في معاشٍ تستعين به على دينك، ثم صلّ أربعاً قبل العصر فهي سنة، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [رحم الله عبداً صلى أربعاً قبل العصر] فاجتهد أن يتناولك دعاؤه صلى الله عليه وسلم، ولا تشتغل بعد إلا بمثل

1، ساقطة من ب.

ما سبق قبله ولا ينبغي أن تكون أوقاتك مهملة فتشتغل في كل وقت بما اتفق
// لوحة 125 // كيف اتفق، بل ينبغي أن تحاسب نفسك، وترتب وظائفك، في ليالك
ونهارك، وتعين لكل وقت شغلا لا تتعداه ولا تؤدي فيه سواه، ففيه تظهر بركات
الأوقات، فأما من ترك نفسه مهملا سدى، إهمال البهائم لا يذري بما يشتغل في
كل وقت، فتنقضي أكثر أوقاته ضائعة، وعمرك رأس مال، وعليه تجارتك وبه
وصولك إلى نعيم الأبد في جوار الله عز وجل، فكل نفس من أنفاسك جوهرة لا
قيمة لها إذ لا بدل له وإذا فات فلا عودة له فلا تكن كالحُمقاء الذين يفرحون في
كل وقت بزيادة أموالهم مع نقصان أعمارهم فأى خير في مال يزيد وعمر ينقص
ولا تفرح إلا بزيادة علم وعمل فهما رفيقاك يصحابك في القبر حيث يتخلف عنك
أهلك ومالك وولدك وأصدقاؤك. ثم إذا اصفرَّت الشمس، فاجتهد أن تعود إلى
المسجد قبل الغروب، وتشتغل بالتسبيح والاستغفار فإنَّ فضل هذا الوقت كفضل
ما قبل طلوع الشمس، قال الله تعالى ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ
الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾¹ وقرأ قبل غروب الشمس، والشمس والليل إذا يغشى
والمعودتين، ولتغرب عليك الشمس وأنت في الاستغفار فإذا سمعت الأذان فأجب
ثم صلِّ الفرض وصلِّ بعده قبل أن تتكلم ركعتين { فهما راتبتا المغرب وإن صليت
بعدهما أربعاً تطيلهما فهنَّ أيضا سنة وإن أمكنك أن تنوي العكوف إلى العشاء
الأخيرة وتحيي ما بين العشاءين بالصلاة فقد ورد في فضل ذلك ما لا يحصى
وهو ﴿ نَاشِئَةُ اللَّيْلِ ﴾² لأنه أول نشوة، وهي صلاة الأوابين وسئل صلى الله عليه

1 - طه، الآية: 130.

2 - المزمل، الآية: 6.

وسلم عن قوله تعالى ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾¹ فقال [هي صلاة ما بين صلاة العشاءين لأنها تذهب بملاغات النهار وتذهب آخره]²، والملاغات من اللغو، فإذا دخل وقت العشاء فصل أربع ركعات قبل الفرض إحياء لما بين الأذانين ففضل ذلك كثير، وفي الخبر أن الدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد ثم صل الفرض والراتبة ركعتين³ وقرأ فيهما بسورة السجدة وتبارك أو يس والدخان، فذلك مأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم صل الشفع والوتر بتسليتين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فيهما بسبح والكاغرون وفي الوتر بالإخلاص والمعوذتين. وإن كنت عازماً على قيام الليل فأخر الوتر ليكون آخر صلاتك، قلت: ولتصل ركعتين عند انصرافك من المسجد موادةً له إن كان قيامك في بيتك فذلك مستحب. ثم قال ثم اشتغل بعد ذلك بمذاكرة علم // نوحه 126 // أو مطالعة كتاب، ولا تشتغل باللهو فيكون ذلك خاتمة أعمالك قبل نومك، وإنما الأعمال بخواتمها، وستأتي إن شاء الله آداب النوم، في آخر هذا الفصل مع آداب ما بعد الانتباه، وكذا ما ورد فيه من الأذكار في فصل الأذكار وبالله تعالى التوفيق.

{وأما أقسامها (د)}⁴، قسم بعض العلماء الصلاة إلى ستة أقسام خمس فرائض وخمس سنن، وخمس نوافل وخمس فضائل وخمس سنن داخلية في الفرض وخمس رخص داخلية في الفرض، أما الخمس فرائض فمعلومة، وأما الخمس سنن فهما

1 - السجدة، الآية: 16.

2 - لم أجده.

3 - زيادة من ب.

4 - ساقطة من ب.

الوتر والعِيدان وكُسوفُ الشمس والاستسقاء، وأما الخَمْسُ نوافلُ فهي الرُّكُوعُ قبلَ الظُّهرِ والرُّكُوعُ بعدها والرُّكُوعُ قبلَ العصرِ والرُّكُوعُ بينَ المغربِ والعشاءِ، وصلاةُ الضُّحَى وهي ثمانِ ركعاتٍ وقيلَ أربعٌ وقيلَ ستٌ وأما الخَمْسُ فضائلٌ: فسجودُ التلاوةِ وتحيةُ المسجدِ وخسوفُ القمرِ وقيامُ الليلِ وقيامُ رمضان. وأما الخَمْسُ سُننُ الداخلةِ في الفَرَضِ فهُنَّ الجَمْعُ بعرفةَ والمزدلفةَ وصلاةُ المسافرِ بالقصرِ والجمعةُ والخوفُ.

وأما الرُّخْصُ الداخلةُ في الفَرَضِ فهي جمعاُ المريضِ وجمعاُ المسافرِ يعني جمعين لكل واحدٍ باعتبارِ التقديمِ والتأخيرِ كما يأتي تبيانُه عند الأوقاتِ، والجمْعُ ليلةَ المطرِ، وزاد بعضهم ركعتي الفجرِ قيل من السُّننِ وقيل من الرِّغائبِ، وصلاةُ الجنائزِ وهي من فروضِ الكفايةِ والركوعُ عند الإحرامِ والركوعُ عند القيامِ وصلاةُ الاستخارةِ وصلاةُ من قَرُبَ للسَّيفِ، وزاد (غ) صلاةُ التسبيحِ فهذه سبعةٌ وثلاثون صلاةً أَفْضَلُها فرضُ العينِ ثم فرضُ الكفايةِ ثم السُّنةِ ثم الرِّغيبَةُ ثم الفضيلةُ ثم النافلةُ وزاد بعضهم ركعتانِ بعدَ الوضوءِ، والصلاةُ عند إرادةِ السَّفَرِ وعند الرجوعِ منه وينبغي أن يكونَ ذلك في المسجدِ وعند الخروجِ من المنزلِ والعودةِ إليه وعند التوبةِ وبين الأذانِ والإقامةِ وعند طلبِ الحاجةِ من الله عزَّ وجلَّ إن كان وقتاً تُباحُ فيه الصلاةُ. انتهى

ولنشر الآن إلى شيءٍ مما وقفنا عليه من فضائلِ هذه الصلواتِ تنميماً للفائدةِ والله أرجو في القبولِ والتوفيقِ للعملِ بمَنِّهِ. { فأما الفرائضُ فقد تقدّم شيءٌ }¹ من آدابها

1 - ساقطة من ب .

وفضائلها {وأما السنن}¹ فأكدها الوتر وآدابها إن تُصلى ركعةً بعد ركعتين فأكثر ووقتها بعد عشاءٍ صحيحةٍ وبعد شفقٍ ويمتدُّ للفجر، وضروريةٌ للصُّبح ويُستحب قطعها له لقز لا مؤتم، وفي الإمام روايتان وأن تقرأ بالإخلاص والمعوذتين والشفع قبلها بسبح // نوحه 127 // والكافرون إلا لمن له حزبٌ من القراء فمنه فيهما في رمضان وغيره وجاز التنقل بعده ولم يُعده، (ح) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ في الوتر آيتين من كنوز الجنة كتبهما الله تعالى بيده قبل أن يخلق الخلق وهما آية الكرسي وآمن الرسول إلى آخر السورة فمن قرأهما، كتب الله له ثواب مائتي شهيد وكأنما أحيا ستين ليلةً وبنى الله له ستين مدينةً وغفر له ولوالديه الذنوب كلها.

وإن لم يتسع وقت الصبح إلا لركعتين تركه لا لثلاثٍ ولخمسٍ، صلى الشفع وترك الفجر، لحل النافلة وسبع زاد الفجر وهي رغبةٌ تقتقر لنيةٍ تخصها ولا تُصلى مع الشك في الفجر ونذب فيها الاقتصار على الفاتحة سرًا وقيل تُصلى بالأم نشرخ وألم تر، (غ) من لازم قراءتها بهاتين السورتين كفي شر الأعداء وقيل أمان من وجع الأسنان، ومن أفاق بعد طلوع الشمس بدأ بالصبح على المشهور ولا يقضي غير فرضٍ إلا هي إلى فللزوال. المفيد²، والأصل فيها قوله عليه السلام [عليكم بركعتين قبل الصبح فإنهما من كنوز البر] وقوله عليه السلام [ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها فلا تتركوهما وإن طردتكم الخيل] وقالت عائشة رضي الله عنها [لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعاهد على سنة من النوافل أشدَّ معاهدةً منه على

2- ساقطة من ب

2 - ساقطة من ب.

ركعتين قبل الصُّبح] فيُستحبُّ فيها الغُسلُ، والطَّيْبُ، والحَسَنُ من الثَّيابِ، والتَّبَرُّزُ للمُصَلِّي، وكثرةُ ذِكْرِ اللهِ تعالى، والصدقةُ، والمصافحةُ، والاستغفارُ للمؤمنين والمؤمناتِ، وتطبيبُ القلوبِ بما أمكنَ، وينوي في جميع ذلك امتثالَ أمرِ الله تعالى وإظهارَ زينةِ الإسلامِ، ولا يحضُرُ من ذلك ما فيه لهوٌ، من مزمارٍ أو عودٍ وشبهه أو اجتماعِ رجالٍ ونساءٍ، ولا حرجَ عليه في زيارة مَنْ ذَكَرَ اللهُ تعالى في قوله تعالى ﴿وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ إِلَى قَوْلِهِ أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾¹ وظاهرُ الآية وإن لم يكونوا حاضرينَ بعدَ أن يُعطى الاستِئذانُ حَقَّهُ. وأمَّا الاجتماعُ للطعامِ فقد كرهه بعضهم لما ينشأ عنه من الغيبةِ وتعبِ بعضِ الطعامِ وإن سَلِمَ من ذلك وقصد به اتِّلافُ القلوبِ فلا بأس. وأن يُبادِرَ بالفطرِ في الفطرِ بعد إخراجِ زكاةِ الفطرِ وصرفِها لمُستَحِقِّها وإنما تدفعُ لِحُرِّ مسلمٍ فقيرٍ، وقيلَ مَصْرِفُهَا مَصْرِفُ الزَّكَاةِ غيرَ المؤلَّفةِ قلوبِهِم، ونَدِبَ تأخيرُ الفِطْرِ في الأضحى إلى أن يأكلَ مَنْ كَبِدَ أَضْحِيَّتِهِ إن لم يتأخَّرَ الذَّبْحُ كَثِيرًا وأن يتحرى أَطْيَبَ اللَّحْمِ في الضَّحايا ويستحبُّ فيها الجَمْعَ بين الأكلِ والصدقةِ وإطعامِ الجيرانِ بلا حدٍّ. وقد وردَ في الحديثِ [أن الضَّحايا مطايا المؤمنين إلى الجنةِ وأن يذبحها بنفسِه، وجازَ التوكيلُ أو بعادةِ كَقَرِيبٍ، والتسميَةُ واجبةٌ، مع الذِّكْرِ والقُدْرَةِ، ويَحْرُمُ //نوحه 128// أن يبيعَ منها شيئًا، وأن يذبحها بعد ذبحِ الإمامِ أو نحوه، يومَ النحرِ ضحوةً لآخر. اليومُ الثالث والأولُ أفضلُ، والنهارُ شرطٌ، وأن تكونَ بعدَ صلاتِها وأن تكونَ من جذعِ ضأنٍ، أو ثني غيره، وأن تكونَ سليمةً مِنَ العيوبِ البينة، ولا

¹ - النور - الآية 61.

يُشْرِكُ فِيهَا غَيْرَهُ إِلَّا فِي الْأَجْرِ، فَيَجُوزُ بِشَرْطِ أَنْ سَكَنَ مَعَهُ، وَقَرَّبَ لَهُ بِالنَّسَبِ وَأَنْفَقَ عَلَيْهِ، وَإِنْ تَبَرَّعًا وَتَسَقَّطَ عَنِ الْمُشْرِكِ، وَالزَّوْجَةُ تَضَحِّي عَنْ نَفْسِهَا وَلَهُ أَنْ يَقَاصَّهَا مِنْ دِينَ الصَّدَاقِ. (ث) روى عمران بن حصين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال [يا فاطمة قومي لأضحيتك فاشهديها، فإنه يُغْفَرَ لَكَ عِنْدَ أَوَّلِ قَطْرَةٍ مِنْ دِمِهَا، كُلُّ ذَنْبٍ عَمَلْتِيهِ، وَقَوْلِي إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ، قَالَ عُمَرَانِ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا لَكَ وَلِأَهْلِ بَيْتِكَ خَاصَّةً أَمْ لِلْمُسْلِمِينَ عَامَةً قَالَ بَلِ لِلْمُسْلِمِينَ عَامَةً] ¹ رواه الحاكم. انتهى

وَتَلَزَمَ الْيَتِيمَ إِلَّا أَنْ تَجَحَّفَ بِمَالِ الْجَمِيعِ فَتَسْقُطُ، وَلَا تَلَزَمُ الْعَبْدَ وَلَا الْحَاجَّ الْمَحْرَمَ بِمَنْى وَجَازَ تَسْمِيئُهَا وَكَرِهَ التَّغَالِي فِيهَا وَفَعَلُهَا عَنْ مَيِّتٍ وَيُسْتَحَبُّ تَرْكُ حَلْقِ شَعْرِ وَقَلَمُ ظَفْرِ عَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ إِلَى أَنْ يَذْبَحَ أَضْحِيَّتَهُ تَشْبِيهًا بِالْحَاجِّ وَتَكْبِيرُهُ أَثَرُ خُمْسِ عَشْرَةِ فَرِيضَةٍ مِنْ ظَهْرِ يَوْمِ النَّحْرِ، وَمَنْ تَذَكَّرَهُ بِالْقُرْبِ كَبَّرَ وَإِلَّا فَاتَ وَلَفْظُهُ وَهُوَ اللَّهُ أَكْبَرُ ثَلَاثًا وَإِنْ قَالَ بَعْدَ تَكْبِيرَتَيْنِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ثُمَّ تَكْبِيرَتَيْنِ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ فَحَسَنٌ، وَصَفَةُ الصَّلَاةِ رَكْعَتَانِ جَهْرًا بِسَبْحِ وَالشَّمْسِ وَيُكَبَّرُ فِي الْأُولَى سَبْعًا بِالْإِحْرَامِ قَبْلَ الْقِرَاءَةِ وَفِي الثَّانِيَةِ خُمْسًا بِغَيْرِ الْقِيَامِ وَمَدْرِكُ الْقِرَاءَةِ يُكَبَّرُ فَإِنْ فَاتَتْ قَضَى الْأُولَى بِسِتٍّ، وَأَنْ يَخْطُبَ خُطْبَتَيْنِ يَخْلُهُمَا بِالتَّكْبِيرِ بِلَا حَدٍّ، وَكَرِهَ التَّنْفُلَ بِالْمُصَلِّي قَبْلَهَا وَبَعْدَهَا، لَا بِمَسْجِدٍ فِيهِمَا.

¹ - المعجم الأوسط - الطبراني - باب الألف - الحديث رقم 2530

{وَأَمَّا صَلَاةُ الْكُسُوفِ¹} فَرَكْعَتَانِ سَرَاءُ، بِزِيَادَةِ قِيَامَيْنِ وَرُكُوعَيْنِ، يَقْرَأُ فِي كُلِّ بَأَمٍّ الْقُرْآنَ وَسُورَةَ وَرُكْعٍ كَالْقِرَاءَةِ فِي الطَّوْلِ وَسَجْدَ كَالرُّكُوعِ وَلَا خُطْبَةَ بَعْدَهَا، وَلَا بَأَسَ أَنْ يَعِظَ النَّاسَ، وَيَذَكِّرَهُمْ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَخْسِفَانِ لِمَوْتٍ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَافْرَعُوا إِلَى الصَّلَاةِ]².

{وَأَمَّا خُسُوفُ الْقَمَرِ³} فَكَالْنَوَافِلِ جَهْرًا، {وَأَمَّا الْإِسْتِسْقَاءُ⁴} فَصَلَاتُهُ كَالْعِيدِ إِلَّا أَنَّهُ لَا يُكَبَّرُ فِيهَا غَيْرَ تَكْبِيرِ الْخُفْضِ وَالرُّفْعِ وَيَبْدَلُ تَكْبِيرَ الْخُطْبَةِ بِالِاسْتِغْفَارِ وَيُخْرِجُ لَهَا بِبَذْلَةٍ وَتَخْشَعُ مَاشِيًا مَشَايِخَ وَمَتَجَالَةً وَصَبِيَّةً لَا مَنْ لَا يَعْقِلُ مِنْهُمْ وَبَهِيمَةً وَحَائِضٌ، وَلَا يُمْنَعُ مِنْهَا ذِمِّيٌّ وَانْفَرَدَ نَاحِيَةً عَنِ الْمُسْلِمِينَ لَا بِيَوْمٍ وَحْدَهُ وَنَدَبَ فِيهَا تَحْوِيلَ الرِّدَاءِ لِلرِّجَالِ دُونَ تَتَكَيْسٍ وَصُومٍ ثَلَاثَةٍ يَخْرُجُ لَهَا فِي الثَّالِثِ //نُوحَةٌ 129 // وَكَثْرَةَ اسْتِغْفَارٍ وَصَدَقَةٍ وَرُدُّ التَّعْبَاتِ، وَلَا آذَانَ فِيهَا وَلَا إِقَامَةً وَلَا يَنَادِي لِلصَّلَاةِ جَامِعَةً، وَوَقْتُ الْجَمِيعِ مَنْ حَلَّ النَّافِلَةَ لِلزَّوَالِ وَلَا يُكْرَرُ مِنْهَا غَيْرَ الْإِسْتِسْقَاءِ.

{وَأَمَّا النُّوَافِلُ⁵} الْمَتَّصِلَةُ بِالْفَرَائِضِ، فَقَدْ تَقَدَّمَ بَيَانُهَا فِي آدَابِ الصَّلَوَاتِ، وَهِيَ مِثْنَى مِثْنَى، {أَمَّا صَلَاةُ الضُّحَى⁶} فَقَدْ اخْتَلَفَ فِيهَا مِنْ رَكْعَتَيْنِ إِلَى اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً الزَّرُوقُ، وَالَّذِي اخْتَارَهُ مِنْ ذَلِكَ سِتُّ رَكْعَاتٍ وَالزِّيَادَةُ لَا أَحَبُّهَا وَالنَّقْصُ لَا أَرِيدُهُ.

1 - ساقطة من ب .

2 - موطأ مالك - كتاب صلاة الكسوف

3 - ساقطة من ب

4 - ساقطة من ب

5 - ساقطة من ب

6 - ساقطة من ب

وورد فيه فضل كثير، ولا يسع من أراد دخول هذا الطريق تركه. (ث) عند قوله تعالى ﴿يُسَبِّحُنَ بِالْعَشْرِ وَالْإِشْرَاقِ﴾¹ قال ابن العربي "أما صلاة الضحى فهي في هذه الآية نافلة مستحبة، ولا ينبغي أن تُصلى حتى تتبين الشمس طالعة قد أشرق نورها" وفي صلاة الضحى أحاديث أصولها ثلاثة، الأول حديث أبي ذر وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم قال [يُصبح على كل سلامى من ابن آدم صدقة، تسليمه على من لقي صدقة، وأمره بالمعروف صدقة، ونهيُه عن المنكر صدقة، وإماطة الأذى عن الطريق صدقة، وبضعة أهله صدقة، ويُجزئ عن ذلك كله ركعتان من الضحى]. الثاني حديث سهل بن معاذ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال [من قعد في مُصلاه حين ينصرف من صلاة الصبح حتى يُصلي ركعتي الضحى لا يقول إلا خيراً غُفرت خطاياهُ وإن كانت أكثر من زبد البحر]² الثالث، حديث أم هاني أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى يوم الفتح ثماني ركعات.

قال، قلت وروى أبو عيسى الترمذي وغيره، عن أنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [من صلى الفجر في جماعة ثم قعد يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس ثم يُصلي ركعتين كانت له كأجر حجة وعُمرة تامة]³ وعن زيد بن أسلم، قال سمعت عبد الله بن عمر قال لأبي ذر أوصني يا عم، قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سألتني، فقال من صلى الضحى ركعتين لم يُكتب من الغافلين،

¹ - سورة ص - الآية 18

² - سنن أبو داود كتاب الصلاة - باب تفرغ أبواب التطوع وركعات السنة.

³ - سنن الترمذي - أبواب السفر - باب ذكر ما يستحب من الجلوس في المسجد بعد صلاة الصبح - الحديث

ومن صَلَّى أَرْبَعًا كُتِبَ مِنَ الْعَابِدِينَ، وَمَنْ صَلَّى سِتًّا لَمْ يَلْحَقْهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمَ ذَنْبٌ،
ومن صَلَّى ثَمَانِيًا كُتِبَ مِنَ الْقَانِتِينَ، وَمَنْ صَلَّى اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا
فِي الْجَنَّةِ.

{وَأَمَّا تَحِيَّةُ الْمَسْجِدِ}¹ فَقَدْ تَقَدَّمَ التَّنْبِيهُ عَلَيْهَا فِي آدَابِ الْمَسْجِدِ، وَأَمَّا قِيَامُ اللَّيْلِ
فَسَيُذَكَّرُ فِي مَحَلِّهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، وَكَذَا قِيَامُ رَمَضَانَ، وَأَمَّا² صَلَاةُ الْجَنَائِزِ فَقَدْ
تَقَدَّمَ، {وَأَمَّا}³ سُجُودُ التَّلَاوَةِ فَهِيَ فَضِيلَةٌ، وَقِيلَ سُنَّةٌ، وَيُشْتَرَطُ لَهَا شُرُوطُ
الصَّلَاةِ بِلَا إِحْرَامٍ وَبِلَا سَلَامٍ، وَكَبَّرَ لَخْفَضٍ وَرَفْعٍ، وَالْأَصْلُ فِيهَا الْكِتَابُ، وَقَوْلُهُ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ وَسَجَدَ اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي وَيَقُولُ
يَا وَيْلَاهُ أَمَرَ ابْنُ آدَمَ بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ، فَلَهُ الْجَنَّةُ وَأَمَرْتُ // نُوْحَةُ 130 // بِالسُّجُودِ
فَأَبَيْتُ فَلِيَ النَّارُ]. وَهِيَ إِحْدَى عَشْرَةَ عَلَى الْمَشْهُورِ، لَا ثَانِيَةَ الْحَجِّ وَالنَّجْمِ
وَالْإِنْشِقَاقِ وَالْقَلَمِ، وَيَسْجُدُهَا الْقَارِئُ وَالْمَسْتَمِعُ فِي صَلَاةٍ، وَغَيْرِهَا إِنْ صَلَحَ الْقَارِئُ
لِيَوْمٍ وَلَمْ يَجْلِسْ لِيُسْمِعِ النَّاسَ قِرَاءَتَهُ وَكُرِّهَ تَعَمُّدُهَا بِالْفَرْضِ وَجَهَرَ إِمَامُ السَّرِيَّةِ

وَالْأَثْبَعُ. وَتَسْجُدُ فِي كُلِّ وَقْتٍ، كُلِّ لَجَنَازَةٍ إِلَّا عِنْدَ إِسْفَارٍ وَاصْفِرَارٍ، وَكُرِّهَ
مُجَاوَزَتِهَا لِمُتَطَهَّرٍ وَقْتَ جَوَازِهِ، وَإِلَّا فَهَلْ يُجَاوِزُ مَحَلَّهَا إِلَى وَقْتِ الْجَوَازِ، وَيَقْرَأُ بِهَا
وَيَسْجُدُ أَوْ يَقْرُؤُهَا لَيْلًا، يُحْرَمُ مِنْ أَجْرِ التَّلَاوَةِ وَالسُّجُودِ، قَوْلَانِ وَإِنْ قَصَدَهَا فَرَكَعَ
سَهْوًا اِعْتَدَّ بِهِ وَلَا سَهْوًا، وَأَعَادَهَا فِي الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ، وَهَلْ قَبْلَ الْفَاتِحَةِ أَوْ بَعْدَهَا
قَوْلَانِ، وَأَمَّا صَلَاةُ الْاسْتِخَارَةِ فَإِنَّهَا مِنَ السُّنَنِ الْمَوْكَدَةِ الَّتِي لَا يَنْبَغِي لِعَاقِلٍ

1 - ساقطة من ب .

2 - ساقطة من ب .

3 - ساقطة من ب .

التساهل في شأنها فإنها من كنوز العرش، ويُستفتح بها باب الغيوب، ويُسلَكُ بها بحرُ التقويض، لأنَّه إذا استخارَ فقد أسلمَ لله أمره واستسلم لقضائه، وليحذر العاقل أن يسخط بعده، ما يؤلُّ إليه أمره في ذلك من عطاءٍ أو منعٍ، أو يتوهَّم أن الخيرَ في غير ما أرشد إليه، لما في ذلك من مُنازعةِ أحكامِ الرُّبوبيَّةِ، وعدمِ الرِّضى بالقضاء. وقد عدَّ السلميُّ رضى الله عنه هذه النُّكَّةَ من عيوبِ النفس، الزروق في نظمه لعيوبِ النفس له:

مَنْ عَيَّبَهَا أَنْ تَسْتَخِيرَ أَوَّلًا *** وَبَعْدَهَا يُكْرَهُ مَا قَدْ حَصَلَ¹ انْتَهَى

بل ينبغي له أن يعتقد أن الخيرَ فيما اتفق له من ذلك، وليذكر قوله تعالى ﴿وَعَسَى أَنْ تَكُونُوا شِيبًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾²، والاستخارةُ إنّما تكونُ في الأمورِ الخطيرةِ التي لم يتبين صلاحُها من فسادِها، كما يأتي بيانُ ذلك في فصلِ التقويضِ إن شاء الله. والأصلُ فيها حديثُ جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُعَلِّمُنَا الاستخارةَ في الأمورِ كُلِّها، كما يُعَلِّمُنَا السورة من القرآن، يقول [إذا همَّ أحدُكم بأمرٍ يجهلُ عاقبَتَه فليركعْ ركعتينِ من غيرِ الفريضة، ثم ليقلل اللهم إني أستخيرُك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وفي بعضها وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علامُ الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمرُ خيرٌ لي في ديني، وفي بعضِها ودُنْيائي ومعاشي، وفي بعضِها ومعادي، وعاقبةُ أمري، أو قال في عاجلِ أمري و آجله

1 - من البحر الرجز.

2 - البقرة - الآية 216

فاقِدره لي، ويسِّرْه ثم بارِك لي فيه، وإن كنتَ تعلمُ أن هذا الأمرُ شرٌّ لي في ديني ومعاشي، وعاقبةُ أمري، أو قال عاجلَ أمري و آجله، فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخيرَ حيثُ كان، ثم ارضني به قال، ويُسمَّى حاجته¹ (ث) رواه الجماعة إلا مُسلماً. وفي رواية البخاري أيضاً رَضَني به. قلت زاد الجزولي تعييناً // لوحة 131 // ما يقرأ في الركعتين، فقال يقرأ في الأولى بالكافرون، وفي الثانية بالإخلاص مع أمّ القرآن انتهى. وقال بعضهم بالإخلاص فيهما والمعروفُ أنَّه يدعو بعدَ السَّلام ثلاثاً، وينبغي لكلِّ من أَمَلَ فعلاً أن يستخيرَ الله عز وجل فيه لأنَّه إذا استخاره وفقَّه، ويكونُ على إيقان بالإجابة حاضرَ القلبِ مُظهراً للاِظْطِرار. وقد حكى عن بعض الصالحين، أنَّه كان يجعلُ نوافلهُ كلَّها استخارةً، وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم [ما خابَ من استخارَ ولا ندمَ من استشارَ]². وعن سعيد بن أبي وقاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [من سعادةِ ابن آدم استخارتهُ الله و من شقاوته تركه] وقال الحكماء "من أُوتي أربعا لم يُمنع من أربع، مَنْ أُعطي الاستخارة لم يُمنع الخيرة، ومن أُعطي المشورة لم يُمنع الصَّواب، ومن أُعطي الدُّعاء لم يُمنع الإجابة، ومن أُعطي التوبة لم يُمنع القبولَ ". وتكون في أوقات النافلة لا غير، وبالله تعالى التوفيق.

{ وأما ركعتا من³ قرب للقتل، فهما سُنَّةٌ، والأصل فيهما حديثُ حُبيبٍ، أخرجه البخاري وفيه [فلما خرجوا به من الحَرَم ليقتلوه في الحلِّ، قال لهم حُبيبٌ، دَعُوني

1 - سنن الترمذي - أبواب الوتر - باب ما جاء في صلاة الإستخارة - الحديث رقم 480.

2 - الطبراني في الأوسط - رقم الحديث 6627

3 - ساقطة من ب.

أُصَلِّيَ رَكَعَتَيْنِ، فَتَرَكُوهُ فَرَكَعَ فَقَالَ وَاللَّهِ لَوْلَا أَنْ تَحْسَبُوا أَنْ مَا بِي جَزَعًا لَزِدْتُ، اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عِدْدًا وَأَقْتُلْهُمْ بَرْدًا وَلَا تَدَّرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنْهُمْ أَحَدًا [. وَكَانَ خَبِيبٌ هُوَ سَنٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ قُتِلَ صَبْرًا الصَّلَاةَ .

{وَأَمَّا صَلَاةُ¹ التَّسْبِيحِ فَقَدْ ذَكَرَهَا (غ) وَأَكَّدَ عَلَيْهَا، وَالْأَصْلُ فِيهَا مَا خَرَّجَهُ أَبُو دَاوُدَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِلْعَبَّاسِ ابْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ [يَا عَبَّاسُ يَا عَمَّاهُ أَلَا أُعْطِيكَ أَلَا أَمْنُحُكَ أَلَا أَفْصِلُ لَكَ عَشْرَ خَصَالٍ، إِنْ أَنْتَ فَعَلْتَ ذَلِكَ غَفَرَ اللَّهُ ذَنْبَكَ أَوَّلَهَا وَآخِرَهَا، قَدِيمَهَا وَحَدِيثَهَا، خَطَأَهَا وَعَمْدَهَا، صَغِيرَهَا وَكَبِيرَهَا، سَرَّهَا وَعَلَانِيَتَهَا، فَالْعَشْرُ خَصَالٍ أَنْ تُصَلِّيَ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، تَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكَعَةٍ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ وَسُورَةٍ، فَإِذَا تَمَّتِ الْقِرَاءَةُ فِي أَوَّلِ كُلِّ رَكَعَةٍ وَأَنْتَ قَائِمٌ، قُلْتَ سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، خُمْسَ عَشْرَةَ مَرَّةً، ثُمَّ تَرَكُعُ وَتَقُولُهَا وَأَنْتَ رَاكِعٌ عَشْرًا، ثُمَّ تَرْفَعُ رَأْسَكَ مِنَ الرُّكُوعِ وَتَقُولُهَا عَشْرًا، ثُمَّ تَهْوِي سَاجِدًا فَتَقُولُهَا وَأَنْتَ سَاجِدٌ عَشْرًا، ثُمَّ تَرْفَعُ رَأْسَكَ مِنَ السُّجُودِ فَتَقُولُهَا عَشْرًا، ثُمَّ تَسْجُدُ فَتَقُولُهَا عَشْرًا، ثُمَّ تَرْفَعُ رَأْسَكَ فَتَقُولُهَا عَشْرًا، يَعْنِي وَاللَّهُ أَعْلَمُ بَعْدَ قِيَامِهِ وَقَبْلَ الْقِرَاءَةِ. ثُمَّ قَالَ فَذَلِكَ خُمْسٌ وَسَبْعُونَ، فِي كُلِّ رَكَعَةٍ تَفْعَلُ ذَلِكَ فِي أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تُصَلِّيَهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مَرَّةً فافْعَلْ، فَإِنْ لَمْ، فَفِي كُلِّ جُمُعَةٍ، فَإِنْ لَمْ، فَفِي كُلِّ شَهْرٍ مَرَّةً، فَإِنْ لَمْ، فَفِي كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً فَإِنْ لَمْ، فَفِي // لَوْحَةٍ

132 // جَمِيعِ عَمْرِكَ مَرَّةً وَفَضَائِلُهَا كَثِيرَةٌ . انْتَهَى

¹ - ساقطة من ب .

قلت، زاد صاحب السّر المصون " صلاة العتقاء وهي ثمان ركعات بالفاتحة، وقل هو الله أحد خمس عشرة مرة في كل ركعة، فإذا فرغ سبّح الله سبعين مرة وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم تسليمًا، مثلها تُصلي في شوال ليلا أو نهارا، قال النبي صلى الله عليه وسلم [والذي بعثني بالحق ما من عبد يصلي هذه الصلاة على ما وصفت لا يرفع رأسه من آخر سجدة إلا وقد غفر الله له، وإن مات مات شهيدا مغفورا له، ذكرها سيدي عبد القادر الجيلاني في الغنية. انتهى

وأما ما عدا هذه الصلوات، مما يُذكر من صلاة الأسبوع والأيام الفاضلة، كليلة النصف من شعبان وغير ذلك، الزروق فإنه موضوع، والعمل بالموضوع موضوع. قال وذكر ابن الحاج في المدخل، إنها تُستعمل مرة واحدة في العمر، فإن صح أصلها من السنة فقد أدّى السنة، وإن لم يضُر ذلك بمعناه، وأما صلاة التوبة فستأتي إن شاء الله في محلها، وينبغي للمؤمن أن يُكثر منها تجديدا للتوبة في كل ساعة وبالله تعالى التوفيق.

{ وأما فرائض الصلاة التي تبطل بترك شيء منها¹ فعشرون فريضة، أولها دخول الوقت فيجب اعتباره، وتبطل الصلاة بعدم اعتباره، فلو صلاها قبل دخول الوقت ولو مع الشك فيه، لم تجز ولو وقعت فيه، الزروق ثم الوقت قسمان وقت نهْي ووقت جواز فوقت النهْي منصب على النوافل وهو قسمان : وقت تحريم ووقت كراهة، فوقت التحريم خمسة، عند طلوع الشمس حتى تبيض وعند اصفرارها إلى الغروب وعند خطبة الجمعة، و التنفل لمن عليه فرض خرج وقته أو ضاق، وإيقاع

1 - ساقطة من ب .

الفرض في وقته الضروري من غير ضرورة على المشهور، والمشهود أنه مود، ويدخل في هذا المنع صلاة الجنازة وسجود التلاوة .

ووقت الكراهة ستة، التنفل بعد طلوع الفجر إلا ركعتي الفجر، وإلا الورد لمن نام عنه على المشهور، وبعد صلاة العصر إلى الاضفرار، إلا جنازة وسجود تلاوة فيجوزان، وما بعد الغروب وقبل صلاة المغرب، وبعد الجمعة في المسجد وقبل الخطبة، وبعد خروج الإمام، والتنفل قبل صلاة العيدين، أو بعدها بالمصلي لا بالمسجد.

{ووقت الإباحة للفرض}¹ قسمان اختياري وضروري، فالاختياري في الظهر من الزوال، وهو ابتداء الظل في الزيادة بعد غاية نقصه، ويختلف باختلاف الأزمنة إلى آخر قامة، كل شيء دون ظل أول النهار وفي العصر من أول القامة الثانية إلى الاضفرار على المشهور، وهما مشتركتان بقدر إحداها وهل في آخر القامة الأولى أو أول الثانية خلاف، وفي المغرب من غروب قرص الشمس إلى مقدار // لوحة 133 // ما تفعل فيه بشروطها على المشهور وقيل إلى مغيب الشفق، وشهد أيضا وفي العشاء من غيبوبة حمرة الشفق والصفرة إلى انقضاء ثلث الليل الأول على المشهور وفي الصبح من طلوع الفجر الصادق إلى الإسفار الأعلى الذي تتبين فيه الأمور الخفية وقيل إلى الطلوع وأفضل ذلك أوله. وقد قال عليه السلام [أول الوقت رضوان الله ووسطه رحمة الله وآخره عفو الله] والمشهور فضيلة تقديمها فردا أوله على جماعة آخره لا وسطه، ويزاد في الظهر لرُبُع القامة ويزاد لشدة

1 - ساقطة من ب

الحر، والضروري قسمان: ضروري بالتقديم وهو الجمع لأصحاب الرخص في المشتركين الظهر مع العصر والمغرب مع العشاء فيجمعان في سبع مواضع إذا جدَّ السير بالمسافر، جمع وسط وقت الظهر والعصر وعند غيبوبة الشفق، وإذا ارتحل في أول وقت الصلاة الأولى، جمع حينئذ إن نوى النزول عند الاصفرار أو بعده، أو بعد الثلث الأول من الليل، والمشهور عدم اشتراط الجد، والجمع ليلة المطر بين المغرب والعشاء، فقط أول الوقت لمطر وابل أو طين مع ظلمة لا أحدهما فقط على المشهور، ويؤخر الوتر بمغيب الشفق، ولا تنفل بينهما ولم يمنعه، ولا فصل إلا بقدر أذان منخفض بمسجد، ولا يجمع المعتكفون بالمسجد إلا تبعا ومن كان منهم إماما فليستخلف ولا الضعيف ببيته مطلقا كالمرأة، وجاز الجمع لمنفرد بالمغرب وكذا لو صلاها في جماعة أخرى يجدهم بالعشاء وجمع المريض يخاف أن يغلب على عقله عند الغروب وعند الزوال وإن كان الجمع أرفق به لبطن به ونحوه، فيؤخر الأولى إلى الثانية ولا يقدم الثانية، والجمع بعرفة بين الظهر والعصر عند الزوال سنة واجبة، والجمع بالمزدلفة كذلك بين المغرب والعشاء عند مغيب الشفق، ثلاثة بالتأخير وأربعة بالتقديم. والقسم الثاني: الضروري بالتأخير لآخر الضروري وهو ما زاد على الاختياري ففي الظهرين إلى الغروب وفي العشاءين إلى طلوع الفجر، وفي الصبح إلى الطلوع، ومن أخرها له اختيارا فقليل مكروه وقيل عاص لقوله عليه السلام [تلك صلاة المنافقين يقعد أحدهم حتى إذا كانت الشمس بين قرني الشيطان نقر أربعاً لا يذكر الله فيها إلا قليلا] وإنما يعتبر هذا الوقت لأهل الضرورة أصحاب الأعذار وهم سبعة: الكافر يسلم، والصبي يحتلم، والطاهر تحيض، والحائض تطهر والمغمى والمجنون

يفيقان، وكذا المسافر يحضر، والحاضر يسافر، فيعتبر القصر في خروجه فيما يذكرك منه ركعة فأكثر، والإتمام عند دخوله كذلك في آدابه وقضائه. ولذلك تفصيل يطول ذكره، وأسقط عذر حصل // نوحه 134 // غير نوم ونسيان المدرك من الصلوات، والمعدور غير كافر، يُقدّر له الطهر بعد زواله، وأمر صبي بها لسبع وضرب لعشر، والفريضة الثانية طهارة الحدث، وهو المانع المرتب على الأعضاء جملة، وهو الأكبر أو الأطراف وهو الأصغر، والثالثة ستر العورة وهي من الرجل، والأمة والمراهقة، مابين السرة والركبة، وأرخص ملك في النظر إلى عورة الصبية أو الصبي الذي لم يبلغ حدّ الاشتها، ومن الحرّة البالغة، جميع جسدها إلا الوجه والكفين، وأعادت لصدرها وأطرافها بوقت، وإن بنجس أو حرير، وهو مقدّم على النجس، ومن عجز صلى عريانا فإن اجتمعوا بظلام فكالمتورين، وإلا تفرّقوا، فإن لم يمكن صلوا قياماً إيماءً غاضين أبصارهم إمامهم وسطهم، والتوجه إلى القبلة مع القدرة والإمكان، ومن أخطأ القبلة أعاد في الوقت، والواجب الاجتهاد إن عرف الأدلة، وإلا قلّد غيره إن كان مكافاً عارفاً أو محراباً، فإن لم يجد تخير جهةً صلى إليها، إلا لالتحام أو خوف من كسب فيصلي بقدر الإمكان، وجاز للمسافر أن يتنفل على دابته، حيث ما توجهت به إن كان سفراً تقصر في الصلاة وإن وتراً.

والقيام لتكبير الإحرام والفتحة للقادر عليه دون مشقة الفرائض، وأمّا النوافل فيجوز أن يجلس لها ابتداءً، دون مشقة، ولوفي السنن المؤكدة كالوتر على المشهور وكذا في أثنائها إن لم يدخل على إتمامها قائماً، وإن افتتحها جالساً، فله أن يقوم ونُذِب أن يقرأ شيئاً قبل ركوعه، ومن عجز عنه في الفرض صلى بقدر طاقته، ولو سقط

قادرٌ بزوالِ عمادٍ بطلَّت وإلاَّ كره، فلو قرأ شيئاً من الفاتحة قبل استقلاله بطلَّت فإن لم يقدر على السجود أوماً، وإن لم يقدر على الجلوس صلى قائماً إيماءً وإن قدر على الأكل، إلا أنه إن سجد لا ينهض للقيام، أتم ركعة ثم جلس.

ونية الصلاة المعينة ولفظه واسع وهو أن يقول: اللهم إني أتقرب إليك بأداء ما افترضته عليّ، من صلاة كذا وإن تخالفا فالعقد والرّفض مبطل. ونية اقتداء المأموم بإمامه بخلاف الإمام إلا جمعةً وجمعاً وخوفاً واستخلاقاً، كان صلى وحده وشرط صحتها اتصالها بتكبيرة الإحرام، وفي تقدّمها بيسير خلاف، وتكبيرة الإحرام على الفرد والإمام المأموم، والفاتحة على الفرد والإمام فقط فيجب تعلّمها إن أمكن، وإلاّ أيتّم فإن لم يمكن سقطت. ونَدَب فصل بين تكبيره وركوعه. وركوع يضع فيه كفيه على ركبتيه ويسوي ظهره مستوياً، ورفع منه وسجود على جبهته وأنفه، وأعاد لترك أنفه لوقتٍ وسُنَّ على أطراف قدميه // لوحة 135 // وركبتيه كيديه على الأصح، ورفع منه وجلوس لسلام، وسلام عُرف باشتراط نية الخروج به خلاف، وترتيب أداء وطمأنينة واغتراب في جميع الأركان على الأصح والأكثر على نفسه، وأمّا طهارة البدن والثوب والبقة فقليل واجبة، مع الذكر والقدرة، ساقطة مع العجز والنسيان وقيل سنة، وعلى كل فإن صلى بنجاسة عامداً أعاد أبداً وإن ناسياً أعاد في الوقت المختار استحباباً، وسقوطها في صلاة مبطل كذكرها فيها لا قبلها وإن شك في أصابتها وجب النضح، وإن ترك أعاد الصلاة كالغسل وهو رش باليد بلا نية، والغسالة المتغيرة نجسة، وترك الكلام في الصلاة واجب، فإن تعمّده وإن لضرورة بطلت إلا لإصلاحها، فبكثره وإن ناسياً سجد بعد السلام إن لم يكثر.

وأما السُّنُّ، التي يجبُ السجودُ لتركها سهواً وهل تبطلُ بعَمْدِها قولانِ فثمانيةٌ،
السورةُ بعد الفاتحةِ في الأولى والثانية، والقيامُ لها والثالثة الجهرُ في محله وأقلُّه أن
يُسمعَ نفسه ومن يليه، والرابعةُ السِّرُّ في محله وأقلُّه بحركة اللسان، والخامسةُ
الأفضلُ أن يُسمعَ نفسه، والسادسةُ كل تكبيرةٍ إلا الإحرامُ وسمعَ الله لمن حمده
لإمامٍ وقف، والسابعةُ التشهُدُ، والثامنةُ الجلوسُ له ولا سجودَ لسنةٍ واحدةٍ إلا في
تركِ الجهرِ والسِرِّ في محلِّهما، فيعتبران قبلُ وبعدُ واثنَينِ قبلَ السَّلامِ، فإن نسي
فبعدَ السَّلامِ فإن طالَ فلا شيءَ عليه، وثلاثةٌ قبلَ السَّلامِ وإلا فبعدَه بالقربِ، وإن
طالَ بطلَتْ ولا سجودَ للفضيلةِ كالقنوتِ، وإن سجدَ لها عامداً أو جاهلاً بطلَتْ، ولا
سجودَ للفريضة، وإنما يأتي بها إن قربَ ولم يخرج من المسجدِ إلا الفاتحةُ فإن
تركها من ركعةٍ من غيرِ الثانيةِ، فالمشهورُ أنه يجزيه سجودُ السهو قبلَ السَّلامِ،
فإن تركها من ركعةٍ من الثمانيةِ أو من ركعتينِ من غيرها فهل يلغى ما تركَ منه
القراءةُ ويأتي ببدليها، ويسجدُ بعدَ السَّلامِ وهو لا صبحَ، أو يتمادى ويسجدُ قبلَ
السَّلامِ وتصحُّ صلاته، وهو مذهبُ المدونةِ، وشهرهُ ابن عطاء الله قولان، فروع
الأول، كل سهوٍ في الصلاةِ بزيادةٍ من جنسِ أفعالِ الصلاةِ، أو من غيرِ جنسِها
فليسجدُ له سجدتينِ بعدَ السَّلامِ، يتشهدُ لهما ويسلمُ منهما ويحرمُ له إن بعدَ، وإن
بعدَ شهرٍ ما لم يُكثر الفعلُ جداً، كأن يزيدَ مثلَ الصلاةِ أو يأكلَ ويشربَ كثيراً
فمبطلٌ، وتقدّمَ حكمُ الكلامِ وتعمّدَ ذلكَ كلّهُ مبطلٌ إلا ما خفَّ كإصلاحِ رداءٍ وحكِّ
جسدٍ أو سترةٍ سقطت، أو كمشي صفيينَ لفُرجةٍ أو سترةٍ، أو ذهابِ دابةٍ ليردّها وإن
بجنبٍ أو قهقهةٍ، ودفعِ مارٍ وقتلِ عقربٍ تريده، وسدِّ فيه لتثاؤبٍ فلا شيءَ عليه //

نوحة 136// ولا في زيادةِ أقوالٍ من جنسِ أقوالِ الصلاةِ،

إِلَّا الْفَاتِحَةَ، فَيُسْجَدُ لزيادتها بعد السلام، وكلُّ سهوٍ بنقص سنة مؤكدة، أو مع زيادة، وإن تكررَ فليُسْجَدَ لَهُ سَجْدَتَيْنِ قبل سلامه، ثم يعيدُ التشهدَ، وصحَّ إن قَدَّمَ البُعدي أو أَخَّرَ القبلي اختيارًا. الثاني الساهي على قسمين: شاكٌّ وموقنٌ، وكلُّ إِمَّا مُسْتَنْكَحٍ¹ أو غير مُسْتَنْكَحٍ، فالشاكُّ المستنكحُ يسْجُدُ بعد السَّلام، ولا إصلاحَ عليه لوجوب الإنهاء عنه، وغيرُ المستنكحِ يبني على اليقين، و يأتي بما شكَّ فيه ويسْجُدُ بعد سلامه، والموقنُ المستنكحُ يصلح ولا سجودَ عليه. وغير المستنكح يصلحُ ويسْجُدُ. الثالثُ حُكْمُ السهو في الفرائض والنوافل، سواءً إلَّا في خمس مسائلَ نظمها بعضهم فقال:

السَّهْوُ فِي الْفَرْضِ وَفِي النَّفْلِ سَوَى	إِلَّا الَّذِي عَلَيْهِ نَظْمٌ اخْتَوَى
كَتَرَ سُوْرَةً وَتَرَكَ جَهْرٍ	وَتَرَكَ أَسْرَارَ تَقَهَّرَ وَادَّرَ
كَذَا إِلَى ثَلَاثَةٍ فِي النَّفْلِ قَدْ	قَامَ لَهَا شَفَعَهَا إِذَا عَقْدٌ
خَامِسُهَا السَّهْوُ عَنِ الْأَرْكَانِ	لَيْسَ لَهَا فِي الْحُكْمِ حُكْمٌ ثَانٍ ²

أَيُّ مَنْ تَرَكَ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْمَسَائِلِ فَلَا شَيْءَ عَلَيْهِ فِي النَّفْلِ، وَيُرِيدُ فِي تَرَكَ الْأَرْكَانِ إِنْ طَالَ. وَأَمَّا فَضَائِلُهَا فَاتِّخَاذُ الرِّدَاءِ، وَرَفْعُ الْيَدَيْنِ عِنْدَ الْإِحْرَامِ، وَتَقْدِيمُهُمَا عِنْدَ السُّجُودِ، وَتَأْخِيرُهُمَا عِنْدَ الْقِيَامِ، وَمُبَاشَرَةُ مَا يُصَلِّي عَلَيْهِ بِالْجَبْهَةِ وَالْكَفَيْنِ عِنْدَ السُّجُودِ، وَإِطَالَةُ الْقِرَاءَةِ فِي الصُّبْحِ وَالظُّهْرِ، وَتَخْفِيفُهَا فِي الْعَصْرِ وَالْمَغْرِبِ وَتَوْسُطُهَا فِي الْعِشَاءِ، وَالتَّأْمِينُ لِلْقَدِّ وَالْمَأْمُومِ، وَلِلْإِمَامِ فِيمَا أَسْرَّ فِيهِ، وَاخْتَلَفَ فِي الْجَهْرِ وَالتَّسْبِيحِ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ، وَالْجُلُوسُ كُلُّهُ بِإِفْضَاءِ الْيُسْرَى لِلْأَرْضِ وَلَا

1 - المستنكح مصطلح استعمله فقهاء المالكية في أكثر الشك .

2 - الأبيات لمجهول وهي من البحر الرجز .

يجلس عليها باليمنى، واليمنى عليها ناصبا لها، ووضع يديه على ركبتيه في ركوعه وجلوسه، وكذا في تشهده قايضا أصابع يده اليمنى، ماداً السبابة والإبهام مُشيراً بالسبابة دائماً، وأن يُجافي الرجل فيهما بصبعيه عن جنبيه، وببطنه عن فخذه وألا يفترش ذراعيه، والسُترَةُ للإمام والفرد إن خشياً مروراً بطاهر ثابت، غير مشغل في غلظ الرُمح، وطول ذراع، لا حَجَرٍ واحدٍ وَحَطٍّ وأجنبية، وفي المحرم قولان وأن يدنوا منها، ولا يصمد لها صمداً، وأثم ما رُ له مندوحة، ومصلٍ تعرّض، ولا تبطل الصلاة بشيءٍ من ذلك، وهل ينتقص شيء من أجره قولان، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [لو يعلم المارء بين يدي المصلي ماذا عليه من الإثم لكان له أن يقف أربعين خيراً له من أن يمر بين يديه]¹ // نوحه 137 // وكذا حكم كل ما يشغل المصلي عن فهم صلاته من حديث وقراءة وشغل، وفي الخبر ويل للقارئ من المصلي، والقنوت سراً في الصبح فقط وترويح بين القدمين والدعاء في التشهد الآخر وفي السجود ودعا بما أحب وإن لدنيا وأن يضع بصره موضع سجوده والمشي إلى الصلاة بالسكينة والوقار.

وأما² مكروهاتها، عياض، صلاة الرجل وهو يدافع الأخبثين، البول والغائط والالتقاء دون حاجة، وتحدث النفس بأمور الدنيا، وتشبيك الأصابع وفرقتها، وعبث بلحية، أو غيرها والإقعاء، وهو الجلوس ظهور القدمين، والصَّفْد وهو ضم القدمين، والصَفْر وهو رفع إحدهما، والصَلْب وهو وضع اليدين على الخصرة

¹ -سنن الترمذي - كتاب الصلاة - صفة الصلاة - باب ما جاء في كراهية المرور بين يدي المصلي حديث رقم 336.

² -ساقطة من ب

والتلثم، وكفّت كمٍ أو شعر للصلاة لا لشغلٍ، وأن يجعلَ في فمه ما يشغله وأن يُصلي، وهو غضبانٌ أو جائعٌ، إن حضر الطعام أو ما يشغله عن فهم الصلاة وأن يذنوا في ركوعه {أو سجوده} ¹، {أو يقرأ في ركوعه أو سجوده} ²، وأن يدعوا قبل القراءة أوفي أثنائها، وأن يجهر بتشهده، وأن يرفع رأسه أو يخفضه في ركوعه وأن يرفع بصره إلى السماء، وأن يسجد على البسط وشبهها مما لا تثبت الأرض أوفيه رفاهيةً. والسجود على كور العمامة، وما خف من جميع ذلك مكروه. وما غلظ ومنع من تصوّف الجبهة بالأرض مبطلٌ، كالفراش المثنى أو الغليظ جدا، وجاز القيام عليه والسجود وراءه بالأرض، إن كان لغير ترفه كثوب يقيه الحرّ والبرد وإلا كره كرفع مؤمنٍ ما يسجد عليه.

وأما مفسداتها، عياض ترك ركنٍ من أركانها، أو ما قدر عليه منها إن كان له عذر عن استيفائه عمداً أو جهلاً أو سهواً، إلا القبلة وإزالة النجاسة وستر العورة فتركها سهواً مخفّف، وتعاد منه في الوقت استخباباً، وترك ثلاث سننٍ إن طال وكذا الزيادة فيها عمداً أو جهلاً، أو كثيرها سهواً والردة والقهقهة كيف كانت، والأكل والشرب فيها والعمل الكثير من غير جنسها، وغلبة الحقن أو القرقرة وشبهها، وكذلك الهم حتى لا يفقه ما صلى، والإتكاء في حال قيامها على شيء لغير عذر، لو أزيل لسقط، وذكر فرضٍ يجب ترتيبه معها، والصلاة في الكعبة أو على ظهرها، وكذا إفساد صلاة إمامه بغير سهو الحدث أو غلبته واختلاف نية المأموم مع إمامه، وسقوط النجس أو تذكره، وإقامة الإمام عليه صلاة أخرى. ومن

1 - زيادة من ب .

2 - زيادة من ب .

أراد استيفاء جميع فروع الصلاة فعليه بكتب الفقه، ومقصودنا الواجب الأهم من ذلك وبالله تعالى التوفيق.

{وأما آداب الإقبال عليها¹، حتى يكون مقيماً لها وهو المقصود الأهم من هذا الفصل كله ولبابه، (ح) فإن الصلاة مفتاح الطاعة وجماع الذكر وشعار // لوحة 138 // الإسلام، وبراءة من الشرك والنفاق، ورأس القربان، والحاكمة على ما وراءها من سائر الأعمال، إن تمت نُظِرَ فيما بعدها، ووجب العهد لصاحبها، وإن بطلت بطل عمل مضيعها ولم يُنظر فيما سواها، قال تعالى ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾² ولذكر الله أكبر. وإنما تنهى الصلاة عن الفحشاء والمنكر إذا أوتي بها على الكمال، فنقصان الصلاة إذن من الفحشاء والمنكر، فمن نقص صلاته لم تنهه عن الفحشاء والمنكر، ولم تتناول له صفة الله للمصلين في قوله ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾³، وإن كان قد صلى بعضها بل دخل في قوله تعالى ﴿قَوْلِ الْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَزَّ صَلَاتُهُمْ سَاهُونَ﴾⁴ أي غافلون، فقد ساههم مُصَلِّينَ فمن لم تأخذه صفة الله للمصلين، فكأنه لم يستكمل الدخول في الدين، ويدل ذلك على أنها أول الدين، أنه ليس قبلها إلا الشرك بحديث النبي صلى الله عليه وسلم [ليس بين الرجل وبين الشرك والكفر إلا ترك الصلاة]⁵ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم [من لم تنتهه صلاته عن

1 - ساقطة من ب

2 - العنكبوت - الآية 45

3 - المؤمنون - الآية رقم 2

4 - الماعون - آية 5

5 - صحيح مسلم - باب ما جاء في ترك الصلاة - رقم الحديث 82

الفحشاء والمنكر لم يزد من الله إلا بُعْدًا [وقد عَظَّمَهَا اللهُ سبحانه في كتابه العزيز فقال ﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ - أي عظيمةٌ - شاقَّةٌ إِلَّا عَلَى الْغَاشِعِينَ ﴾ ¹ . وأوصى بها أنبياءُهُ عليهم السَّلام في قولِ عيسى عليه السلام ﴿ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا كُنتُ حَيًّا ﴾ ² وقال في إسماعيل عليه السلام ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴾ ³ وقال لنبيينا محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْصَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ ⁴ إلى غير ذلك من الآيات. وعن الحسن البصري رحمه الله في تفسير قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا ﴾ قال معناه " اصبروا على الهم والمصائب و صابروا على الصلوات و رابطوا على الآذان وقيل اصبروا بنفوسكم على طاعة الله و صابروا بقلوبكم على البلوى في الله و رابطوا (بإسراركم) ⁵ على الشوق إلى الله " .

وبالجملة، إن الصلاة صورةٌ مصورةٌ، صَوَّرَهَا رَبُّ الْأَرْبَابِ، في الْأَزَلِ كما صور الحيوانَ فروجُهَا النِّيَّةُ، والإخلاصُ، وحضورُ القلبِ، وبدنُهَا الأعمالُ، وأغصانُهَا كمالِيَةُ الْأَفْظَاظِ، فلذلك فاعلم أنَّ الْمُصَلِّي إذا طَلَبَ الْوُصُولَ إِلَى رَبِّهِ فَافْتَتَحَ بَقَرَعَ الْبَابَ وَيَسْتَأْذِنُ فهو قائمٌ، حتى يُؤْذَنَ لَهُ، وليس يصلُ بجسمِهِ وإنَّما يصلُ بقلبه، فالإذنُ لَهُ أن يجدَ قلبه قد وصلَ إلى حلاوة ذكرٍ من قامَ بينَ يديه، وغشيه نورُ جماله، وأعظامُ جلاله، لقيامه بينَ يديه، فعَرَفَ حينئذٍ أن الحجابَ قد رُفِعَ، وأن

¹ - البقرة - الآية 45

² - مريم - الآية 31

³ - مريم - الآية 55

⁴ - طه - الآية 132

⁵ - كتبت بالسين والصحيح بالصاد - إصراركم - تركناها كما هي .

قيامه قد قُبِلَ، فخرَّ رَاكِعًا لِلْمَنْزِلَةِ التي أُنْذِيَ إليها، إعْظَامًا لِلْقُرْبِ مِنْ رَبِّهِ، ولِتَقْبُلِهِ قيامه، ثُمَّ هو يَطْلُبُ // لَوْحَة 139 // في الرُّكُوعِ علامةَ التَّقْبُلِ، والتَّقَرُّبِ أَيْضًا، فَلَمَّا وَصَلَتْ حُلَاوَةُ الرُّكُوعِ إِلَى قَلْبِهِ، عَلِمَ أَنَّهُ قَدْ قَبِلَ وَرُفِعَ لَهُ حِجَابٌ آخَرٌ، فَخَرَّ سَاجِدًا إعْظَامًا لِلْقُرْبِ الثَّانِي، وَإِجْلَالًا لِلْمَقَامِ الَّذِي وَصَلَ إِلَيْهِ، ثُمَّ طَلَبَ علامةَ الْمَنْزِلَةِ الْآخَرَى، فَلَمَّا وَجَدَ خُضُوعَ السُّجُودِ رَفَعَ لِيُكَبِّرَ وَيَسْتَكْثِرَ شُكْرًا، فَلَمَّا كَرَّرَ عَرَفَ أَنَّ هَذِهِ النِّعْمَةَ الْحَادِثَةُ عَلَيْهِ مِنْ هَذَا الْعَمَلِ، هِيَ نِعْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى، فَاحْتَاجَ أَنْ يُجَدِّدَ شُكْرًا مُبْتَدَأً، فَرَجَعَ إِلَى الْقِيَامِ مُسْتَأْنِفًا لِلشُّكْرِ، فَلَمَّا قَامَ وَرَكَعَ ثُمَّ بَلَغَ إِلَى السُّجُودِ كَمَلَتْ لَهُ النِّعْمَةُ الْأُولَى، وَالشُّكْرُ عَلَيْهَا، حِينَ بَلَغَ الْكَمَالَ وَتَمَّ لَهُ الْوَصُولُ، فَأُذِنَ لَهُ فِي الْجُلُوسِ لِيَسْتَقَرَّ بَيْنَ يَدَيِ رَبِّهِ عَنْ وَجَلٍ، فَعَلِمَ أَنَّهُ قَدْ وَصَلَ، وَأُكْرِمَ بِالْجُلُوسِ وَالِاسْتِقْرَارِ، فَحَيَّا رَبَّهُ تَعَالَى تَحِيَّةَ الْوَصُولِ ثُمَّ سَلَّمَ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ رَبِّهِ تَعَالَى، لِيَعْلَمَ أَنَّ رَبَّهُ قَدْ سَمِعَ تَحِيَّتَهُ، فَردَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ بِلِسَانِ نَفْسِهِ، ثُمَّ صَلَّى عَلَى نَبِيِّهِ الَّذِي هَدَى بِهِ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ مِنْ قُرْبِ رَبِّهِ، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ، أُذِنَ لَهُ فِي حَوَائِجِهِ لِيَسْعَدَ وَيُعْطَى، مَا سَأَلَ عَلَى يَقِينٍ، وَمَنْ شَكَّ فِيهِ لَمَنْ صَلَّى هَذِهِ الصَّلَاةَ بِهَذَا الْعِلْمِ، وَهَذِهِ النِّيَّةِ، فَهُوَ مُرْتَابٌ وَهُوَ قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [مَنْ صَلَّى صَلَاةً يَعْقِلُهَا وَيُقْبِلُ بِقَلْبِهِ عَلَيْهَا غُفِرَ لَهُ وَمَنْ غُفِرَ لَهُ لَمْ يُرَدَّ عَنْ شَيْءٍ سَأَلَهُ] وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَبْدِ اللَّهِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَهُوَ مَنْ يَدْعُو فِي آخِرِ الصَّلَاةِ [سَلْ تَعْطَهُ سَلْ تَعْطَهُ] وَقِيلَ " إِنْ اللَّهُ تَعَالَى أَوْحَى إِلَى شُعَيْبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَرِنِي مَنْ نَفْسِكَ الْخُشُوعَ، وَمَنْ رَقِبَتِكَ الْخُضُوعَ، وَمَنْ قَلْبِكَ الرَّجُوعَ، وَمَنْ عَيْنِكَ الدَّمُوعَ، ثُمَّ ادْعُنِي فَأَنْتِي أَسْتَجِيبُ لَكَ، فَبَكَى شُعَيْبٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِئَةَ عَامٍ حَتَّى ذَهَبَ بَصَرُهُ، فَردَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ، ثُمَّ بَكَى مِئَةَ عَامٍ أُخْرَى حَتَّى ذَهَبَ بَصَرُهُ، فَردَّ اللَّهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ

بكى مئة عامٍ أخرى حتى ذهب بصره فأوحى الله تعالى إليه : يا شُعيب ما هذا البكاء، إن كانَ خوفاً من ناري فقد أَمَنَّاكَ منها، وإن كان شوقاً إلى جَنَّتِي فقد أَبَحَّتَكَ إِيَّاهَا، فقال وعزتك وجلالك ما بكائي شوقاً إلى جنتك، ولا خوفاً من ناركَ ولكن عَقَدَ حبك على قلبي عقدةً ما يَحُلُّها إلا النظرُ إلى وجهك، فقال له تعالى أَمَّا إِذَا كَانَ ذَلِكَ، كَذَلِكَ فَلأُبَيِّحَنَّكَ النَّظَرَ إِلَيَّ فِي جَنَّتِي، ولأُبَعِثَنَّ إِلَيْكَ عَاجِلاً عَبْدًا من عبيدي يَخْدُمُكَ، عَشْرَ سَنِينَ ثم أَجْعَلُهُ كَلِيمِي بَبْرَكَةٍ مَنَاجَاتِكَ، فجاء موسى عليه السلام خائفاً، وجِلاً جَائِعاً يَخْدُمُهُ عَشْرًا .

وروى عن علي رضي الله عنه، كان إذا حَضَرَ وَقْتُ الصَّلَاةِ يَتَزَلُّزَلُ وَيَتَلَوَّنُ، فقيل له مالِك يا أمير المؤمنين؟ فقال جاء وقتُ // نوحه 140 // أمانةٍ عَرْضَهَا اللهُ على السَّمَوَاتِ والأَرْضِ والجبالِ، فأبَيَّنَّ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا، وحَمَلَهَا الإنسان.

(غ) في بداية الهداية " فإذا فرغت من طهارة الحديث والخبث، وسُتِرَ العورة فاستقبل القبلة قائماً، وروَّحَ بينَ قَدَمَيْكَ، بحيث لا تَضُمُّهُمَا، فاقْرَأْ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ تَحَصُّنًا مِنَ الشَّيْطَانِ، وَاخْضِرْ قَلْبَكَ وَفَرِّغْهُ مِنَ الْوَسْوَاسِ، وَاَنْظُرْ بَيْنَ يَدَيْ مَنْ تَقُومُ، وَمَنْ تُتَاجِي، وَاسْتَحْيِي أَنْ تُتَاجِي مُؤَلَّكَ بِقَلْبٍ غَافِلٍ، وَصَدْرٍ مَشْحُونٍ بِوَسَاوِسِ الدُّنْيَا، وَخَبَائِثِ الشَّهَوَاتِ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ مُطَّلَعٌ عَلَى سَرِيرَتِكَ، وَنَاضِرٌ إِلَى قَلْبِكَ، وَإِنَّمَا يَتَقَبَّلُ صَلَاتَكَ بِقَدْرِ خَشْوِكَ، وَتَوَاضُعِكَ وَتَضَرُّعِكَ، وَاعْبُدْهُ فِي صَلَاتِكَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَهُوَ يَرَاكَ، وَإِنْ لَمْ تَحْضِرْ قَلْبَكَ بِهَذَا بَعْدَ مَعْرِفَتِكَ بِجَلَالِ رَبِّكَ، فَقَدِّرْ أَنَّ رَجُلًا صَالِحًا مِنْ وَجْهِ أَهْلِ بَيْتِكَ يَنْظُرُ إِلَيْكَ، لِيَعْلَمَ كَيْفِيَّةَ صَلَاتِكَ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَحْضُرُ قَلْبَكَ وَتَسْكُنُ جَوَارِحُكَ، ثُمَّ ارْجِعْ عَلَى نَفْسِكَ وَقُلْ أَلَّا

تُسْتَحْيِي مَنْ مَوْلَاكَ وَخَالِقَكَ، إِذَا قُدِّرَتْ إِطْلَاعَ عَبْدٍ ذَلِيلٍ مِنْ عِبَادِهِ عَلَيْكَ وَلَيْسَ
بِيَدِهِ نَفْعُكَ وَلَا ضُرُّكَ خَشَعَتْ جَوَارِحُكَ، وَخَشَعَتْ صَلَاتُكَ، ثُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمِي أَنَّهُ مُطْلَعٌ
عَلَيْكَ وَلَا تَخْشَعِي لِعَظَمَتِهِ، أَهْوِ أَقْلُ عِنْدَكَ مَنْ عَبْدٍ مِنْ عِبَادِهِ، فَمَا أَشَدَّ طُغْيَانَكَ
وَجَهْلَكَ، وَمَا أَعْظَمَ عِدَاوَتَكَ لِنَفْسِكَ، فَعَالِجُ قَلْبِكَ بِهَذِهِ الْحِيلِ، فَعَسَاهُ يَحْضُرُ مَعَكَ
فِي صَلَاتِكَ فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكَ مِنْ صَلَاتِكَ إِلَّا مَا عَقَلْتَ مِنْهَا، وَمَا أَنْتَ بِهِ مَعَ الْغَفْلَةِ
فَهُوَ إِلَى الْاسْتِغْفَارِ وَالتَّكْفِيرِ أَحْوَجُ. انتهى

(ث) (غ) في الأحياء " ومن مكائد الشيطان أن يشغلك في الصلاة بفكر الآخرة
وتدبير فعل الخيرات لتمتنع عن فهم ما تقرأه، واعلم أن كل ما يشغلك عن
معاني قراءتك فهو وسواس، فإن حركة اللسان غير مقصودة بل المقصود
معانيها". انتهى (س) وقيل من فقه الرجل أن يبدأ بقضاء حاجته قبل الصلاة
ولهذا ورد إذا حضر العشاء والعشاء، فابدأ بالعشاء بفتح العين، وبالجملة فلا
يُصلي وعنده ما يُغير مزاج باطنه كالهَمِّ المفرط والغضب، ويترك الحركات جملة
بل يكون كالجماد. وقد جاء في الخبر سبعة أشياء في الصلاة من الشيطان:
الرُعَافُ والنُّعَاسُ والوَسْوَسةُ والتَّثَاؤُبُ والحكَاكُ والالتفَاتُ والعَبَثُ بالشَّيْءِ.

(ث) "وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم
رجل، فقال يا رسول الله حدّثني حديثاً واجعله موجزاً، فقال له عليه السلام صلّى
صلاة مودّع، كأنك تراه فإن كنت لا تراه فإنه يراك، وائس ممّا في //لوحة143//
أيدي الناس تعش غنياً، وإياك وما يتعدّر منه، قلت وفي هذا الحديث الكريم مقنع
لمن أستحضره وتدبره حق تدبره . (غ) "واعلم أن المعاني التي بها تتم حياة

الصلاة يَجْمَعُهَا سِتُّ جُمَلٍ: وهي حضور القلب والتفهم والتعظيم والهيبة والرجاء والحياء، فحضور القلب أن يُفْرِغَهُ مِنْ غَيْرِ مَا هُوَ مُلَابِسٌ لَهُ والتفهم أمر زائد على الحضور، ثم قال بعده وأما التعظيم فهو حالة القلب تتولد عن معرفتين، إحداهما معرفة جلال الله سبحانه وعظمته والثانية معرفة حقارة النفس. واعلم أن حضور القلب سببه الهمة، فإن قلبك تابع لهمتك فلا يحضر إلا فيما أهَمَّكَ والقلب إذا لم يحضر في الصلاة لم يكن متعطلا بل يكون حاضرا فيما الهمة مصروفة إليه¹.

باختصار، الزروق "ومن اعتثرته وسوسة أجنبية دفعها وإن كانت مما تقدم له قريبا" فقال ابن العربي "هذا لم يدخل في الصلاة، وجهز عمر الجيش في الصلاة قيام بفرض في فرض"، وقال بعض العلماء: الإجماع على وجوب حضور القلب في الصلاة والإجماع على أنه لا يجب في كلها بل في جزء، وينبغي أن يكون عند الإحرام. انتهى

واعلم أن الوسوسة بدعة ومتبعتها متكبر مذكّر لنفسه ودواؤها التلهي عنها باستعمال ضدها، والعلم بأن أحدا لا يقدر الله تعالى حق قدره، وإن عمل ما عمل، قيل وذلك سر تقديم التكبير في الصلاة الي الله أكبر وأجل من أن يقوم أحد بحقه، أو يقدره حق قدره اللهم لا أحصي ثناء أنت كما أثنيت على نفسك.

¹ - إحياء علوم الدين - الغزالي ، ج 1 ص 149

فائدة¹، ومما ينبغي التنبيه عليه هنا، ذكرُ شيءٍ من معاني الفاتحة، إذ هي العُمدَةُ من أقوال الصلاة، فيحتاج إلى تدبير ألفاظها واستحضار معانيها، ليزوق التالي من لذيذ طُعم ثمارها، ويستنشق من طيب نسيم أزهارها، ولقد رأيتُ لها تفسيراً مختصراً لبعض أשיاخنا رحمهم الله، وهو حُجَّة الإسلام السنوسي والله أعلم، قال فيه رحمه الله {الحمد لله معناه}² المدح كُلُّهُ لله وحده لأن كلَّ كمالٍ قديمٍ فهو وصفُهُ وكل كمالٍ حادثٍ فهو فعلُهُ، {رب العالمين}³ معناه مالكُ جميعِ الحوادثِ المختلفةِ في أجناسِها وأنواعِها وأوصافِها وفي مقاديرِها وصفاتها وأزمنتها وأمكنيتها وذلك الاختلافُ دليلٌ فيها على وجوبِ افتقارِها إلى الله تبارك وتعالى وعلى وجوبِ وجوده ووحدانيته وكمالِ قدرته وإرادته وعلمه وحياته، وذلك دليل على ما دلَّ عليه قوله الحمدُ لله من كُونِ المدحِ بكلِّ كمالٍ لله تعالى وحده، ومن كونه هو المالكُ للعوالمِ المرید لها فَجُمِعَ العالمونَ ليكونَ دليلاً على ما قبله لأن الجمعَ دالٌّ على // نوحه 142 // الاختلافِ الدالِّ على وجوبِ الافتقارِ إلى الرَّبِّ تبارك وتعالى، الرَّحْمَانُ الرَّحِيمُ معناه المُنْعَمُ بجميعِ النِّعَمِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْآخِرَوِيَّةِ، الْجَلِيلَةُ وَالْحَقِيرَةُ ومجيبُهُ بَعْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّهُ سُبْحَانَهُ إِنَّمَا عَامَلَ الْعَوَالِمَ فِي الْغَالِبِ بِمُقْتَضَى الرَّحْمَةِ، لَا بِمُقْتَضَى الْغَضَبِ، وَالْإِنْسُ وَالْجِنُّ الْمَغْضُوبُ عَلَيْهِمْ قَلِيلُونَ جَدَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى كَثَرَةِ مَنْ رَحِمَهُ مِنَ الْعَوَالِمِ السَّمَاءِيَّةِ وَالْأَرْضِيَّةِ، وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ كُلَّ نِعْمَةٍ صَدَرَتْ مِنْهُ جَلَّ وَعَلَا، لِلْعَوَالِمِ فَهِيَ بِمُقْتَضَى الرَّحْمَةِ وَالْفَضْلِ لَا

1 - ساقطة من ب

2 - ساقطة من ب

3 - ساقطة من ب

بمقتضى الوجوب والاستحقاق، ملك يوم الدين معناه المنفرد بالحكم يوم الجزاء وعزل في ذلك اليوم جميع الحكام، إياك نعبُد معناه نخُصُّك يا مولانا بالطاعة وكمال الدِّلة والخُضوع على الوجه الذي بلغه رسوُكَ و مصطفىاك سيِّدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم الذي رحمتَ بفضلك على يده العالمين وخلصتهم بأنوار بعثته من مهالك يوم الدين، وإياك نستعين معناه ومنك وحدك يا مولانا نطلب العون على عبادتك التي هي عنوان النِّجاة من مهالك يوم الدين إهدنا الصِّراطَ المُستقيم معناه دُلِّنا يا مولانا في عبادتك على الطريق المُستقيم أي الذي لا إنحراف فيها إلى معصية ولا بدعة ولا هوى وأسألك يا مولانا فيه وثبتنا عليه حتى نلقاك، صراط الذين أنعمت عليهم معناه طريق الذين تفضلت عليهم من النَّبيِّين والصِّديقين والشُّهداء والصَّالحين لا طريق الذين يغمدون في دينهم على طريق التَّقبيح والتحسين غير المَغضوب عليهم معناه جنَّبنا يا مولانا طريق الذين غضبت عليهم أي حرمتهم من الهداية مع علمهم بطريقها كاليهود والعلماء غير العاملين ولا الضَّالِّين معناه وجنَّبنا يا مولانا طريق الضَّالِّين أي الذين حُرِّموا من الهداية مع جهلهم بطريقها كالنَّصارى وغيرهم من الجاهلين وبالله تعالى التوفيق. انتهى

قال أبو الفضل قاسم الرِّصاع رحمه الله تعالى، عند شرح اسمه، صلى الله عليه وسلم أحمد فعليك أيُّها المُحبُّ في سيِّد المرسلين، المُتَّبِع لإمام العارفين بالتَّحْفُظ على ما أهدى إليك حبيب ربِّ العالمين، ممَّا يقربك من أكرم الأكرمين، ويزيل الحجاب بينك وبين أرحم الراحمين، فإن كنت مُقَصِّرا في اتِّباعك، غير مشغَل بالأنكار في كلِّ أوقاتك، فلا تغفل عن التَّفكُّر في قراءة فاتحة الكتاب، ولا عن

التدبُّر في معناها وسرِّ ما فيها من الخطاب، فإن هذه الصلوات هدية من الله سبحانه لعباده، ووسيلة إليهم في القدوم على حضرته، بحضور قلوبهم مع معبودهم، وإنها صلة بينهم وبين مالِكهم في الوصول إلى // نوحه 143 // مرغوبهم فيطْلَبُ في حقِّ المتخلِّق بخلق الأولياء، المتعلق على باب الأصفياء، وإن حُرِّم الوصول إلى منزلتهم، المحبَّة في طريقهم والتشبه ببعض فعلهم، فإذا قرأ الفاتحة وأثنى على خالقه بما أثنى به على نفسه، فليقبل على ربِّه، ويُجِدِّد التوبة من ذنبه عسى المولى يمنُّ سبحانه بحسن قبوله، وجبر انكسار قلبه، ويُجاهد نفسه الخبيثة بلجام الهيبة، ويروضها بالانقياد إلى الشريعة، ويُجلِّسها على بساط الأُنس والمحبَّة، ويُرتِّل قراءته ويتأمل معناها ويستخلي أوصافه الحسنى في نفسه ويستحضر أنَّه إذا قال العبدُ الحمد لله ربِّ العالمين وذكر مَولاه قال: مَولاه حمَدني عبدي، وهذا شهادة ممَّن لا تخفى عليه خافية فلا يصدَّق هذا الحمد إلا على من حمده بما يجبُّ له سبحانه من صفات مَحامده. وإذا قال العبدُ الرحمن الرحيم قال مَولاه أثنى عليَّ عبدي فقد ذكركَ مَولَاك أيُّها الغافل من حيث لا تشعُر في قراءته فلا تغفل عن مراقبته، وإذا قال القارئ ملك يوم الدين قال مَولاه مَجَدني عبدي فلا تسأل أيُّها القارئ إن حَضَرَت خشيتُكَ عَمَّا يُفْتَحُ بِهِ عليك ربُّكَ من كَمالِ رحمةٍ وتَمَامِ عطيةٍ وفتوحاتٍ لَدُنِيَّةٍ، ومِفْتَاحُ ذَلِكَ طَهارةُ قلبك من قُدُراتِ الأكوان، وتعلُّق قلبك بالله في كلِّ أوانٍ، وإذا قال العبدُ إياكَ نَعْبُدُ وإياكَ نَسْتَعِينُ يقولُ الله هذا بيني وبين عبدي ولِعَبدي ما سأل، فتَعَرَّفْ لَهُ بالحقيقة بعد استِعمالِ الطريقة بحُصولِ الإخلاص الذي هو رُوحُ الأعمالِ وطلبُ العونِ من الله في جميع الأحوال ثم تتوجَّه إلى الحاجة من المَلِكِ الكريم وتطلُّبُ الهداية من الذِّي من علينا بصاحب

الخلق العظيم وأتى بالصراط المستقيم فتقول إهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين يقول هذا لعبي ولعبي ما سأل فلزم أيها المحب ما دلك عليه من قراءة السبع المثاني، ومن ذكر الله في الأفعال والمباني، وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لما نزل قول الله سبحانه (اذكروا الله ذكرا كثيرا) قال عليه الصلاة والسلام لجبريل [يا أخي جبريل أذكر الله ألف مرة في اليوم، قال يا محمد إنما أنا سفير بينك وبين ربك فقال له أذكر الله ألفي مرة في اليوم فقال له مثل مقالته الأولى ثم عرج إلى السماء ثم نزل فقال له يا نبي الله العلي الأعلى يُقرئك السلام، وهو يقول لك أذكر الله، عدد ما خلقته وما أنا خالقه، إلى يوم القيامة، اذكرني على عدد الرطب واليابس، اذكرني على عدد الحلو والحامض، فإن طال ذلك عليك وعلى أمتك فاعلم أنني أنزلت // نوحه 144 // مئة كتاب وأربعة كُتب، وجمعت ذلك في الكتاب الذي أنزلته عليك وخصصتك بسورة الحمد، لم أنزلها لا في التوراة ولا في الإنجيل، وخصصتك بها لأني حمدت نفسي في الأزل إذ كنت أنا الشاهد ولا شاهد معي، فاختصت بالحمد في نفسي ثم سبق في علمي أنني سوف أفترض حمدي على عبادي، وعلمت عجز عبادي عن أداء واجب حمده، فتحملت حمد عبادي كلهم بنفسي لنفسي، ثم أنزلت عليك في مُحكم كتابي ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِ وَالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ﴾¹ يا محمد إذا وقف العبد بين يدي، فقال الله أكبر رفعت الحجاب بيني وبينه، فإذا قال الحمد لله، قلت عبي من هذا الإله قال رب

¹ - الحجر - الآية 87

العالمين فأقول، ومن رب العالمين؟ فيقول الرحمن الرحيم، فأقول من الرحمن الرحيم فيقول ملك يوم الدين، فأقول من ملك يوم الدين؟ فيقول إياك نعبد وإياك نستعين فأقول عبدي هذا لي فهل من حاجة؟ فيقول اهدنا الصراط المستقيم فأقول عبدي ما الصراط المستقيم؟ فيقول صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين فإن قال آمين، قلت قد أكملت عليك نعمتي وبذلت لك عطيتي وأنا رب العالمين. يا محمد، مثل الحمد كمثّل رجل جمع عنده فضة ثم أراد السفر بها، فنقل عليه حملها، فباع الفضة واشترى ذهباً، فنقل عليه حملها فباع الذهب، واشترى جوهرًا فلما أراد السفر بها سهل عليه حملها، فيقول سبحانه يقول لك جمعت الكتب المنزلة في القرآن، وجمعت القرآن في سورة الحمد، يا محمد جمعت القرآن في سبع أسباع، وجمعت الحمد في سبع آيات، فكل آية من أم القرآن تعدل سبعة من القرآن، فإذا أردت يا محمد أن تذكرني حقيقة ذكري، وتحمدني وتقديسني وتُعظمني حقيقة العظمة، فاقرا الحمد لله رب العالمين على حقيقتها، فعند ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [صلاة لا يُقرأ فيها بالحمد أو بأمّ القرآن فهي خراج أي فاسدة] فاصنع بسمعك، يا من غلبت عليه القطيعة والحجاب، وتلق هذا الكلام من رب الأرباب فكّم لك من قراءة لا روح لها، وكم معك من غفلة لا يقظة معها، رب العزة يخاطبك في كلّ ساعة مع كلّ آية في صلاتك، ويلطفك في خطابك، وأنت لا تحسن قراءتك، بل تقرأ وقلبك لاه عن حضورك، وربما كان يتردد في شهوته في فكرك وتسرد كلام ربك الذي اختاره لك، وأنت معرض عن مقامه مطرود عن بابيه، فلا تزال كذلك حتى ترد بصلاتك يوم قدومك وتلف ويضرب بها في وجهك فنستغفر الله تعالى من فعلنا وقولنا // لوحة 145 // الذي لا

يطابق عملنا ونسأله سبحانه إزالة الحجاب عن قلوبنا وأن يعمر أفئدتنا بحب نبينا ومحبة أوليائه الذين أحسنوا. انتهى

وأما قول المصلي آمين، (ث) فقد روى أبو هريرة وغيره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال [إذا قال الإمام ولا الضالين فقولوا آمين فإن الملائكة في السماء تقول آمين فمن وافق قوله قول الملائكة غفر الله له ما تقدم من ذنبه] ومعنى آمين اللهم استجب، ومقتضى الآثار أن كل داع ينبغي له في آخر دعائه أن يقول آمين، وكذلك كل قارئ للحمد في غير الصلاة والذي يترجح أن المعنى من وافق في الوقت مع خلوص النية والإقبال على الرغبة إلى الله بقلب سليم. انتهى

قلت: وإن كان لا يعرف شيئاً من معاني هذه السورة العظيمة القدر عند الله تعالى، فليشغل فكره بالتعظيم والهيبة والخضوع لجلال من هو واقف بين يديه، الذي اقتضاه قوله الله أكبر، فهو سبحانه أكبر من كل كبير وأجل من أن يُقدَّر معه كبير، وأعظم من أن يحاط بكَماله، ويستحي أن يذكر معه غيره، بل لا يكون في قلبه إلا هو، والله المستعان وسيأتي التنبيه إن شاء الله على بعض معاني باقي أذكار الصلوات في فصل الأذكار وكذا زيادة بعض فضائل الفاتحة في فصل قراءة القرآن وبالله تعالى التوفيق.

{ وأما فضائل الصلاة }¹ إذا أدت بحقيها، فأكثر من أن يحصى، (ح) " روى أنه لما عُرجَ برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماء، فمن كان من الملائكة قائماً سَلَّموا عليه قياماً ثم ركعوا شكراً لله على رؤيته، ومن كان معهم راكعاً رَفَعوا رُءوسَهُم من الرُّكُوعِ وسَلَّموا عليه ثم سَجَدوا شكراً لله على رؤيته، ومن كان منهم ساجداً رَفَعوا رُءوسَهُم من السُّجُودِ وسَلَّموا عليه ثم سَجَدوا ثانيةً شكراً لله على رؤيته، فلذلك يجب أن يستوي من الرُّكُوعِ قائماً، ثم يسجدُ فكان الرُّكُوعُ واحدٌ والسُّجُودُ مرتينِ فأَرَادَ اللهُ ألاَّ يكونَ للملائكةِ حالٌ إلاَّ وجعلَ لأمةٍ محمد صلى الله عليه وسلم حالاً مثلَ حالِهِم والسُّجُودُ أفضلُ الصلاةِ، قال اللهُ تعالى ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾. وَرَوَى " أن الله سبحانه يقولُ إذا حصلَ المؤمنونَ في الجنةِ من سجدَ لي في الدنيا سجدَ لي هنا اليومَ، ثم يقولُ يا ملائكتي إفرحوا لعبادي، سجدوا فيسجدونَ لربِّهِم فيما لا يصفُهُ الواصفونَ طيباً، ثم يقولُ لهم فكلُّ ما سجدتم لي على التُّرابِ والحَجَرِ أَمَرْتُكُمْ بالسُّجُودِ في هذا الطيبِ إكراماً لهم، يا جبريل ارفع رُءوسَهُم بيدِكَ، وقلْ لهم لا تتعَبُوا أنفُسَكم، ليسَ هذا وقتُ سجدٍ ولا هذه دارُ سجدٍ، ولا هذا يومُ سجدٍ هذا يومُ الرؤيةِ // نوحه 146 // والوَصلةِ والقُرْبَةِ والزُّلفَةِ، فَطُوبَى لَكُمْ وحسُنُ مآبٍ". وجاء في الحديث [لا ينظرُ اللهُ تعالى إلى عبدٍ لا يقيمُ صُلبَهُ في الرُّكُوعِ والسُّجُودِ]² وجاء في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً يُصلي صلاةً فأخفَّها لم يتمَّ ركوعَها ولا سُجودَها، فقال لو ماتَ هذا على ما يصنعُ لمات على غيرِ ملتي، وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال [أخبرني

1 - ساقطة من ب

2 - سنن الترمذي - باب ما جاء فيمن لا يقيم صلبه في الركوع والسجود

جبريل عليه السلام أن المؤمنين يُقربون إلى الله تعالى على أجنحة الملائكة يبسطون أجنحتهم للمؤمنين إذا سجدوا فإياكم أن تمسحوا مواضع السجود] وعنه صلى الله عليه وسلم إنه قال [الصلاة عمود الإسلام] قال الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾¹ وقال عز وجل ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتُ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾² وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم [من حافظ على الصلوات الخمس بإكمال وضوءها وركوعها وسجودها ومراقبتها حرّم الله عليه النار]. وعن عبادة بن الصامت قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول [خمس صلوات كتبهن الله على العباد فمن جاء بهن لم يضيع منهن شيئاً استخفافا لحقهن كان له عند الله أن يدخله الجنة ومن يأت بهن فليس له عند الله عهد، إن شاء عذبه، وإن شاء أدخله الجنة] انتهى. (ث) " وعن أنس بن حكيم قال : قال لي أبو هريرة إذا أتيت أهل مصر فكأخبرهم أنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول [أول ما يحاسب به العبد المسلم صلاة المكتوبة فإن أتمها وإلا قيل انظروا هل له من تطوع فإن كان له تطوع أكملت الفريضة من تطوعه ثم يفعل بسائر الأعمال المفروضة مثل ذلك. (غ) وقد ذكر أن الرجلين ليكونان في صلاة واحدة، وأن بينهما من الفضل ما بين السماء والأرض، لأن الواحد خاشع مقبل على الله تعالى بقلبه وفعله والآخر ساه، وذكر أن من المصلين من لا يكتب له من صلاته إلا عشرها أو تسعها أو ثمنها أو سبعمها أو سدسها أو

1 - البقرة - الآية 153

2 - الأنفال - الآية 4

خُمْسُهَا أَوْ رُبْعُهَا أَوْ ثُلُثُهَا أَوْ نِصْفُهَا وَلَا يُكْتَبُ مِنْهَا لَا قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ وَالْعِلَّةُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ لَا يُكْتَبُ لِلْمُصَلِّي مِنْ صَلَاتِهِ إِلَّا مَا عَقَلَ مِنْهَا وَحَضَرَ عَقْلُهُ وَقَلْبُهُ مَعَهُ فِيهَا. فذلِكَ الْقَدْرُ الَّذِي يُكْتَبُ لَهُ فِيهَا. وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [مَا مِنْ عَبْدٍ يَتَوَضَّأُ وَضوءًا سَابِغًا ثُمَّ يُصَلِّي مُقْبِلًا عَلَيْهَا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ وَبَصَرِهِ غَيْرَ سَاهٍ وَلَا لَاهٍ لَيْسَ قَلْبُهُ فِي شَيْءٍ مِمَّا هُوَ فِيهِ إِلَّا رَجَعَ مِنْ صَلَاتِهِ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ] فَأَحْضَرَ قَلْبَكَ وَاسْتَعْمَلَ مَعَ فَضِيلَةِ الذِّكْرِ وَالتَّقَهُمُ فِي كُلِّ صَلَاةٍ // نوحه 147 // وَبَاشَرَ الْمَعْنَى بِقَلْبِكَ كَمَا تُبَاشِرُ اللَّفْظَ بِلِسَانِكَ وَحَرَّكَ قَلْبَكَ لِفَهْمِ الذِّكْرِ كَمَا تُحَرِّكَ لِسَانَكَ بِتَقْصِيلِ اللَّفْظِ عِنْدَ التَّلَاوَةِ، وَجَاهِدْ فِي ذَلِكَ قَلْبَكَ وَارْغَبْ مَوْلَاكَ وَإِلَّا كُنْتَ الْمَغْبُونِ الْخَائِبِ مِنْ أَكْثَرِ الْحِظِّ وَأَوْفَرِ الْجَزَاءِ، وَأَعْرِفَ مِقْدَارَ فَضْلِهَا وَمَحْوِهَا لِلذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا وَبِاللَّهِ تَعَالَى التَّوْفِيقَ.

وَأَمَّا حُكْمُ تَارِكِهَا وَمُؤَخِّرِهَا عَنْ وَقْتِهَا، فَحَسْبُكَ مِنْ مَقْتِهِ أَنَّهُ مُخْتَلَفٌ فِيهِ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ، مُلْحَقٌ بِرَأْسِ عَالَمِ الْعَدْلِ وَهُوَ الشَّيْطَانُ، إِذْ هُوَ أَوَّلُ مَنْ أَبَى السُّجُودَ، فَسَجَدَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَ ذَلِكَ سَجْدَتَيْنِ سَجْدَةً لِلْأَمْرِ وَأُخْرَى لِلشُّكْرِ، لِتَكُونَ الْأُولَى عَوْضًا مِنَ الَّتِي أَبَاهَا إِبْلِيسُ، وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [مَا بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشَّرِكِ وَالْكَفْرِ إِلَّا تَرْكُ الصَّلَاةِ فَمَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ فَهُوَ كَافِرٌ]¹ وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [مَنْ حَافِظٌ عَلَى الصَّلَاةِ كَانَتْ لَهُ نُورًا وَبُرْهَانًا وَإِضَاءَةٌ أَوْ قَالَ نَجَاةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا لَمْ تَكُنْ لَهُ نُورًا وَلَا بُرْهَانًا وَلَا إِضَاءَةٌ وَلَا نَجَاةٌ وَيَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ] وَعَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [مَنْ

¹ - " إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة " رواه مسلم تحت رقم 82

تَوَانَى عَنْ صَلَاتِهِ مِنْ غَيْرِ مَرَضٍ أَوْ عِلَّةٍ أَعَقَبَهُ اللَّهُ بِخَمْسَ عَشْرَةَ خَصْلَةً، سِتٌّ فِي الدُّنْيَا وَثَلَاثٌ عِنْدَ الْمَوْتِ وَثَلَاثٌ فِي قَبْرِهِ وَثَلَاثٌ فِي وَقْفِهِ، فَأَمَّا السِّتُّ الَّتِي فِي الدُّنْيَا فَأُولُهَا يَنْزِعُ اللَّهُ الْبَرَكَةَ مِنْ مَالِهِ وَمِنْ رِزْقِهِ وَالثَّانِيَةُ يَنْزِعُ اللَّهُ الْبَرَكَةَ مِنْ عَمْرِهِ، وَالثَّلَاثَةُ لَا حَظَّ لَهُ فِي دَعَاءِ الصَّالِحِينَ وَالرَّابِعَةُ يَمْسَحُ اللَّهُ سِيمَى الصَّالِحِينَ مِنْ وَجْهِهِ وَالْخَامِسَةُ لَا تُرْفَعُ لَهُ إِلَى السَّمَاءِ حَسَنَةً، وَالسَّادِسَةُ لَا يَسْتَجِيبُ اللَّهُ دَعْوَتَهُ. وَأَمَّا الثَّلَاثُ الَّتِي عِنْدَ وَفَاتِهِ، فَيَمُوتُ ذَلِيلًا وَجَائِعًا وَعَطْشَانًا فَلَوْ سُقِيَ أَنْهَارُ الدُّنْيَا مَا رُويَ وَأَمَّا الثَّلَاثُ الَّتِي فِي قَبْرِهِ فَظُلْمَةُ قَبْرِهِ وَضِيقُ لَحْدِهِ وَيُوكَلُ بِهِ مُلْكَيْنِ يَعَذِّبَانِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَأَمَّا الثَّلَاثُ الَّتِي فِي فَطُولِ الْوَقْفِ وَشِدَّةِ الْحَسَابِ وَغَضَبِ الْجَبَارِ [وَقَالَ عَمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مَا حَضَرْتُ صَلَاةً مَكْتُوبَةً قَطُّ حَتَّى يَنَادِيَ مُنَادٍ يَا بَنِي آدَمَ قُومُوا إِلَى نِيرَانِكُمْ، الَّتِي أَجَجْتُمُوهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ بِذُنُوبِكُمْ فَاطْفُئُوهَا بِصَلَاتِكُمْ، كَذَلِكَ فِي كُلِّ صَلَاةٍ فَمَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ فَلَا حَظَّ لَهُ فِي الْإِسْلَامِ، وَعَلَامَةُ الْمُنَافِقِ أَنْ يُؤَخِّرَ مِيقَاتَهَا ثُمَّ يَصْلِيهَا كَنَفْرِ الدِّيكِ. انْتَهَى

(ث) وَعَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ [تِلْكَ صَلَاةُ الْمُنَافِقِينَ تِلْكَ صَلَاةُ الْمُنَافِقِينَ تِلْكَ صَلَاةُ الْمُنَافِقِينَ يَجْلِسُ أَحَدُهُمْ حَتَّى إِذَا اصْفَرَّتِ الشَّمْسُ وَكَانَتْ بَيْنَ قَرْنِي الشَّيْطَانِ قَامَ يَنْقُرُهَا أَرْبَعًا لَا يَذْكُرُ اللَّهَ // لَوْحَةٌ 148 // فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا. وَعَنْ عُبَادَةَ ابْنِ الصَّامِتِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [إِذَا أَحْسَنَ الرَّجُلُ الصَّلَاةَ فَأَتَمَّ رُكُوعَهَا وَسُجُودَهَا قَالَتْ الصَّلَاةُ حَفِظَكَ اللَّهُ كَمَا حَفِظْتَنِي وَتُرْفَعُ وَإِذَا أَسَاءَ الصَّلَاةَ فَلَمْ يُتَمَّ رُكُوعَهَا وَلَا سُجُودَهَا قَالَتْ الصَّلَاةُ ضَيَّعَكَ اللَّهُ كَمَا ضَيَّعْتَنِي وَتُلَقَّ

كما يُلقَى الثَّوبُ الخَلْقُ فَيُضْرَبُ بها وَجْهُهُ¹، قال ابن العربي " وقد بَيَّنَّ الله تعالى صلاة المؤمنين، بقوله قد أفلَحَ المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون"، ومن خَشَعَ خَضَعَ واستمر، ولم يَنْقُزْ صلاته ولم يستعجل. انتهى

واعلم أن صلاتك كيْلُكَ فإن شئت فأوفِهِ وإن شئت فامحُفَّهُ. وجاء، الصلاة خيرٌ كُلُّها فإن شئت فأقلِلْ وإن شئت فأكثر وقال صلى الله عليه وسلم [إن الله تعالى يقول ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك إيماناً وأسدّ فقرَكَ وألا تفعل أملأ بدنكَ شُغلاً ولم أسدّ فقرَكَ] وعن الحسن البصري رضي الله عنه " اطلبوا اللذة في ثلاثة أشياء في الصلاة والذكر والقراءة فإن لم تجدوا ذلك فاعلموا أن الباب مُغْلَقٌ "² انتهى

قال ابن عطاء الله في حكمه " فليكن همُّك إقامة الصلاة لا وجود الصلاة فما كل مصلٍّ مُقيمٍ "³ " الصلاة طهرة للقلوب من أدناس الذنوب واستفتاح لباب الغيوب " ⁴ ثم قال " علم وجود الضعف منك فقلل أعدادها "، إذ جعلها خمساً بعد أن كانت خمسين، " وعلم احتياجك إلى فضله فكثّر أمداها " أي إذ جعل الخمسة بخمسين الحسنه بعشر أمثالها وقال أيضا " علم قلة نهوض العباد إلى معاملته فأوجب عليهم وجود طاعته فساقهم إليه بسلاسل الإيجاب عجب ربك من قوم يقادون إلى الجنة بالسلاسل "⁵. ثم قال " من استغرب أن يُنقده الله من شهوته وأن يُخرجه من

1 - أخرجه البزار ، رقم الحديث 2691 ،

2 - مدارج السالكين - ابن القيم الجوزية. بتصرف

3 - الحكم العطائية - ابن عطاء الله السكندري - الحكمة رقم 118

4 - نفس المرجع - الحكمة رقم 119 - (من أدناس الذنوب) زائدة

5 - نفس المرجع الحكمة رقم 195 يقادون، يساقون في الحكم.

وجود غفلته فقد استعجز قدرة إلهية وكان الله على كل شيء مقتدرا¹. وبالله تعالى التوفيق.

لوأما آداب ما بعد الضحى إلى الزوال، (غ)² في بداية الهداية فلك فيه أربع حالات، الأولى وهي الأفضل أن تصرفه إلى طلب العلم النافع في الدين دون الفضول الذي أكب الناس عليه وسموه علما، والعلم النافع ما يزيد في خوفك من الله، ويزيد في بصيرتك بعيوب نفسك، ويزيد في معرفتك بعبادة ربك، ويقلل من رغبتك في الدنيا ويزيد في رغبتك في الآخرة، ويفتح بصيرتك بآفات أعمالها حتى تحترز منها، ويطلعك على مكاييد الشيطان، وغروره وكيفية تلبيسه على العلماء السوء، حتى عرضهم لمقت الله وسخطه، حيث أكلوا الدنيا بالدين واتخذوا العلم وسيلة إلى أخذ الأموال من السلاطين وأكل أموال الأوقاف واليتامى // نوحه 149 // والمساكين، وصرفوا همتهم إلى طلب الجاه والمنزلة في قلوب الخلق، واضطربهم ذلك إلى المراتب والممارات، والمنافسة والمباهات، وهذا الفن من العلم النافع فإن كنت من أهله، فحاصله وأعمل به، ثم علمه وأدع إليه، فمن علم ذلك وعمل به ودعا إليه، فذلك يدعى عظيما في ملكوت السماء، بشهادة عيسى عليه السلام. فإذا فرغت من ذلك كله، فلا بأس أن تشتغل بعلم المذهب من الفقه، لتعرف به الفروع النادر في العبادات، وطريق الفصل بين الخلق في الخصومات، عند أكبابهم على الشهوات، فذلك من جملة فروض الكفايات، فإن دعيت نفسك إلى ترك ما ذكرناه من الأوراد والأذكار، اشتغالا بذلك فاعلم أن الشيطان اللعين قد

1 - نفس المرجع - الحكمة رقم 197

2 - ساقطة من ب .

دَسَّ إِلَيْكَ الدَّاءَ الدَّفِين، وهو حُبُّ المَالِ والجَاهِ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَغْتَرَّ فَتَكُونَ ضَحَكَةً لَهُ
فِيهِلَكَ وَيَسْخَرُ بِكَ، فَإِنْ جَرَّبْتَ نَفْسَكَ مَرَّةً فِي الْأَوْرَادِ وَالْعِبَادَاتِ وَكَانَتْ لَا
تَسْتَقِلُّهَا كَسَلًا عَنْهَا وَلَكِنْ ظَهَرَتْ رَغْبَتُكَ فِي تَحْصِيلِ الْعِلْمِ النَّافِعِ وَلَمْ تُرِدْ بِهِ إِلَّا
وَجَهَ اللَّهُ فَذَلِكَ أَفْضَلُ مِنْ نَوَافِلِ الْعِبَادَاتِ وَلَكِنَّ الشَّأْنَ فِي صِحَةِ النِّيَّةِ، فَهِيَ مَعْدِنُ
غُرُورِ الْجُهَّالِ، وَمَزِلَّةُ أَقْدَامِ الرِّجَالِ.

الحالة الثانية، ألا تقدر على تحصيل العلم النافع، ولكن تشتغل بوظائف العبادات
من الذكر والقراءات، فذلك من درجة العابدين الفائزين وسير الصالحين. الحالة
الثالثة، أن تشتغل بما توصل به خيرا إلى المسلمين، وتدخل به سرورا على كافة
المؤمنين، أو تُيسِّرُ به الأعمال الصالحة للصالحين، كخدمة الفقهاء والصوفية
وأهل العلم، وأهل الدين والسعي في إطعام الفقراء والمساكين، والتردد مثلا على
المرضى بالزيارة، وعلى الجنائز بالتشييع، فكل ذلك أفضل من النوافل، فإن هذه
عبادات وفيها رفق بالمسلمين.

الحالة الرابعة، ألا تقوى على ذلك لاشتغالك بحاجاتك، اكتسابا على نفسك، أو
على عيالك، وقد سلم المسلمون منك، وأمنوا من لسانك ويدك وسلم منك دينك، إذا
لم ترتكب معصية، فتتأهل بذلك درجة أصحاب اليمين، إن لم تكن ترقى إلى
مقامات السابقين. وهذه أصل الدرجات في مقامات الدين، وما بعد ذلك فهي مراتع
الشياطين، وذلك أن تشتغل والعياد بالله بما يهدم دينك، أو توذي عبدا من عباد
الله فهذه رتبة الهالكين، فَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مِنْ هَذِهِ الطَّبَقَةِ. واعلم أن العبد في حق
دينه إما سالم، وهو المقتصر على أداء الفرائض وترك المعاصي، أو رابح وهو

الْمُتَطَوِّعُ بِالْقُرْبَاتِ وَالنَّوَافِلِ، أَوْ خَاسِرٌ وَهُوَ الْمُقْصِرُ عَنِ اللّٰوْازِمِ، فَإِنْ لَمْ تَقْدِرْ أَنْ تَكُونَ رَاجِحًا فَاجْتَهِدْ أَنْ تَكُونَ سَالِمًا، وَإِيَّاكَ ثُمَّ إِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ خَاسِرًا.

قُلْتُ وَيُنْبَغِي // نوحه 150 // أَنْ يَكُونَ فِي جَمِيعِ نَهَارِهِ طَاهِرًا، وَمَهْمَا انْتَقَضَ وَضُوءُهُ جَدَّدَهُ، وَصَلَّى وَدَعَا فَإِنَّ ذَلِكَ يَكُونُ حِرْزًا لَهُ، مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ وَ مَرَضَاتٍ لِلرَّبِّ تَعَالَى وَالْمَلَائِكَةِ، وَيَدْخُلُ بِذَلِكَ فِي زُمَرَةِ الصَّالِحِينَ، وَيَكُونُ مَتَّبِعًا لِسُنَّةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَبِاللَّهِ تَعَالَى التَّوْفِيقُ.

وَأَمَّا آدَابُ قِيَامِ اللَّيْلِ، وَالنَّوْمِ وَفَضَائِلُهُمَا، فَالْكَلَامُ فِي هَذَا الْفَصْلِ فِي مَوَاضِعَ، فِي آدَابِ النَّوْمِ وَفَضَائِلِهِ، وَفِي حُكْمِ قِيَامِ اللَّيْلِ وَمَا يُسْتَعَانُ بِهِ عَلَيْهِ وَفَوَائِدُهُ وَآدَابُهُ وَفَضَائِلُهُ.

أَمَّا آدَابُ النَّوْمِ وَفَضَائِلُهُ: (غ) فَإِذَا أَرَدْتَ النَّوْمَ فَابْسِطْ فِرَاشَكَ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ (د) ثُمَّ يَنْقُضْ فِرَاشَهُ بِنَصِيفَةِ ثَوْبِهِ ثَلَاثَ مَرَاتٍ، كَذَلِكَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْعَلُ، وَنَمْ عَلَى يَمِينِكَ كَمَا يَضْطَجِعُ الْمَيِّتُ فِي لَحْدِهِ يَجْعَلُ يَدَهُ الْيُمْنَى تَحْتَ خَدِّهِ الْأَيْمَنِ وَالْيُسْرَى عَلَى فَخْذِهِ الْأَيْسَرِ وَيَسْتَشْعُرُ الْمَوْتَ وَالْقَبْرَ لِأَنَّ النَّوْمَ مَوْتُ أَصْغَرُ، وَلَعَلَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقْبِضُ رُوحَكَ فِي لَيْلَتِكَ فَكُنْ مُسْتَعِدًّا لِلِقَائِهِ، بَأَنْ تَتِمَّ عَلَى طَهَارَةٍ يَعْنِي تَتَوَضَّأُ وَضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ، بِهَذَا أَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَتَكُونُ وَصِيَّتُكَ تَحْتَ وَسَادَتِكَ تُعَلِّمُ بِهَا أَهْلَكَ، وَتَتِمُّ تَائِبًا مِنَ الذُّنُوبِ مُسْتَغْفِرًا عَازِمًا عَلَى أَنْ لَا تَعُودَ إِلَى مَعْصِيَةٍ، وَاعِزَّمْ عَلَى الْخَيْرِ لِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ إِنْ بَعَثَكَ اللَّهُ تَعَالَى. وَقَدْ نَهَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَبِيتَ أَحَدٌ دُونَ وَصِيَّتِهِ لَا سِيَّمَا إِنْ كَانَ مِمَّنْ يَتَعَاطَى الْبَيْعَ وَالشِّرَاءَ وَمُعَامَلَةَ النَّاسِ فِي الْأَسْوَاقِ

فيجبُ عليه ذلك ليلاً تخترقه المنية فجأةً فيضيعُ ماله ومال غيره، وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن إضاعة المال وقال صلى الله عليه وسلم [لا يبيت أحدٌ إلا ووصيته عند رأسه]¹ ومتى ما انتقض ما في الوصية بزيادةٍ أُنقص كتبها على حسب حاله الوقتي ويفترش التقوى ويُعطى بشريته برداء السكون تحت مجاري أقدار الربوبية وينوي بنومه استراحة جسده ليقوم مستريحاً لعبادة ربه وينوي قيام الليل لأنه إذا نوى ذلك كتب له ثواب القائم وإن لم يقم بسبب مانع منعه، قال عليه السلام [نية المؤمن أبلغ من عمله]² ويُطهر قلبه من مناوي السوء لأمة محمد صلى الله عليه وسلم وينوي الخير لخاصتهم وعامتهم كما يُطهر باطنه من الخواطر الشيطانية والوساوس النفسانية لتكمل طهارته ظاهراً وباطناً ويُحاسب نفسه فما وجد من خير حمد الله وما وجد من شر استغفر الله تعالى عازماً ألا يعود إلى معصية. (غ) وتذكر أنك ستضطجع في اللحد كذلك وحيداً فريداً ليس معك إلا عملك // نوحه 151 // ولا تستجلب النوم تكلفاً بتمهيد الفرش الوطية فإن النوم تعطيلٌ للحياة إلا إذا كانت يقظتك وبالأعلى عليك ونومك سلامةً لدينك واعلم أن الليل والنهار أربع وعشرون ساعةً فلا يكون نومك بالليل والنهار أكثر من ثمان ساعات، قلت: يعني ساعتين بالنهار وستة بالليل، فيكفيك إن عشت ستين سنةً أن تضيع منها عشرين سنةً وهو الثلث. وأعد عند النوم سواك وطهورك واعزم على قيام الليل أو على القيام للصبح فركعتان في جوف الليل كنز من كنوز البر فاستكثر من كنوزك ليوم ففرك فلا تغني عنك كنوز الدنيا إذا مت، وليأخذك النوم

1 - صحيح البخاري - كتاب الوصايا ، الحديث رقم 2587

2 - المعجم الكبير - الطبراني - ج 6 - ص 185

وَأَنْتَ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَعَلَى الطَّهَارَةِ قَلْتُ : وَسَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ بَيَانُ الْأَنْكَارِ فِي مَحَلِّهَا فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ عُرِّجَ بِرُوحِهِ إِلَى الْعَرْشِ وَكُتِبَ مُصَلِّيًا إِلَى أَنْ يَسْتَيْقِظَ فَإِنْ اسْتَيْقِظَ فَارْجِعْ إِلَى مَا عَرَفْتَهُ أَوَّلًا.

(د) وروى أبو أمامة رضي الله عنه قال سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم [من أوى إلى فراشه طاهراً وذكر الله عز وجل حتى يُدرِّكه النُّعاس لم ينقلب ساعةً من الليل يسأل الله عز وجل فيها خيراً من خير الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه]¹.

وروي من بات طاهراً، بات في شعاره ملكٌ يحفظه، أو كما قال عليه السلام والجامع في هذا أن ينام العبد على حالة لو قُدِّرَ أَنَّهُ يَلْقَى اللَّهَ سبحانه عليها لأحب لقاءه، ولكان ممَّن وُقِيَ بما عاهد عليه الله، وصحَّ له وصفُ العبوديةِ وكم من نائم ظنَّ الانتباه فكان آخر نومته. (غ) وداوم على هذا الترتيب بقية عمرِكَ فإن شقَّتْ عليك المداومة فاصبر صبرَ المريض على مرارة الدواء انتظاراً للشفاء وتفكّر في قصر عمرِكَ وإن عِشْتَ مائة عام بالإضافة إلى مقامِكَ في الدار الآخرة أبد الآباد وتأمل كيف تحتل المشقة والذلة في طلب الدنيا شهراً أو سنة رجاء أن تستريح بها سنة أو عشر سنين مثلاً، فكيف لا تتحمَّل ذلك أياماً قلائل رجاء الإستراحة أبد الآباد، ولا تطوِّل أملك فيثقل عليك عملك، وقَدِّم قُرْبَ الموتِ وقل في نفسك أَنِّي أَحْتَمِلُ المشقة اليومَ لعلي أموت الليلة واصبر الليلة فلعلِّي أموتُ غداً فَإِنَّ الموتَ لا يَهْجُمُ في ليلٍ مخصوصٍ، وسِنٍ مخصوصٍ، وحالٍ مخصوصٍ ووقْتٍ مخصوصٍ، وهو لا بدَّ من هُجُومِهِ، فالاستعدادُ له أولى من الاستعدادُ للدُّنيا

¹ - سنن الترمذي - كتاب الدعوات - حديث رقم 3526

وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ لَا تَبْقَى فِيهَا إِلَّا مَرَّةً يَسِيرَةً، وَلَعَلَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ أَجْلِكَ إِلَّا نَفْسٌ وَاحِدٌ
أَوْ يَوْمٌ وَاحِدٌ، فَقَدِّرْ هَذَا عَلَى قَلْبِكَ كُلَّ يَوْمٍ، وَكَلِّفْ نَفْسَكَ الصَّبْرَ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ
يَوْمًا يَوْمًا، فَإِنَّكَ لَوْ قَدَّرْتَ الْبَقَاءَ خَمْسِينَ سَنَةً // نوحه 152// وَأَلْزَمْتَهَا الصَّبْرَ نَفَرْتُ
وَاسْتَعَصْتُ عَلَيْكَ، فَإِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ فَرِحْتَ عِنْدَ الْمَوْتِ فَرَحًا لَا آخِرَ لَهُ، وَعِنْدَ
الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السَّرِيَّ ﴿وَلَتَعْلَمُنْ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ. (س) قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [إِذَا نَامَ الْعَبْدُ وَهُوَ عَلَى طَهَارَةٍ عُرِجَ بِرُوحِهِ إِلَى
الْعَرْشِ فَكَانَتْ رُؤْيَاهُ صَادِقَةً وَإِنْ لَمْ يَنَمْ عَلَى طَهَارَةٍ قَصَدَتْ رُوحُهُ عَنِ الْبُلُوغِ
فَتَكُونُ الْمَنَامَاتُ أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ لَا تُصَدَّقُ]¹، وَقَالَ أَيْضًا [الْمَرِيدُ الْمُتَاهِلُ إِذَا نَامَ
فِي الْفِرَاشِ مَعَ الزَّوْجَةِ يَنْتَقِضُ وَضُوءُهُ بِاللَّمَسِ وَلَا يَفُوتُهُ بِذَلِكَ فَائِدَةُ النَّوْمِ عَلَى
الطَّهَارَةِ مَا لَمْ يَسْتَرْسِلْ فِي الْإِلْتِذَاذِ فَإِذَا اسْتَرْسَلَ انْحَجَبَ الرُّوحُ فَإِنْ ابْتُلِيَ الْعَبْدُ
بِكَسَلٍ عَنْ تَجْدِيدِ الطَّهَارَةِ عِنْدَ النَّوْمِ بَعْدَ الْحَدَثِ فَلْيَمْسَحْ أَعْضَاءَهُ مَسْحًا وَكَذَا عِنْدَ
الْإِنْتِبَاهِ فِي ذَلِكَ فَضْلٌ عَظِيمٌ. انتهى

المفيد، وهيئة النائم على أربعة أقسام: الأول على الققاء وهو نومُ الأنبياء عليهم
السلام ليتفكروا في خلق السموات والأرض، ونومٌ على الوجه وهو نومُ الشياطين
والثالث نومٌ على الجنب الأيسر والأيمن، والرابع حال الجلوس والمستحب الأيمن
والحكمة فيه أن الإنسان إذا نام على جنبه الأيمن قد لا يستغفره النوم استغراقًا
كُلِّيًا، والنوم على الأيسر أسلم لأهل الشَّبع ولكن يبدأ بالأيمن شيئًا ما. ويُستحبُّ
عند إرادة النوم إغلاق الباب وإيقاء السقي، أي ربطه وإكفاء الإناء وإطفاء السراج

¹ - لم أعثر عليه

وَيُسَمِّي الله في ذلك كُله، ولو أن يعرض عوداً على الإناء أو في الباب خيفة الجنّ والسارق فذلك سنة وبالله تعالى التوفيق.

وأما فضائل النوم إن استعملت فيه السنة واقتصر منه على القدر الأصلح للمزاج دون تقريط ولا إفراط فلا يخفى على ذي بصيرة، ولو لم يكن من فضله إلا أنه يرى فيه النبي صلى الله عليه وسلم والصالحون ويستفاد منه دلالة على أحوال المرء بالرؤيا الصالحة له أو لغيره مع ما فيه من استراحة للأعضاء لتتشط لعبادة لله تعالى وسلامة البطالين أمثالنا ممن كانت يقظتهم وبالأعلى عليهم لكان كافياً، لكن على العاقل ألا يستعمل من نومه بل ومن سائر أموره العادات كأكله وشربه وجماعه، إلا قدر الدواء المستعمل عند الحاجة إليه. الزروق " وإن العوائد أدوية وقيام بحق الحكمة فلا يسترسل إلا بعيد عن الله تعالى. انتهى

ولا شك أن كثرة النوم تُميت القلب وتُفسيه. (ث) "وقد نقل صاحب الكوكب الدرّي عن البزار أن النبي صلى الله عليه وسلم قال [تدرون ما قالت أم سليمان لسليمان عليه السلام يا بُني لا تكثر النوم فإن كثرة النوم يدع الرجل فقيراً يوم القيامة] وعلى المرید أن يَحْتَسِبَ // لَوْحَة 153 // في نومته كما يحتسب في قومته، فيؤجر بها ليلاً يُضيع شيء من عمله مجاناً، والنَّيَّةُ إكسیرُ الأعمال، وبالله تعالى التوفيق. وأما حكم قيام الليل (ث) " عند قوله تعالى ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَبَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾¹ هو أمرٌ ندب في قول الجمهور، وقال جماعة هو فرضٌ لابد منه ولو خمسين آية، وقال الحسن بن سيرين " قيام الليل فرضٌ ولو قدر حلب شاة "

¹ - المزمّل - الآية 20

إِلَّا أَنَّ الْحَسَنَ قَالَ " مَنْ قَرَأَ مِئَةَ آيَةٍ لَمْ يُحَاجِهِ الْقُرْآنُ " وَاسْتَحْسَنَ هَذَا جَمَاعَةٌ مِنْ الْعُلَمَاءِ قَالَ بَعْضُهُمْ " وَالرُّكْعَتَانِ بَعْدَ الْعِشَاءِ مَعَ الْوَتْرِ دَاخِلَتَانِ فِي امْتِثَالِ هَذَا الْأَمْرِ " وَمَنْ زَادَ زَادَهُ اللَّهُ ثَوَابًا. ثُمَّ قَالَ قُلْتُ: يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ الْمُبَادَرَةُ إِلَى فِعْلِ الْخَيْرَاتِ قَبْلَ هَجُومِ صَوْلَةِ الْمَمَاتِ. وَرَوَى أَبُو دَاوُودَ فِي سُنَنِهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو وَابْنِ الْعَاصِ قَالَ " قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [مَنْ قَرَأَ بَعْشَرَ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ وَمَنْ قَامَ بِمِئَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْقَانِتِينَ وَمَنْ قَامَ بِأَلْفٍ كُتِبَ مِنَ الْمُقْنَطِرِينَ. انتهى

وَأَمَّا مَا يُسْتَعَانُ بِهِ عَلَيْهِ (د) قَلَّةُ الْأَكْلِ، فَإِنَّ مَنْ كَثُرَ أَكْلُهُ كَثُرَ شُرْبُهُ، وَمَنْ كَثُرَ شُرْبُهُ كَثُرَ دَمُهُ، وَمَنْ كَثُرَ دَمُهُ كَثُرَ نَوْمُهُ، وَمَنْ كَثُرَ نَوْمُهُ قَسَا قَلْبُهُ، وَمِنْهَا نَوْمُ سَاعَةٍ مِنَ النَّهَارِ وَمِنْهُ قَلَّةُ الْخِدْمَةِ. انتهى

قُلْتُ وَمِنْهَا كَثْرَةُ ذِكْرِ اللَّهِ، (س) " وَفِي الْخَبَرِ إِذَا نَامَ الْعَبْدُ عَقَدَ الشَّيْطَانُ عَلَى رَأْسِهِ ثَلَاثَ عُقَدٍ فَإِنْ قَعَدَ وَذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى رُكْعَتَيْنِ انْحَلَّتْ الْعُقْدُ كُلُّهَا فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ وَإِلَّا أَصْبَحَ كَسَلَانًا خَبِيثَ النَّفْسِ " وَفِي خَبَرٍ آخَرَ، " إِذَا نَامَ حَتَّى يُصْبِحَ بِأَلِ الشَّيْطَانِ فِي أَدْنِيهِ " وَالَّذِي يُخِلُّ بِقِيَامِ اللَّيْلِ كَثْرَةُ الْإِهْتِمَامِ بِأُمُورِ الدُّنْيَا وَكَثْرَةُ أَشْغَالِ الدُّنْيَا وَأَتْعَابِ الْجَوَارِحِ وَالْإِمْتِلَاءُ مِنَ الطَّعَامِ وَكَثْرَةُ الْحَدِيثِ وَاللَّغْوِ وَإِهْمَالُ الصَّلَاةِ، وَالْمَوْفَقُ يَغْتَنِمُ وَقْتَهُ وَيَعْرِفُ دَاءَهُ وَدَوَاءَهُ وَلَا يُهْمِلُ فَيُهْمَلُ. انتهى

وَأَمَّا فَوَائِدُهُ (ث) " قَالَ صَاحِبُ الْمَدْخَلِ أَنَّ مَنْ كَانَ يَتَقَلَّلُ مِنْهُ الْقُرْآنُ فَلْيَقُمْ بِهِ فِي اللَّيْلِ فَإِنَّ ذَلِكَ يَثْبُتُهُ لَهُ بِبَرَكَةِ امْتِثَالِ السُّنَّةِ، سَيِّمًا الثَّلَاثَ الْأَخِيرُ مِنَ اللَّيْلِ لِمَا

وَرَدَ فِي ذَلِكَ مِنَ الْبَرَكَةِ وَالْخَيْرَاتِ، وَمِنْهَا أَنَّهُ يَحُطُّ الذُّنُوبَ كَمَا يَحُطُّ الرِّيحُ الْعَاصِفُ
الْوَرَقَ الْيَابِسَ مِنَ الشَّجَرَةِ. الثَّانِي أَنَّهُ يُنَوِّرُ الْقَبْرَ لِأَنَّ وَقْتَ اللَّيْلِ تَشَبَّهُ بِظِلْمَةِ الْقَبْرِ
فَكَانَ مُنَاسِبًا لِقِيَامِهِ فِي ظِلْمَاتِ اللَّيْلِ، الثَّالِثُ أَنَّهُ يَحَسِّنُ الْوَجْهَ. الرَّابِعُ أَنَّهُ يُذْهِبُ
الْكَسَلَ وَيَنْشِطُ الْبَدَنَ، الْخَامِسُ أَنَّ مَوْضِعَهُ تَرَاهُ الْمَلَائِكَةُ مِنَ السَّمَاءِ كَمَا يَتَرَاءَى
الْكَوْكَبُ الدُّرِّيُّ لَنَا فِي السَّمَاءِ، وَقَدْ رَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ [عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ فَإِنَّهُ مِنْ آدَابِ الصَّالِحِينَ] // نُوْحَةُ
154 // قَبْلَكُمْ وَأَنَّ قِيَامَ اللَّيْلِ قُرْبَةٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَمَنْهَاتٌ عَنِ الْآثَامِ وَتَكْفِيرٌ
لِلْسَيِّئَاتِ، وَمُطَرِدَةٌ لِلدَّاءِ عَنِ الْجَسَدِ] وَقَالَ بَعْضُهُمُ النَّوْمُ بَعْدَ التَّهَجُّدِ يَنْوِّرُ الْقَلْبَ،
وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

وَأَمَّا آدَابُهُ، (ث) فَاعْلَمْ أَنَّ التَّفْهَمَ مَعَ قَلَّةِ الْقِرَاءَةِ أَفْضَلُ، قَالَ تَعَالَى ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ
تَرْتِيلًا﴾¹ مَعْنَاهُ تَمَهَّلْ وَفَرِّقْ بَيْنَ الْحُرُوفِ لِتُبَيِّنَ، الْمَقْصُودُ أَنَّ يَجِدَ الْفِكْرَ فُسْحَةً
لِلنَّظَرِ، وَفَهْمَ الْمَعَانِي، وَبِذَلِكَ يَرِقُّ الْقَلْبُ وَيَفِيضُ عَلَيْهِ النُّورُ وَالرَّحْمَةُ، وَفِي
الصَّحِيحِ أَنَّ قِرَاءَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَتْ بَيِّنَةً مُتَرَسِّلَةً، لَوْ شَاءَ أَحَدٌ
أَنْ يُعَدَّ الْحُرُوفَ لَعَدَّهَا، (غ) "وَلِلنَّاسِ عَادَاتٌ مُخْتَلِفَاتٌ فِي الْخَتْمِ، وَأَوَّلَى مَا يَرْجَعُ
إِلَيْهِ فِي التَّقْرِيرَاتِ قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فِي أَقَلِّ مِنْ
ثَلَاثٍ لَمْ يَفْقَهُهُ]² وَذَلِكَ أَنَّ الزِّيَادَةَ عَلَيْهَا تَمْنَعُ التَّرْتِيلَ الْمَطْلُوبَ، وَقَدْ ذَكَرَهُ جَمَاعَةٌ،
الْخَتْمُ فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وَالتَّفْصِيلُ فِي مِقْدَارِ الْقِرَاءَةِ أَنَّهُ إِنْ كَانَ التَّالِي مِنَ الْعِبَادِ

¹ - المزمّل - الآية 4

² - حديث أورده الغزالي في الإحياء ، ج 1 ص 250

السَّالِكِينَ طَرِيقَ الْعَمَلِ فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَنْقُصَ مِنْ خَتْمَتَيْنِ فِي الْأُسْبُوعِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ السَّالِكِينَ بِأَعْمَالِ الْقَلْبِ وَضُرُوبِ الْفِكْرِ أَوْ مِنَ الْمُشْغُولِينَ بِنَشْرِ الْعِلْمِ فَلَا بَأْسَ أَنْ يَفْتَصِرَ فِي الْأُسْبُوعِ عَلَى خَتْمَةٍ، وَإِنْ كَانَ نَافِذَ الْفِكْرِ فِي مَعَانِي الْقِرَاءَانِ فَقَدْ يَكْتَفِي فِي الشَّهْرِ بِمَرَّةٍ لِحَاجَتِهِ إِلَى كَثَرَةِ التَّرْدِيدِ وَالتَّأَمُّلِ. وَرَوَى ابْنُ الْمُبَارَكِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَامَ ذَاتَ لَيْلَةٍ بَايَةً مِنَ الْقِرَاءَانِ يُكَرِّرُهَا عَلَى نَفْسِهِ¹.

المفيد فَإِنْ قِيلَ كَيْفَ يَكُونُ التَّمَهُّلُ أَفْضَلُ، وَقَدْ أُحْرِمَ نَفْسَهُ مِنْ أَجْرِ عَدَدِ الْحُرُوفِ وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [مَنْ قَرَأَ الْقِرَاءَانَ فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ قِرَاءَةٌ عَشْرُ حَسَنَاتٍ]² الجواب أَنَّ الَّذِي فَاتَهُ يَسْتَدْرِكُهُ فِي التَّقَهُمِ وَالتَّذَبُّرِ، (غ) "قِرَاءَةُ آيَةٍ بِتَمَهُّلٍ وَتَأَمُّلٍ خَيْرٌ مِنْ قِيَامِ لَيْلَةٍ أَوْ خَتْمَةٍ"³، وَرَوَى عَنْ بَعْضِ الشُّيُوخِ أَنَّهُ وَقَفَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَقَفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾⁴ سَنَةً كَامِلَةً. وَكَيْفِيَّةٌ عَلَى السَّبْعِ لَيَالٍ قَالَ الْقِرَافِيُّ⁵ "يَقْرَأُ فِي الْأُولَى بِثَلَاثِ سُورٍ، وَفِي الثَّانِيَةِ بِخَمْسٍ، وَفِي الثَّلَاثَةِ بِسَبْعٍ، وَفِي الرَّابِعَةِ بِتِسْعٍ، وَفِي الْخَامِسَةِ بِإِحْدَى عَشْرَةٍ، وَفِي السَّادِسَةِ بِثَلَاثِ عَشْرَةٍ، وَفِي السَّابِعَةِ بِالْمَفْصَلِ، وَأَوَّلُهُ سُورَةُ ق، وَقِيلَ يَقْرَأُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ بِثَمَانِيَةِ أَحْزَابٍ وَنِصْفِ الْحِزْبِ سَبْعِ الْحِزْبِ، فَيَجْعَلُهُ سَبْعَةَ أَسْبَاعٍ، فَالسَّبْعُ الْأَوَّلُ مِنَ الْبَقَرَةِ إِلَى إِحْدَى وَسْتَيْنِ آيَةٍ

1 - نفس المرجع ، ج 1 / ص 250

2 - سنن الترمذي - كتاب فضائل القرآن - باب ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن ماله من أجر - الحديث رقم 2910

3 - نفس المرجع ، ج 1 ، ص 251،

4 - الصافات - الآية 24

5 - هوشهاب الدين أبو العباس أحمد بن أبي علاء الصنهاجي المصري (ت 684هـ)، كان ملماً بعلوم شتى كالفقه والأصول واللغة والأدب ، من مؤلفاته كتاب الإنقاذ في الاعتقاد وشرح الأربعين في أصول الدين.

من النساء ﴿ وَيَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُوكًا ﴾¹ والثاني إلى رأس مئة آية من الأعراف ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴾² والثالث إلى مئة وعشرين آية من سورة إبراهيم ﴿ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾³ والرابع إلى أربع وخمسين آية من المؤمنين ﴿ مِنْ مَالِ وَبْنِينَ ﴾⁴ والخامس // نوحه 155 // إلى إحدى وعشرين آية من سبأ ﴿ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾⁵ والسادسة خاتمة الفتح، والسابع إلى ﴿ مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾⁶. وكان كثير من السلف يخطمه على ليلة، ومنهم من كان يقرأه في ركعة، ويقرأ في الثانية ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾⁶ وروى عن ابن القاسم أنه يخطم القرآن في رمضان مني ختمة، وكان يقيم بالإسكندرية أربعة أشهر ويقيم في الحج أربعة أشهر، ويجلس للعمل أربعة أشهر، هكذا يقيم السنة كلها. وذكر الحساني أن رجلاً كان بالمشرق يخطم القرآن اثنتي عشرة ختمة في النهار ومثل هذا يسلم له. (ث) قال النووي⁷ "يُسْتَحَبُّ لِتَالِيِ الْقُرْآنِ إِذَا كَانَ مُنْفَرِدًا أَنْ يَكُونَ خْتَمُهُ فِي الصَّلَاةِ وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَكُونَ خْتَمُهُ فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ أَوْ أَوَّلِ النَّهَارِ" وروينا عن سعيد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال "إذا وافق ختم القرآن أول الليل صلت عليه الملائكة حتى يصبح وإن وافق ختمه آخر الليل صلت عليه الملائكة حتى يمسي" وعن طلحة

1 - النساء - الآية 61

2 - الأعراف - الآية 170

3 - إبراهيم - الآية 25

4 - المؤمنون - الآية 55

5 - الناس - الآية 6

6 - الصمد - الآية 1

7 - أبو زكرياء يحيى بن شرف الشافعي (ت 676هـ) اشتهر بكتبه و تصانيفه العديدة في الفقه والحديث واللغة والتراجم وهو محرر المذهب الشافعي ومنقحه ومرتبّه. أنظر الإعلام للزركلي ج 8 ص 149 الطبعة 15 السنة 2002. دار العلم للملايين.

بن مصر قال " من ختم القرآن أية ساعة كانت من النهار صلت عليه الملائكة حتى يُمسي وأية ساعة كانت من الليل صلت عليه الملائكة حتى يُصبح " وعن مجاهد نحوه.

س وكلما يصل من الليل يجلس قليلاً بعد كل ركعتين ويُسبح ويستغفر ويُصلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه يجد بذلك ترويحاً وقوة على القيام. وستأتي الأذكار التي تذكر عند القيام للتهجد في فضلها إن شاء الله وبالله تعالى التوفيق.

وأما فضائله فأكثر من أن تُحصى، قال تعالى في مدح القائمين بالليل والمستغفرين بالأسحار وقال تعالى ﴿كَانُوا قَلِيلًا مَّا يَفْعَعُونَ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾¹ والهجوع النوم. ث وخرج مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أيضاً [أفضل الصلاة بعد المكتوبة الصلاة في جوف الليل]² وفيه عن جابر رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول [في الليل ساعة لا يوافقها عبدٌ مسلمٌ يسأل الله تعالى شيئاً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه الله إياه وذلك ليلة]³ وعن أبي أمامة [قلت يا رسول الله أي الدعاء أسمع، قال جوف الليل الآخر وأدبار الصلوات المكتوبات]⁴ وروي

¹ -الذاريات - الآية 17/18

² -صحيح مسلم - كتاب الصلاة - حديث رقم 1159 وفي صحيح البخاري كتاب الصلاة الحديث رقم

1131

³ -صحيح مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب في الليل ساعة مستجاب فيها الدعاء الحديث رقم

757

⁴ -سنن الترمذي - حديث رقم 3499

عن ابن عباس أنه قال [مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُهَوِّنَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْوُقُوفَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَلْيِرَهُ اللَّهُ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا]¹ قال الشيخ عبد الحق في العاقبة وعن نبیصة بن سفيان قال " رأيتُ سفيان الثوري في المنام بعد موته فقلتُ له ما فعلَ اللهُ بك فقال:

// لوحة 156 //

نَظَرْتُ إِلَى رَبِّي عَيْنًا فَقَالَ لِي هَنِيئًا رِضَايَ عَنْكَ يَا بَنَ سَعِيدٍ
لَقَدْ كُنْتَ قَوَّامًا إِذَا اللَّيْلُ قَدْ دَجَا بَعْبَرَةً مَحْزُونٍ وَقَلْبٍ عَمِيدٍ
فَدُونِكَ فَاخْتَرِ أَيَّ قَصْرِ تَرِيدُهُ وَزُرْنِي فَإِنِّي مِنْكَ غَيْرُ بَعِيدٍ²
وكان شعبة ابن الحجاج ومُسعد بن كرام رَجُلَيْنِ فَاضِلَيْنِ، كانا من فِئَةِ الْمُحَدِّثِينَ
وَحُفَاطِهِمْ، وَكَانَ شُعْبَةُ أَكْبَرَ فَمَاتَا، قَالَ أَبُو أَحْمَدَ الْيَزِيدِيُّ فَرَأَيْتُهُمَا فِي النَّوْمِ وَكُنْتُ
إِلَى شُعْبَةَ أَمِيلُ مَنِّي إِلَى مُسْعَدٍ، فَقُلْتُ يَا أَبَا بَسْطَامٍ مَا فَعَلَ اللَّهُ بِكَ؟ فَقَالَ وَقَفَّكَ اللَّهُ
يَا بَنِي اخْفَظْ مَا أَقُولُ:

حَبَانِي إِلَهِ فِي جَنَانٍ بِقُبَّةٍ لَهَا أَلْفُ بَابٍ مِنْ لَجِينٍ وَجَوْهَرَا
وَقَالَ لِي الْجَبَّارُ يَا شُعْبَةُ الَّذِي تَبَحَّرَ فِي جَمْعِ الْعُلُومِ وَأَكْثَرَا
تَمَتَّعَ بِقُرْبِي إِنِّي عَنْكَ ذُو رِضَى وَعَنْ عَبْدِي الْقَوَّامِ فِي اللَّيْلِ مُسْعَرَا³
كَفَى مُسْعَرَا عِزًا بَأَنْ سَيَزُورَنِي وَأَكْشِفُ عَنْ وَجْهِهِ وَيَذْنُوا لِي نُظْرَا
وَهَذَا فِعَالِي بِالَّذِينَ تَمَسَّكُوا وَلَمْ يَأْلَفُوا فِي سَالِفِ الدَّهْرِ مُنْكَرَا⁴

1 - أورده الثعالبي في الجواهر الحسان - سورة الزمر - ج 4 ص 49

2 - أبيات لسفيان الثوري عن قبيصة بن سفيان - أوردها الإشبيلي في العاقبة في ذكر الموت مكتبة دار الأقيسى - الكويت - 1986 تحقيق خضر محمد خضر، ص 113 ، و الأبيات من البحر الطويل.

3 - من السَّعَر .

4 - العاقبة في ذكر الموت - عبد الحق بن عبد الله الإشبيلي، ص 113 و 114 . والأبيات من البحر الطويل

انتهى

فوائد الأولى، (ث) وقيام الليل لقراءة العلم المُبتَغى به وجهُ الله، داخلٌ في هذه الآية، يعني قوله تعالى ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾¹ قال وهو أفضلُ من التَّنَفُّلِ، لِمَنْ يُرْتَجَى نَفْعُ انْتِقَاعِ الْمُسْلِمِينَ بِعِلْمِهِ. انتهى. الثانية قال في كتاب - رياض الصالحين - عند ذكره الحديث المُتَقَدِّم وهو قوله صلى الله عليه وسلم [في الليل ساعة]² الحديث. فإذا أُرِدَتْ أَنْ تُعْرِفَ هَذِهِ السَّاعَةُ فَاقْرَأْ عِنْدَ نَوْمِكَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿إِنَّ الْكَاثِرِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفُورِ﴾³ إلى آخر السورة، بنيتها فَإِنَّكَ تَسْتَيْقِظُ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِفَضْلِهِ، ثُمَّ أَكَّدَ عَلَى مَنْ وَقَفَ عَلَى هَذِهِ الْفَائِدَةِ أَنْ يَدْعُوا لَهُ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ الْفَاضِلَةِ. ونحن نقولُ كذلك والله الموفق. أفضلُ اللَّيْلِ آخِرُهُ فِي الْقِيَامِ.

المفيد، لما رَوَى عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا سُئِلَتْ عَنْ قِيَامِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ، كُلُّ ذَلِكَ قَدْ فَعَلَ، كَانَ يَقُومُ أَوَّلَ اللَّيْلِ وَآخِرُهُ وَالَّذِي انْتَهَى إِلَيْهِ آخِرُهُ، فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْقِيَامَ آخِرَ اللَّيْلِ أَفْضَلُ، وَلِأَنَّهُ وَقْتُ الْإِجَابَةِ، فِي الصَّحِيحِينَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [إِنَّ اللَّهَ يَمْهَلُ حَتَّى إِذَا ذَهَبَ شَطْرُ اللَّيْلِ أَوْ قَرِيبٌ مِنْ شَطْرِهِ بَعَثَ مُنَادِيًا فَيُنَادِي :

¹ - آل عمران - الآية 114

² - صحيح مسلم - كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب في الليل ساعة مستجاب فيها الدعاء - الحديث

رقم 757

³ - الكهف - الآية 107

مَنْ يَدْعُونِي فَاسْتَجِبْ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأَعْطِيهِ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرْ لَهُ¹ . يروى
يَنْزِلُ رَبَّنَا وَمَعْنَى نَزُولِهِ إِقْبَالُهُ سُبْحَانَهُ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ عَلَى عِبَادِهِ لَا النَّزُولُ // لوحة
157// المعلوم في الأجسام فإنه منزلة عن ذلك. انتهى

(ث) ويروى أن أبواب الجنة تفتح سحر كل ليلة، قال ابن زيد " السحر السدس
الآخر من الليل " وكان ابن عمر رضي الله عنه " يصلي من الليل حتى إذا كان
السحر قعد يستغفر الله لقوله تعالى ﴿والمستغفرين بالأحسان﴾. انتهى

وروى أن أبا بكر رضي الله عنه كان يوتر أول الليل، وعمر كان يوتر في آخره،
فقال عليه السلام لأبي بكر [أَخَذْتُ بِالْحَزْمِ أَيْ بِالاحتياطِ وَقَالَ لِعُمَرَ أَخَذْتُ بِالْعَزْمِ
أَيْ بِالْقُوَّةِ فَشَكَرَهُمَا عَلَى فَعْلَهُمَا] وَعَلَيْهِ فَيَعْمَلُ كُلُّ أَحَدٍ عَلَى حَسَبِ حَالِهِ مِنَ الْحَزْمِ
وَالْعَزْمِ. ث وينبغي للعاقل ألا يجعل ليله كله نومًا فيكون ضائع العمر جيفة بالليل
بَطَالًا بِالنَّهَارِ كما قيل:

نَهَارُكَ بَطَالٌ وَلَيْلُكَ نَائِمٌ **** كَذَلِكَ فِي الدُّنْيَا تَعِيشُ الْبَهَائِمُ²

فإن أردت أيها الأخ أن تكون من الأبرار فعليك بالقيام في الأسحار وبالله تعالى
التوفيق.

¹ - صحيح مسلم - كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل

والإجابة فيه - حديث رقم 758

² - بيت غير معروف قائله، ورد في عدة كتب منها تفسير الثعالبي الجواهر الحسان. من البحر الطويل .

الفصل الثالث في الصوم وآدابه والاعتكاف

هذا هو القاعدة الثالثة، من قواعد الإسلام، والكلام فيها في مواضع، في حكم الصوم، وفي أقسامه وشروطه وفرائضه، وسننه ومُستحباته ومُفسداته ومكروهاته، وفي الأعذار التي تُبيح الفطر، وفي لوازم الإفطار وفي قيام رمضان وآدابه وفضائله، وفي الاعتكاف وليلة القدر، وأما حكمه فقد تقدّم أن صوم شهر رمضان واجب وتقدم الدليل على وجوبه من الكتاب والسنة والإجماع. وأما أقسامه قال القاضي عياض في قواعده " وهو على سِتَّة أقسام، واجبٌ وسُنَّةٌ ومُستحبٌّ ونافلةٌ ومَكْرُوهٌ ومُحَرَّمٌ، فالواجبُ منه عشرة، صيام شهر رمضان وصيام كلِّ نذرٍ أوجبهُ الإنسانُ على نفسه وصيام قضاء رمضان وقضاء النذر الواجب قضاؤه يعني غير المُعَيَّن وكذا المُعَيَّن بزمانٍ كشهرٍ كذا إن أفطر فيه لغير ضرورةٍ كمرضٍ أو حيضٍ أو نسيانٍ ولها فلا، وصيام الكفارات وهي سبعة، الظهار والقتل ومنتهك رمضان واليمين. الزروق " ولا يجوز أن يصوم فيها حتّى لا يجد ما يطعم أو يكسوا أو يعتقُ خلاف ما يعتقده العوام من أن اليمين يكفي فيها صوم ثلاثة وإن كان غنيا فهذا جهلٌ وضلالٌ. وكفارة صيد الحرام أو المحرم وصوم التمتع وإماطة الأذى في الحج، قلتُ وهي ثلاثة أقسام ترتيبٌ وتخييرٌ واجتماعهما كما قيل:

ظَهَارًا وَقَتْلًا رَتَّبُوا وَتَمَتُّعًا كَمَا خَيْرُوا فِي الصَّوْمِ وَالصَّيْدِ وَالْأَذَى
وَفِي حَالِفٍ بِاللَّهِ خَيْرٌ وَرُتَّبَا فَدُونَكُمَا سَبْعًا¹ يَا هَذَا فَحْبَا²

انتهى

¹ - وإن حفظت، هكذا في نسخة ب

² - من البحر الطويل

// نوحه 158 // والمسنون يوم عاشوراء وهو عاشر المحرم وقيل التاسع، الزروق " واستحب بعض العلماء يوماً قبله ويوماً بعده، ويستحب فيه التوسع في الإنفاق إذا جاء فيه [من وسع على عياله وسع الله عليه طول سنته] فيوسع يومه وليلته من غير إسراف ولا ممارات، قال بعضهم والمراد بالليلة الحادي عشر، حتى قيل كل يوم ليلته قبله إلا يوم عاشوراء، وقيل التي قبله. انتهى

وقد جرب ذلك مجموعة من العلماء فصَحَّ وما يذكر فيه من أحاديث الاغتسال أو الكحل وتلك الصلاة المفهودة كله لا يصح. وفي الحديث ما يدل بأن صيامه لا يفتقر إلى نية بالليل بل من أصبح ولم يأكل ولم يشرب فلمن لا علم له به فإنه يتم صومه وقال به عبد الملك في جماعة من العلماء. انتهى

والمستحب عشرة، صيام الأشهر الحرم وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم فهذا سَرَدٌ، وواحد فرْدٌ وهو رجب، الزروق " لقوله صلى الله عليه وسلم [أفضل الصيام بعد رمضان صيام شهر الله المحرم]¹ ولا يختص حديثه برجب بعينه. المفيد، وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال [رجب شهر أمي وفضله على سائر الشهور كفضل أمي على سائر الأمم وشعبان شهري وفضله على سائر الشهور كفضلي على سائر الأنبياء ورمضان شهر الله وفضله على سائر الشهور كفضل الله على خلقه] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم [من صام يوماً من رجب فكأنما صام ألف سنة ومن صام منه يومين فكأنما صام ألفي سنة هكذا إلى آخره] بتضعيف العدد وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم [هاهنا قوم يصومون رجبا

¹ - صحيح مسلم - كتاب الصيام - باب فضل صوم محرم - حديث رقم 1163

فَقَالَ وَأَيْنَ هُمْ مِنْ صَوْمِ شَعْبَانَ] ولم يستكمل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهراً قطُّ بصيامٍ إِلَّا شَعْبَانَ. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم [صَوْمُ يَوْمٍ مِنْهُ يَعْدِلُ ثَلَاثِينَ يَوْمًا مِنْ غَيْرِهِ وَصَوْمُ يَوْمٍ مِنْ رَمَضَانَ يَعْدِلُ ثَلَاثِينَ مِنْ شَعْبَانَ] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم [أَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ صَلَاةٌ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ وَأَفْضَلُ الصَّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ شَهْرُ اللَّهِ الْمُحَرَّمِ وَأَمَّا ذُو الْحِجَّةِ فَفَضْلُهُ مَوْقُوفٌ عَلَى عَوَاشِرِهَا]¹ والصحيح في قوله تعالى (وليلٍ عشر) إنهما عشرٌ من ذي الحِجَّةِ. وصيام شَعْبَانَ وَقَدْ تَقَدَّمَ مَا فِيهِ وَالْعَشْرُ الْأَوَّلُ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، الزُّرُوقُ " قوله عليه السلام [مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ أَيَّامِ الْعَشْرِ قَالُوا وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ]² رواه البخاري وغيره، وفيه [من صامَ رمضانَ وأتبعه بستةِ أيامٍ من شَوَالٍ فكأنما صامَ الدَّهْرَ] وقال به الشافعيُّ ولم يقل به مالك للعمل //نوحه 159 // يعني الاتباعُ وتأوَّل بعضهم عن ملكٍ أن كراهته لمن يشتَهَرُ بِذَلِكَ لَيْلًا، يُلْحَقَ بِالشَّهْرِ فَيُعْتَقَدَ وَجُوبُهُ. فَأَمَّا الْمَفْرَدَاتُ فَيَوْمَ عَرَفَةَ، قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ [أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ]³ والمذهبُ كراهيةُ صَوْمِهِ لِلْحَاجِّ بِعَرَفَةَ، لِيَتَقَوَّى عَلَى الْوُقُوفِ وَالِدُّعَاءِ. وَيَوْمُ التَّرْوِيَةِ وَهُوَ الثَّامِنُ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ وَلَا يُعْرَفُ فِيهِ

¹ - صحيح البخاري - كتاب العيدين - باب فضل العمل في أيام التشريق - حديث رقم 926

² - صحيح مسلم - كتاب الصيام - باب استحباب صوم ستة أيام من شوال اتباعاً لرمضان، حديث رقم

1164

³ - المغني - موقف الدين لعبد الله بن أحمد بن قدامة - دار إحياء التراث العربي - 1985 - كتاب الصيام -

مسألة صيام عاشوراء كفارة سنة ويوم عرفة كفارة أوسنتين - حديث رقم 2133

حديثٌ بخصوصه. وزاد ابن حبيب ثالثَ المُحرَّم وسابعا وعشرينَ من رَجَب وخامسا وعشرينَ من ذي القعدة ويُعبَّرونَ عنهما بالأيام السَّبعة. قلتُ نظمها بعضهم فقال:

وهالكِ سبعة من الأيام	حتَّ عليها الشَّرْعُ في الصَّيام
فثالثُ المُحرَّم اسمع جاء	وفيه أيضًا يومُ عاشوراءَ
وثالثُ من رَجَبِ المُعظَّم	والسَّابعُ العشرينَ منه فافهم
كذلك من شَعْبَانَ يومُ النِّصفِ	والخامسُ العشرينَ فافهم وصِف
من قعدةٍ كذاكَ قُلْ والتاسعُ	من حِجَّةٍ أيضًا بلا مُنازع
من صامها كالدهرِ في الثَّوابِ	يُروى عن النَّبيِّ والأصحابِ ¹

انتهى . فأما في كل شهرٍ فيُستحبُّ ثلاثة أيامٍ منه، وكرة مالِك كونهَا البيضَ وهي الثالثُ عشرَ والرَّابعُ عشرَ والخامسُ عشرَ، وفي كتابه " للرَّشيد الحَضُّ عليها وصحَّ فيها الحديثُ " وكان مالِكٌ يصومُ يومًا من كلِّ عشرٍ. وفي الخبر عنه عليه السلام، كان يصومُها على ترتيبِ الأيام، فمن هذا الشهرِ الخميسَ والجُمعةَ والسَّبْتَ ومنَ الَّذي يليه الأحدُ و الاثنينِ والثَّلاثةُ، ومنَ الَّذي يليه الأربعاءُ والخميسَ والجُمعةَ كذا في الصَّحيح.

وأما في الجُمعة، ففي جامع الترمذي كان عليه السلام يتحرَّى صيامَ الاثنينِ والخميسِ، وفي المُقدِّماتِ أن ذلك مُستحبٌّ، وفي حديث عبد الله بن عمر [وصُم من كلِّ شهرٍ ثلاثة أيامٍ] ثم قال [صُم من كلِّ جمعةٍ ثلاثة أيامٍ] الحديث. فيكونُ الخميسُ والجُمعةُ والاثنينُ، وهذا لصيامه مع ثلاثة أيامٍ من الشهرِ نصفَ الدهرِ،

¹ - الأبيات من الرجز

كما أنَّ الذي قبله مع رمضان ثلث الدهر، والتطوع ما تسمَح به النفس ممَّا لم يَرُغَب فيه بخصوصه، ولا نُهي عن فعله، وهو المباح والمكروه، وهو صيام ستَّة من شَوَّالٍ على التَّبعية المُلاصقة كما حَقَّقَه غير واحدٍ في المذهب، والأيام البيض وصيام يوم الجمعة مُنفَرِداً، لما وردَ فيه من النَّهي وأجازة مالك للعمل، وكان ابن رشد يصومه كذلك حتى لقي الله.

وصيام الدهر لم يره مالك مكروهاً، إلا لمن لا يطيقه إلا بمشقة أو يصرفه عن واجب أو مندوب، وصيام يوم المولد كرهه بعض من قرب // نوحه 160 // عصره ممن صحَّ ورعه وعلمه، قائلاً أنه من أعياد المسلمين فنيبغي ألا يصام، وكان شيخنا أبو عبد الله القوري رحمه الله، يذكر ذلك كثيراً ويستحسنه، واليوم الرابع من الأضحي لا يصومه متطوع، ويصومه من نذرته، أو من كان في صيام متتابع قبل ذلك، ويكره للضيف أن يصوم إلا بإذن رب المنزل، ولا تصوم المرأة إلا بإذن زوجها في التطوع، ثم إن أذن فليس له تفطيرها بخلاف العكس. انتهى

قال العلماء وكذا للوالدين أن يفطرا ولدهما شفقةً عليه، كالشيخ وإن لم يخلفوا، ويلحق بهم الصديق الملائف، ولا قضاء عليه في جميع ذلك، بخلاف غيرهم وإن حلف له بطلاق بت، وقيل ما لم يكن آخر الثلاث فيفطر، وقيل الصائم أمين على صومه فإن شاء صام وإن شاء افطر. انتهى

والممنوع وهو صيام العيدين، واليومان اللذان بعد يوم النحر، إلا لمتمتع لا يجد هدياً، والتنفل لمن عليه فرض، خرج وقته أو ضاق، واختلف في قضاء رمضان هل هو واجب على الفور، فلا يصح التنفل حتى يقضى، أو على التراخي فله

التنفل، ما لم يبقَ لرمضان آخر مقدار ما عليه من الأيام، وحينئذ يكون مكروهاً فقط انتهى. عياض " وصيام الحائض والنفساء، حتى يرياً الظهر قبل الفجر، يُريدُ وإن لحظةً، وصيام الخائف على نفسه الهلاك لأجل الصيام. وأما شروط وجوبه فستة: البلوغ والعقل والإسلام أو بلوغ الدعوة والقدرة على الصوم ودخول الشهر وهو واجب على المسافر، إلا أن له رخصة في الفطر إن شرع في سفره قبل الفجر، أو فيما بعد ذلك إن لم ينو الصوم إن كان سفرًا تُقصر فيه الصلاة وهو أربعة بردٍ فأكثر والصوم أفضل على المشهور ولا يصح من الحائض والنفساء فتقضيانه دون الصلاة .

وأما فرائضه فثمانية: معرفة الشهر، والنية أوله مبيته أومع الفجر واستصحابها وكفت نية لما يجب تتابعه لا مسرودٍ ويوم معين ورويت على الإكتفاء فيهما وكذا على المسافر أن يجدد النية كل ليلة حتى يحضر، والإمساك عن كل ما يدخل الجوف من جامدٍ يُغذى أومائعٍ يريد من فمٍ أو خياشيمٍ أو عينٍ أو أذنٍ من دهنٍ أو كحلٍ بخلاف الحقنة، وهو ما يجعل من الدبر ودهن الجائفة¹ فلا قضاء ولو وصل الجوف، فإن تيقن بوصول شيء من ذلك للحلق قضى في الفرض مطلقاً وفي النفل بالعمد الحرام، إلا ما لا ينفك عنه من بصاق الفم ورطوبة الدماغ يريد، والصدر وهي النخامة² وفيها خلاف، وغبار الطريق يريد أو كليل أو دقيق أو جنبس لصانعها وغلبة الذباب وشبهه كدم العلقة // نوحه 161 // والقيء وابتلاع فلقة طعام

1 - جائف جمع جوائف، والجائف هو عرق يجري على العضد إلى غضروف الكتف حسب معجم المعاني الجامع.

2 - النخامة ما يخرج من الإنسان من حلقه من البلغم

من بين أسنانه، والإمساك عن إنزال الماء الدافق وتسببه بتذكر أو ملامسة، ولا قضاء من الاحتلام نهاراً ولا من الحجامه وما استتخ من مني أو مذي والإمساك عن الإيلاج في قبل أوفي دبر والإمساك عن استدعاء القيء لغير ضرورة فادحة وعن استرجاع ما أمكن طرحه من قيء أو قلس¹ أو بلغم على المشهور وإلا قضى.

وأما سننه فثمانية: القيام في لياليه، وكون ذلك جماعة في المساجد، الزروق " وفعله عمر رضي الله عنه اقتداءً بسابق فعله عليه السلام في الثلاث ليالي من رمضان".

المفيد، عبد الوهاب "والأصل في قيام رمضان ما رواه مالك، عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنه صلى الله عليه وسلم صلى في المسجد ذات ليلة، فصلّى بصلاته ناس ثم صلى الثانية فكثر الناس، ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة أو الرابعة، فلم يخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أصبح قال قد رأيتم الذي صنعتم فلم يمنعني من الخروج إليكم إلا أنني خشيت أن يفرض عليكم ذلك في رمضان" قال ابن يونس " فكانوا يقومون وحدانا منهم في بيته، ومنهم في المسجد، فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم والأمر على ذلك وفي خلافة أبي بكر الصديق وصدر من خلافة عمر رضي الله عنهما ثم جمع عمر ابن الخطاب الناس على أبي بن كعب في قيام رمضان ثم خرج عمر ليلة والناس يصلون بصلاة إمامهم فقال عمر: نعم البدعة هذه والتي تتأمون عنها

¹ - القلس هو القيء

أَفْضَلُ مَنْ التَّيُّ يُقَدِّمُونَ يَعْنِي آخِرَ اللَّيْلِ " وكان الناسُ يقومون أوله، والقيامُ بعد صلاةِ العِشاءِ وقبلَ صلاةِ الوترِ ولا يَغْتَدُّ بما صَلَّى قبلَ العِشاءِ. وقال ابن أبي زيد في مختصرِ التبيين "يجوزُ أن تُصلي التراويحَ قبلَ العِشاءِ ومن دخلَ المسجدَ وقد صُليَتِ العِشاءُ وشُرِعَ في القيامِ فإنه يبدأ بالعِشاءِ ولا يَضُرُّهُ أن يُصلي المكتوبةَ والإمامُ يُصلي التراويحَ لأنَّ الفرضَ أشدُّ من النفلِ، فإذا فرغَ دخلَ معهم، فصلَّى ما لحقَ، ومن أدركَ ركعةً من الإشفاعِ وسلم الإمامَ أتى بركعةٍ خفيفةٍ ولحقَ، ومن أراد أن يزيدَ النوافلَ في بيته، فليَنصَرِفَ عند الشَّفعِ والوترِ، وإن كان إماماً استخلفَ فيهما". انتهى

الزروق " والانفرادُ في قيامِ رمضانَ أفضلُ، لمن قويتَ نيتهُ وحده، إلا أن تعطلَّ المساجدُ فيكونُ القيامُ فيها أفضلُ، والمشهورُ كراهةُ صلاةِ النافلةِ جماعةً، بموضعٍ مشتهرٍ وجمعٍ كثيرٍ غيرِ القيامِ المذكورِ " وكان السلفُ يقومون بثلاثةٍ وعشرينَ بالوترِ ثم جعلوه تسعاً وثلاثينَ، قال مالكٌ " والذي أخذُ به في نفسي إحدى عشرة //نوحه 162//ركعةً، وهي قيامُه عليه السلام، وقيل ثلاث عشرة ركعةً بالوتر، والأحسنُ الختمُ فيه، وتجزئُ سورةٌ واحدةٌ يكررها في كلِّ ركعةٍ ويكرهُ تكريرُ السورةِ الواحدةِ في الركعةِ مراراً، وقد أنكرَ العلماءُ الصلاةَ الواردَ فيها ذلكَ وقالوا أحاديثُها كذبٌ كصلاةِ وداعِ رمضانَ وليلةِ النصفِ من شعبان. انتهى

قلتُ: وقد تقدَّمَ حُكم ذلكَ في أقسامِ الصلوات، ويكرهُ في ليلةِ الختمِ دُعاءُ مخصوصٍ وخطبٌ وقِصصٌ، ويكرهُ قراءةُ الثاني من غيرِ انتهاءِ الأولِ والنظرُ في المصحفِ في الفرضِ مُطلقاً، وفي أثناءِ نفلٍ لا أوله ومن البدعةِ قراءةُ الأنعامِ

بكمالها في ركعة خامس ليلة . والسحور الزروق " السحور سنة وتأخير سنة أيضا ما لم يشك في الفجر، وقد قال عليه السلام تسحروا ففي السحور بركة وبركته من وجوه أحدها مخالفة اليهود لأنهم لا يأكلون حتى يروا النجوم ثم يحرم عليهم الأكل بغية النجوم أو النوم على زعمهم، والثاني فيه تقوية على الصيام دون مشوش من الجوع ولا من العطش وإن كان فليس كمن لم يتسحر، الثالث فيه التنبيه لقيام آخر الليل وصلاة الصبح في أول وقتها وذكر الله ونحو ذلك. وقد قال عمر فرق بيننا وبين أهل الكتاب أكلة السحور فتسحروا يا أمة محمد صلى الله عليه وسلم. وهذا ما لم يشك في الفجر فإن شك ففي منع أكله وإباحته وكراهيته أقوال، واختير في الغيم الإباحة وفي الصحو التحريم ووجب القضاء إن تبين أنه أكل بعد الفجر أو بقي على شكه، فإن طلع الفجر وهو يأكل أو يجامع وفزع فلا شيء عليه على المشهور، وإلا قضى وكفر إن تعمّد، وقلدّ الجاهل غيره، وإلا احتاط، ويقلدّ المؤذن العارف العدل وجاز أن يصبح جنباً ولا شيء عليه، ولو بقي النهار كله. ومن سنته تعجيل الفطر، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [لا تزال أمتي بخير ما عجلوا الفطر وأخروا السحور]¹ وأن يكون بالماء أو بالتمر، كذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل، والتمر مقدّم على الماء، والرطب مقدّم على التمر، أما التمر فقد روى ابن منبه " أن الصائم يزيغ بصره بالجوع والعطش فإذا أفطر على حلو أعاد إليه ما زاع من بصره، ويستحب كونه الثمرات وترا ثلاثا أو خمسا أو سبعا، وأمّا الماء فإنه حياة كل شيء وظهره ولأنه أقرب

¹ - ذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة، رقم 7.

إلى الحلال، وإن شكَّ في الغروب فلا يأكل اتفاقاً فإن أكلَ مع الشاكِّ قضى، ثم إن لم يتبين ففي الكفارة قولان ويكره الوصال على المشهور. وفي الحديث وصلَ عليه السلام ونهى عن الوصال وعلَّ بأنَّه ليس كهيتَّهم فأخذَ بجوازه الشافعي لمن انتَقَت علته لأنَّ النهي نهْي شفقةً والله أعلم. زاد عياض " والاعتكاف // نوحه 163 // في آخره، وإخراجُ زكاةِ الفِطْرِ عندَ تمامه، وحِفظُ اللسانِ والجوارحِ فيه عن الرِّفث، وهو فُحْشُ الكلامِ والجَهْلُ بما لا يعني، ومستحبَّاته ثمانية: تجديدُ النيةِ لكلِّ يومٍ منه وعمارته بالذِّكرِ وتلاوةِ القرآنِ والصلاةِ وكثرةُ الصَّدقةِ وابتداءُ الفِطْرِ على التَّمْرِ أو الماء، وإحياءُ ليلةِ سَبْعٍ وعشرينَ منه، وقيامُ الرَّجُلِ وحده في منزله إذا كان، ثم جماعةٌ يقومونَ في المسجد. وأما مُفسداته: فتركُ شيءٍ من فرائضه المُتقدِّمة، أو تعمدُ شيءٍ منها والرِّدَّةُ فيه، و طَرُؤُ الحيضِ والنفاسِ عليه، والإغماءُ والجنونُ عندَ طلوعِ الفجرِ، أو عامةِ النَّهارِ وقطعُ النيةِ أثناءَ النهارِ يعني بالعزم على إفساده ولو لم يفعل.

ومكروهاته: الوصالُ والقُبلةُ وهي أشدُّ لمن يخشى على نفسه، واللَّمْسُ والدخولُ على الأهلِ والنظرُ إليهنَّ واستعمالُ الجوارحِ كُلِّها في فضولِ العملِ وإدخالِ الفمِ كلِّ رطبٍ له طعمٌ وإنَّ مَجَّه، ويَحْرُمُ الاستيائكُ بالجوزاءِ نهاراً فإن فعلَ كَفَّرَ إنَّ انتهك، وإن فعله ليلاً فأصبحَ في فيه مُحمرّاً قضى، والكُحْلُ لمن عادته وصولُه إلى حلِقِهِ ودُهْنُ الرأسِ والمبالغةُ في الاستنشاقِ والمضمضةُ والإكثارُ من النومِ نهاراً وتجوُّزُ المضمضةِ لعَطَش.

والأعذار التي تبيح الفطر ستة: المرض والحمل والرضاع، إذا خاف أصحابه على أنفسهم زيادة مرض أو تأخر بُرئ أو خافته المرضع على ولدها، وإرهاق الجوع والعطش والتداوي بما يدخل الجوف إذا لم يكن منه بُد، والسفر لما تقصّر فيه الصلاة. والأعذار التي توجب ستة: الحيض والنفاث والضعف عن الصوم إن خاف الهلاك، وكذلك الحامل والمرضع تخافان على أنفسهما أو أولادهما الهلاك ومعرفة كون اليوم ممّا لا يحل صومه، والفطر متعمداً في غير رمضان ولا قضائه ولا صوم معين فيجب ألا يصوم بقية النهار.

ولوازم الإفطار ستة: الأول إكمال اليوم، وذلك لكل مفطر في رمضان بعمد أو نسيان، إلا من أفطر لغدر فله التّمادي على الأكل بقية يومه . الثاني القضاء، وهو لازم لكل صوم، واجب ترك أو فسد باختيار أو اضطرار أو نسيان، حاشى النذر المعين فلا قضاء على المضطر فيه، واختلف في الناسي.

قلت: وقد تقدّم أن المشهور عدم القضاء، ويلحق به من أفطر في قضاء رمضان ناسياً، فهل يتمادى على الأكل إذ لا فائدة لصومه، قال بعض أשיخنا وهو المشهور أو يمسك بقيته، وإن أفطر عامداً ففي قضاء القضاء خلاف، ويلزم القضاء في غير الواجب إذا أُفسد باختيار وإن لسفر ويتمادى في النسيان وله أجره كاملاً ولا قضاء. الثالث الكفارة // لائحة 164 // وهي مختصة بمن انتهك حرمة رمضان فقط بتعمد أكل أو شرب بغم فقط، أو تعمّد إنزال أو جماع أو رفع نية نهاراً، لكل يوم انتهكه كفارة بعثي رقبة أو صيام شهرين متتابعين أو إطعام ستين مسكيناً ولزم معها القضاء إن كانت له . الرابع : الفدية وهي لازمة لأربع، لمن

فَرَطَ فِي قِضَاءِ رَمَضَانَ حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ آخِرُ، وَلِلْحَامِلِ وَالْمُرْضِعِ تَخَافَانِ عَلَى أَنْفُسِهِمَا أَوْ وَلَدَيْهِمَا، فَهَؤُلَاءِ يُكْفَرُونَ بِهَذَا مَدًّا مِنْ طَعَامٍ عَلَى كُلِّ يَوْمٍ عَلَيْهِمْ إِذَا أَخَذُوا فِي قِضَائِهِ، وَكَذَا يُسْتَحَبُّ لِلشَّيْخِ الْكَبِيرِ الَّذِي لَا يَقْوَى عَلَى الصَّوْمِ جُمْلَةً، الْخَامِسُ: قَطْعُ التَّتَابُعِ بِتَعَمُّدِ الْفِطْرِ وَيَلْزَمُ اسْتِنَافُهُ، السَّادِسُ: عَقُوبَةُ الْمُنْتَهَكِ لَصَوْمِ رَمَضَانَ، وَذَلِكَ بِقَدْرِ اجْتِهَادِ الْإِمَامِ. وَأَمَّا قِيَامُ رَمَضَانَ فَقَدْ تَقَدَّمَ صِفَتُهُ وَآدَابُهُ مَعَ ذِكْرِ السَّنَنِ.

وَأَمَّا آدَابُ الصِّيَامِ، فَقَدْ تَقَدَّمَ أَكْثَرُهَا (غ)، وَلَا تَنْظَنَّ إِذَا صُمْتَ أَنَّ الصَّوْمَ هُوَ تَرْكُ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَ الْوِقَاعِ، فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [كَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ وَالْعَطَشُ]¹، بَلْ تَمَامُ الصِّيَامِ بِكَفِّ الْجَوَارِحِ كُلِّهَا عَمَّا يَكْرَهُهُ اللَّهُ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [إِنَّمَا الصَّوْمُ جُنَّةٌ فَإِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ صَائِمًا فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَجْهَلَ وَإِنْ إِمْرَأًا قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي صَائِمٌ]² ثُمَّ اجْتَهِدْ أَنْ تُفْطِرَ عَلَى طَعَامٍ حَلَالٍ وَلَا تَسْتَكْثِرْ مِنْهُ، فَتَزِيدَ عَلَى مَا تَأْكُلُ كُلَّ لَيْلَةٍ، فَلَا فَرْقَ إِذَا اسْتَوْفَيْتَ مَا تَعْتَادُهُ بَيْنَ أَنْ تَأْكُلَهُ دَفْعَةً أَوْ دَفْعَتَيْنِ، وَإِنَّمَا الْمَقْصُودُ كَسْرُ شَهْوَتِكَ، وَتَضْعِيفُ قُوَّتِكَ، لِنَقْوَى بِهَا عَلَى التَّقْوَى، فَإِذَا أَكَلْتَ عَشِيَّةً مَا تَدَارَكْتَ بِهِ مَا فَاتَكَ، فَلَا فَائِدَةَ فِي صَوْمِكَ وَقَدْ ثَقُلْتَ عَلَى مَعِدَتِكَ، وَمَا مِنْ وِعَاءٍ أَبْغَضَ إِلَى اللَّهِ مِنْ بَطْنٍ مُلَى حَلَالًا، فَإِذَا عَرَفْتَ مَعْنَى الصَّوْمِ فَاسْتَكْثِرْ مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّهُ أَسَاسُ الْعِبَادَاتِ وَمِفْتَاحُ الْقُرْبَاتِ. انْتَهَى

1 - مسند أبو يعلى الموصلي - حديث رقم 6516

2 - صحيح البخاري - كتاب الصوم - باب فضل الصوم - الحديث رقم 1795

وأما فضائله فكثيرة جدًا، قال الله تعالى ﴿وَإِنْ تَصُومُوا خَيْرَ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾¹ ويكفي منها قوله صلى الله عليه وسلم [قال الله تعالى كلُّ حسنةٍ بعشرِ أمثالِها إلى سبعمائة ضِعْفٍ إِلَّا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أُجْزِي بِهِ]²، يدْعُ³ طعامُهُ وشرابُهُ مِنْ أَجْلِي⁴ فهذا إخبارٌ ووعدٌ صدقٌ منجزٌ بحُكمِ الفضلِ من حكيمٍ خبيرٍ. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم [وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ عِنْدَ اللَّهِ أَطْيَبُ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ]⁵ يقول الله [يَذَرُ شَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِي] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم [لِلْجَنَّةِ بَابٌ يُقَالُ لَهُ الرِّيَّانُ لَا يَدْخُلُ مِنْهَا إِلَّا الصَّائِمُونَ]⁶ وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا // نُوْحَةٌ 165 // غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ]⁷ [وَمَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ]، [وَمَنْ يَقُمْ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ]⁸. أحاديث ثلاثة، فقلَّ تَعَفَّرَ الكَبَائِرُ والصَّغَائِرُ، وقيلَ ذلك في الصَّغَائِرِ أو قَدَّرَهَا مِنَ الكَبَائِرِ وَلَا بَدَّ فِيهَا مِنَ التَّوْبَةِ والنَّدَمِ.

1 - البقرة - الآية 184

2 - سنن الترمذي - كتاب الصوم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - باب ما جاء في فضل الصوم حديث

رقم 764

3 - زيادة من ب .

4 - سنن ابن ماجه كتاب الصيام باب ما جاء في فضل الصيام الحديث رقم 1638

5 - صحيح مسلم الحديث رقم 1151

6 - صحيح البخاري كتاب الصوم باب الريان للصائمين الحديث رقم 1797

7 - نفس الرجوع الحديث رقم 1802

8 - نفس المرجع

(ث) " وقد جاءت في فضل الصَّوم أحاديثٌ صحيحةٌ ثمَّ حُدِّثَ عن سهل بن سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال [من صامَ يوماً تطوعاً لم يَطَّلَعِ عليه أحدٌ لم يَرْضَ الله له بثوابٍ دونَ الجَنَّةِ]¹ " ثم قال وذكر السُّبكي في شرحه أن الغيبة تمنع ثواب الصَّوم إجماعاً، قال البلالي : وفيهم نظرٌ لمشقة الاحترازِ نعم إن أكثرَ توجَّهت المقالةُ، وصحَّ عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا دخلَ شهرُ رمضان فُتِّحت أبوابُ الجَنَّةِ وغلِّقت أبوابُ جهنَّمَ، قال أبو عمر " وذلك لأنَّ الصَّومَ جَنَّةٌ يستحقُّ البعدُ بها عن النارِ وتفتحُ لهم أبوابُ الجَنَّةِ لأنَّ أعمالهم تركوا فيها وتقبلُ منهم " ثم أسند أبو عمر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [أُعْطِيتُ أَمَّتِي خَمْسَ خِصَالٍ فِي رَمَضَانَ لَمْ يُعْطَهُنَّ أُمَّةٌ قَبْلَهَا، خُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ وَتَسْتَغْفِرُ لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ حَتَّى يَفْطَرُوا وَيُزَيِّنَ اللَّهُ لَهُمْ كُلَّ يَوْمٍ جَنَّتَهُ ثُمَّ يَقُولُ يَوْشُكُ عِبَادِي الصَّائِمُونَ أَنْ يُلْقَوْا عَنْهُمْ الْمُؤْنَةُ وَالْأَذَى، ثُمَّ يَصِيرُونَ إِلَيْكَ، وَتُصَفَّدُ فِيهِ مَرْدَةُ الشَّيَاطِينِ فَلَا يَخْلُصُونَ إِلَى مَا كَانُوا يَخْلُصُونَ إِلَيْهِ فِي غَيْرِهِ، وَيَغْفِرُ لَهُمْ آخِرَ لَيْلَةٍ، قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَهِيَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ، قَالَ لَا وَلَكِنَّ الْعَامِلَ يُوقَى أَجْرَهُ إِذَا انْقَضَى]² وخرَّج الترمذي عن الزُّهري قال [تَسْبِيحَةٌ فِي رَمَضَانَ أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ تَسْبِيحَةٍ فِي غَيْرِهِ]³ وحكى صاحبُ منظوم الأخبارِ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [لِلصَّائِمِ فَرَحَتَانِ فَرَحَةٌ عِنْدَ الْإِفْطَارِ وَفَرَحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ الْمَلِكِ الْجَبَّارِ] وقال صلى الله عليه وسلم [مَنْ

¹ - صحيح مسلم - كتاب الصيام - باب فضل شهر رمضان - الحديث رقم 1079

² - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي - كتاب الصيام - باب في شهور البركة وفضل شهر رمضان.

³ - نفس المرجع

فائدة، وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال " من قال في شهر رَجَب وشعبان ورمضان، ما بينَ العَصْرِ والمَغْرِبِ أَسْتَغْفِرُ اللهَ الذي لا إِلَهَ إلا هو غَفَرَ الذُّنُوبَ وأَتُوبُ إِلَيْهِ تَوْبَةً ظَالِمٌ لا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ نَفْعًا ولا ضَرًّا ولا مَوْتًا ولا حَيَاةً ولا نُشُورًا سَبْعَ

✍ 409 ✍

مَرَاتٍ، أَوْحَى اللَّهُ إِلَى الْمَلِكِينَ بَأْنَ أَحْرَقَا صَحِيفَةَ ذَنْوِبِهِ وَخَطَايَاهُ " ذكره أهل الرقائق وبالله تعالى التوفيق. **وَأَمَّا الْإِعْتِكَافُ** فهو مِنْ نَوَافِلِ الْخَيْرِ، وهو ملازمة المسجد لأحد ثلاثة أشياء، ذكرُ الله أو تلاوةُ القرآن أو الصلاة، ولا يكون إلا بصيامٍ ولا يكون إلا متتابعاً ولا يكون إلا في المساجد وأقلُّه يومٌ وليلةٌ وأكثرُهُ عشرةٌ، ولا يقرب فيه النساء على وجه اللذة بشيء ليلاً ولا نهاراً ولا يخرج من المسجد إلا لأربعة أمورٍ، حاجة الإنسان من بولٍ أو غائطٍ وطَرُؤُ حيضٍ أو نفاسٍ ومرضٍ لا يقدر على المقام معه وشراء طعامٍ أو ماءٍ إن اضطرَّ إليه، وإن خرج فعليه حرْمَتُهُ وإن صحَّ أو طهرت رجَع سَاعَتَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ وَلَا شَرْطَ فِي الْإِعْتِكَافِ، وإن كان بلدٌ فيه الجمعة فلا يعتكف إلا في الجامع إلا أن ينذر أَيْاماً لا تأخذه فيها الجمعة ولا بأس أن يكون إمام المسجد. وإن اعتكف بما يتصل فيه اعتكافه بيوم الفطر فليبت ليلة الفطر في المسجد حتى يغدوا منه إلى المصلّى ويُسْتَحَبُّ إحياء ليلة العيد بالذكر والصلاة وهو من سنن الصالحين، وقد قال صلى الله عليه وسلم [من أحيا ليلة الفطر والنحر فكأنما قام ليالي السنة كلها]¹ وقال صلى الله عليه وسلم [يقول الله تعالى غُدُوَّةَ يَوْمِ الْفِطْرِ يَا عِبَادِي أَسْأَلُونِي فَوَعَرَّتِي وَجَلَالِي لَا تَسْأَلُونِي الْيَوْمَ شَيْئاً إِلَّا أَعْطَيْتُكُمْ إِيَّاهُ].

(د) "وروى ابن نافع ما رأيت أصحابنا اعتكفوا وقد اعتكف النبي صلى الله عليه وسلم حتى قبض، وهم أشد الناس اتباعاً، فلم أزل أفكر حتى أخذت نفسي أنهم

¹ - لم أعثر عليه .

إنَّما تَرَكوهُ لِشِدَّتِهِ نَهَارُهُ وَلَيْلُهُ سَوَاءٌ، كَالْوِصَالِ الْمُنْهِي عَنْهُ مَعَ وَصَالِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، انْتَهَى وَبِاللَّهِ تَعَالَى التَّوْفِيقُ .

وَأَمَّا لَيْلَةُ الْقَدْرِ فَاعْلَمْ رَحِمَكَ اللَّهُ وَإِنَّا أَنْ أَفْضَلَ الشُّهُورِ شَهْرُ رَمَضَانَ // نوحه 167// وَأَفْضَلُ شَهْرِ رَمَضَانَ الْعَشْرُ الْأَوَاخِرُ، لِغَلَبَةِ الظَّنِّ عَلَى أَنَّ لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِيهَا. الزُّرُوقُ " وَذَهَبَ مَالِكٌ وَأَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ إِلَى أَنَّهَا فِي لَيْلَةٍ غَيْرِ مُعَيَّنَةٍ وَتَنْتَقِلُ فِي الْأَعْوَامِ"، ابْنُ رَشْدٍ " فَهَذَا أَصَحُّ الْأَقْوَالِ قَالَ وَالْأَغْلَبُ لَيْلَةُ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ " ابْنُ الْعَرَبِيِّ تَكُونُ بِثَلَاثَةِ شُرُوطٍ " فِي النِّصْفِ الْآخِرِ فِي إِفْرَادِهِ، لَيْلَةُ الْجُمُعَةِ، وَتَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ مَدَاخِلِ الشُّهُورِ وَقَدْ اعْتَكَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ الْعَشْرَةَ الْأَخِيرَةَ لِذَلِكَ. انْتَهَى

(ث) وَلَيْلَةُ الْقَدْرِ خَصَّهَا اللَّهُ تَعَالَى بِفَضْلِ عَظِيمٍ وَجَعَلَهَا أَفْضَلَ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ لَا لَيْلَةَ قَدْرٍ فِيهَا. قَالَهُ مُجَاهِدٌ وَغَيْرُهُ " وَخُصِّتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ بِهَذِهِ الْفَضِيلَةِ لَمَّا رَأَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْمَارَ أُمَّتِهِ فَتَقَاصَرَهَا وَخَشِيَ أَلَّا يَبْلُغُوا مِنَ الْأَعْمَالِ مِثْلَ الَّذِي بَلَغَ غَيْرُهُمْ فِي طَوْلِ الْعُمُرِ فَأَعْطَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَيْلَةَ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ¹. قَالَ الْعُلَمَاءُ وَفِيهَا ثَلَاثَةٌ وَثَمَانُونَ سَنَةً وَأَرْبَعَةٌ أَشْهُرٍ، وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيْبِ " مِنْ شَهَدَ الْعِشَاءَ فَقَدْ أَخَذَ نَصِيْبَهُ مِنْهَا ". انْتَهَى

(ث) " وَذَكَرَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ أَنَّهَا سُمِّيَتْ لَيْلَةُ الْقَدْرِ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُقَدِّرُ فِيهَا الْأَجَالَ وَالْأَرْزَاقَ وَحَوَادِثَ الْعَامِ كُلِّهَا وَيَرْفَعُ ذَلِكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ لَتَمْتَنَّهُ، قَالَ ابْنُ

¹ - الجواهر الحسان - الثعالبي - الجزء الخامس - ص 661

عطية " وليلة القدر مستديرة في أوتار العشر الأواخر من رمضان هذا هو الصحيح الموعول عليه بحسب الكمال والنقصان في الشهر فينبغي لمُرْتَقِبِهَا أن يرتقبها من ليلة عشرين في كل ليلة إلى آخر الشهر. وصح عن أبي بن كعب¹ وغيره " أنها ليلة سبع وعشرين " قال تعالى تنزل الملائكة والروح قيل هو جبريل عليه السلام، وقيل هم صنف حفظة للملائكة، قال الفخر وقيل الروح ملك عظيم لو انتقم السماوات والأرض كان له ذلك لقمة واحدة. وقيل الروح طائفة من الملائكة لا يراهم الملائكة إلا ليلة القدر كالزهاد الذين لا يراهم إلا يوم العيد، وقيل خلق من خلق الله تعالى يأكلون ويشربون ويلبسون ليس من الملائكة ولا من الإنس ولعلهم خدّم أهل الجنة وقيل أشراف الملائكة، وقوله تعالى سلام هي قيل سلامة من كل فتنة وقيل الملائكة تسلم على المؤمنين². وذكر صاحب السر المصون قال الإمام الفخر في قوله تعالى، تنزل الملائكة والروح، أنها ملائكة لا يعلم عددهم إلا الله، يعبدون الله، ومقام جبريل في وسطها ليس فيها ملك، إلا وقد أعطي الرأفة والرحمة للمؤمنين، ينزلون مع جبريل ليلة القدر، فلا يبقى بقعة من الأرض إلا وعليها ملك ساجد // نوحه 168 // وقائم، يدعو للمؤمنين والمؤمنات وجبريل لا يدع أحدا من الناس إلا وصافحه، وعلامة ذلك من أقشعر جلده ورق قلبه ودمعت عيناه، فإن ذلك من مصافحة جبريل عليه السلام، من قال فيها لا إله

¹ - أبي بن كعب من الصحابة الكرام شهد العقبة وبدرا وجمع القرآن في حياة النبي كان رأسا في العلم والعمل - سير أعلام النبلاء للذهبي - الصحابة رضوان الله عليهم.

² - الجواهر الحسان للثعالبي - ج 5 ص 662 بتصرف

إلا الله ثلاث مرّات، غُفِرَ له بواحدةٍ ونَجَّاهُ مِنَ النَّارِ بواحدةٍ وأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ بواحدةٍ¹، وبالله تعالى التوفيق.

الفصل الرابع في الزكاة وآدابها

هذه هي القاعدةُ الرابعةُ، من قواعد الإسلام، وقد تقدّم الدليلُ على وجوبها من الكتابِ والسُّنة والإجماع، والآن أذكرُ شيئاً ممّا يتعلّقُ بأحكامها، عياض " الزكاةُ قسمان زكاةُ أموالٍ وزكاةُ أبدانٍ وهي زكاةُ الفِطْرِ. فزكاةُ المالِ تجبُ بستةِ شروطٍ: الإسلامُ والحريةُ وصحةُ الملكِ، لمّا شُرِعتْ فيه وكونُهُ نصاباً أو قيمةً نصابٍ ومُضي الحَوْلِ عليه، أو على أصلِهِ الذي نَمَا مِنْهُ في مِلْكِ الْمُزَكِّي أو مجيء السَّاعِي في الماشية، إنْ كان أو الطيب في الجُبِّ، ولا يُشترطُ في المعدِنِ غير وجودٍ ما فيه الزكاةُ من نَيْلٍ واحدٍ. وشروطُ أجزائها لِمَنْ وَجِبَتْ عَلَيْهِ ستَةٌ : النيةُ فيها أَنَّها زكاته أو زكاةُ من يليه، وإخراجُها بعد وجوبها بتمامِ حولها يريدُ وإنْ قَدِمَتْ قبل وجوبها لم تجزِ إلّا في الماشية فيجوزُ بِكَشْهِرٍ ودَفْعِها إلى إمامٍ عدلٍ أو أحدِ الأصنافِ الثمانية الذين تجبُ لَهُمْ من المسلمين وأنْ يدفعَ عَيْنَ السِّنِّ والجِنْسِ الذي وَجِبَ عَلَيْهِ إخراجُها لا عَوْضاً عَنْهُ فَإِنْ دَفَعَ أَفْضَلَ مِنْهُ من جِنْسِهِ أَجْزَأهُ.

وممنوعاتها إلّا لا تُعْطَى إلّا لِغَايَةٍ، وإلّا يَحْتَسِبُ بها الْفَقِيرُ من دينٍ عليه، وإلّا يدفعُها الرَّجُلُ لِمَنْ تَجِبُ عَلَيْهِ نَفَقَتُهُ، وإلّا تَبْطُلُ بِالْمَنْ وَالْأَذَى وإلّا يَشْتَرِي الرَّجُلُ صَدَقَتَهُ وَيُسْتَحَبُّ إِخْرَاجُها بِطَيْبِ نَفْسٍ وَمِنْ أَطْيَبِ الْحَلَالِ وَيُسْتُرُها، وَقِيلَ الْإِظْهَارُ

¹ - تفسير القرآن لفخر الدين الرازي - ج 32 ص 34 تفسير سورة القدر

في الفرائض أفضل، وأن يجعل من يتولّاها سواء خوف المحمّدة يريد إن كان عالماً بمصرفها، لا الزوجة فلا يؤلّيها ذلك. ويستحب أن يقصد بها الأخوَجَ فالأخوَجَ، ويستحب للمتصدق عليه الدّعاء لدافعها ثم قال: والكلام فيها في سبعة أشياء على من تجب وفيما تجب وفي مقادير نصبها، ومقادير ما يخرج منها ولمن تعطى وكم يعطى منها ومتى تخرج.

فأمّا على من تجب فعلى الحرّ المسلم، كان عاقلاً أو مجنوناً ذكراً أو أنثى صغيراً أو كبيراً، ولا تجب على عبد ولا على من فيه شعبة رقّ فيما بيده، ولا يُزكّيه سيده لأنه بيد العبد.

وأما فيما تجب فالأموال المزكاة ثمانية: النقود من الذهب والفضة والحلي المتخذ منهما للتجارة يريد أو كان معداً للعاقبة أو للصدّاق // نوحه 169 // وفي معناه النّقار، وهي السبايك والتبر والانعام، وهي الغنم والبقر والإبل والحبوب وهي كلّ مقتات من الحبوب، وفي معناها ما له زيت منها والثمار وهي ثلاثة: تمر وزبيب وزيتون والعروض المتخذة للتجارة والمعادن من الذهب والفضة والركاز وهو دفن الجاهلية.

وأما مقادير نصبها فالنقود كلّها عشرون ديناراً، أو مئتا درهم فضة خالصان، والعروض قيمتها من ذلك، فيخرج ربع العشر من ذلك، فما زاد فيحسابه إلا النّدرّة من المعدن ففيها الخمس، ونصاب الحبوب والثمار خمسة أوسق من كلّ نوع حاشى البرّ والشعير والسّلت، فإنه يجمع بعضه إلى بعض، وكذلك القطاني تجمع كلّها وهي كلّ ماله غلاف كالقول، ومنها كرسنة ويخرج منها العشر، إن

كان بغلا أو يُسقى سِنْحًا أي بالماء الجاري ونصف العُشْر إن كان يُسقى بالدلو أو السَّانية ويُحسَب قُشْر الأُرْزِ و العَلَسِ وما تَصَدَّقَ بِهِ واستأجَرَ قَتًّا وما أَكَلَهُ فريكًا لا أَكَلَ دابةً في حالِ درسِها ونقلِها فقطً ويُزَكَّى ما يأخذه المُقَاتِعُ واللَّقَاطَةُ إن كانت بشرطٍ وإلا فلا. (د) " وما يأخذه الأعرابُ قطيعةً على الزَّرْعِ، تسقطُ زكاةُ ما يقابله فقطً، وكذلك السلطانُ يخرصُ ويجعلُ عليهم مالاً عَيْنًا، فَإِنَّهُ يَسْقُطُ ما يقابله من الزَّكَاةِ، وما يُوخَذُ على وجهِ الظُّلْمِ بغيرِ إسمِ الزَّكَاةِ فلا يحسب منها. وسُئِلَ شيخنا سيدي سعيد المقرئ رحمه الله، هل تُعطى الزكاة للأعراب الجبابرة الذين يأخذون المغارم الباطلية من القبائل، وهل تحاط للسلطان إن لم يأت عُماله في وقتها لأنهم إن لم يحوِّطوها له أخذها من مالهم، فأجاب لا يُعطى اللصوصُ ومن في معناهم من الزكاة شيئاً وما أخذه قهراً تسقطُ زكاةُ ما يقابله عن أربابه وعليهم أن يحوِّطوها للسلطان صوناً لأموالهم. انتهى

بمعناه قلت: ومنهم من أفتى في الأعراب أنهم إن كانوا خدمة السلطان أجزأت.

(د) " وكذا إذا أخذها قريبٌ ونحوه من الأصدقاء ولم يُسمِّها له زكاة فلا تُجزيه إلا أن يعلم بذلك. ومن تصدق بشيء وقال خذه بركاته أجزأ والله أعلم.

تنبيهان الأول الوجوب، يتعلق بالثمار بإفراك الحب وطيب التمر واسوداد الزيتون، فلا شيء على وارث قبلهما، لم يصِر له نصاب وإلا زكى. الثاني، قال مالك " وتؤدى الزكاة من الحوائط المحبسة في سبيل الله أو على قوم بعينهم وكذا إبلٌ أوقعت للحمل عليها ودنانير للسلف وإن كانت لتُفرَّق في سبيل الله فلا زكاة فيما أدرك الحول منها قاله الجلاب. وأما الركاز فيُخرج الخمس من قليله وكثيره //

نوحه 170 // إن كانَ ذهباً أو فضةً واختلفَ في غيرهما. وأما الأنعامُ فتختلفُ، فأولُ نُصْبِ الغنمِ ضأنٍ ومِعْزٍ أربعون، وفيها شاةٌ جذعةٌ وجِذْعٌ أو ثنيةٌ إلى مئةٍ وعشرين، وفي مئةٍ وإحدى وعشرين شاتان، وفي مئتين وشاةٍ ثلاث وفي أربع مئةٍ أربع ثم لكلِّ مئةٍ شاة. وأما البقرُ فأولُ نصبها ثلاثون وفيها تبعٌ وفي كلِّ أربعين مُسنةٌ ذو سنين وثلاثٍ أنثى وما زاد فيُحسب ذلك وفي كل خمسٍ من الإبلِ شاةٌ إلى أربعٍ وعشرين ثم في خمسٍ وعشرين بنت مخاضٍ فإن عرفت فابن لبونٍ ذكر وفي ستٍّ وثلاثين بنت لبونٍ وستٍّ وأربعين حقةً وإحدى وستين جذعةً وستٍّ وسبعين بنتاً لبونٍ وإحدى وتسعين حقتان إلى تسعٍ وعشرين ومئةٍ فما زاد ففي كل أربعين بنت لبونٍ وفي كل خمسين حقةً ولا زكاة في الأوقاص وهو ما بين الفرضين من كلِّ الأنعام.

وأما لِمَن تُعطى الزكاة، فلأصناف الثمانية الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه في قوله ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ ﴾¹ والصحيح أن المسكين أحوج من الفقير. (د) " والمشهور إعطاء القادر على التكسب، ومن له دارٌ وخادمٌ وفرسٌ لا فضل فيها عن غيرها، ولا يستغنى عن ذلك أعطي وإلا فلا " وقد جاء أن الذين تنموا بهم الصدقات أربعة: المتجرد للعبادة، ومن كان صاحب جاهٍ ومالٍ فزال ذلك عنه، والقريب الذي لا تجب عليك نفقته لأنها صدقةٌ وصله، والقارئ، ويُعطى من بيده نصابٌ على المشهور، كما يجوز دفع أكثر منه لواحد، ويُعطى كفايةً عدم ولا

¹ - التوبة - الآية 60

يُعْطَى حَارِسُ الْفِطْرَةِ مِنْهَا شَيْئًا، وَلَا يُفَكَّ مِنْهَا أُسِيرٌ عَلَى الْمَشْهُورِ لِعَدَمِ الْوَلَاءِ.
انتهى

قال في شرح الجلاب¹، " واختلف هل يُفدى منها أُسِيرٌ أم لا، فمنع ذلك إصْبَغُ وقال ابن حبيب بل يجوز، لأنها رَقَبَةٌ ملكت بملك الرِّقِّ فهي تَخْرُجُ من رِقِّ إِلَى عِتْقٍ، بل ذلك أَحَقُّ وَأَوْلَى من فَكَاكِ الرِّقَابِ التي بأيدينا، "، قال في الطَّرَازِ " وهذا إِذَا دَفَعَ الْمَالُ لِلْكَافِرِ، وَأَمَّا إِنْ دَفَعَ لِلْمُسْلِمِ فَافْتِكَ رَقَبَتُهُ فَيَنْبَغِي أَنْ يَجِيزَهُ بِلَا خِلَافٍ، إِذْ هُوَ فَقِيرٌ مُحْتَاجٌ " وأجاز محمد بن عبد الحكم لمن أخرج زكاته ولم ينفذها حتى أُسِرَ أَنْ يُفدى منها. انتهى

ويجبُ على المسلمين فداءَ أسراهم، وإن أتى على جميع مالهم، إن لم يكن بيتُ مالِ المسلمين أولًا، يتوصل إليه فإن تركوا عَصَوْا. قال بعض الشيوخ: إلا لمن أعطى ما ينوبه من ذلك من بين سائر القبيلة فلا إثم. ولا يبنى منها قنطرة ولا مسجدٌ ولا تُصدق في مصالح المسجد. ومن كتاب الحسين بن علي الرِّجْراجي² رضي الله عنه اختلف العلماء // نوحه 171 // في إعطاء الزكاة للعلماء على

1 - هو عبد الرحمان بن عبد الله المعروف بابن الجلاب (ت 378هـ) كنيته أبو القاسم بصري تفقه على يد الشيخ أبي بكر الأبهري وغيره. وقد بلغت شروح ابن الجلاب ثلاثة وعشرين ومن أشهرها شرح الإمام المسدد وشرح ابن البشير والتلمساني، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك للقاضي عياض، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغرب، الطبعة 1983، الجزء 7 ص 76. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية لمحمد بن عمر قاسم مخلوف تحقيق عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، الطبعة 2003، الجزء 1 ص 137.

2 - الحسين بن علي بن طلحة الرِّجْراجي (ت 899هـ) مفسر مغربي من بلاد سوس له تصانيف منها الفوائد الجميلة على الآيات الجلية ومباحث في نزول القرآن وكتابته ونوازل في فقه المالكية.

قولين، فقال ابن الماجشون¹، لا تحلُّ الزكاة للعلماء يعني إن كانوا أغنياء، وقال في كتاب المفيد لابن رشد²، "تجوز الزكاة للعلماء بكل حال، ولو كانوا أغنياء وهم أولى بها وهكذا كلُّ من فيه منفعة للمسلمين كالقضاة والمفتين والمُدرِّسين والمُؤذنين هكذا في كتاب الوجيز³ لأبي حامد الغزالي ومثلها في كتاب التدرّج لأبي عباس الجوهري وفي أسولة محمد بن سالم لمحمد بن سحنون⁴ " الزكاة تجوز للعلماء وهي رواية بن وهب وابن القاسم عن مالك. وقال ابن أبي زيد " لا تُعطى الزكاة للأجير ولا تزدُّ على أجرته إلا أن يكونَ إمامَ المسجد أو مُعلِّمَ الصِّبيان. منه بلفظه. (د) " وتُدفع للإمام العدل في صرفها وإلا فلا وإن أخذها جبراً أجزأت على المشهور وعليهم أن يحوِّطوها له صوناً لأموالهم، ولا تُعطى للأغراب. وقد تقدّم وما يفعله المرابطون اليوم يأخذون الزكاة ويجرونها على أيديهم لمن يردُّ عليهم من الأضياف والأغراب وغيرهم من أبناء السبيل، فكان شيخنا أبو عبد الله محمد الشيباني، يُنكر ذلك، ويقول أنّه لا يجوز ولا تجزئ، لأنهم صانوا بذلك أموالهم ويُؤخرونها عمّن يستحقها.

1 - العلامة الفقيه مفتي المدينة أبو مروان تلميذ الإمام مالك، كان فقيهاً فصيحا دارت عليه الفتوى في زمانه، كان ضريراً (ت 213هـ). ترجم له الذهبي في سير أعلام النبلاء - الطبقة الحادية عشرة.

2 - كتاب المفيد لابن رشد الحفيد جامع لأسباب اختلاف الفقهاء عند الإمام وهو جامع لأشهر المسائل الخلافية وأسبابها بين فقهاء الأمصار في الفقه الإسلامي.

3 - الوجيز في فقه الشافعي لأبي حامد الغزالي.

4 - كتاب الأجوبة يتضمن إجابات صادرة عن عالم القيروان الإمام سحنون بن سعيد التتوخي (ت 240هـ) على أسئلة كثيرة وجهها له أحد تلامذته محمد بن سالم يستطلع بها حكم الله فيها لا من خلال معارف محمد بن سحنون أو رأيه فقط بل من خلال ما ينقله عن علماء الإسلام السابقين خصوصاً علماء المذهب المالكي وإمامهم مالك بن أنس نفسه.

وأما العاملون عليها فهم جُباتها الذين يجمعونها ويأخذ الفقير منهم بوصفيّه. وأما المؤلفة قلوبهم فهم قوم كفار يعطون تأليفا للإسلام وحكمهم باقي على المشهور، وأما الرِّقاب فإن تشتري بها رقبةً وتُعتق ويكونُ ولاؤها للمُسلمين، وأما الغارمون فهم المديونون فتُدفع في دين الحَيِّ والمَيِّت لا في كَفَنِهِ إِنْ اسْتَدَانَهُ فِي الْحَلَالِ وَإِلَّا فَلَا إِلَّا أَنْ يَتُوبَ عَلَى الْأَحْسَن. وأما سبيلُ الله فهو الجهادُ فتُعطى للمُجاهد وفي آله وإن غنيا وإن جلس نُزعت منه لا سُورٍ ومُرْكَبٍ. وأما ابنُ السبيلِ فهو المسافرُ سفراً مباحاً، إِنْ احتاج لما يُوصِلُه ولم يجد مُسَلِّفاً وهو ملئٌ ببلَدِهِ، وأما الشريفُ الهاشمي، فهل تعطى له خوف ضياعِهِ لعدَم بيت المال، ورجحَهُ بعضهم في هذا الزمانِ لِقَلَّةِ المبالاة، أولاً تُعطى لَهُ لِأَنَّهَا مِنْ أَوْسَاخِ النَّاسِ وهو المشهور قولان.

فائدة يجمعُ من لا يأخذ الزكاة قول الغافقي¹ رضي الله عنه:

فخمسةٌ عُدُوا بغيرِ شكٍّ لا يَدْفَعُ زَكَاتَهُ الْمُزَكِّ²
فمنهم الكافرُ والعَبْدُ يُلِيهِ والمُسْرِفُ المَبْذَرُ لِلْمَالِ السَّفِيهِ
ثم الذي يُنْفَقُ بِالْحُكْمِ عَلَيْهِ ثُمَّ غَنِيٌّ غَيْرُ مُضْطَرٍ إِلَيْهِ².

انتهى

فإن أعطى عنها القيمة طوعاً لم تجزه، ويقومُ المدير سلعه كل عام // نوحه 172 //

والمحتكر يُزَكِّي لعامٍ واحدٍ بعد بيعه، وإن أقامت أعواماً وكذا الذين إن قبض نصاباً

¹ - أبو سعيد عبد الرحمان بن عبد الله الغافقي والي الأندلس لمرتتين وهو من التابعين، كان رجلاً صالحاً زاهداً فقيهاً، البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، ابن عذاري - دار الثقافة -

بيروت، ص 26-

² - من بحر الرجز.

أو تم بفائدة جمعهما ملك وحول وأما ما يتخذ للاقتناء فلا زكاة فيه حتى يُباع عينا ويستقبل به حولاً من يوم قبض ثمنه، ولا زكاة عليه فيما دُفن من العين وإلا زكى كل عام والله الموفق.

وأما زكاة الفطر فهو سنة وقيل فريضة فرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حديث ابن عباس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال [زكاة الفطر طهرة الصائم من اللغو والريبة و طعمة للمساكين، فمن أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات] ¹ . عياض " وفصولها سبعة على من تجب ومتى تجب ومتى تخرج ومم تخرج وكم قدرها ولِمَن تُعطى وكم يُعطى منها، فتجب على كل مسلمٍ واحدٍ لها كبير أو صغير، ذكر أو أنثى حر أو عبد، عاقل أو معتوه، غني أو فقير، إذا فصلت عن قوته وقوت عياله وإن بتسلف وإن كان ممن يجوز أخذها، ويلزم الرجل أن يؤدّيها عن كل من تلزمه نفقته من المسلمين بقرابة أو زوجية أَوْ رِق لا أجيره، والعبد المشترك و المُبْعَضُ بقدر الملك، ولا شيء على العبد، وتجب بمغيب الشمس آخر يوم من رمضان وقيل بطلوع فجره فيعتبر ذلك فيمن ولد أو مات أو أسلم أو بيع، فمن أدركه وقت وجوبها ألزمته، ويُستحب إخراجها قبل الغدو إلى المصلى وقبل الصبح. وتخرج من الحبوب المعتاد أفتياتها في البلد المخرجة فيه، صاع عن كل إنسان أو جزءه، وتُدفع لكل فقير محتاج إليها بقدر عياله من قلة أو كثرة وليس لما يعطى منها قدرٌ فيجوز أن يُعطى منها لواحدٍ أكثر من صاع، وتُدفع للإمام العدل

¹ - سنن أبي داود - كتاب الزكاة - باب زكاة الفطر - الحديث رقم 1609.

ولا تسقط بمضي زمنها عن وجبت عليه وقيل مصرفها مصرف الزكاة فتعطى للأصناف الثمانية حاشى المؤلفه قلوبهم، وأثم قادر أخرجها عن وقتها وللمرأة دفعها لزوجها الفقير لا العكس وبالله تعالى التوفيق.

وأما فضائل الزكاة على الإطلاق فقد وردت فيها أحاديث كثيرة، فمنها ما رواه مالك في الموطأ " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال [من تصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا طيبا كأنما يضعها في كف الرحمان يربها كما يربي أحدكم فلوله أو فصيله حتى تكون مثل الجبل] ¹، " وعن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال [من أخرج العشر والزكاة سمته الملائكة في السماوات حبيب الله وفي الأرض صديق الله وفي العرش عتيق الله من النار// نوحه 173 // وأنزل الله عليه كل يوم ألف رحمة، وألف مغفرة، وتقبل الله صلاته وصيامه، واستجاب له دعاءه وقضى حوائجه في الدنيا والآخرة، ولا يصيبه شدائد يوم القيامة، وأدخله الله الجنة مع النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا. وأما إثم مانع الزكاة فيكفي فيه قوله تعالى: ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يجمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم أريقال لهم هذا ما كنزتم لأنفسكم﴾ ² وخرج البخاري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [تأتي الإبل على صاحبها على خير ما كانت إذا لم يعط فيها حقها تطأه بأخفافها وتأتي الغنم على صاحبها على خير ما كانت إذا

1 - صحيح البخاري - كتاب الزكاة - باب الصدقة من كسب طيب. حديث رقم 1344.

2 - التوبة - الآية 34.

هو لم يعط فيها حقها تطأه بأظلافها وتتطحه بقرونها قال ومن حقها أن تحلب على الماء [¹] وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [من أتاه الله ما لا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاع أقرع وهو الذكر من الحيات له زبيبتان يطوفه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه يعني شذقيه ثم يقول أنا مالك أنا كنزك ثم تلى ﴿ لَا يَسِبْنَ الَّذِينَ يُخْلَقُونَ ﴾ الآية] ² ، وما أدبت زكاته ليس بكنز وقد قيل ما هلك مال في الدنيا إلا وفيه حق الله وسيأتي إن شاء الله من فضائل الصدقة على الجملة ما يثلج له الصدر وبالله تعالى التوفيق.

الفصل الخامس في الحج والعمرة

وهو القاعدة التي تتم بها قواعد الإسلام وهو واجب مرة في العمر وقد تقدّم الدليل على وجوبه من الكتاب والسنة والإجماع، والعمرة سنة مؤكدة مرة في العمر. عياض " وشروط وجوبه ستة: الإسلام والبلوغ والعقل والحرية وصحة البدن والاستطاعة على الوصول دون مانع ولا ضرر وأركانه ستة: النية والإحرام وطواف الإفاضة والسعي بين الصفا والمروة والوقوف بعرفة أي ليلة يوم النحر ووقت النحر. ووقت الحج واختلف في جمرة العقبة.

وأما السنن التي توجب الهدى على من ترك شيئاً منها فهي أربعة عشر: الإحرام من الميقات، والتلبية وطواف القدوم والركوع عند المقام، والجمع بعرفة والمبيت بالمزدلفة ليلة يوم النحر، ورمي الجمار والحلاق للرجل، والتقصير للمرأة، وأن

¹ - صحيح البخاري - كتاب الزكاة - باب إثم مانع الزكاة - الحديث رقم 1337.

² - صحيح البخاري - كتاب الزكاة - باب إثم مانع الزكاة - الحديث رقم 1338.

يكون بعد رمي جمرة العقبة، وإيقاع طواف الإفاضة في يوم النحر أوفي أيام التشريق، والمبيت بمنى والإفراد بالحج وترك التمتع. وأما العمرة فصفتها // لوحة 174 // أن يحرم من التنعيم متجردا من مَخِيطِ الثياب، ويفعل فعل الحاج سواء ويحرم عليه ما يحرم على الحاج، ولا يفترقان إلا في النية، فإذا طاف وسعى وحلق أو قصر فقد تمت عمرته، وتجوز أن تفعل في السنة مرارا، ولا تختص بأيام الحج. واعلم أن أحكام الحج كثيرة، ومن احتاج إليها فليُنظرها في محالها، وإنما اقتصدنا على هذا القدر لسقوط وجوبه عنا بعدم الاستطاعة، لكن أردنا أن لا نخلي كتابنا هذا من ذكر شيء منه قصد التبرك به رجاء من المولى الكريم ألا يحرمننا منه ولا من زيارة قبر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إذ يجب على المؤمن وإن لم يحج أن ينوي حجا وأن يحبه، قال عليه الصلاة والسلام [من مات ولم يَحْجْ ولم يَنْوِ حَجًّا فليختر أي ملة يموتُ إمَّا يهوديا أو نصرانيا، وقال عليه السلام [من مات ولم يَنْوِ حَجًّا هذا البيت فليمت إن شاء الله يهوديا أو نصرانيا نسأل الله العافية.

وأما فضائله لمن أطلق الله قيوده ونصر جنوده فكثيرة جدا، قال الله عز وجل ﴿وَمَنْ خَلَّهُ كَانَ آمِنًا﴾¹ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم [من حجَّ هذا البيت ولم يَرْفُثْ ولم يَفْسُقْ خَرَجَ مِنْ ذَنْبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ]²، قال صاحب منظوم الأخبار " ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال [الحاج الماشي له بكل

1 - آل عمران - الآية 97

2 - صحيح مسلم - كتاب الحج - باب في فضل الحج والعمرة ويوم عرفة - الحديث رقم 2493

خطوة سبع مئة حسنة من حسنات الحرم قيل يا رسول الله وما حسنات الحرم قال
الحسنة بمائة ألف والحاج الراكب له بكل خطوة يتخطاها بغيره حسنات¹ وفيه
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم [أيما مسلم خرج من بيته إلى الجهاد فمات
قبل القتال فهو شهيد و أيما مسلم خرج من بيته إلى بيت الله الحرام ثم نزل به
الموت قبل بلوغه وجبت له الجنة] وقال صلى الله عليه وسلم [الكعبة محفوفة
بسبعين ألفا من الملائكة يستغفرون لمن طاف ويصلون عليه] وقال صلى الله
عليه وسلم [من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت النار عنه مسيرة
مائة عام] وقال صلى الله عليه وسلم [صلاة في مسجدي هذا تعدل ألف صلاة
في غيرها إلا المسجد الحرام]. وجاء أن تربة المدينة تعدل الشهادة وبالله التوفيق.

فصل في الزكاة، وهي السبب الموصول إلى إباحة ما يوكّل لحمه والأصل فيها
قوله تعالى ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾² وما ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم ذبح
والإجماع على ذلك. ولأن الميتة محرمة بالإجماع وشرعت لتفرق بين الحلال
والحرام، فالحرام الدم المسفوح، والحلال اللحم، ولإزهاق النفس بسرعة وفيها تنبيه
//لوحة 175// على شرف ابن آدم، واعتناء المولى به، إذ كمله بالعقل وأباح له أكل
الحيوان قوتا لبدنه، وتصفية لمرآة قلبه، وإيثارا له بالحياة على غيره.

وأما المذكي فهو على ثلاثة أقسام: قسم لا بد فيه من الزكاة، وهو ماله نفس
سائلة أي دم، مما يوكّل لحمه من دواب البر، وقسم لا ذكاة فيه، وهو صيد البحر

1 - أورده الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة - ج 1 ص 710.

2 - المائدة - الآية 3

ولو طالت حياته ببر، وقسمٌ اختلف فيه وهو ما ليس له نفس سائلة مثل الجراد و الحلزوم، بفتح الحاء واللام، والزنبور و ذكاته ما يموت به، ولو لم يعجل كقطع جناح أو ماء يطرح فيه بقصد الأكل مع التسمية.

و الذكاة على ثلاثة أنواع: ذبح ونحر، وعقر فالنحر في الإبل خاصة وهو طعن بلبه ولكن وإن ذبحت لم توكل على المشهور، والذبح في غيرها وإن كان طويل العنق كالنعامة وإن نحر لم يوكل على المشهور، وجاز للضرورة إلا البقر فيندب الذبح، وأما العقر ففي الصيد المعجوز عنه وهو الجرح بسلاح محدد أو حيوان علم لا بالصدم كالبنديقية وهي المدفع فلا يوكل ما أنفذت مقاتله.

وأما صفتها وفرائضها، فتؤكل الذبيحة بستة شروط من غير خلاف، واختلف في ستة، فالمتفق عليها النية للأكل وقطع الحلقوم و الودجين والمريء وهو مجرى الطعام والشراب وأن يكون ذلك من المقدم لا من القفا أو من تحت العروق وأن يكون ذلك في فور واحد وأن يرُدَّ الجوزة وهي الغلصمة إلى الرأس وأن يذكر اسم الله عليها. والمختلف فيها إذا قطع الودجين دون الحلقوم أو قطع النصف من كل أو الجميع وترك المريء والمشهور الأكل في جميع ذلك وإن رد الغلصمة إلى البدن، فالمشهور عدم الأكل وإن قطع إلى الرأس مثل الهلال أكلت على المشهور وإن رد منها مثل الحلقة أكلت اتفاقاً. وأما التسمية فهي واجبة في الجميع مع الذكر والقدرة ساقطة مع العجز والنسيان ولا يزيد الرحمان الرحيم فإن تركها عمدا لم تؤكل وسهوا أكلت، وفي الجاهل قولان كالصيد وأما الفور فإن رفع يده بعد قطع الجلد فقط أو مع بعض اللحم ثم أعاد أكلت اتفاقاً، وإن كان بعد قطع الحلقوم أو

الودجين أو أحدهما فإن رفع اضطرارا كتخطبها أو كسر السكين ثم أعاد بالفور أكلت وإن طال ففيها خلاف، وأفتى بأكلها وإن رفع اختيارا أو اختبأ فإن رد بعد طول فلا تؤكل اتفاقا وإن رد بالفور ففيها خلاف. وأما سننها فاستقبال القبلة وإن ذبح لغيرها أكلت ولو عمداً وأن يسوقها برفق وأن يضجعها على الأيسر وألا يذبجها في مكان ضيق وأن يحلها من ربطها وأن يجعل يده اليسرى على حلقتها وأن يوضح محل الذكاة // نوحه 176 // ليرد الغلصمة للرأس، وألا يسلخها أو يقطع شيئاً منها، أو ينتف ريشها حتى يخرج روحها، وأن تكون الشفرة حادة وألا يطحن الشفرة وهي ناظرة، أو يذبج بحضرة أخرى، وأن يذبج في دفعة واحدة، قال عليه السلام [إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وألا تذكي السكرانة حتى تفيق فإن فعل لم تؤكل للشك. وأما المذكي به فالحديد، أو ما يقوم مقامه من حجر أو عود قاطع، وفي السن والظفر والعظم خلاف.

وأما المذكي فهو على أربعة أقسام: قسم توكل ذكاته من غير خلاف، وهو أن يكون مسلماً عاقلاً بالغاً ذكراً، غير مضيع للصلاة، وغير فاسق، وقسم لا توكل ذكاته من غير خلاف، وهو المجنون والسكران الطافح والصبي الذي لا يعقل والمرتد والزنديق والمجوسي، وقسم اختلف فيه، وهو تارك الصلاة والسكران غير الطافح والأعجمي إذا أجاب للإسلام، والكتابي إذا ذبح لمسلم بأمره، وأما إن ذبح لنفسه مستحله فجائز اتفاقاً، والبدعي المختلف في كفره والنصراني العربي والمشهور الأكل في جميع ذلك، وقسم تكره ذبائحهم، وهو الصبي الذي يعقل

الزكاة، والمرأة والفاسق، والأغلف والخصي، والمحبوب، وتجاوز زكاة الأيسر، وبالله
تعالى التوفيق.

الملاحق



منزل الفقيه سيدي عيسى بن محمد البطوني



بقايا مركز تيزي عدنيت

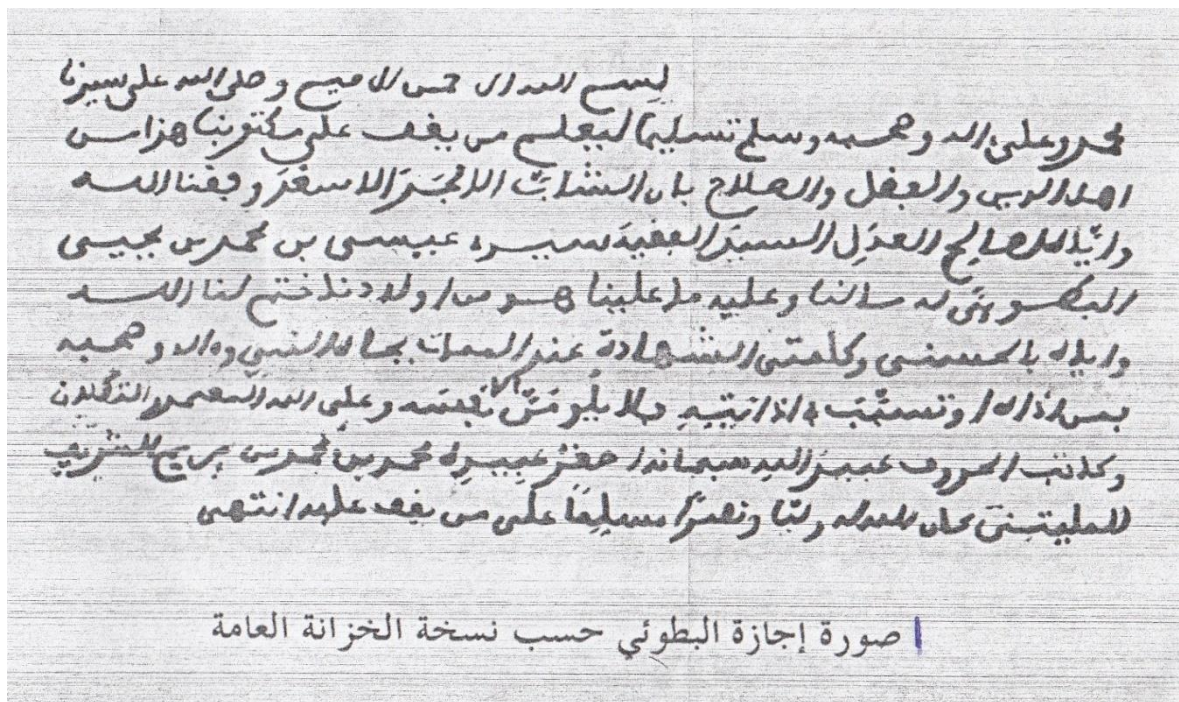


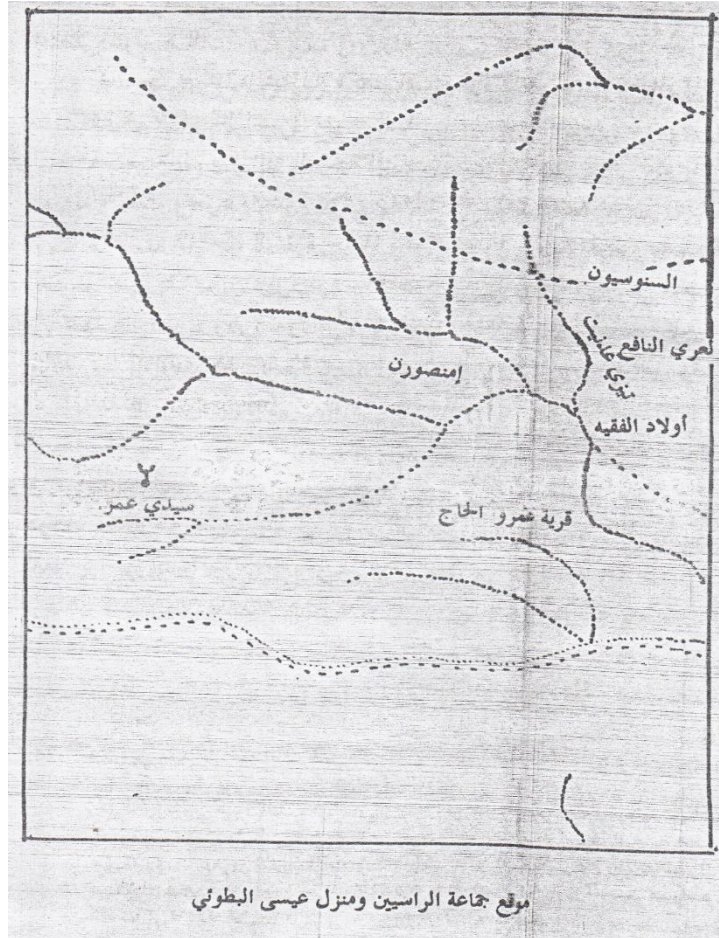
بوابة منزل الفقيه سيدي عيسى بن محمد البطوني





غرف من منزل الفقيه سيدي عيسى بن محمد البطوني





ممر الى بيت ضريح الفقيه سيدي عيسى بن محمد البطوئي (صورة حديثة)



منطقة بطوية بالريف الشرقي



الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا...	البقرة	159	131
إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ	البقرة	159	132
وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ	البقرة	282	136
وَمَنْ يُؤْتَ الْعِزَّةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا	البقرة	269	140
وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَأَتْهُ وَكُتِبَ وَرَسُولُهُ	البقرة	285	146
وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ	البقرة	4	146
أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ	البقرة	43	147
كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ	البقرة	183	148
يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ	البقرة	21	153
فَلَنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا	البقرة	24	153
وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ	البقرة	23	153
لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ	البقرة	286	160
إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ	البقرة	102	168
يَوْمَ لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يَقْبَلَ مِنْهَا عَدَا	البقرة	48	180
وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا	البقرة	156/155	250
إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ			
رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْتَقِدُونَ.			
وَلِلَّهِ عِلْمُ النَّاسِ حُجَّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَصْلَحَ إِلَيْهِ سَبِيلًا	آل عمران	97	148
وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ	آل عمران	42	171
يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ	آل عمران	106	201
يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ	آل عمران	129	211

212	133	آل عمران	أَعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ
213	133	آل عمران	وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ
239	169	آل عمران	وَلَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ
212	133	آل عمران	أَعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ
234	13	النساء	وَمَنْ يُضِيعِ اللَّهُ وَرَسُولَهُ نُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ...
146	78	النساء	قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ
211	48	النساء	إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ
234	14	النساء	وَمَنْ يَعْرِضِ اللَّهُ وَرَسُولَهُ... إِلَى نُدْخِلْهُ نَارًا...
259	27	المائدة	إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ
157	18	الأنعام	وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ
188	158	الأنعام	يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا
218	103	الأنعام	لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ
227	61	الأنعام	تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا
216	43	الأعراف	الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا
235	187	الأعراف	أَنْ هَدَانَا
118	18	التوبة	لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً
118	18	التوبة	فَلَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ
130	122	التوبة	فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ صَائِقَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي
126	26	يونس	الَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ
197	22	يونس	يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ
-126 209	26	يونس	لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ
118	43	هود	وَلَا عَاصِمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ

137	16	هود	مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ
199	18	هود	هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ
152	105	يوسف	وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ
158	100	يوسف	خَرُّوا لَهُ سُجَّدًا
192	27	ابراهيم	فِيُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيُخِلِّ الظَّالِمِينَ
197	48	ابراهيم	تَبْدِلِ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ
223	21	ابراهيم	سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ سَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحْسَبٍ
145	9	الحجر	إِنَّا نَحْنُ نُزِّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَعَافِيُونَ
130	43	النحل	فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ
224	88	النحل	وَلَدَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ
236	32	النحل	الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ تَصِيِيرُ
116	84	الإسراء	كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَأْنِهِ
116	84	الإسراء	فَرَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا
200	13	الإسراء	وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَرَ بِنَفْسِهِ الْيَوْمَ عَلَيْهِ حَسِيبًا
201	14	الإسراء	اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَرَ بِنَفْسِهِ الْيَوْمَ عَلَيْهِ حَسِيبًا
207	79	الإسراء	عَسَى أَنْ يَبْعَثَ رَبُّكَ مَقَامًا مِثْلًا
231	78	الإسراء	إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مِثْقَالًا
201	105	الكهف	فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا
222	29	الكهف	إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا

179	66	مريم	ويقول الإنسان إنما ما مت لسوف أخرج حيا
179	67	مريم	أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا
204	71	مريم	وإن منكم إلا وأرأها
217	62	مريم	رزق لهم فيها بكرة وعشيا
224	39	مريم	وأندرهم يوم الحسرة إن قضي الأمر وهم في غفلة...
169	121	طه	وعصر آدم ربّه فغوى
169	115	طه	ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي
194	124	طه	ومن أغرض عن ذكره فإن له معيشة ضنكا
195	55	طه	منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى
159	22	الأنبياء	لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدنا
166	20	الأنبياء	يسبحون الليل والنهار لا يفترون
188	97	الأنبياء	حتى إذا فتحت ياجوج ماجوج وهم من كل حدب ينسلون واقترب الوعد الحق
195	104	الأنبياء	كما بدأنا أول خلق نعيده
200	47	الأنبياء	ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا
177	5	الحج	يا أيها الناس إن كنتم في ريب مما نبعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة...
190	2	الحج	يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى
187	18	المؤمنون	وإننا على عذابهم لقلعون

128	23	الفرقان	هَبَاءٌ مَّنْثُورًا
167	16	الفرقان	كَانَ عَلَى رِبِّكَ وَعَدًا مَسْئُولًا
177	11	الفرقان	وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا
180	88	الشعراء	لَا يَنْفَعُ فِيهِ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ
228	193	الشعراء	نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ
116	62	النمل	الَّذِي يُحْيِي الْمَيِّتَ إِذَا دَعَاهُ
138	65	النمل	أَبَرِ يَغْتَرُونَ أَمْ عَلَىٰ يَمْتَرُونَ
177	27	النمل	إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ... إِلَى الْأَخْسَرُونَ
188	82	النمل	وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ مِمَّا مَلَائِكَةُ مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ
161	88	القصص	كُلُّ شَيْءٍ قَالًا إِلَّا وَجْهَهُ
143	49	العنكبوت	بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيْنَاتٌ فِي صُكُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ
147	16	السجدة	تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ
217	17	السجدة	فَلَا تَعْلَمُ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ
227	11	السجدة	يَتَوَفَّاكُم مِّمَّا لَمْ تَأْمُرُوا بِالْمَوْتِ
228	8	السجدة	وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّعِينٍ
177	72	الأحزاب	إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا
171	7	الأحزاب	وَمِنْهُمْ نُوْحٌ وَإِبْرَاهِيمُ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ
-129 133	28	فاطر	إِنَّمَا يَنْشِئُ اللَّهُ مِنَ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءَ
209	30	فاطر	يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ لِيُوفِّيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيُزَكَّهُمْ مِنْ فَضْلِهِ

179	77	يس	أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فلما هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يعبي العظام وهي رميم
203	24	الصفات	وقل فوهم إنهم مسؤولون
140	39	الزمر	هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون
181	56	الزمر	يا حسرتي على ما فرقت في جنب الله وإن كنت لمن السّاهين
191	68	الزمر	فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا ما شاء الله
215	73	الزمر	وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا
215	73	الزمر	حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها
215	73	الزمر	وقال لهم خزنتها سلام عليكم حين تدخلوها خالدين وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض ننبأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين
215	73	الزمر	وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاءوها
227	42	الزمر	يتوق الأنفس
230	42	الزمر	والتي لم تمت في منامها
145	19	غافر	فإن تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور
167	7	غافر	الذين يعملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا
170	78	غافر	فمنهم من قصصنا عليا ومنهم من لم نقصر عليه

194	46	غافر	النار يُعرضونَ عليها غُدُوءًا وَعَشِيًّا
223	49	غافر	الْحُكْمَ رَبِّكُمْ يَنْفُذُ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ
182	47	فصلت	إِلَيْهِ يَرْجِعُ عِلْمُ السَّاعَةِ
236	30	فصلت	إِن الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ضَالِّينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَتَّخِفُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ
116	11	الشورى	السَّمِيعُ الْبَصِيرُ
151	11	الشورى	لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ
171	13	الشورى	شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ
228	52	الشورى	وَكَذَلَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا
249	29	الدخان	فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ
147	19	محمد	فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
147	29	الفتح	مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ
169	2	الفتح	لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ
171	28	الفتح	بِالْقُدْرَةِ وَالْجَبَرِ
-152 177	37	ق	إِن فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ
231	18	ق	مَا يَلْقَازُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ
127	51	الذاريات	مَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ
152	51	الذاريات	وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ
191	20	الرحمان	بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ
198	33	الرحمان	يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَعْصَمْتُمْ أَنْ تَنْفُكُوا مِنْ أَقْصَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُكُوا لَا تَنْفُكُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ

228	83	الواقعة	فلولا إنا بلغت الحلقوم
140	58	المجادلة	يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَرات
152	59	الحشر	فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ
127	12	الطلاق	اللَّهُ الْكَبِيرُ خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحْلَاهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا
166	6	التحريم	لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ
168	6	التحريم	عِبَادُ مُكْرَمُونَ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ
247	14	الملك	أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّكِّيفُ الْخَبِيرُ
197	18	الحاقة	وَيَوْمَ نَعْصُرُهُمْ جَمِيعًا
199	4	المعارج	فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ
117	8	المزمل	تَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِلًا
218	22	القيامة	وَجَوهٌ يَوْمئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاضِرَةٌ
216	20	الإنسان	فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ
216	20	الإنسان	وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمْرًا رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمَلَكًا كَبِيرًا
180	38	النبا	إِلَّا مِنْ أَغْنٍ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا
197	40	النبا	يَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا
182	42	النازعات	يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا
182	46	النازعات	كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا
182	7	النازعات	يَوْمَ تُرْجَفُ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّالِفَةُ
231	10	الإنفطار	وَإِنْ عَلَيْنَا لَأَعْلِفَنَّاهُ كَرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ

151	12	المطففين	بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ
176	13	الأعلى	قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَكَرَّاسُمْ رَبِّهِ فَصَلَّى
152	17	الغاشية	أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ
197	22	الفجر	وَجَاءَ رَبُّهَا وَالْمَلَكُ صَفًا صَفًا
207	5	الضحى	وَلَسَوْفَ يَعْصِيدُ رَبُّهَا فِتْرَتَهُ
169	3	الشرح	وَوَضَعْنَا عَنَّا وَزَرَكَ
156	1	الاخلاص	لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ

فهرس الأحاديث النبوية

الصفحة	الحديث
119	مَنْ أَكْثَرَ سَوَادَ قَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ
128	إِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَذْنَى رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي
128	نَظَرَةٌ إِلَى الْعَالِمِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ عِبَادَةٍ سَنَةٍ بِصِيَامِهَا وَقِيَامِهَا
128	أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى أَشْرَفِ أَهْلِ الْجَنَّةِ قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ لَهُمْ...
128	الْعِلْمُ إِمَامُ الْعَمَلِ وَالْعَمَلُ تَابِعُهُ
129	إِنَّ نَوْمًا عَلَى عِلْمٍ خَيْرٌ مِنْ صَلَاةٍ مِنْ جَهْلٍ فَإِنَّ الْعَامِلَ بَغِيرِ عِلْمٍ يَفْسُدُ أَكْثَرَ مِمَّا يُصْلَحُ
131	لَا يَحِلُّ لِأَمْرِيٍّ مُسْلِمٍ أَنْ يَقْدِمَ عَلَى أَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ حَتَّى يَعْلَمَ حُكْمَ اللَّهِ فِيهِ
132	مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكْتَمَهُ أُلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنَ النَّارِ
132	نَضَرَ اللَّهُ امْرَأًا سَمِعَ مَقَالَتي فَوَعَاها فَأَدَّأها كَمَا سَمِعَهَا
134	أَعْلَمُكُمْ بِاللَّهِ أَشَدُّكُمْ لَهُ خَشْيَةً
134	رَأْسُ الْحِكْمَةِ خَشْيَةُ اللَّهِ
135	مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَسَيَخْلُوا بِهِ رَبُّهُ كَمَا يَخْلُوا أَحَدُكُمْ بِالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ أَوْ قَالَ لَيْلَتُهُ
135	يَا بَنَ آدَمَ مَا غَرَّكَ بِي ابْنُ آدَمَ مَا غَرَّكَ بِي ابْنُ آدَمَ مَا عَمِلْتَ مِمَّا عَلِمْتَ، ابْنُ آدَمَ مَا أَجَبْتَ الْمُرْسِلِينَ
137	إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى
137	نِيَّةُ الْمُؤْمِنِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ

137	إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ نَزَلَ إِلَى الْعِبَادِ لِيَقْضِيَ بَيْنَهُمْ وَكُلُّ أُمَّةٍ جَائِيَةٌ فَأَوَّلُ مَا يُدْعَى بِهِ رَجُلٌ جَمَعَ الْقُرْآنَ.....
138	إِنَّ الْعَبْدَ لَيَنْتَشِرُ لَهُ مِنَ الذِّكْرِ وَالتَّنَاءِ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا يَزُنُّ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ
138	العلماء أمانة الرُّسُلِ عَلَى عِبَادِ اللَّهِ مَا لَمْ يُخَالِطُوا السَّلَاطِينَ فَإِذَا خَالَطُوهُمْ فَقَدْ خَانُوا الرُّسُلَ فَاحْذَرُوهُمْ....
138	يُخْرَجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ رَجَالٌ يَخْتَلُونَ الدُّنْيَا بِالدِّينِ
138	هَلَاكُ أُمَّتِي عَالَمٌ فَاجِرٌ وَعَابِدٌ جَاهِلٌ وَشَرُّ الشَّرَارِ جِبَارُ الْعُلَمَاءِ وَخَيْرُ الْخِيَارِ خِيَارُ الْعُلَمَاءِ تَلْبِيَةً.
139	يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ بَنِي سُلَيْمَةَ إِلَّا مُقَاتِلٌ فَمِنْهُمْ مَنْ الْقِتَالِ طَبِيعَتُهُ وَمِنْهُمْ....
140	يَا رَسُولَ اللَّهِ الرَّجُلُ يَعْمَلُ الْعَمَلَ فَيُخْفِيهِ فَيَطْلُعُ عَلَيْهِ النَّاسُ فَيَسِرُّهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُ أَجْرُ السِّرِّ وَأَجْرُ الْعَلَانِيَةِ.
140	اطْلَعْتُ لَيْلَةَ الْمَعْرَاجِ عَلَى النَّارِ فَوَجَدْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ....
140	مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ
140	مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ
140	أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَضَعُ أَجْنَحَتَهَا لَطَالِبِ الْعِلْمِ رَضَى بِمَا يَصْنَعُ
141	مَا أَعْمَالُ الْبِرِّ كُلُّهَا فِي الْجِهَادِ إِلَّا كَبْصُقَةٌ فِي بَحْرِ وَمَا أَعْمَالُ الْبِرِّ كُلُّهَا وَالْجِهَادُ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ إِلَّا كَبْصُقَةٌ فِي بَحْرٍ
141	أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ فَقَالَ الصَّلَاةُ لِأَوَّلِ مِيقَاتِهَا فَذَلِكَ فِي الْفَرَائِضِ وَأَمَّا النَّوَافِلُ فَطَلَبُ الْعِلْمِ أَفْضَلُ مِنْهَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

141	مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا لِيُحْيِي بِهِ الْإِسْلَامَ لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ إِلَّا دَرَجَةٌ.
141	الباب من العلم يتعلمه الرجل عمل به أو لم يعمل خير له من ألف ركعة من تطوع وفي أخرى: حضور مجلس علم خير من صلاة وعبادة ألف مريض وشهود ألف جنازة قليل ومن قراءة القرآن، قال وهل ينفع القرآن إلا بالعلم
141	مَنْ حَفِظَ مِنْ أُمَّتِي أَرْبَعِينَ حَدِيثًا فِي أَمْرِ دِينِهِ بَعَثَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي زُمرَةِ الْعُلَمَاءِ، وفي أخرى: لَقِيَ اللَّهُ فَقِيهًا عَالِمًا
142	إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ حَتَّى النَّمْلَةِ فِي جُحُورِهَا حَتَّى الْحَوْتِ يُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرِ
142	مَنْ نَفَسَ عَنْ أَخِيهِ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ.....
142	مَا أَحْسَنَ الْإِيمَانُ يُزِينُهُ الْعِلْمُ وَمَا أَحْسَنَ الْعِلْمَ يُزِينُهُ الْعَمَلُ وَمَا أَحْسَنَ الْعَمَلَ يُزِينُهُ الرَّفْقُ وَمَا أَضْفَتَ شَيْئًا.....
144	مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ
144	لَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصَّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صَدِّيقًا....
146	كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَارِزًا يَوْمًا لِلنَّاسِ فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: مَا الْإِيمَانُ ؟ قَالَ: الْإِيمَانُ أَنْ تَوْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ.....
147	فِي خَمْسٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ ثُمَّ تَلَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ.

147	قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ، قَالَ: لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ
149	تَكُونُ فِتْنٌ فِي آخِرِ الزَّمَانِ يُضْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا إِلَّا مَنْ أَجَارَهُ اللَّهُ بِالْعِلْمِ
150	الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ بَابًا أَعْلَاهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَدْنَاهُ إِمَاطَةُ الْأَدَى مِنَ الطَّرِيقِ
150	أَيُّ الْخَلْقِ أَعْظَمُ إِيمَانًا قَالُوا الْمَلَائِكَةُ، فَقَالَ: وَلِمَ لَا يَكُونُونَ كَذَلِكَ....
150	الْإِيمَانُ يَبْدُو كَاللَّمْعَةِ الْبَيْضَاءِ فَإِذَا عَمِلَ الْعَبْدُ.....
152	فِكْرَةُ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سَنَةٍ
156	مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ
156	قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيْنَ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ
156	لَمْ يَسْغِنِي أَرْضِي وَلَا سَمَائِي وَوَسَّعَنِي قَلْبُ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ اللَّيِّنِ الْوَرَعِ
157	كَانَ اللَّهُ وَلَا شَيْءَ مَعَهُ وَهُوَ الْآنَ عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانَ
161	أَصْدَقُ بَيْتٍ قَالَتِ الشُّعْرَاءُ: أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ
168	أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلِكٍ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ وَعَاتِقِهِ مَسِيرَةَ سَبْعِ مِائَةِ سَنَةٍ
173	عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ فَيَقُولُ رِضْوَانُ خَازِنِهَا.....
174	[أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا سَيِّدُ النَّاسِ وَآدَمَ فَمَنْ دُونَهُ تَحْتَ لَوَائِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَوْ كَانَ مُوسَى وَعِيسَى حَيِّينَ مَا وَسِعَهُمَا إِلَّا اتِّبَاعِي....

175	دخلت المسجد، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس، فجلست إليه فقال: يا أبا ذر للمسجد...
183	اعدد سباً بين يدي الساعة: موتي ثم فتح بيت المقدس، ثم موتان يأخذ فيكم كغصاص الغنم.....
184	قد أفلح أمتي أنا أولها وعيسى آخرها
185	فمن أدرك الدجال منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف
185	من قرأ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال
185	ليصحبن الدجال أقوام يقولون إنا لنعلم أنه كاذب ولكننا نصحبه لنأكل طعامه ونرعى من الشجر فإذا نزل غضب من الله نزل بهم كلهم....
186	يلبث عيسى بن مريم في الأرض أربعين سنة لو يقول للبطحاء سيلي عسلاً لسالت، وورد أنه لا يموت أحد في زمانه.....
187	لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون
190	أن نفخة الفزع تمتد وأن ذلك يوم الجمعة في النصف من شهر رمضان فيسير.....
190	والموتى لا يعلمون شيئاً من ذلك قلت يا رسول الله فمن استثنى الله.....
191	يقول الله جل ثناؤه يوم القيامة، يا آدم فيقول لبيك يا ربنا وسعديك، فيقول: أخرج بعث النار....
191	تسع مائة وتسعة وتسعون من يأجوج ومأجوج إلى النار وواحد منكم إلى الجنة وما أنتم في الأمم إلا كالشعرة....

192	أَنْ مُنْكَرًا وَنَكِيرًا يَنْزِلَانِ بِالْمَيِّتِ فِي قَبْرِهِ وَهُمَا فَظَانِ غَلِيظَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ يَسْأَلَانِيهِ، فَقَالَ لَهُ عَمْرٍ: وَأَنَا كَمَا أَنَا الْآنَ فَقَالَ لَهُ: نَعَمْ إِذَا أَخَاصِمُهِمَا.....
193	إِذَا مَاتَ الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ لَهُ الْقَبْرُ مَرْحَبًا أَهْلًا، فَسْتَرَى...
194	أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اجْتَاَزَ عَلَى قَبْرَيْنِ فَقَالَ هَذَانِ يُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ وَإِنَّهُ لَكَبِيرٌ، أَحَدُهُمَا كَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ.....
194	لَا يُعَذَّبُ أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ فِي قَبْرِهِ إِلَّا فِي أَحَدِ الثَّلَاثَةِ: النَّمِيمَةُ وَالْغِيْبَةُ، وَالتَّبَوُّلُ
194	أَتَدْرُونَ فِيمَنْ أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ....
195	مَنْ كَذَّبَ بِعَذَابِ الْقَبْرِ فَلَا يَنْجُو مِنْهُ إِلَى يَوْمِ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَمَنْ كَذَّبَ شَفَاعَتِي....
196	يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ أَجْمَعُونَ أَعْلَاهُمْ وَأَسْفَلُهُمْ عَلَى قَدٍ وَاحِدٍ فِي طَوْلِ آدَمِ سِتُونَ....
199	تَقْدِيرُهُ مُحَلَّبٌ شَاةٌ أَوْ بَقَرَةٌ أَوْ مِقْدَارٌ مَا تُصَلِّي فِيهِ رُكْعَتَا الْفَجْرِ أَوْ مِقْدَارٌ مَا تَقْرَأُ فِيهِ أَمَ الْقُرْآنِ....
199	يَقْصُرُ يَوْمِيذٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَتَّى يَكُونَ كَوَقْتِ الصَّلَاةِ
200	فَاطِمَةُ وَعَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَتِ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا: أَيْنَ أَجْدُكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ: عِنْدَ اللِّوَاءِ مَعِيَ الْأَنْبِيَاءُ فَإِنْ لَمْ تَقْدِرِي فَعِنْدَ الْمِيزَانِ فَإِنْ لَمْ تَقْدِرِي عِنْدَ الصِّرَاطِ
200	هَلْ يَذْكُرُ أَحَدٌ حَبِيبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ لَا قَالَ: أَمَّا فِي ثَلَاثَةِ مَوَاطِنَ فَلَا؛ عِنْدَ الْمِيزَانِ حَتَّى يَعْلَمَ أَثْقَلَ مِيزَانَهُ....

202	قالَ ملكٌ بالميزانِ فيؤتَى بابنِ آدمَ فيوقَّفُ بينَ كَتِفَي الميزانِ فإنْ ثقلتْ موازينُهُ نادى ملكٌ بصوتٍ يُسمِعُ الخلائقَ....
203	بالرِّقَّةِ كالشَّعْرِ والحدِّ كالسَّيْفِ وأكثرَ في بساطته
204	وَكَلَّتْ بِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيْدٍ وَلَهِيَ بِهِمْ أَعْرَفُ مِنَ الْوَالِدَةِ بَوْلِهَا
204	مَنْ يَمُرُّ كَالْبَرْقِ الْخَاطِفِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالرَّيحِ الْهَاتِفِ....
204	إِنَّ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ سِتَّةَ عَشَرَ مَحْبَسًا أَوَّلُهَا يَسْأَلُ عَنِ الْإِيمَانِ والثاني عن الصلاة والثالث عن الصيام.....
204	من كَذَبَ بِحَوْضِي فلا يَشْرَبُ يومَ الْقِيَامَةِ
205	قالت عائشة رضي الله عنها: دخلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فقال: يا عائشة إن الله أعطاني نهراً في الجنة يُقال له الكوثرُ ليس أحدٌ من أمتي يشاء أن يسمَعَ خَرِيرَ ذلك الكوثرِ....
206	هلموا هلموا فيقال له: قد بدّلوا وغيّروا بعدك ويقول: فسحقا فسحقا أي بُعْدا
206	أَرَأَيْتَ لو كَانَ لِلرَّجُلِ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ، فِي خَيْلٍ دُهُمَ لَهُمْ لَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ، قَالُوا بلى يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ....
207	من كَذَّبَ بِشَفَاعَتِي لم تتلَّهُ يومَ الْقِيَامَةِ.
207	خُيِّرْتُ بَيْنَ الشَّفَاعَةِ وَبَيْنَ أَنْ يَدْخُلَ شَطْرُ أُمَّتِي الْجَنَّةَ فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ لِأَنَّهَا أَعَمَّ.
208	إذا كان يومَ الْقِيَامَةِ فَأُشْفَعُ لِمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنَ الْإِيمَانِ وَلِمَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنَ الْإِيمَانِ حَتَّى لَا يَبْقَى لِمَنْ فِي قَلْبِهِ إِيمَانٌ.
208	شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي.
209	أَبِي وَأَبُوكَ فِي النَّارِ وَاللَّهُ أَكْرَمُ وَأَعْدَلُ.

209	لِيُؤْفِيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ قَالَ: أَجُورَهُمْ: يُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ: الشَّفَاعَةُ لِمَنْ وَجِبَتْ لَهُ النَّارُ، مِمَّنْ صَنَعَ إِلَيْهِ الْمَعْرُوفَ فِي الدُّنْيَا
209	يُضْطَفُّ النَّاسُ صَفُوفًا، وَقَالَ ابْنُ نَمِيرٍ: أَهْلُ الْجَنَّةِ، فَيَمُرُّ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عَلَى الرَّجُلِ...
210	أَنَّ الرَّجُلَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَبْلَ قَرَابَتِهِ فَيَقُولُ: أَيُّنَ أَبِي؟ أَيُّنَ أُمِّي؟ أَيُّنَ ابْنِي أَيُّنَ زَوْجَتِي؟ فَيُلْحَقُونَ بِهِ لِصِلَاتِهِمْ
210	يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ شَفَعْتُ الْمَلَائِكَةَ وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ....
210	قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا فَرَّغَ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ خَلْقِهِ أَخْرَجَ كِتَابًا مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ....
211	التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ
212	اشْتَكَّتْ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا فَقَالَتْ: رَبِّ أَكَلْتُ بَعْضِي بَعْضًا فَأَذِنَ لَهَا بِنَفْسَيْنِ نَفْسٍ فِي الشِّتَاءِ وَنَفْسٍ فِي الصَّيْفِ أَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الْحَرِّ وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهِرِيرِ
213	يَا رَسُولَ اللَّهِ رَأَيْتُكَ تَتَاوَلْتَ شَيْئًا فِي مَقَامِكَ هَذَا ثُمَّ رَأَيْتُكَ تَكْغَكْغَتَ فَقَالَ: إِنِّي رَأَيْتُ الْجَنَّةَ.....
213	وَأَمَّا الْجَنَّةُ فَإِنَّ اللَّهَ يَنْشِئُ لَهَا خَلْقًا.
214	أَنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ الْمَجْدُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا....
214	[سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ عَنْ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً وَأَنَّهُ رَجُلًا يَأْتِي بَعْدَمَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ فَيَقُولُ لَهُ أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مَا كَانَ لِمَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا.....

216	أدنى أهل الجنة الذي له ثمانون ألف خادم واثنان وسبعون زوجة وتنصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت....
216	أَنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ سَنَةٍ، لَا يَقْطَعُهَا وَلَقَابُ قَوْسٍ أَحَدِكُمْ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ أَوْ تَغْرُبُ.
217	إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ شُبَّانٌ جُرْدٌ مُرْدٌ لَيْسَ لَهُمْ شَعْرٌ إِلَّا فِي الرَّأْسِ وَالْحَاجِبِينَ وَأَشْفَارِ الْعَيْنَيْنِ، لَمْ يَكُنْ لَهُمْ عَانَةٌ وَلَا شَعْرٌ إِلَّا بِطِ، وَهُمْ أَبْنَاءُ ثَلَاثِ وَثَلَاثِينَ سَنَةً بَيَضُ الْوَجْهِ خَضِرُ الثِّيَابِ.
217	إِنَّ فِي الْجَنَّةِ أَسْوَاقًا لَا شِرَاءَ فِيهَا وَلَا بَيْعَ يَجْتَمِعُونَ فِيهَا حَلَقًا يَتَذَاكِرُونَ فِيهَا كَيْفَ.....
218	سَتْرُونَ رُبُكُم كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ وَلَا تُضَامُونَ وَتُضَارُونَ فِي رُؤْيَيْهِ.
219	أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ إِذَا اسْتَقَرُّوا فِيهَا وَحَصَلَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرٌ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ
222	سُرَادِقُ النَّارِ أَرْبَعَةٌ، جِدْرٌ كَثِفٌ، عَرْضُ كُلِّ جِدَارٍ مَسِيرَةُ أَرْبَعِينَ سَنَةً.
222	الزبانية يوم القيامة أسرع إلى فسقة حملة القرآن، منهم إلى عبدة الأوثان يقولون ليس من علم كمن لم يعلم.
222	قُلْتُ يَا جَبْرِيلُ صِفْ لِي جَهَنَّمَ قَالَ: نَعَمْ يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا خَلَقَ جَهَنَّمَ أَوْقَدَ عَلَيْهَا أَلْفَ عَامٍ فَاخْمَرَتْ، ثُمَّ أَوْقَدَ عَلَيْهَا أَلْفَ عَامٍ فَابْيَضَتْ ثُمَّ أَوْقَدَ عَلَيْهَا أَلْفَ عَامٍ فَاسْوَدَتْ....
224	إِذَا أَرَادَ الْعَصَاءُ الْمَوْحِدُونَ أَنْ يَدْخُلُوا النَّارَ فَيَبْسِمُونَ فَتَبَاعَدَتْ النَّارُ مِنْهُمْ مَسِيرَةَ خَمْسِ مِائَةِ عَامٍ....

225	إِنَّ أَهْلَ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي، الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَلَمْ يَتُوبُوا، يُعَذَّبُونَ فِي البَابِ الْأَعْلَى وَاسْمُهُ جَهَنَّمُ، ثُمَّ بَكَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَكَى مَعَهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ
225	التَّائِبَ مَنْ ذَنْبِهِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ
226	أَنْ مَا بَيْنَ كَتْفَيْهِ مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ عَامٍ
226	مَا مِنْ دَارٍ وَلَا حُجْرَةٍ إِلَّا وَأَنَا أَنْظُرُ فِيهَا مِائَةَ مَرَّةٍ فَأَقُولُ: يَا مَعْشَرَ أَهْلِ الدُّنْيَا لَا تَبْكُوا عَلَى مَا مَضَى وَابْكُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِنْ لِي فِيكُمْ عَوْدَةٌ ثُمَّ عَوْدَةٌ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْكُمْ وَاحِدٌ
228	إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عَاقِلَةٌ مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً فِي مِثْلِ ذَلِكَ ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ الْمَلَكَ فَيَنْفُخُ فِيهِ
229	أَفَلَا نَتَكَلَّمُ عَلَى اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ أَعْمَلُوا فِكْلًا مُبَسَّرًا لِمَا خُلِقَ لَهُ
230	اللَّهُمَّ إِنْ أُمْسَكَتَ نَفْسِي فَاغْفِرْ لَهَا وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ....
231	يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ وَفِي صَلَاةِ الْعَصْرِ.
231	أَنَّهُمْ يَصْحَبُونَ النَّاسَ وَقَتَ التَّكْلِيفِ لَا قَبْلَ ذَلِكَ
231	أَنْ مَقْعَدَ الْمَلَائِكَةِ عَلَى الشَّفَتَيْنِ قَلَمُهُمَا اللِّسَانُ وَمِدَادُهُمَا الرِّيقُ
232	أَنْ مَقْعَدَهُمَا تَحْتَ الشَّفَةِ وَكَانَ يُطَيَّبُ عَنَفَقَتُهُ لِذَلِكَ
232	إِذَا فَنِيَتْ أَيَّامُ الدُّنْيَا عَنْ هَذَا الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ بَعَثَ اللَّهُ إِلَى نَفْسِهِ مَنْ يَتَوَقَّاهَا قَالَ فَقَالَ صَاحِبَاهُ اللَّذَانِ يَحْفَظَانِ عَلَيْهِ عَمَلَهُ.....
233	أَنَّهُمَا يَجْلِسَانِ عَلَى الْقَبْرِ يَسْتَغْفِرَانِ لِلْمُؤْمِنِ

233	أَنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ يَا رَبِّ أَلَيْسَ وَعَدْتَنِي أَلَّا تَظْلِمَنِي قَالَ فَإِنَّ ذَلِكَ لَكَ قَالَ فَإِنِّي لَا أَقْبَلُ عَلَيَّ شَاهِدًا إِلَّا مِنْ نَفْسِي قَالَ فَيُخْتَمَ عَلَى فِيهِ وَتَتَكَلَّمُ أَرْكَائُهُ....
234	الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْأَحْمَقُ مَنْ اتَّبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِي
234	اعْمَلُوا فِكْلٌ مُسَيَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ
235	يَمُوتُ الْمَرْءُ عَلَى مَا عَاشَ عَلَيْهِ وَيُبْعَثُ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ.
235	مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ
235	أُيْحَشَرُ مَعَ الشَّهَدَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَدٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ نَعَمْ مَنْ ذَكَرَ الْمَوْتَ فِي الْيَوْمِ عَشْرِينَ مَرَّةً.
236	إِذَا عَايَنَ الْمُؤْمِنُ الْمَوْتَ قَالَتْ لَهُ الْمَلَائِكَةُ نَرْجِعُكَ فَيَقُولُ إِلَى دَارٍ....
237	ارْقُبُوا الْمَيِّتَ عِنْدَ ثَلَاثَةِ: إِذَا رَشَّحَ جَبِينُهُ، وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ، وَبَسَّتْ شَفَتَاهُ، فَذَلِكَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى تَنْزِلُ بِهِ، وَإِذَا غَطَّ غَطِيظَ الْمَجْنُونِ...
237	عَنْ أَنَسٍ قَالَ: مَرَوْا بِجَنَازَةٍ فَأَتَتْهُا عَلَيْهَا خَيْرًا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجِبَتْ، ثُمَّ مَرَوْا بِأُخْرَى....
238	يُوشَكُّ أَنْ تَعْرِفُوا أَهْلَ الْجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، قَالُوا رَسُولَ اللَّهِ بِمَ؟ قَالَ بِالتَّنَاءِ الْحَسَنِ....
238	قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَهْلُ الْجَنَّةِ قَالَ مَنْ لَا يَمُوتُ حَتَّى تَمْلَأَ مَسَامِعُهُ بِمَا يُحِبُّهُ، قِيلَ فَمَنْ أَهْلُ النَّارِ؟ قَالَ مَنْ لَا يَمُوتُ حَتَّى تَمْلَأَ مَسَامِعُهُ بِمَا يَكْرَهُهُ.

238	أَنَّ رَجُلًا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ أَدْخُلُ بِهِ الْجَنَّةَ، فَقَالَ لَا تَغْضَبُ.
238	فَقَالَ مَتَى أَعْلَمُ أَنِّي مُحْسِنٌ قَالَ إِذَا قَالَ جِيرَانُكَ مُحْسِنٌ فَإِنَّكَ مُحْسِنٌ وَإِذَا قَالُوا أَنْكَ مُسِيءٌ فَأَنْتَ مُسِيءٌ.
238	مَرَّتْ جَنَازَةٌ بِابْنِ مَسْعُودٍ فَقَالَ لِرَجُلٍ قُمْ فَانْظُرْ أَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ هُوَ أَمْ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَقَالَ الرَّجُلُ مَا يُدْرِينِي قَالَ فَانْظُرْ مَا ثَنَاءُ النَّاسِ عَلَيْهِ فَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ.
240	لَا تُكْرِهُوا مَرْضَاكُمْ عَلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُطْعِمُهُمْ وَيَسْقِيهِمْ.
240	أَنِينُ الْمَرِيضِ تَسْبِيحٌ، وَصِيَاخُهُ تَهْلِيلٌ، وَنَفْسُهُ صَدَقَةٌ، وَنَوْمُهُ عِبَادَةٌ وَتَقْلُبُهُ مِنْ جَانِبٍ إِلَى جَانِبٍ جِهَادٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَيَكْتُبُ اللَّهُ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ أَكْثَرَ مِمَّا كَانَ يَعْمَلُهُ فِي الصِّحَّةِ
240	فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا عَلَى الْأَرْضِ مُسْلِمٌ يُصِيبُهُ مَرَضٌ فَمَا سِوَاهُ إِلَّا حَطَّ اللَّهُ عَنْهُ خَطَايَاهُ كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا.
240	الْحُمَى حِطٌّ كُلُّ مُؤْمِنٍ مِنَ النَّارِ
240	جَاءَتْ الْحُمَى عَلَى وَجْهِ شَبَّهِ امْرَأَةٍ سَوْدَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهَا مَنْ أَنْتِ قَالَتْ أَنَا أُمٌ مِلْدَمٌ، قَالَ: وَمَا أُمٌ مِلْدَمٌ.....
241	قَالَ رَبِّكُمْ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا أَخْرِجُ عَبْدًا مِنَ الدُّنْيَا وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَرْحَمَهُ حَتَّى أَوْفِيَ كُلَّ خَطِيئَةٍ عَمِلَهَا بِمَرَضٍ أَوْ ضَيْقٍ عَيْشٍ....
241	الْمَرِيضُ ضَيْفٌ يَرْفَعُ لَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ عَمَلٌ سَبْعِينَ شَهِيدًا فَإِنْ عَافَاهُ اللَّهُ مِنْ مَرَضِهِ فَهُوَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ، فَإِنْ غَلَبَتْهُ الْمَوْتُ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ.

242	لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ.
242	من عادَ مريضًا أو زارَ أخاهُ في الله ناداهُ منادٍ أن طَبَّبْتُ وطابَ ممشاكَ وتبوأَت من الجَنَّةِ منزلًا.
243	من عادَ مريضًا لم يَزَلْ في حُرْفَةِ الجَنَّةِ حتى يَرْجِعَ ، قيلَ يا رسول الله وما حُرْفَةُ الجَنَّةِ؟ قال جنائِها.
243	أَذْهَبَ البَاسَ رَبِّ النَّاسِ إِشْفِ أَنْتَ الشَّافِي لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ شِفَاءً لَا يَغَادِرُ سُقْمًا.
243	من عادَ مريضًا ولمْ يَحْضُرْ أَجْلُهُ، فَقَالَ عِنْدَ رَأْسِهِ سَبْعَ مَرَاتٍ: أَسْأَلُ اللهَ العَظِيمَ رَبَّ العَرشِ العَظِيمِ أَنْ يُشْفِيَكَ إِلَّا....
244	اقْرءوا سورة يس عند موتاكم
244	من قرأ يس على رأس المريض أو على قبر الميت أعطاه الله يوم القيامة بكل آية ألف مدينة في الجنة من مدينة إلى مدينة ألف فرسخ وكتب الله له بكل شعرة من قرنه إلى قدميه ألف حسنة وزوجه ألف حور في الجنة.
244	إن للموتِ سكراتٍ اللهم اغفر لي وارحمني وألحني بالرفيق الأعلى، اللهم أعني على غمرات الموت وسكرات الموت.
245	لقنوا موتاكم لا إله إلا الله فإنها تهدم الذنوب هدمًا، قال فإن قالها في حياته قال أهدم وأهدم
245	من كان آخر كلامه لا إله إلا الله ومن مات وهو يعلم لا إله إلا الله دخل الجنة
245	الموت غصن شوك قد أدخل في جوف أحدكم فأخذت كل شوكة بعرق ثم جذبه رجل شديد الجذبة.....

246	أنه رأى ملك الموت عند رأس رجل من الأنصار فقال يا ملك الموت أرفق بصاحبي هذا فإنه مؤمن فقال له يا محمد أبشر فأنا بكل مؤمن رفيق.
246	سمعتُ النبي صلى الله عليه وسلم يقول قبل وفاته بثلاث لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل.
246	قال الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي فليظن به ما شاء.
247	الله أرحم بعبده المؤمن من الوالدة بولدها.
247	اللهم اغفر لي وارحمني وألحِقني بالرفيق الأعلى.
248	إن الميت يُبعث في ثيابه التي مات فيها ويُستحب استقبال القبلة به كالميت في قبره وإلا فعلى ظهره ورجلاه إلى القبلة.
248	اغمضوا موتاكم فإن البصر يتبع الروح
249	قال مات ميت من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمع النساء يبكين فقام عمر فنهاهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعهن يا عمر إن العين دامعة والفؤاد مصاب والعهد قريب.
249	لما مات عثمان بن مضعون كشف النبي صلى الله عليه وسلم الثوب عن وجهه وقبل بين عينيه وبكى بكاء طويلا فلما رفع السرير قال طوبى لك يا عثمان لم تلبسك الدنيا ولا تلبستها
249	ما مات مؤمن في غربة غابت عنه فيها بواكيه إلا بكث عليه السماء.
250	ما تجرع عبد قط جرعة أحب إلى من جرعتين جرعة غضب ردها بجلم وجرعة مصيبة.....
250	اغسلنها ثلاثا أو خمسا أو سبعا إن رأيتن ذلك وابدأن بالميا من قبل المياسر وابدأن بأعضاء الوضوء واغسلنها بماء وسدر واجعلن في الأخيرة كافورا.

251	لا تنظروا إلى عورة الميت عند غسله، فإني أخاف أن تشقّ حدقاتكم جميعا وتلعنكم الملائكة ويكتب عليكم بكل شعرة على ذلك الميت من قرنه إلى قدميه ستون خطيئة...
251	من غسل ميتا كتب الله له بكل شعرة على جسد ذلك الميت عشرين ألف حسنة ورفع له عشرين ألف درجة...
252	إذا حمل الميت تفرفت روحه فوق نعشه ويقول: لا تلعب بكم الدنيا كما لعبت بي.
252	إذا وضعت الجنازة فاحتملها الرجال على أعناقهم فإن كانت صالحة قالت، قدّموني قدّموني، وإن كانت غير صالحة قالت يا ويلها أين يذهبون بي.
252	أن روحه تنظرهم حتى إذا أرادوا أن يسدوا قبره نزل فيه وجلس عند جسده، فيسمع خفق نعالهم حتى إذا لم يسمع شيئا، فإذا بملكٍ فيدخل روحه في جسمه فيجلسه فيقول له اكتب...
252	ما من أحدٍ يموت إلا ندم، قالوا وما ندامته يا رسول الله قال إن كان مُحسِنًا ندم ألا يكون ازداد وإن كان مُسيئًا ندم ألا يكون نزع...
253	من تبع جنازة مسلم إيمانا واحتسابا وكان معها حتى يُصلى عليها ويفرغ من دفنها فإنه يرجع من دفنها بقيراطين كل قيراطٍ مثل أخذ، يعني ثوبا ومن صلى عليها ثم رجع قبل أن تُدفن فإنه يرجع بقيراط.
253	من صلى على ميتٍ مسلمٍ صلى عليه جبريل مع سبعين ألف ملكٍ وغفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر.

253	من صَلَّى عليه أمةٌ تبلغ أربعين رجلاً لا يُشركون بالله شيئاً يُذعنون له إلا وتَقَبَّلَ اللهُ دعائهم فيه ولو كان عاصياً.
253	ما من ميتٍ صَلَّيْتُ عليه أمةٌ تبلغ مائة يستشفعون له إلا تقبلَ اللهُ شفاعتهم فيه
254	حفر القبور من الجهادِ وزيارةُ الإخوان من الجهادِ وعبادةُ المريض من الجهادِ
254	أفضلُ الجهادِ حفرُ القبور وزيارةُ الإخوان ومغزلُ النساءِ فمن حفر قبراً أعطاهُ اللهُ ثوابَ ستين شهيداً ومن زار أخاه في اللهُ أعطاه اللهُ ثوابَ أربعين نبياً وأعطى اللهُ لهذه المرأة الغزاة ما دامت على مغزلها أجرَ ستين حجةً، وكتب اللهُ لها بكل طاقةٍ أجرَ تسبيحةٍ وذلك مثلَ جبل أُحُد مرتين.
254	القبرُ إذا ضَيَّقَ لا يُسمعُ صاحبه الأذان وإذا زاره أحدٌ من أحبائه أو أخ في اللهُ لا يدري من يزوره فلا تضيقوا قبورَ موتاكم وسعوا عليهم ليسمعوا الأذان والدعاء.
255	من ساقَ لينةً واحدةً للمقابرِ بنا اللهُ له بيتاً في الجنةِ وزوجهُ أربعين حوراء، ويروى لا يأتي على الميتِ أشدُّ من أولِ ليلةٍ ،فبييتُ في قبره
255	سألتُ جبريلَ عليه السلام فقلتُ الموتُ في أي يومٍ أحبُّ إليك فقال يوم الجمعةِ وبعدهُ يوم الأحدِ يا محمد.
255	لأنَّ الميتَ يتأذى بالجارِ السوء كما يتأذى به الحيُّ.
256	الميتُ في قبره كالغريقٍ ينتظر دعوةً تلحقه من ابنه أو أخيه أو صديق له، فإذا لحقته كانت له أحبَّ من الدنيا وما فيها.

256	إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاثة: صدقة جارية وعلم يبيته في صدور الرجال مُنتفع به وولد صالح يدعو له
256	السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون.
257	اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساوئهم.
257	لا تسبوا الأموات فإنهم أفضوا إلى ما قدموا.
257	إذا رُفِعَ العذاب عن أهل القبور خربت قبورهم فإذا رأيتُموها خرابا فاعلموا أن الله تعالى قد غفر لأهلها فاستغفروا ربكم واسألوه أن يرحمكم كما رحم أولئك الميتين.
258	أحسنوا الدفن ولا تودوا موتاكم بالعويل ولا بالتزكية، ولا بتأخير الوصية، وعجلوا قضاء دينه عنه، وإذا حفرتم قبره فلا تغمقوا ووسعوه واعزلوه عن جيران الشوء، ولا تجصصوا القبور....
259	ما من مسلم يمُرُّ على قبر أخيه كان يعرفه في الدنيا يُسلم عليه إلا عرفه وردَّ عليه السلام وإن لم يعرفه ردَّ.....
260	سألت ربي اللاهين من ذرية البشر ألا يُعذبهم فأعطانيهم.
260	أولاد المشركين خدَم أهل الجنة
260	وأما الرجل الطويل الذي في الروضة فإنه إبراهيم عليه السلام وأما الولدان حوله فكل مولود يولد على الفطرة قال فقيلا رسول الله وأولاد المشركين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولاد المشركين
260	والصبيان حوله أولاد الناس
260	ما قدَّمَ الرجل شيئا بين يديه أقرب إلى الله تعالى وهو لاقية وأعظم أجرا من ولد قدَّمه بين يديه ابن اثنتي عشرة سنة.
261	من مات له ثلاثة أولاد لم يلج النار إلا تحلة اسملق.

261	يَأْتِي الصَّبِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقَالُ لَهُ ادْخُلِ الْجَنَّةَ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَبْوِي فَيَقُولُ لَهُ ادْخُلِ الْجَنَّةَ، ثَانِيًا وَثَالِثًا فَلَا يَزَالُ يَشْفَعُ فِي أَبْوِيهِ حَتَّى يُشْفِعَهُ اللَّهُ فِيهِمَا فَيَدْخُلُهُمْ جَمِيعًا الْجَنَّةَ.
261	السَّقَطُ يَشْفَعُ لِأَبْوِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
261	لَأَنْ أَقْدِمَ سَقَطًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَرَكَ بَعْدِي مَائَةً وَلَدٍ فَرَسَانَا كُلُّهُمْ يِقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.
261	لَا يَحِلُّ لَامْرَأَةٍ تَوْمُنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ تَحِدَّ عَلَى مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ إِلَّا عَلَى زَوْجِهَا أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا.
261	مَنْ أُصِيبَ بِمُصِيبَةٍ فَيَقُولُ كَمَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ اللَّهُمَّ أَجْزِنِي فِي مُصِيبَتِي وَاعْقُبْنِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا فَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ بِهِ.
262	إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَمُحَمَّدٌ رَسُولِي فَمَنْ اسْتَسْلَمَ لِقَضَائِي وَصَبَرَ عَلَى بَلَائِي وَشَكَرَ نِعْمَائِي كَتَبْتُهِ صِدِّيقًا وَبَعَثْتُهُ مَعَ الصِّدِّيقِينَ وَمَنْ لَمْ يَسْتَسْلِمْ لِقَضَائِي وَلَمْ يَصْبِرْ عَلَى بَلَائِي وَلَمْ يَشْكُرْ نِعْمَائِي فَلْيَتَّخِذْ إِلَهَا سِوَائِي.
262	مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ
262	اصْنَعُوا لَالَ جَعْفَرَ طَعَامًا فَقَدْ نَزَلَ بِهِمْ مَا يَشْغَلُهُمْ
263	إِنَّكَ لَنْ تَدَعَ شَيْئًا لِلَّهِ إِلَّا عَوَّضَكَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهُ
263	لَا يَبْلُغُ أَحَدٌ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ حُلُوهُ وَمُرِّهِ، حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا يَصِيبُهُ لَمْ يَكُنْ يَخْطِيهِ وَأَنَّ مَا يُخْطِيهِ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ

263	مَنْ كَانَتْ فِيهِ ثَلَاثَةٌ فَكُتِمَ وَاحِدَةً فَقَدْ كَفَرَ شَهَادَةُ أ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وشهادة أن محمدا رسول الله وأنه مبعوث بعد الموت والإيمان بالقدر خيره وشره حلوه ومُره
263	يقول الله تعالى أنا لله لا إله إلا أنا خلقتُ الخيرَ وقدرتُه فطوبى لِمَنْ خلقتُه للخيرِ وخلقْتُ الخَيْرَ لَهُ وأجريتُ الخيرَ على يَدَيْهِ، أنا اللهُ لا إله إلا أنا خلقتُ الشرَّ وقدرتُه فويلٌ لِمَنْ خلقتُه للشرِّ وخلقْتُ الشرَّ لَهُ.....
264	لِكُلِّ أمةٍ مَجُوسٌ ومَجُوسٌ هذه الأمةُ القَدَرِيَّةُ
264	يَكْفُرُ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ قِيلَ لَهُ وَكَيْفَ ذَلِكَ قَالَ يُقْرُونَ بِبَعْضِ الْقَدَرِ وَيُكْفِرُونَ بِبَعْضِهِ قِيلَ لَهُ فَمَا يَقُولُونَ قَالَ يَقُولُونَ الْخَيْرُ.....
264	فاقضوا قضاء بينكم لو أراد الله ألا يعصى لما خلق إبليس....

فهرس الأعلام البشرية

الاسم	الصفحة
أبراهيم	170
ابن الخطيب	187
ابن الدهاق	202
ابن العربي	167-169-303-310-326-363-373-404
ابن القاسم	135-139-315-384-411
ابن المبارك	142-215-232-383
ابن بزيّة	191
ابن حبيب	229-392-410
ابن رشد الحفيد	150
ابن طلاع	209
ابن عباد الخطابي	184
ابن عباس	187-189-210-221-222-231-280
ابن عطاء الله السكندري	134-228-319-354-374
ابن عطية	167-405

ابن فرحون	337
ابن قاسم	229
ابن ماجة	209
ابن مسعود	134-228-238-246
ابن نمير	209
ابن وهب	138-179
أبو الطاهر الركاكي	230
أبو القاسم إسحاق بن إبراهيم	210
أبو المعالي	117-203
أبو بكر الصديق	132-205-264-315
أبو جعفر الطبري	188-213-219
أبو ذر	175-277
أبو زكريا التميمي	181
أبو سعيد الخدري	241-248-252-313-316
أبو هريرة	137-141-146-186-189-190-197- 199-207-238-240-242-249-261- 278-318-322-323-324-368-371- 385-388-401-402-414-415

161	أبو الحسن الشاذلي
124	أبو العباس أحمد بن ونيس
209-236	أبونعيم
135-185	أبي الدرداء
197	أبي بن خلف
191-210-388	أبي سعيد الخدري
145-247-303-306-346-349-363- 380-389-390-391-395-396-404	أحمد الزروق
170	ادريس
135-166-169-170-174-178-181- 190-193-196-207-216-220-221- 228-229-265-272-332-344-345- 347-372	آدم
171	آسية بنت مزاحم
157	أو عثمان المغربي
146-191-216-237-246-260-347- 391-414	البخاري
202-237-238-381	البيزار

التتائي	219
الترمذي	147-216-233-276-310-333-344- 382-392-402
الثعالبي	188
الجبائي	202
الجزولي	133-143-150-182-308-332-347
حبيب بن حجر القيسي	142
الخطابي	184
داوود	171
الربيع بن أنس	134
سعيد المسيب	135-405
سعيد بن جبير	210-323
سفيان الثوري	386
سليمان	189-381
سليمان بن عبد الملك	181
السهروردي	125
السيوطي	102-183-185-193-221

183-185-193-221	السيوطي
219-310-391-398	الشافعي
170-360	شعيب
170	صالح
170	طالوت
-188-213	الطبري
200-205-236-249-300-302-305- -340-388-395	عائشة
199-202-235-386	عبد الحي (العاقبة)
229	عبد الرحمان بن خالد
156-184-185-264-388	عبد الله بن عمر
205	عثمان بن عفان
215-248-302-318-361	علي بن أبي طالب
146-173-184-264-365-395	عمر بن الخطاب
183	عوف بن مالك
170	عيسى
106-411	الغزالي

فاطمة	200-225-342
فخر الدين الرازي	197-213-219-405-406
القاضي ابن رشد	130-315-320-393-404-411
القرطبي	206-207
لقمان	171
مالك	-224-219-183-179-139-136-135 -337-329-304-302-297-276-244
مُحمَّد السنوسي	363-125
محمد بن مريم المديوني	124-126
محمد صلى الله عليه وسلم	121-126-165-169-170-171-172- 173-174-193-204-205-207-211- 224-267-270-273-282-284-288- 291-318-359-364-369-377-397- 416
مريم بنت عمران	171
مسلم	131-210-216-228-237-240-243- 246-298-385
مطرف بن الشخير	167

معاذ بن جبل	139-147
موسى	170
نوح	170
هارون بن رباب	168
هود	170
وهب بن فقيه	181
يوسف بن أسباط	234

لائحة القبائل الريفية المجاورة لمركز تيزي عدنيت

الصفحة	القبيلة
31-40	قبيلة قلعية
15-30	قبيلة بني سعيد
15	قبيلة تافريست
13	قبيلة بني أولشيك
13-15-28- 31-32	قبيلة تمسمان
13-15-43- 32-48	قبيلة بني توزين
14-31	قبيلة مطالسة

فهرس الموضوعات المثبتة في المتن

المُقَدِّمَةُ في وُجوبِ تَعَلُّمِ الْعِلْمِ النَّافِعِ وفُضائلُ الْعِلْمِ والعُلَمَاءُ الْعَامِلِينَ : **Erreur ! Signet non défini.**

البَابُ الْأَوَّلُ في وُجوبِ مَعْرِفَةِ قَوَاعِدِ الْإِيمَانِ **Erreur ! Signet non défini.**

الفصل الأول في وُجوبِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ تَعَالَى ومَعْرِفَةِ الدَّلِيلِ عَلَى وجودِهِ وما يَجِبُ في حَقِّهِ تَعَالَى وما يَسْتَحِيلُ وما يَجُوزُ عَقْلاً... وكَذَا في حَقِّ الرِّسْلِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

Erreur ! Signet non défini.

الفصل الثاني في وُجوبِ الْإِيمَانِ بِمَلَائِكَةِ اللَّهِ تَعَالَى وكتَبِهِ الْمُنزَلَةِ وَجَمِيعِ رِسلِهِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ..... **Erreur ! Signet non défini.**

الفصل الثالث في الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وتَفَاصِيلِهِ. **Erreur ! Signet non défini.**

الفصل الرابع في الْإِيمَانِ بِأَحْوَالِ الْمَوْتِ أَسْعَدَنَا اللَّهُ بِلِقَائِهِ بِمَنِهِ **Erreur ! Signet non défini.**

البَابُ الثَّانِي في وُجوبِ مَعْرِفَةِ قَوَاعِدِ الْإِسْلَامِ وَالْعَمَلِ بِهَا وفيهِ فُصول **Erreur ! Signet non défini.**

الفصل الأول في مَعْنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَحُكْمُهَا وَفَضْلُهَا **Erreur ! Signet non défini.**

الفصل الثاني في الصَّلَاةِ فَرَضًا وَنَقْلًا وَأَدَابُهَا **Erreur ! Signet non défini.**

الفصل الثالث في الصَّوْمِ وَأَدَابِهِ وَالْإِعْتِكَافَ **Erreur ! Signet non défini.**

الفصل الرابع في الزكاة وآدابها Erreur ! Signet non défini.

الفصل الخامس في الحج والعمرة Erreur ! Signet non défini.

فهرس الأشعار

الصفحة	الشعر
	الطويل
138	فليس بناج من ألم ببابه وإن هو أغناه وسد مفاقره وهاهو إلا النار تحرق من دنا إليه فلا تقر به واخش بواذره
142	تعلم فليس المرء يولد عالما وليس أخو علم كمن هو جاهل فإن كبير القوم إن كان جاهلا صغير إذا التفت عليه الجاهل وإن صغير القوم إن كان عالما كبير إذا ردت إليه المسائل
181	كتبت وقد أيقنت لا شك أنني ستفني يدي يوما ويبقى كتابها ولا شك أن الله سائلها غدا فإليت شعري ما يكون جوابها فإما نعيم في الجنان وراحة وإما جحيم لا يطاق عذابها
294	ثمانية يجزئ عن الغسل مسحها وهن من الأسياف ما كان ذا صقل وجسم وثوب مخرج ومحاجم كذا قدم وخف أيضا مع النعل وأن من الأثواب في العد مثلها أمرنا بها عند التقا حش بالغسل ثياب ذوي الإسلاس والجرح إن يسل وقرح وبأسور ومرضعة الطفل وذو سفر بالظهر يربوا معيشة ومن في بلاد الحرب يمسك للخيل

وثوبُ ذوي البرغوثِ والطُّهرِ صِفْ ثمانيةٌ وهي التي بَعْدَ ذا أُمْلٍ وأبوابُ دورٍ مثلَ ما مرَّ مِنْ قَبْلِ وأبوابُ دورٍ مثلَ ما مرَّ مِنْ قَبْلِ فَدُونُكَهَا فِي النَّظْمِ مضمومةُ الشَّمْلِ فَدُونُكَهَا فِي النَّظْمِ مضمومةُ الشَّمْلِ كذلكَ قضاءٌ في التَّطَوُّعِ وَالنَّفْلِ كذلكَ قضاءٌ في التَّطَوُّعِ وَالنَّفْلِ فَلِلَّهِ رَبِّهِ الْحَمْدُ ذِي الْمَنِّ وَالطَّوْلِ فَلِلَّهِ رَبِّهِ الْحَمْدُ ذِي الْمَنِّ وَالطَّوْلِ على أَحْمَدٍ وَالآلِ وَالصَّحْبِ وَالْأَهْلِ على أَحْمَدٍ وَالآلِ وَالصَّحْبِ وَالْأَهْلِ وكلِّبِ وما قدْ قلَّ مِنْ رِشَّةِ الْبَوْلِ وكلِّبِ وما قدْ قلَّ مِنْ رِشَّةِ الْبَوْلِ	وَقَطْرَةٌ حَمَامٍ وَمِيزَابُ أَسْطَحٍ وَقَطْرَةٌ حَمَامٍ وَمِيزَابُ أَسْطَحٍ وَأُخْرَى مَعَ الذِّكْرِ اسْتَبَانَ وَجُوبُهَا وَأُخْرَى مَعَ الذِّكْرِ اسْتَبَانَ وَجُوبُهَا وَكِفَارَةٌ لِلصَّوْمِ شَهْرُ صِيَامِنَا وَكِفَارَةٌ لِلصَّوْمِ شَهْرُ صِيَامِنَا وَتَسْمِيَةٌ فِي الذَّبْحِ قَدْ تَمَّ وَانْتَهَى وَتَسْمِيَةٌ فِي الذَّبْحِ قَدْ تَمَّ وَانْتَهَى وَأَزْكَى سَلَامٍ عَاطِرِ النَّفْحِ طَيِّبٍ وَأَزْكَى سَلَامٍ عَاطِرِ النَّفْحِ طَيِّبٍ وَعَنْ دِرْهَمِ الدِّمَا إِشَارَةٌ دَابَّةٍ وَعَنْ دِرْهَمِ الدِّمَا إِشَارَةٌ دَابَّةٍ
386 هَنِيئًا رِضَايَ عَنْكَ يَا بَنَ سَعِيدٍ هَنِيئًا رِضَايَ عَنْكَ يَا بَنَ سَعِيدٍ بَعْبَرَةٌ مَحْزُونٍ وَقَلْبٍ عَمِيدٍ بَعْبَرَةٌ مَحْزُونٍ وَقَلْبٍ عَمِيدٍ وَزُرْنِي فَإِنِّي مِنْكَ غَيْرُ بَعِيْدٍ وَزُرْنِي فَإِنِّي مِنْكَ غَيْرُ بَعِيْدٍ	نَظَرْتُ إِلَى رَبِّي عَيْنَانَا فَقَالَ لِي نَظَرْتُ إِلَى رَبِّي عَيْنَانَا فَقَالَ لِي لَقَدْ كُنْتَ قَوَّامًا إِذَا اللَّيْلُ قَدْ دَجَا لَقَدْ كُنْتَ قَوَّامًا إِذَا اللَّيْلُ قَدْ دَجَا فَدُونُكَ فَاخْتَرِ أَيَّ قَصْرِ تَرِيدُهُ فَدُونُكَ فَاخْتَرِ أَيَّ قَصْرِ تَرِيدُهُ
387 لَهَا أَلْفُ بَابٍ مِنْ لَجِينٍ وَجَوْهَرَا لَهَا أَلْفُ بَابٍ مِنْ لَجِينٍ وَجَوْهَرَا تَبَحَّرَ فِي جَمْعِ الْعُلُومِ وَأَكْثَرَا تَبَحَّرَ فِي جَمْعِ الْعُلُومِ وَأَكْثَرَا وَعَنْ عَبْدِي الْقَوَّامِ فِي اللَّيْلِ مُسْعِرَا وَعَنْ عَبْدِي الْقَوَّامِ فِي اللَّيْلِ مُسْعِرَا وَأَكْشَفُ عَنْ وَجْهِهِ وَيَذْنُوا لِيَنْظُرَا وَأَكْشَفُ عَنْ وَجْهِهِ وَيَذْنُوا لِيَنْظُرَا	حَبَانِي إِلَهِ فِي جِنَانٍ بِقُبَّةٍ حَبَانِي إِلَهِ فِي جِنَانٍ بِقُبَّةٍ وَقَالَ لِي الْجَبَّارُ يَا شُعْبَةَ الذِّي وَقَالَ لِي الْجَبَّارُ يَا شُعْبَةَ الذِّي تَمَتَّعَ بِقُرْبِي إِنِّي عَنْكَ نُو رِضَى تَمَتَّعَ بِقُرْبِي إِنِّي عَنْكَ نُو رِضَى كَفَى مُسْعِرَا عِزَا بَأَنْ سَيَزُورُنِي كَفَى مُسْعِرَا عِزَا بَأَنْ سَيَزُورُنِي
389 كَذَلِكَ فِي الدُّنْيَا تَعِيشُ الْبَهَائِمُ كَذَلِكَ فِي الدُّنْيَا تَعِيشُ الْبَهَائِمُ	نَهَارُكَ بَطَّالٌ وَلَيْلُكَ نَائِمٌ نَهَارُكَ بَطَّالٌ وَلَيْلُكَ نَائِمٌ

الوافر	
127	وَلَيْسَ يَصِحُّ فِي الْأَفْهَامِ شَيْءٌ مَتَى اخْتِاجَ النَّهَارُ إِلَى دَلِيلٍ
136	بِعَشْرِ يُنَالُ الْعِلْمُ قُوَّةً وَصِحَّةً وَحِفْظٌ وَفَهْمٌ ثَابِتٌ فِي التَّعَلُّمِ وَحِرْصٌ وَدَرْسٌ وَاعْتِرَابٌ وَهِمَّةٌ وَشَرْحٌ شَبَابٍ وَاجْتِهَادٌ مُعَلِّمٍ
البسيط المخلع	
143	وَمَنْ مَنَحَ الْجُهَّالَ عِلْمًا أَضَاعَهُ وَمَنْ مَنَعَ الْمُسْتَوْجِبِينَ فَقَدْ ظَلَمَ رَأَيْتُ رَيْبِي بِعَيْنٍ قَلْبِي فَقُلْتُ لَا شَكَّ أَنْتَ أَنْتَ
البسيط	
238	وَجَدَ بَرُوحَكَ فِينَا إِنْ كَلِفْتَ بَنَا وَاتْرُكْ هَوَاكَ لَنَا إِنْ كُنْتَ تَهَوَّنَا
الرجز	
346	مَنْ عَيَّبَهَا أَنْ تَسْتَخِيرَ أَوَّلًا وَبَعْدَهَا يُكْرَهُ مَا قَدْ حَصَلَ
355	السَّهْوُ فِي الْفَرَضِ وَفِي النَّفْلِ سَوَى إِلَّا الَّذِي عَلَيْهِ نَظْمٌ اخْتَوَى كَتَرَكَ سَوْرَةً وَتَرَكَ جَهْرًا وَتَرَكَ أَسْرَارًا تَفَهَّمُوا وَادْرِ كَذَا إِلَى ثَالِثَةٍ فِي النَّفْلِ قَدْ قَامَ لَهَا شَفَعَهَا إِذَا عَقْدُ خَامِسُهَا السَّهْوُ عَنِ الْأَرْكَانِ لَيْسَ لَهَا فِي الْحُكْمِ حُكْمٌ ثَانٍ

وهَاكَ سَبْعَةٌ مِنَ الْأَيَّامِ حَتَّى عَلَيْهَا الشَّرْعُ فِي الصِّيَامِ 392
فثَالِثُ الْمُحَرَّمَ اسْمَعُ جَاءَ وَفِيهِ أَيْضًا يَوْمُ عَاشُورَاءَ
وِثَالِثُ مَنْ رَجَبِ الْمُعَظَّمِ وَالسَّابِعُ الْعِشْرِينَ مِنْهُ فَافْهَمْ
كَذَلِكَ مَنْ شَعْبَانَ يَوْمُ النَّصْفِ وَالْخَامِسُ الْعِشْرِينَ فَافْهَمْ وَصَفِ
مَنْ قَعْدَةٍ كَذَاكَ قُلْ وَالتَّاسِعُ مَنْ حِجَّةٍ أَيْضًا بَلَا مُنَازَعِ

فخمسَةٌ عُثُوا بِغَيْرِ شَكٍّ لَا يَدْفَعُ زَكَاتَهُ الْمُزَكِّ 412
فمِنْهُمْ الْكَافِرُ وَالْعَبْدُ يَلِيهِ وَالْمُسْرِفُ الْمَبْذُرُ لِلْمَالِ السَّفِيهِ
ثُمَّ الَّذِي يُنْفِقُ بِالْحُكْمِ عَلَيْهِ ثُمَّ غَنِيٌّ غَيْرُ مُضْطَرٍ إِلَيْهِ

فهرس الكتب

الكتاب	رقم الصفحة
الجواهر الحسان في تفسير القرآن	125
منهاج العارفين	127
العتبية	229-315
الزاهي	220
الحكم العطائية	134-153
القواعد الصغرى	216-266
صحيح مسلم	131-210-216-228-237-240- 243-246-298-385
صحيح البخاري	146-191-216-237-246-260- 347-391-414
سنن ابن ماجه	209
التنوير	133
قواعد التصوف	145-247-303-306-346-349- 363-380-389-390-391-395- 396-404
العاقبة	199-202-235-261-386
الحلة	126-130-322

الضحايا	198–346
الكبرى	196
المقدمات	130–392

فهرس المصادر والمراجع

- ❖ القرآن الكريم برواية ورش.
- ❖ ابن حبان (أبو حاتم محمد) صحيح ابن حبان، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987.
- ❖ ابن حجر (أحمد بن علي العسقلاني) إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة، وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد السعودية، السنة 1994.
- ❖ ابن حجر (أحمد بن علي العسقلاني) الإصابة في تمييز الصحابة، دار نهضة مصر، القاهرة، السنة 1972.
- ❖ ابن حجر (أحمد بن علي العسقلاني) المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، المطبعة العصرية، الكويت، الطبعة الأولى 1973.
- ❖ ابن حجر (أحمد بن علي العسقلاني) فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، 1959.
- ❖ ابن رشد (أبو الوليد أحمد)، المقدمات الممهدات لبيان ما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام الشرعية والتحصيلات المحكمات لأمهاة مسائلها المشكلات، تحقيق محمد حجي، الطبعة الأولى، 1977م، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- ❖ ابن رشد (أبو الوليد بن أحمد)، المقدمات والممهدات، تحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 1988.
- ❖ ابن عباد (محمد بن إبراهيم الرندي) الغيث المواهب العلية في شرح الحكم، تحقيق عبد الله الشرقاوي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت 2004.

- ❖ ابن عبد البر (أبو عمر بن يوسف بن عبد الله) الاستذكار، دار الكتب العلمية، بيروت
- ❖ ابن عطاء الله السكندري (تاج الدين أحمد بن محمد)، الحكم العطائية، دار العلم للملايين، مصر.
- ❖ ابن عطاء الله السكندري (تاج الدين أحمد بن محمد) التنوير في إسقاط التدبير، أبو العباس تقديم وتعليق محمد أمين عبد الهادي، دار البيروتي دمشق السنة 2002 م.
- ❖ ابن فرحون (ابراهيم بن علي بن محمد)، الديباج المذهب في تراجم أعيان المذهب المالكي، تحقيق محمد الأحمد أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة .
- ❖ ابن فرحون (ابراهيم شمس الدين محمد)، تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الحكام، تحقيق جمال مرعشلي، دار الكتب للنشر والتوزيع، السنة 2003.
- ❖ ابن ماجة (محمد بن يزيد الربيعي القزويني) سنن ابن ماجة، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة.
- ❖ ابن ماجة (محمد بن يزيد الربيعي القزويني) سنن ابن ماجة، دار الفكر، بيروت.
- ❖ ابن مريم (محمد بن محمد التلمساني)، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، المطبعة الثعالبية، الجزائر، السنة 1907.
- ❖ ابن منصور (عبد الوهاب)، أعلام المغرب العربي، المطبعة الملكية، الرباط، 1979

❖ أبو الفضل زين الدين العراقي (عبد الرحيم بن زين) المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار لأبي الفضل، مكتبة طبرية ، الرياض.

❖ الإشبيلي (عبد الحق بن عبد الرحمان) العاقبة ،دار الكتب العلمية ،1994
❖ الأصبهاني (بو نعيم أحمد بن عبد الله)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، مكتبة الخانجي القاهرة 1938.

❖ الإفرائي (محمد الصغير المراكشي) صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، تقديم وتحقيق عبد المجيد خيالي، مر

❖ الألباني (محمد ناصر الدين)سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة، المكتب الإسلامي، دمشق، الطبعة الرابعة، 1978
❖ الدينوري (أحمد بن مروان بن محمد) المجالسة وجواهر العلم، دار ابن حزم، 1998.

❖ الهندي (المتقي) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق صفوت السقا و بكرى الحياتي، مؤسسة الرسالة.

❖ البادسي(عبد الحق)، المقصد الشريف والمنزع اللطيف في ذكر صلحاء الريف، تحقيق د. سعيد أعراب، الطبعة الثانية كانت بالمطبعة الملكية سنة 1993م.

❖ البغدادي (عبد القادر)خزانة الأدب ولب لسان العرب، تحقيق عبد السالم هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة 1997-

❖ بن قدامة (موفق الدين عبد الله بن أحمد) المغني، موقف الدين لعبد الله بن أحمد بن قدامة دار إحياء التراث العربي، 1985.

❖ البيهقي (أبو بكر بن أحمد بن الحسين بن علي) السنن الكبرى، دار المعرفة، بيروت.

- ❖ التادلي (عبد الرحمان) المعروف بابن الزيات، التشوف إلى رجال السادات أهل التصوف، تحقيق أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة بحوث ودراسات رقم 22، الطبعة الثانية 1997.
- ❖ الترغي (عبد الله المرابط) فهارس علماء المغرب منذ النشأة إلى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة منهجيتها، تطورها قيمتها العلمية، مطبعة جامعة عبد المالك السعدي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تطوان، سلسلة الأطروحات، 1999م.
- ❖ الترغي (عبد الله) الرحلة الفهرسية نموذج للتواصل داخل العالم الإسلامي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط العدد رقم 108،
- ❖ الترمذي (محمد بن عيسى) سنن الترمذي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، 1974.
- ❖ التفتازاني (أبو الوفا الغنيمي) مدخل إلى التصوف الإسلامي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة .
- ❖ الثعالبي (عبد الرحمان بن محمد)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن الكريم، تحقيق علي معوض وعادل عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى سنة 1997.
- ❖ الجذامي (أبو العباس بن أحمد بن القاسم) شرح الإعلام بحدود قواعد الإسلام، تحقيق عبد بنطاهر السوسي، دار الأمان الرباط .
- ❖ الجزنائي (علي) جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية الرباط
- ❖ الجوزية (ابن القيم)، مدارج السالكين، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي.

❖ الجوتي (حمدون بن محمد الطاهري الفاسي)، تحفة الاخوان ببعض مناقب شرفاء وزان، تحقيق محمد العمراني، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية فاس سايس، 2011.

❖ الحاكم (محمد بن عبد الله النيسابوري)، المستدرك على الصحيحين في الحديث، دار الكتاب العربي، بيروت.

❖ حجي (محمد) الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، مطبعة فضالة . طبعة 1978 م.

❖ حجي (محمد) الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين مطبعة فضالة، المحمدية 1978، الطبعة الثانية 1991.

❖ حدادي (أحمد)، رحلة ابن رشيد السبتي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط

❖ الحركة العلمية بالريف أصولها وامتداداتها، منشورات المجلس العلمي المحلي لإقليم الدريوش، السنة 2015

❖ الحركة العلمية بالريف من القرن العاشر إلى القرن الثاني عشر الهجريين مميزات وإسهاماتها، منشورات المجلس العلمي المحلي لإقليم الدريوش. السنة 2016.

❖ الحركة العلمية ببلاد الريف خلال العصر الأول من الدولة العلوية الشريفة، الخصائص و الأدوار. المجلس العلمي المحلي لإقليم الدريوش، الإصدار الثالث، السنة 2017.

❖ الحسني (محمد بن اسماعيل بن صالح بن محمد) التنوير شرح الجامع الصغير، تحقيق محمد إسحاق، دار السلام الرياض، الطبعة الأولى 2011.

❖ حنبل (أحمد بن) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع ، بيروت.

❖ خلدون (عبد الرحمان)، المقدمة مكتبة دار المدينة المنورة للنشر والتوزيع،
1984

❖ خليفة (حاجي)، كشف الظنون، دار الفكر، دار إحياء التراث العربي
بيروت، لبنان، 2007 البخاري (محمد بن اسماعيل)، صحيح البخاري،
مطبوعات محمد علي صبيح، القاهرة .

❖ الدارمي (عبد الله بن عبد الرحمان بن عبد الصمد)، سنن الدارمي، تحقيق
حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، السعودية، الطبعة
الأولى 2000.

❖ الدينوري (أحمد بن محمد) المجالسة وجواهر العلم، دار ابن حزم، 1998.
❖ الذهبي (محمد بن أحمد)، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة بيروت،
الطبعة الأولى 1985.

❖ الرازي (فخر الدين) مفاتيح الغيب تفسير، التفسير الكبير، دار الفكر،
1981.

❖ الرندي (ابن عباد النفري)، غيث المواهب العلية في شرح الحكم العطائية،
تحقيق عبد الجليل عبد السالم.

❖ الزركلي (خير الدين)، علام (قاموس وتراجم)، دار العلم للملايين، بيروت،
الطبعة 2002

❖ زروق (أحمد بن أحمد البرنسي) النصيحة الكافية لمن خصه الله بالعافية،
دراسة وتحقيق عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة
الأولى، 2001.

❖ زروق (أحمد بن أحمد البرنسي) قواعد التصوف، تحقيق عبد المجيد خيالي،
دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى 2001، دار الكتاب اللبناني،

بيروت، الطبعة الثالثة 1975، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، 2004.

❖ سعاد الحكيم تاج العارفين، دار الشروق، القاهرة، مصر الطبعة الثالثة 2007.

❖ سليم (محمد إبراهيم) الجوهر النفيس في شعر الإمام محمد بن إدريس، مكتبة بن سينا،

❖ السمرقندي (أبو الليث نصر بن أحمد بن إبراهيم) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين، دار ابن كثير، دمشق، 2000.

❖ السهروردي (عمر بن محمد) عوارف المعارف، دار الكتاب العربي، بيروت، السنة 1966

❖ السيوطي (جلال الدين)، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية لبنان، طبعة 1988.

❖ السيوطي (جلال الدين) المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق أحمد جاد المولى وعلي محمد اليحاوي دار الجبل، بيروت

❖ الشاطبي (إبراهيم بن موسى)، الإعتصام، تحقيق أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سليمان، الدار الأثرية، عمان الأردن الطبعة الثانية، 2007.

❖ شذرات من التراث العلمي والحضاري لبطوية، منشورات المجلس العلمي المحلي للحسيمة ومركز الريف للتراث والدراسات والأبحاث بالناظور، 2015.

❖ الصفوري (عبد الرحمان بن عبد السلام) نزهة المجالس ومنتخب النفائس، المطبعة الكاستلية، مصر.

❖ الطبراني (سليمان بن أحمد) المعجم الكبير، الدار العربية للطباعة، بغداد.

- ❖ الطبراني (سليمان بن أحمد) المعجم الصغير، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، الطبعة الثانية 1968.
- ❖ العسقلاني (أحمد بن علي بن حجر)، المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، دار العاصمة للنشر والتوزيع، ودار الغيث للنشر والتوزيع، السنة 1998.
- ❖ الغزالي (أبو حامد)، منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين، تحقيق محمد مصطفى حلاوي مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الأولى 1979م.
- ❖ الغزالي (أبو حامد) إحياء علوم الدين، تقديم ومراجعة صدقي محمد جميل العطار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت الطبعة 1995.
- ❖ الغزالي (أبو حامد محمد بن محمد)، بداية الهداية، مكتبة مدبولي، القاهرة.
- ❖ الغنيمان (عبد الله بن محمد) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، مكتبة الدار، المدينة المنورة.
- ❖ الفكيكي (حسن) مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفضل والصلاح، لعيسى بن محمد الراسي البطوي، مركز طارق بن زياد للدراسات والأبحاث، مطبعة النجاح الجديدة . 2000 م .
- ❖ القشيري (أبو القاسم) الرسالة القشيرية في علم التصوف، تحقيق معروف مصطفى زريق، المكتبة العصرية بيروت، الطبعة 2005
- ❖ الكاثاني (عبد الرزاق)، معجم اصطلاحات الصوفية، تحقيق وتقديم عبد العالي شاهين، دار المنار، الطبعة الأولى 1992
- ❖ الكتاني (محمد بن جعفر) سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، تحقيق عبدالله الكامل الكتاني، حمزة الكتاني، محمد حمزة الكتاني، مطبعة النجاح.

- ❖ الكتاني (محمد بن عبد الكبير)، زهرة الآس في بيوتات أهل فاس . تحقيق علي بن المنتصر الكتاني، مطبعة النجاح 2002 .
- ❖ الكتاني (محمد بن جعفر) سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء و الصلحاء بفاس، تحقيق عبد الله الكامل الكتاني وحمزة بن محمد الطيب الكتاني ومحمد حمزة بن علي الكتاني ،دار الثقافة الدار البيضاء، الطبعة الأولى 2004
- ❖ كنون (عبد الله) النبوغ المغربي في الأدب العربي، دار الثقافة ط2.
- ❖ مالك (ابن أنس)، الموطأ، دار النفائس، بيروت. 1971
- ❖ مخلوف (محمد بن محمد بن عمر بن قاسم) شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تحقيق عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية ،2003.
- ❖ المنوني (محمد عبد الهادي) المصادر العربية لتاريخ المغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط 1983 .
- ❖ الناصري (أحمد بن خالد) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب الدار البيضاء، 1956.
- ❖ النسائي (أحمد بن شعيب)، سنن النسائي بشرح جلال الدين السيوطي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، السنة 1930.
- ❖ النويهض (عادل) معجم أعالم الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة النويهض الثقافية للنشر، بيروت ،الطبعة الثانية. السنة 1980.
- ❖ الهروي (علي بن سلطان محمد أبو الحسن) الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة، دار الأمانة، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- ❖ الهيثمي (نور الدين علي بن أبي بكر) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، مكتبة القدسي، القاهرة.

❖ الوزان (الحسن بن محمد) وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر.

المجلات

❖ مجلة الذاكرة، يصدرها مركز الريف للتراث والدراسات والأبحاث، العدد 2،
السنة 2017.

❖ دعوة الحق، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية لسنة 1986، العدد 256-

251

فهرس المواضيح

1.....	الإهداء
2.....	شكر و تقدير:
4.....	مقدمة
5.....	أسباب اختيار الموضوع
5.....	الأسباب الذاتية :
5.....	الأسباب الموضوعية :
6.....	الدراسات السابقة عن شخصية البطوني و مؤلفه:
7.....	الصعوبات التي واجهت البحث:
8.....	النتائج والآفاق :
9.....	القسم الأول : الدراسة
10.....	الفصل الأول : الحالة العلمية والفكرية خلال القرن 10 و 11هـ
14.....	المبحث الثاني : منطقة بطوية ومكانة الأسرة البطونية العلمية :
19.....	المبحث الثالث : المشهد الفكري والثقافي زمن البطوني
22.....	المبحث الرابع: المؤسسات التربوية ومناهج التعليم بقبيلة بطوية في العصر الوسيط
23.....	1- طلبة العلم :
24.....	2- طلبة التصوف

29	الفصل الثاني: حياة عيسى بن محمد الراسي البطوي
30	المبحث الأول: مصادر دراسة حياته
31	المبحث الثاني: نسبه الراسي البطوي
31	المبحث الثالث: ولادته، نشأته، وتعليمه الأولي
33	المبحث الرابع: تكوينه العلمي والديني
37	المبحث الخامس: شيوخه
37	1. الشيوخ المغاربة بمركز تيزي عدنيت بالريف الشرقي وفاس:
39	2. الشيوخ التلمسانيون بتلمسان
42	المبحث الثامن: وفاته
53	الفصل الرابع: وصف نسخ المخطوط وعمل في التحقيق
53	المبحث الأول: وصف نسخ الكتاب
55	المبحث الثاني: عملي في التحقيق
	الباب الثاني: ظواهر وقضايا موضوعية و فنية في القسم المحقق من كتاب . مطلب الفوز
58	والفلاح في آداب طريق أهل الفضل والصلاح
58	الفصل الأول: ظواهر و قضايا موضوعية
58	المبحث الأول: عنوان الكتاب، المحتوى العام، بواعث التأليف
58	1- عتبة العنوان:

2-	المحتوى العام للكتاب وبواعث التأليف:	60
	المبحث الثالث : المرجعية الفكرية والعلمية للبطوني	73
	المبحث الثالث: تداخل الفقهي مع الصوفي في الجزء الأول المحقق	77
	الباب الثاني : ظواهر فنية في كتاب . مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفضل والصلاح	86
	المبحث الأول: عتبة العنوان	86
	المبحث الثاني: منهجية المؤلف وأسلوبه في الكتابة	87
1-	اللغة	88
2-	الخطبة الحاجية	90
3-	السجع	91
5-	النزعة التعليمية	95
6-	التضاد	98
أ-	مستوى اللفظ:	98
ب -	مستوى الجملة:	99
7 -	التكرار	100
	خاتمة	105
	صور النسخة المعتمدة في التحقيق	107

القسم الثاني : التحقيق	112
الملاحق	428
الفهارس	434
فهرس الآيات القرآنية	435
فهرس الأحاديث النبوية	444
فهرس الأعلام البشرية	463
لائحة القبائل الريفية المجاورة لمركز تيزي عدنيت	470
فهرس الموضوعات المثبتة في المتن	471
فهرس الأشعار	472
فهرس الكتب	476
فهرس المصادر والمراجع	478
فهرس المواضيع	488